



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

شعبة الثقافة الإسلامية

محمد أسد - رحمه الله - جهوده وأراؤه الثقافية (دراسة تحليلية)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تخصص الثقافة الإسلامية

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

إعداد الطالبة

منال بنت محمد بن عمر طه

الرقم الجامعي (٤٢٨٨٠١٩٩)

إشراف

د. محمد بن سعيد السرحاني

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م



قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ
بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة، آية: ٢٦٥)

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ
فإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (سورة آل عمران، آية: ١٩)

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَنَجْعَلُ
الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (سورة يونس، آية: ١٠٠)

قال النبي ﷺ : { ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فأمن به واتبعه وصدقه فله أجران وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده فله أجران ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاها ثم أدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران }^١

^١ أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب فضل من أسلم من أهل الكنائس، حديث رقم ٣٠١١.

مستخلص الدراسة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان أجمعين، أما بعد..

فالبحث هو رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية، بعنوان محمد أسد - رحمه الله - جهوده وآراؤه الثقافية (دراسة تحليلية).

وقد هدفت الدراسة إلى الوقوف على آراء محمد أسد الثقافية من خلال مؤلفاته ومقالاته، وجاءت في ثلاثة فصول، مسبوقة بمقدمة وتمهيد، وملحقة بخاتمة وفهارس.

○ المقدمة احتوت على مشكلة البحث، وأهميته، ويواعثه وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، عمل الباحثة في كتابته، والصعوبات التي واجهت الباحثة، وهيكل البحث.

○ التمهيد: اشتمل على مصطلحات الدراسة، وتحضير مفردات العنوان.

○ الفصل الأول: عصر محمد أسد وحياته.

○ الفصل الثاني: جهود المستشرق محمد أسد وآراؤه الثقافية.

○ الفصل الثالث: آرائه الفكرية بين المؤيدين والمعارضين.

وختمت الدراسة بخاتمة تناولت أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة، وكان منها: (١) تميز عصر محمد أسد بأحداثٍ جسام، كسقوط الدولة العثمانية، وإنهيار الإمبراطوريات الكبرى، وظهور الولايات المتحدة الأمريكية، (٢) للحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية عميق الأثر على مواقف وآراء محمد أسد، وثقافته، (٣) الدور البارز والمهم الذي يقوم به الوالدان في تنشئة الطفل، وتعليمه، ومدى أثرهما في تحقيق الاستقرار النفسي، والنجاح العلمي، والعملية في حياته، (٤) وجود غموض يكتنف بعض الجوانب من حياة محمد أسد، لاسيما المدة التي قضاها في الباكستان؛ فتفاصيلها ما زالت مجهولة، (٥) وفرة الإنتاج العلمي لدى محمد أسد، وتنوعه، وشموله، لمختلف قضايا الثقافة الإسلامية، (٦) إن الدعوة إلى إحياء الإسلام في قلوب أهله، والتمسك بالشريعة الإسلامية أخذت جل وقتها، (٧) كان لمحمد أسد أعمالاً كثيرة، وجهود تصب في خدمة الإسلام وقضاياها، فقد شارك في المؤتمرات الإسلامية، وعقد المحاضرات والدروس الإذاعية، كما كان رائداً في العمل الصحفي، إذ أنشأ داراً للنشر في الباكستان، (٨) بذل محمد أسد جهوداً في دحض شبهات المستشرقين، والمستغربين، وأهل البدع والأهواء، (٩) اختلاف الباحثين، والمفكرين حول محمد أسد هل يعدُّ مفكراً، أم مستشرقاً؟ وتوصلت الباحثة إلى أنه مستشرق مسلم، (١٠) بذل محمد أسد جهداً في التأسيس لعلاقة جيدة مع الآخر من خلال دعوته المتكررة بضرورة السموِّ بمشاعرنا، وأحاسيسنا تجاه الآخر، ومحاولة تنمية مهارات التواصل مع الغير، وتفهمه؛ لتحقيق التعايش السلمي، وتسهيل التعامل مع القضايا، والحقائق غير المفهومة لدينا، والغريبة على ثقافتنا، (١١) تعددت المراحل الفكرية التي مرَّ بها محمد أسد خلال حياته؛ لتأثره بالمدارس الدينية المختلفة سواءً في الجزيرة العربية، أو في الباكستان، (١٢) الإجماع الواضح والبيّن بين العلماء، والباحثين على الأخطاء العقديّة، والفقهية التي وقع بها محمد أسد في ترجمته لمعاني القرآن الكريم، (١٣) خطورة كتاب رسالة القرآن على المسلمين، لما يحتويه من انحرافات عقديّة وفقهية، وكفريات فاضحة أجمع عليها علماء المسلمين.

Abstract

Praise be to Allah and peace and blessings be upon the Messenger of Allah and his family and companions and followed them in truth wholes After:

The search is an introduction to the master's degree in Islamic culture, entitled Muhammad Asad - may God have mercy on him - and his views were cultural (analytical study).

The study aimed to identify the views of Muhammad Asad cultural through his books and essays, and came in three chapters, preceded by an introduction and pave, and attached to a conclusion and indexes.

- The introduction contains the research problem, importance, motives and objectives, previous studies, methodology and difficulties faced by the researcher.
- Foreword: Included the terms of the study, and editing vocabulary address.
- Chapter One: The era of Muhammad Asad and his life.
- Chapter two: Efforts and cultural views of the Orientalist Muhammad Asad.
- Chapter three: His intellectual views between supporters and opponents.

In conclusion, the study conclusion dealt with the most important findings and recommendations of the study, which was:

- 1- Muhammad Asad's era is characterized by great events such as the fall of the Ottoman State, decline of great empires and emergence of the United States of America.
- 2- Political, social and cultural life has deep impact on the views, stances and culture of the thinker Muhammad Asad.
- 3- The glaring and vital role played by parents in bringing up and educating a child and their impact on the actualization of psychological stability, scientific and practical success in his life.
- 4- There is some ambiguity in some aspects of Muhammad Asad's life especially the period he spent in Pakistan because its details are still unknown.
- 5- Abundance and diversity of the scientific production of Muhammad Asad and its embracement of various Islamic cultural issues.
- 6- Invitation to revive Islam and adherence to the Islamic legislation in the hearts Muslims took most of his time.
- 7- Muhammad Asad had so many works and efforts that serve Islam and its matters. He indeed participated in Islamic conferences and conducted lectures and radio lessons. Moreover, he was a pioneer in press work as he established a publishing house in Pakistan.
- 8- Muhammad Asad exerted efforts in disproving the suspicions of the orientalists, Arabs inclining towards the West and its ways of life and the people of innovation and whims.

- 9- Researchers differ about Muhammad Asad, if he is to be considered a thinker or an orientalist. Though the researcher concluded that he is a Muslim orientalist.
- 10- Muhammad Asad exerted much effort to establish good relations with others through his recurrent invitation to uplift our emotions and feelings towards others and to try to develop the skills of understanding and interacting with others to achieve peaceful coexistence and facilitate dealing with issues, ambiguous and strange facts to our culture.
- 11- The intellectual stages that Muhammad Asad passed through are numerous due to his being influenced by various religious schools both in the Arabian peninsula and Pakistan.
- 12- Consensus is clear and manifest among scientists, researchers errors doctrine, and jurisprudence, which was signed by Muhammad Asad in his translation of the Qur'an.
- 13- Seriousness the book of message of the Qur'an on the Muslims because it contains Errors doctrine, and jurisprudence, and disbelieve clear unanimously approved by Muslims scholars.

الإهداء

قللة من الناس أولئك الذين حازوا سمات الإنسانية، والتواضع، والكفاءة؛ ليسبحوا وحدهم في فلک النبل، وعلو القدر، سيماهم الصفاء، ومتعة العطاء، لا يسألون مقابل ذلك إلا الاحتساب، والدعاء.

بأسمى آيات الحب، والود، والعرفان يسرني، ويشرفني أن أهدي هذا الجهد الذي يقف متواضعاً أمام شموخ العطاء، وعطاء الشموخ، لما عرف عنكم من كرم الأخلاق، ونبل الصفات، وإخلاص في العمل، وحرص، وأمانة يشهد بها الجميع.

إلى صاحب الأيادي البيضاء، والصفات المشرقة بالبذل، والعطاء إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله ورعاه - إليكم أهدي هذا الجهد المتواضع برأ بوالدكم رحمه الله وغفر الله له وعفا عنه الملك عبد العزيز - رحمه الله - ووفاء لحبكم، وصادقتكم لمحمد أسد - رحمه الله - .

الباحثة

شكر وتقدير

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾^١، واعترافاً بالفضل لأهله، فإنني أتقدم بجزيل شكري، لجامعة أم القرى التي هيأت لي شرف الانتساب إليها في مرحلة الماجستير بكلية الدعوة وأصول الدين - قسم الدعوة والثقافة الإسلامية - وأسجل شكري الخاص لفضيلة الشيخ الدكتور محمد داوود - رحمه الله - على مساعدته لي، حيث أمدني بالإرشاد، والعون في مرحلة اختيار الموضوع، رحمه الله رحمة واسعة من عنده، وغفر له، وعفا عنه، وأدخله فسيح جناته.

كما أتقدم بالشكر وخالص تقديري لأستاذي الفاضل سعادة الدكتور محمد بن سعيد السرحاني - أستاذ الاستشراق - بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، للإشراف المتواصل على هذه الدراسة، ولما بذله من عطاء، وما خصني به من نصيحة، وما حبانني به من وقته طوال مدة كتابة هذا البحث، مما كان له عظيم الأثر في إثراء هذه الرسالة، حتى خرجت للنور، ووصلت إلى هذا المستوى، والذي أسأل الله الكريم له القبول في الدنيا والآخرة، وأن يبارك له الله في عمله وعلمه.

كما يطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى عضوي لجنة المناقشة سعادة الدكتور جمال الدين تبيدي، وسعادة الدكتور عبد الله إسماعيل على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الدراسة، وما قدماه من توجيهات سديدة دعمت الدراسة، وأسهمت في إخراجها بالشكل المطلوب، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر، والعرفان الجزيل إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، والقائمين عليه، وعلى رأسهم صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل رئيس مجلس إدارة المركز - حفظه الله - ، وسعادة الدكتور زيد الحسين الأمين العام للمركز، وسعادة الدكتور حمد الشريف مدير الإدارة العامة للمكتبات؛ لما قدموه لي من رعاية خاصة، وعون، واهتمام بالغين في الحصول على الوثائق النادرة.

^١ سورة لقمان، آية: ١٢.

وكذلك أتقدم بخالص الشكر والتقدير، وعظيم الامتنان إلى مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، ومكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ومكتبة الإسكندرية بمصر، والملحق الثقافي السعودي في كل من فرنسا، وألمانيا، والنمسا، والسودان على ما قدموه لي من معلومات، ومصادر، ومراجع استعنت بها في جمع المادة العلمية لهذا البحث.

كما أتقدم بالشكر إلى زوجي الكريم الأستاذ رامي النواب صاحب العقل الراجح، ومثال الزوج الصالح، ورفيق العمر الناصح عسى الله أن يبارك له في عمره، وعمله، وماله، وولده.

والشكر موصولاً لأخي العزيز المهندس عمر محمد عمر طه الذي رافقني في سفري إلى مصر، وتحمل معي مشاققة السفر، وكبده، وعناء البحث عن المراجع، فكان نعم الأخ، ونعم الرفيق، ونعم الأنيس، عسى الله أن يؤاخي بيننا كما آخى بين موسى وهارون عليهما السلام.

وإلى فلذات كبدي، وضياء قلبي أولادي (إبراهيم، ويوسف، ومحمد) الذين تقاسموا معي أحزاني، وأفراحي، فكانوا مهجة فؤادي، وزهرة حياتي، لا حرمني الله برهم، وقربهم.

وإلى صديقتي، وأختي، ورفيقة الدراسة نورة الغامدي التي أكن لها وافر المحبة، وأصدق المشاعر، فاسأل الله الكريم أن يسد خطاها، وأن يجعل عملها في موازين حسناتها.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من قدم لي النقد البناء، والإرشاد الصادق، أو العون من قريب، أو بعيد للحصول على وثائق، ومصادر الدراسة، أو ترجمة للنصوص الأجنبية، وأخص فيهم سعادة الدكتور سامي القليطي، وسعادة الدكتور عبد الرحمن الشبيلي، والأستاذ إبراهيم البليهي، والأستاذة ميساء، والأستاذة نعمان قدوة، وسعادة الدكتور محمد الشافعي المغربي، والأستاذ سعيد العريني، وسعادة الدكتورة

مها عبد الباقي، والأستاذ سعد الجريوع، فجزى الله الجميع خير الجزاء، وتقبل الله
من الجميع صالح الأعمال.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر إلى كل من أسدى إليّ معروفاً ولو بالكلمة الطيبة،
اعترافاً بفضلهم، وجميلهم.

وختاماً فأني أتوج هذا الشكر بعظيم شكري وامتناني إلى من علماني حب ديني،
وأدباني فأحساناً تأديبي، وتفانياً في تعليمي، إلى من وهباني كريم عطائهما، وعظيم
دعائهما، إلى والديّ الكريمين، وأقول ما قاله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرًا ﴾^١.

والله الموفق،،،

الباحثة

^١ سورة الإسراء، آية: ٢٤.

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والحمد لله فاطر السموات والأرض المسبغ نعمه على خلقه ظاهرةً و باطنةً، الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، الحمد لله الذي اصطفى من عباده النبي الأمي رسولاً إلى العالمين، وأوحى إليه هذا القرآن الكريم بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، ليكون ذكراً له ولقومه دهر الدهرين.

الحمد لله وحده ولا شريك له، وأصلي وأسلم على خير خلقه، وخاتم رسله، وأكرم أنبيائه، نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيراً طيباً مباركاً فيه، وعلى أبويه الرسولين الكريمين إبراهيم وإسماعيل، وعلى من سار على طريقه، واقتفى أثره، واتبع سنته، وحمل منهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الإسلام دينٌ عالميٌّ، ارتضاه الله تعالى لجميع الخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^١.

فلم يأت الإسلام مختصاً بزمانٍ دون زمانٍ، أو بمكانٍ معينٍ، أو بخلقٍ دون سواهم، وإنما جاء للعالم أجمع بهدف الجمع بين أفرادهِ وشعوبهِ، وتعايشهم على مبادئٍ مشتركةٍ؛ لتسعد الأمم، وتتخلص من أمراضها، ومشكلاتها.

كما أن من أعظم نعم الله تعالى على عباده، نعمة الهداية إلى الإسلام، حيث يصطفي سبحانه لهذه النعمة من يشاء من عباده، فيشرح بها صدورهم، وينير قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^٢، وقوله عز وجل: ﴿فَإِنَّ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ^٣ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَلَّمْتُ^٤ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ^٥ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾^٦.

هذه القوة العالمية التي ميزت الدين الإسلامي بمنهجه الميسر، و تعاليمه المقبولة، والمنسجمة مع العقل والمنطق، المتفقة مع الفطرة والميول، أدت إلى اشتداد الهجمات الشرسة ضده من أعدائه، وأدعيائه على السواء، الذين لا ينتمون إلى الإسلام إلا اسماً.

^١ سورة سبأ، آية: ٢٨.

^٢ سورة آل عمران، آية: ٨٥.

^٣ سورة آل عمران، آية: ٢٠.

وكان من مقتضى حكمة الله تعالى، وفضله ومنته أن جعل في هذه الأمة عبر مختلف العصور صفوة من الرجال زودهم بالعقول النيرة، والقلوب الواعية، وأرشدهم إلى طريق الحق القويم، ووقفهم على الالتزام بالمنهج الصحيح، وغرس في نفوسهم المهمة العالية، فأنفقوا حياتهم في خدمة هذا الدين، والتصدي لأهل الضلال والإلحاد، ورزقهم الثبات على الحق، فلقوا ربهم وما بدلوا تبديلاً، وتركوا وراءهم خيراً وحقاً حوته الكتب التي صنفتها، وحفظته صدور الطلاب الذين تلقوا عنهم.

ومن هؤلاء الرجال المستشرق المسلم نمساوي الأصل محمد أسد - رحمه الله - الذي كان منتماً إلى أسرة يهودية متعصبة في بلدة (لور) النمساوية، واسمه (ليوبولد فايس)، فشرح الله صدره للإسلام، واعتنقه سنة ١٩٢٦م، وسمي بعدها بمحمد تيمناً باسم المصطفى ﷺ، ويروي لنا محمد أسد في كتابه الشهير (الطريق إلى مكة) بأسلوبه الشيق قصة اقتناعه بالإسلام التي توضح فهمه المبكر لمعانيه، ومقاصده الإيمانية، والروحية، والأخلاقية، والاجتماعية.

قدم محمد أسد إلى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٢٧م، والتقى بالملك عبد العزيز - رحمه الله -، واتخذ من المدينة المنورة مقراً لإقامته، ثم رحل بعدها إلى الهند والتقى بالفيلسوف الإسلامي محمد إقبال، وساهم في قيام دولة باكستان، وتقلد فيها بعد قيامها عدداً من المناصب العلمية، والسياسية، كان من أهمها تمثيل دولة باكستان لدى الأمم المتحدة حتى نهاية عام ١٩٥٢.

وفي عام ١٩٥٢م تفرغ محمد أسد للكتابة، متنقلاً بين سويسرا، والمغرب، والبرتغال، حتى استقر في إسبانيا، وتوفي فيها يوم ١٩/٠٢/١٩٩٢م، عن عمر يناهز الحادية والتسعين، ودفن في مقابر المسلمين في مدينة غرناطة.

لقد أثبتت سيرة المستشرق الراحل محمد أسد - رحمه الله - بأن الاتصال بالإسلام في مصادره الأصلية، والوقوف على ما كتبه عنه الأئمّة المخلصون في بحوثهم ينتهي بمن يتصل به إلى الإيمان القلبي المباشر، والافتناع العقلي بوحداية الله تعالى، والتغلب على ما عداها من وثنيات، وموروثات بشرية ضالة مضادة للحق.

وهو بلا ريب ما استقر عليه العديد من المفكرين والمستشرقين المنصفين الذين درسوا الإسلام دراسة متأنية عميقة، ورجعوا إلى مصادره الأصلية، فما كان منهم إلا أن أحبوا الإسلام، وامتدحوه عبر أقلامهم، وألستهم المختلفة، بل إن فريقاً كبيراً منهم اعتنق الإسلام في غير لبس، ولا مرا، وجابه الرأي المضاد له في بيئته وعقيدته، وأخذ يدعو إليه مكرساً وقته وجهده لنشره.

وما ذلك إلا شهادة عالمية بأن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ هو الحق من عند الله، وأنه هو المتفرد بالصحة، والحفظ من الله تعالى، لذلك ينحاز إليه عقلاء الأمم، وسعداء البشر في كل الأجيال، والعصور.

وفي هذا تذكرة للمسلمين قبل غيرهم بمقدار النعمة الإلهية التي أهديت إليهم؛ ليقوموا بحققها عملاً، وبلاغاً للعالمين، يقول الله عز وجل: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^١.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ. مشكلة البحث:

تمثل مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

ما الجهود والآراء الثقافية لمحمد أسد؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية:

١. من هو محمد أسد، وكيف كانت نشأته، وطلبه للعلم؟
٢. ما العوامل التي أدت إلى دخوله للإسلام؟
٣. ما الجهود التي بذلها من أجل الدفاع عن الإسلام؟
٤. ما آراؤه الثقافية التي ساهمت في نشر الثقافة الإسلامية، والدفاع عنها؟
٥. ما الآراء المؤيدة، والمعارضة لفكر محمد أسد وثقافته؟

ب. أهمية البحث وبواعث الدراسة:

يعود اختياري للموضوع لأسباب عديدة أخصها فيما يلي:

١. انتقال حياة محمد أسد من اليهودية إلى الإسلام ينبغي أن تكون محل دراسةٍ نقدمها للباحثين عن الحقيقة، ونسوقها لأهل الكتاب الذين يعرف بعضهم الإسلام كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك يصرون على كفرهم، وعنادهم.

^١ سورة آل عمران، آية: ١١٠.

٢. للأجيال المسلمة الحقُّ ولاسيَّما المهتمين بدراسة الجانب الثقافي والفكريِّ، أن يأخذوا الدروس النافعة، والعبير المفيدة من سيرة الراحل محمد أسد، وحياته، وآرائه الثقافية، وأن يتعرفوا على دوره في الدفاع عن الإسلام، ونشر ثقافته، ومخاطبته للعقل الغربيِّ، ومحاولة إيضاح صورة الإسلام الحقيقية، ومواجهة المتربصين به من المستشرقين، ودعاة التغريب.

٣. تبرز هذه الدراسة أن الإسلام دين الفطرة السوية، والعقول الراجحة، فحينما يلامس النفوس الطاهرة الزكية، والعقول الراشدة، تسارع إليه بحمل لوائه، ونشر ثقافته.

٤. تجمع هذه الدراسة تراث محمد أسد الفكريِّ، وإنتاجه العلميِّ الذي مازال مجهولاً لدى الكثيرين.

٥. تكشف هذه الدراسة حقيقة الصهيونية في شكلها، ومضمونها بعيون يهودية، وشاهدة على الحدث من موقعه.

٦. توضح هذه الدراسة بعض أساليب الغرب، والدول الاستعمارية الكبرى في تطويق العالم الإسلاميِّ، وإلغاء هويته وذاتيته، وتثبيت مدى تمسك الشعوب العربية بخيار المقاومة أمام كلِّ معتدٍ باغٍ على ديارهم، وأوطانهم.

٧. تضعنا هذه الدراسة أمام رؤية إسلاميةٍ عصريةٍ للحكم الإسلاميِّ تميل إلى العقلانية، والاعتدال في مناحيها العديدة في عصرٍ كان فيه المسلمون بأمرٍ الحاجة إلى رؤيةٍ واضحةٍ تنقذهم من الصراعات السياسية.

٨. تعرض هذه الدراسة آراء المعارضين لفكر محمد أسد فتمنحنا الزاد الثقافيِّ؛ لحماية حصون الإسلام من الداخل بكشفها أباطيل ثقافيةٍ ما زال يعاني منها العالم الإسلاميُّ إلى اليوم، وعلى لسان أبناء جلدته.

٩. إن هذا المستشرق لم يُتناول على حدِّ علمي من قبل الباحثين المتخصصين في الدراسات الثقافية الفكرية، لذلك يجب إعطاؤه جهد الباحثين المسلمين، كما أن هذه الدراسة تعتبر سابقةً في هذا الموضوع ولاسيَّما من الجهة التي سأل عنها، ولعلي بذلك أضفت إضافةً علميةً للمكتبة الإسلامية عامةً، ومكتبة الثقافة الإسلامية خاصةً.

ج. أهداف البحث:

سعت الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. التعريف بعصر المستشرق محمد أسد، وما طرأ عليه من تغيراتٍ كبرى بسبب الحروب العالمية، والثورات الصناعية والتقنية، وبالتالي تسليط الضوء على بعض ما اكتسبته الإنسانية، وما خسرتة خلال ذلك العصر.

٢. التعريف بحياة المستشرق محمد أسد العلمية، والعملية، والدينية بمراحلها المختلفة.
٣. التعريف بترائه الفكري، وإنتاجه العلمي.
٤. الوقوف على الدور الثقافي والفكري لمحمد أسد، وإبراز مكانته العلمية.
٥. تقديم صورة الحضارة الغربية، والفكر الغربي المعاصر بعيون غربية.
٦. الوقوف على إمكانية إيجاد نقاط للتواصل بين الحضارتين الغربية والإسلامية من خلال آرائه الفكرية.
٧. الوقوف على آراء المؤيدين، والمعارضين لفكره وثقافته.

د. الدراسات السابقة:

لما كانت الدراسة الحالية تهتم بدراسة المفكر المسلم محمد أسد، وجهوده، وآرائه الثقافية، كان لزاماً على الباحثة محاولة حصر الدراسات السابقة التي تتعلق بموضوع البحث، والتعرف عليها. وبعد البحث، ومراسلة مراكز المعلومات، وجدت الباحثة عدداً من الدراسات منها ما هو باللغة العربية، ومنها ما كتب باللغات الأجنبية كالإنجليزية، والألمانية، والفرنسية. وفيما يلي سنعرض الدراسات السابقة وفقاً للترتيب الزمني مبتدئةً من الأقدم إلى الأحدث، ثم نقدم تعليقاً عاماً عليها؛ لبيان الفرق بينها، وبين الدراسة الحالية:

1.The Political Thought of Muhammad Asad, By: Papi Ahmaed Hasan¹:

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل الفكر السياسي لمحمد أسد، ودوره في قيام دولة باكستان.

2.The Road from Mecca: Muhammad Asad (born Leopold Weiss), By: Martin Kramer²:

هدفت هذه الدراسة إلى توثيق حياة محمد أسد، وعرضها كسيرة ذاتية شملت قصة إسلامه، ورحلاته، وأهم المناصب السياسية، والعلمية التي تقلدها حتى وفاته.

3.A Compartive Study of English Translations by Abdullah Yusuf Ali and Muhammad Asad, By: Muzaffar Iqbal³:

1. Presentes In Partial Fulfillment of Requirements for The Degree of Master of Arts at Concordia University, Canada, 1998.

2.The Jewish Discovery of Islam, The Moshe Dayan Middle Eastren and African Studies, Tel Aviv, 1999, P. 47-225.

3.Journal of Quranic Studies, The University of Edinburgh, U.K, No. 2, Jun. 2000, P. 107-123.

تمثلت أهداف الدراسة في عقد مقارنة علمية منهجية بين ترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم ، وترجمة الأستاذ عبد الله يوسف لمعاني القرآن الكريم باعتبار أنَّهما الأحدث، الأكثر شيوعاً بين تراجم القرن العشرين.

4. Leopold Weiss Alias Muhammad Asad Von Galizien Nach Arabien, By: Gunther Windhgar¹:

هدفت الدراسة إلى عرض السيرة الذاتية لمحمد أسد، ورحلته إلى بلاد الشرق، ووقائع ومشاهدات من رحلته لأداء فريضة الحج عام ١٩٢٧م، وتوثيق علاقته بالملك عبد العزيز، ولقائه بالأمير فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله -، وحياته في الجزيرة العربية.

٥. ضرورة ترجمة النص المقدس والصعوبات التي تواجه ذلك (حديث بني الإسلام على خمس نموذجاً)، للدكتور سعيد الدين منصور محمد^٢:

هدفت هذه الدراسة إلى التأكيد على ضرورة ترجمة النص المقدس من الحديث النبوي إلى اللغات الأجنبية، ولاسيما اللغة الإنجليزية مستعرضة لتراجم صحيح البخاري باللغة الإنجليزية، والتي من بينها ترجمة محمد أسد - رحمه الله -، كما قدمت الدراسة حديث (بني الإسلام على خمس نموذجاً)؛ للمقارنة بين الترجمات في ترجمتها للحديث السابق.

٦. دراسة نقدية لترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية (رسالة القرآن) مع تعريف بجوانب من حياته، للدكتور عبد الله عبد الرحمن الخطيب^٣:

تعد هذه الدراسة دراسة نقدية لترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم؛ باعتبار تغليب جانب التأويل العقلاني المحض الذي يخالف النصوص الثابتة التي تخالف العقل الرصين أبداً، كما أظهرت الدراسة الأسس التي قامت عليها الترجمة، ونقاط الضعف التي تضمنتها، والمنهج الذي سلكه المؤلف في الترجمة.

7. The Tafsir of Muhammad Asad an Analytical Study of His Methodology, By: Maziah Mahmud⁴:

^١ دراسة مقدمة باللغة الألمانية لنيل درجة الدكتوراه، معهد الثقافة وعلوم الاجتماع، جامعة فيينا، النمسا، ٢٠٠٥م.

^٢ مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان/ السودان، العدد ١١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ١٩٣-٢٠٦.

^٣ مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد ٦٦، السنة ٢١، شعبان ١٤٢٧هـ / سبتمبر ٢٠٠٦م، ص ٨٧-١٤٢.

4.A Master's Project, International Islamic University, Malaysia, 2007.

هدفت الدراسة إلى التعريف بترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم كواحدة من أهم تراجم القرن العشرين، وتحليل العناصر المنهجية التي استخدمها المفسر في ترجمته، وتفسيره لمعاني القرآن الكريم، مع توضيح نقاط القوة، والضعف في الترجمة.

٨. المفكر الإسلامي محمد أسد (ليبولد فايس) وجهوده في الدعوة الإسلامية دراسةً وصفيةً تحليليةً، للدكتور حسين إسحاق يوسف^١:

تكمن أهداف الدراسة في الوقوف على النشاط الدعوي الذي قام به محمد أسد في العالمين الإسلامي والأوروبي، والوقوف على الجوانب الفكرية التي صاغها محمد أسد ليتحدى بها الفكر الغربي، وغيره من التيارات المعادية للإسلام، وتوضح أثر دعوة محمد أسد، ومدى إلمامها بالتحديات التي تواجه الدعوة للإسلام في العالمين الإسلامي والغربي.

٩. محمد أسد من عالم الغرب إلى أخوة المسلمين ومن النظرة العلمانية إلى الإسلام (قراءة في كتاب الطريق إلى مكة)، لمنير شفيق^٢:

هدفت الدراسة إلى قراءة لتجربة محمد أسد في الانتقال من عالم الغرب إلى عالم المسلمين، من العلمانية إلى الإسلام، من خلال كتابه (الطريق إلى مكة).

١٠. قراءة في بعض كتابات المفكر النمساوي ليوبولد فايس (محمد أسد)، لعماد الدين خليل^٣:

تمثلت أهداف الدراسة في توضيح رؤية محمد أسد عن الإسلام من خلال كتبه التالية: الإسلام على مفترق الطرق، الطريق إلى مكة، منهاج الإسلام في الحكم.

ومن خلال العرض السابق نجد أن الدراسات السابقة تناولت المفكر محمد أسد، وآراءه في محاور ثلاثة:

أ. المحور الأول: التعريف بالشخصية، وقصة إسلامها، ورحلاتها، ومختلف محطات حياتها، بالاعتماد على المصدر الرئيس في ذلك وهو كتاب (الطريق إلى مكة)، كدراسة الأستاذ منير شفيق، الدكتور جونتر فيند هاجر، والباحث مارتن كارمر.

^١ رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة أم درمان، السودان، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

^٢ مجلة رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية للدراسات والبحوث، مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية، إصدار مؤسسة الفكر الإسلامي، المجلد ٥، العدد ٢٠، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ص ١٨٣-٢٠٦.

^٣ مجلة إسلامية المعرفة، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة ١٥، العدد ٦٠، ربيع الأول ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ص ١٧٥-٢٠٠.

ب. المحور الثاني: فقد ركز على الدراسات المتعلقة بترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم، والتعليق عليها، كدراسة الدكتور عبد الله الخطيب، والباحثة مزايا محمود، والأستاذ مظفر إقبال.

ج. المحور الثالث: دراسة آراء محمد أسد المتعلقة بالإسلام، وتوجهاته الفكرية السياسية، وجهوده الدعوية، كدراسة الأستاذ عماد الدين خليل، والباحثة بيبي أحمد حسن، والدكتور حسين يوسف.

أمَّا الدراسة الحالية فهي دراسة واسعة وشاملة عن المفكر محمد أسد - رحمه الله - ابتداءً من الحديث عن عصره، ثم نشأته، وحياته العلمية، والعملية، والدينية، مع تحليل أحواله وأوضاعه قبل الإسلام، وبعده حتى جهوده، وآرائه الثقافية في خدمة الإسلام والدفاع عنه، والردُّ على المستشرقين، وبيان عوار الثقافة الغربية، ثم الانتهاء بآراء المؤيدين لفكره وثقافته، والمعارضين لها، وكان ذلك والله الحمد بالوقوف على جميع مؤلفاته التي تم نشرها، ومقالاته، وهو ما لم تفعله الدراسات السابقة.

ولقد استفادت الباحثة من الدراسات السابقة في وضع خطة البحث، وتقسيم الفصول والمباحث، وتوثيق بعض القضايا في حياته التي لم ترد في كتاب (الطريق إلى مكة).

هـ. منهج البحث:

أرى أن المنهج الملائم لطبيعة دراستي هو:

١. المنهج الوصفي: وهو " فهم الحاضر لتوجيه المستقبل وذلك من خلال وصف الحاضر بتوفر بيانات كافية لتوضيحه وفهمه ثم إجراء المقارنات وتحديد العلاقات بين العوامل وتطوير الاستنتاجات من خلال ما تشير إليه البيانات "١. وقد استخدم هذا المنهج في جمع المادة العلمية المتعلقة بالفصل الأول (حياة محمد أسد)، ثم ترتيبها، وتدوينها، وإظهار العلاقات فيما بينها، مع استخلاص العوامل التي أثرت على حياته.

٢. المنهج التحليلي: وهو وصف منظم ودقيق للمحتوى من خلال تحديد موضوع الدراسة وهدفها؛ لدراسة مضمونها وتحليله٢. وقد تم استخدام هذا المنهج في الفصل الثاني من الدراسة (جهوده وآراؤه الثقافية) حيث تم جمع النصوص المتعلقة بالمباحث، والمطالب، ومن ثم تحليلها والتعليق عليها.

١ البحث العلمي أسسه ومنهجه وأساليبه وإجراءاته، د. ربحي مصطفى عليان، ط١، عمان: بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠١م، ص ٤٧.

٢ المرجع السابق، ص ٥٤.

٣. المنهج التاريخي: هو "يركز على دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل ويستخدم كذلك في دراسة الحاضر من خلال دراسة ظواهره وأحداثه وتفسيرها بالرجوع إلى أصلها وتحديد التفسيرات والتطورات التي تعرضت لها ومرت عليها والأسباب المسؤولة عن ذلك والتي منحنتها صورتها الحالية"^١. وقد تم استخدام هذا المنهج في دراسة الظاهرة الاستشراقية، وتتبع مراحلها التاريخية، وكذا في دراسة المدرسة العقلية الحديثة، وتتبع مراحلها التاريخية منذ نشأتها وحتى العصر الحديث؛ لما له من علاقة بفكر وآراء محمد أسد، في المبحث الثاني من الفصل الثاني الذي عرضت فيه جهوده وآراؤه في الرد على المستشرقين، وفي المبحث الثاني من الفصل الثالث المتعلق بآراء المعارضين لفكره وثقافته.

و. عمل الباحثة في كتابة البحث:

قمت بإتباع المنهج التالي في كتابة البحث:

١. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها إلى سورها بذكر اسم السورة، ورقم الآية.
٢. تخريج الأحاديث كلها، وذلك من مصادرها الأصلية، بالرجوع إلى الكتب الستة، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، فإذا كان الحديث في الصحيحين، أو في أحدهما اكتفيت به، مع ذكر (اسم الكتاب، اسم الباب، ورقم الحديث)، أمّا إن كان في غيرهما ذهبت إلى تخريجه من كتب السنن الأربعة، بالإضافة إلى مسند الإمام أحمد بن حنبل، معتمدة على ترتيب المحدثين المعتاد بين أصحاب الكتب، ثم أذكر (اسم الكتاب، اسم الباب، رقم الحديث)، وأستأنس بحكم الألباني إن كان الحديث في السنن الأربعة، وإن كان في مسند الإمام أحمد بن حنبل اكتفيت بقول المحقق إن وجد.

٣. الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في صلب البحث ما أمكن، معتمدة في ذلك على كتب التراجم القديمة والحديثة، والمعاجم المعروفة في حال وجودها في تلك الكتب، أمّا إذا لم أجدها فقد رجعت إلى الموسوعات العربية المختلفة، وفي حال كانت الشخصية معاصرة لم يترجم لها في الكتب فقد لجأت إلى مواقع المعلومات على الشبكة العنكبوتية .

٤. الترجمة للبلدان، والأماكن ما أمكن، وجمعت في ذلك بين الكتب القديمة، والحديثة، والموسوعات العربية، والمواقع الإلكترونية بحسب توفر المعلومة.

^١ البحث العلمي أسسه ومناهجه وأساليبه وإجراءاته، مرجع سابق، ص ٤١.

٥. التعريف بالأديان، والفرق، والمصطلحات السياسية، والفلسفية، والألفاظ الغريبة في موضعها المناسب ما أمكن.
٦. اعتمدت على ترجمة الأستاذ عفيف البعلبكي بالنسبة لكتاب (الطريق إلى مكة)، وترجمة الأستاذ عمر فروخ بالنسبة لكتاب (الإسلام على مفترق الطرق)، وفي حال عدم وضوح المعنى فقد لجأت إلى ترجمة رفعت السيد بالنسبة للكتاب الأول، وترجمة الشيخ صالح الحصين بالنسبة للكتاب الثاني.
٧. تعمدت الباحثة استخدام اسم (ليوبولد فايس) في كل موضع في البحث ذكر قبل إسلام محمد أسد، في حين استخدمت اسم (محمد أسد) في كل موضع في البحث بعد إسلامه - رحمه الله -؛ ليسهل على القارئ التفريق بين الأحداث التي حدثت قبل إسلامه، وبعده.
٨. تعمدت في مواضع قليلة تكرار اقتباس بعض النصوص من أقوال محمد أسد؛ لضرورتها.
٩. بالنسبة للنصوص المنقولة على لسان محمد أسد قمت بتصويبها لغوياً.
١٠. تضمنت الحواشي بعض تعليقات الباحثة، وملاحظاتها، وآرائها المخالفة لبعض الدارسين.
١١. تفاوتت أحجام الفصول، والمباحث بتفاوت المادة العلمية، والموضوعات المتعلقة بها.
١٢. الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.
١٣. تذييل البحث بملاحق، وفهارس مناسبة على النحو المبين في الخطة.
١٤. تضمين الخاتمة النتائج، والتوصيات، والمقترحات.

ز. الصعوبات التي واجهت الباحثة:

١. خلو قاعدة بيانات مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية من أية مصادر متعلقة بموضوع الدراسة، خاصة مع توقف الخدمات المرجعية في كلي من مكتبة الملك فهد الوطنية، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية^١.
٢. عدم توفر الكثير من مؤلفات محمد أسد في مكتباتنا الوطنية، والجامعية، والتجارية؛ إما لقدمها، أو عدم تكرار طباعتها.
٣. ترجمة بعض مؤلفات محمد أسد من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية.
٤. ضخامة موضوع الثقافة الإسلامية في رؤية وفكر محمد أسد، وسعة جوانبه، وتعدد جزئياته.

^١ ينظر ملحق رقم (١).

ح. هيكل البحث:

تتكون الدراسة الحالية من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة على النحو التالي:

١. المقدمة: ويشتمل على مشكلة البحث، وأهمية البحث وبواعثه، وأهدافه، والدراسات السابقة، وعمل الباحثة في كتابة البحث، والصعوبات التي واجهت الباحثة، وهيكل البحث.
٢. التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث، وتحرير مفردات العنوان.
٣. الفصل الأول: عصر محمد أسد وحياته، وفيه ستة مباحث:
 - المبحث الأول: عصر محمد أسد، ويتضمن ثلاثة مطالب:
 - ❖ المطلب الأول: القارة الأوروبية.
 - ❖ المطلب الثاني: العالم الإسلامي.
 - ❖ المطلب الثالث: القارة الهندية.
 - المبحث الثاني: حياته الشخصية، ويتضمن ثلاثة مطالب:
 - ❖ المطلب الأول: مولده، واسمه، ونشأته.
 - ❖ المطلب الثاني: زواجه.
 - ❖ المطلب الثالث: وفاته.
 - المبحث الثالث: حياته العلمية، ويتضمن مطلبين:
 - ❖ المطلب الأول: حياته العلمية في أوروبا.
 - ❖ المطلب الثاني: حياته العلمية في العالم الإسلامي.
 - المبحث الرابع: حياته العملية، ويتضمن ثلاثة مطالب:
 - ❖ المطلب الأول: حياته العملية في أوروبا.
 - ❖ المطلب الثاني: حياته العملية في العالم الإسلامي.
 - ❖ المطلب الثالث: حياته العملية في القارة الهندية.
 - المبحث الخامس: حياته الدينية، وفيه ثلاثة مطالب:
 - ❖ المطلب الأول: موقفه من اليهودية.
 - ❖ المطلب الثاني: موقفه من المسيحية.
 - ❖ المطلب الثالث: اعتناقه للإسلام.
 - المبحث السادس: تراثه الفكري وإنتاجه العلمي، وفيه اثنا عشر مطلب:
 - ❖ المطلب الأول: كتاب **The Unromantic Orient** مشرق غير

رومنسي.

❖ المطلب الثاني: كتاب **Islam at the Cross roads** الإسلام على مفترق الطرق.

❖ المطلب الثالث: كتاب **Sahih AL-Bukhari The Early Years of Islam** صحيح البخاري السنوات المبكرة للإسلام.

❖ المطلب الرابع: **Magazine Arafat** مجلة عرفات.

❖ المطلب الخامس: كتاب **Making Islamic Constitution** مقترحات في بناء الدستور الإسلامي.

❖ المطلب السادس: كتاب **The Road to Mecca** الطريق إلى مكة.

❖ المطلب السابع: كتاب **Is Religion a Thing of Past?** هل الدين شيء من الماضي؟

❖ المطلب الثامن: كتاب **The Principles of Stat and Government in Islam** مناهج الإسلام في الحكم.

❖ المطلب التاسع: كتاب **The Spirit of Islam** روح الإسلام.

❖ المطلب العاشر: كتاب **The Massage of The Quran** رسالة القرآن.

❖ المطلب الحادي عشر: كتاب **This Low of Ours and Other Essays** شريعتنا ومقالات أخرى.

❖ المطلب الثاني عشر: كتاب **Home – Coming of the Hart** عودة القلب إلى موطنه.

٤. الفصل الثاني: جهود المستشرق محمد أسد وآراؤه الثقافية، وفيه أربعة مباحث:

● المبحث الأول: جهوده وآراؤه في الدفاع عن قضايا العالم الإسلامي، ويتضمن مطلبين:

❖ المطلب الأول: موقف محمد أسد من القضية الفلسطينية.

❖ المطلب الثاني: دوره الجهادي السياسي في ليبيا ضد الاحتلال الإيطالي.

● المبحث الثاني: جهوده وآراؤه في الرد على المستشرقين، ويتضمن أربعة مطالب:

❖ المطلب الأول: مفهوم الاستشراق والمستشرقين.

❖ المطلب الثاني: المرتكزات الفكرية والعقدية للمستشرقين وموازينهم في البحث العلمي للدراسات الإسلامية.

❖ المطلب الثالث: موقف محمد أسد من السنة النبوية الشريفة وآراؤه في الدفاع عنها.

❖ المطلب الرابع: جهوده في الرد على شبهات المستشرقين ومن تابعهم من أهل البدع والأهواء والمتكلمين.

● المبحث الثالث: جهوده وآراؤه حول الحضارة الغربية، ويتضمن ثلاثة مطالب:

❖ المطلب الأول: مفهوم الحضارة.

❖ المطلب الثاني: الحضارة عند محمد أسد.

❖ المطلب الثالث: موقف محمد أسد من الحضارة الغربية.

● المبحث الرابع: آراؤه حول منهج الحكم في الإسلام، ويتضمن ثلاثة مطالب:

❖ المطلب الأول: السفر إلى شبه القارة الهندية.

❖ المطلب الثاني: نشاطه السياسي والفكري في الهند وعند تأسيس دولة باكستان.

❖ المطلب الثالث: رؤيته لمنهج الحكم في الإسلام.

٥. الفصل الثالث: آراؤه الفكرية بين المؤيدين والمعارضين، وفيه مبحثان:

● المبحث الأول: آراء المؤيدين لفكر محمد أسد.

❖ المطلب الأول: المؤيدون لفكره من العلماء المسلمين.

❖ المطلب الثاني: المؤيدون لفكره من المستشرقين المسلمين.

● المبحث الثاني: آراء المعارضين لفكر محمد أسد.

❖ المطلب الأول: الانحرافات الفكرية لآراء محمد أسد.

❖ المطلب الثاني: المعارضون لفكر محمد أسد.

٦. الخاتمة.

٧. المراجع

٨. الملاحق.

٩. الفهارس: وتشتمل على:

● فهرس الآيات القرآنية.

● فهرس الأحاديث النبوية.

● فهرس الأعلام.

● فهرس البلدان والأماكن والبقاع.

● فهرس الأديان والفرق.

● فهرس المصطلحات السياسية، والفلسفية، والدينية، والألفاظ الغريبة.

● فهرس الموضوعات.

فهذا آخر ما فتح الله عليّ به، ووفقني لكتابته في هذه المقدمة، معترفاً فيه بعجزِي وتقصيري، فإن
يكن ذلك حقاً فبفضل الله وهدايته، وحسن توفيقه، ورعايته، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
والصلاة والسلام على نبيّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث وتحريم مفردات العنوان

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث وتحرير مفردات العنوان

أولاً - مفهوم الجهود:

الجهود جمع جَهْد أو جُهْد، بضم الجيم، أو فتحها، بمعنى: الطاقة، تقول: اجْهَد جَهْدَكَ، وقيل: الجَهْد المشقة، والجُهْد الطاقة^١.

ويقال جَهَدَ دابته وأجْهَدَهَا إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، وجَهَدَ الرجل في كذا أي جدَّ فيه وبالغ، وجاهد في سبيل الله مُجَاهِدَةً وجِهَادًا، والْتَجَاهُدُ: بذل الوسع^٢.

والجهود في الاصطلاح: كل نشاط يبذله الكائن الواعي جسمياً، أو عقلياً؛ بهدف الوصول في الغالب إلى غاية^٣.

والمراد بالجهود في البحث: كافة الأنشطة الجسمية والعقلية التي بذلها محمد أسد في نشر ثقافته بكل قوة، ووضوح.

ثانياً - مفهوم الرأي:

الرأي هو مصدر رأى الشيء يراه رأياً، ورؤية، قال ابن فارس: "الراء والهمزة والياء أصل يدل على نظر وإبصار، بعين أو بصيرة، فالرأي ما يراه الإنسان في الأمر، وجمعه آراء"^٤.

وللرؤية في اللغة معانٍ عدة منها^٥:

١. النظر بالعين التي هي الحاسة وما يجري مجراها، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا رَأْيُنَهُ أَكْبَرَتْهُ﴾

٦.

٢. الوهم والتخيل، نحو أرى أن زيداً منطلق.

^١ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٤، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٤٢.

^٢ المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مصر: وزارة التربية والتعليم، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٢٢.

^٣ ينظر: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص ١٤٢.

- المعجم الوجيز، مرجع سابق، ص ١٢٢.

^٤ معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط (بدون)، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج ٢، ص ٤٧٢.

^٥ لسان العرب، لابن منظور، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ج ٥، ص ٨٤-٩٤.

^٦ سورة يوسف، آية ٣١.

٣. التفكير، نحو قوله عز وجل: ﴿ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾^١.
٤. الرؤية بالقلب، أي: بالعقل نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾^٢.
٥. الاعتقاد، كقول: فلان يرى رأي الشُّرَّة، أي يعتقد اعتقادهم.
٦. العلم، ومن ذلك قول الله جل جلاله: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾^٣

والرأي في الاصطلاح له معنيين:

١. القياس^٤.
٢. إعمال الفكر لاستخراج مآل فعل من الأفعال^٥.
- والمراد بالرأي في البحث: ما رجح في قلب محمد أسد بعد فكرٍ وتأملٍ؛ لمعرفة وجه الصواب، واستخراج حال العاقبة عنده.

ثانياً - مفهوم الثقافة:

- الثقافة: مأخوذة من الفعل ثقف، وللفعل ثقف معانٍ كثيرة في المعاجم العربية^٦، ومن هذه المعاني:
١. الحذق والفهم، وسرعة التعلم، والذكاء، والفتنة، يقال: ثقف الرجل: حذق وفهم، ويقال: ثقف الرجل العلم: أي فهمه بسرعة، ويقال: غلامٌ ثقف أي ذو ذكاءٍ وفتنة.
٢. الظفر بالشيء والحصول عليه، قال الله تعالى: ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾^٧.
٣. الضبط للأمر والقيام بها، يقال: رجلٌ ثقف إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به.

^١ سورة الأنفال، آية ٤٨.

^٢ سورة النجم، آية ١١.

^٣ سورة سبأ، آية ٦.

^٤ أصول السرخسي، محمد بن أحمد السرخسي، تحقيق أبي الوفاء الأفعاني، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج ٢، ص ٩٠-٩١.

^٥ الواضح في أصول الفقه، أبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الخنيلي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج ١، ص ٢٠٥.

^٦ انظر: لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، القاهرة: دار المعارف، ج ١، ص ٤٩٢.

-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط ٤، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٩٨.

-المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مصر: وزارة التربية والتعليم، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ٨٥.

^٧ سورة النساء، آية ٩١.

- ٤ . التعلم والتهذيب: يقال ثقّف الولد، أدبه وهذبه.
- ٥ . تسوية الشيء المعوج وإقامته: يقال ثقّف الرجل الرمح، أي سوّاه وقوّمه، والثقافة: هي أداة من خشبٍ أو حديدٍ تثقفُ بها الرماح وتُسوّى وتعتدل.

ويظهر أن المعاني السابقة تدور حول استعمالين:

- ١ . الاستعمال المعنوي: وجاء بمعنى الحدق والفهم، وسرعة أخذ العلم، وضبط الشيء والقيام به، والتأدّب.
- ٢ . الاستعمال الحسي: وهي تسوية الرماح، وتقوم اعوجاجها، وهي معانٍ لا تفي إلى حدٍّ ما باستيعاب مدلولات مصطلح الثقافة.

والثقافة في الاصطلاح: من الكلمات التي شاع استخدامها ولكن دون الاتفاق على تعريفٍ محدد لها، " فهي كلمة ذات أبعادٍ كبرى، ودلالاتٍ كثيرة، وإيحاءاتٍ متعددة، وترتبط بمعناها العام بآفاقٍ ومستوياتٍ تتعلق بالفكر والسلوك والنظم، وهي آفاقٌ يضيق المدلول اللغويُّ عن ضبطها وحصرها واحتوائها، فلا بدّ إذاً من تجاوز النطاق اللغويّ إلى النطاق الفكريّ العام عند محاولة تعريف الثقافة تعريفاً يشمل جوانبها المتعددة"^١.

وهنا عرضٌ لبعض تعريفات الثقافة:

- ١ . عُرِّفَتْ بأنّها: " العلوم والمعارف والفنون التي يطلب العلم بها والحدق فيها"^٢
- ٢ . وعُرِّفَتْ بأنّها: " كلُّ ما فيه استنارةٌ للذهن وتهديبٌ للذوق وتنمية النقد والحكم لدى الفرد أو المجتمع وتشمل المعارف والمعتقدات والفنّ والأخلاق وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه، ولها طرقٌ ونماذج عمليةٌ وفكريةٌ وروحيةٌ ولكلّ جيلٍ ثقافته التي استمدّها من الماضي وأضاف إليها ما أضاف في الحاضر وهي عنوان المجتمعات البشرية"^٣.
- ٣ . وعُرِّفَتْ بأنّها المعرفة التي تؤخذ عن طريق الأخبار والتلقي والاستنباط، كالتاريخ والأدب، والتفسير والفلسفة والحديث"^٤.

^١ لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عورة الخطيب، ط٤، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص٢٢

^٢ انظر: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص٩٨

- المعجم الوجيز، مرجع سابق، ص٨٥.

^٣ المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة: مطابع الأمرية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص٥٨.

^٤ الإسلام وثقافة الإنسان، سميح عاطف الزين، ط٧، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص٢٨٢

٤. وعُرِّفَتْ بِأَنَّهَا: " تراث الأمة الحضاريُّ والفكريُّ في جميع جوانبه النظرية والعملية الذي تمتاز به الأمة وهذا التراث الذي يشكل ثقافة الأمة متداخلٌ مترابطٌ يشكل إطاراً ومحيطاً يحكم الأفراد والأسر والمجتمع في كلِّ أمةٍ"^١.

هذه بعضٌ من تعاريف كثيرةٍ ومختلفةٍ للثقافة في جانبها الاصطلاحيِّ، واستناداً على مناقشة التعاريف السابقة فإننا نُعرِّفُ الثقافةَ بِأَنَّهَا: كلُّ ما يتعلمه الإنسان من العلوم والمعارف والفنون والآداب والتقاليد والمعتقدات والقيم، متمثلاً في أسلوب الحياة في البيئة التي يعيش فيها.

فيكون المراد بالثقافة في البحث: كل ما تعلمه محمد أسد من العلوم والمعارف والفنون والآداب والتقاليد والمعتقدات والقيم في البيئة التي عاش فيها.

وعلى هذا فإنَّ المراد بعنوان البحث هو: محمد أسد وأنشطته الجسمية والعقلية التي بذلها بعد فكرٍ وتأمليٍّ لمعرفة وجه الصواب، واستخراج حال العاقبة عنده في كلِّ ما تعلمه من علومٍ وفنونٍ، وآدابٍ، ومعارفٍ، وعاداتٍ، وتقاليدٍ، وقيمٍ سواءً كان ذلك في بيئته الغربية التي ولد ونشأ فيها، أو في البيئة الإسلامية التي انتقل للحياة فيها، وتعلم علومها، وعاداتها، ومعارفها.

^١ نحو ثقافة إسلامية أصلية، د. عمر سليمان الأشقر، ط٧، الأردن: دائر النفائس، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص ٢١

الفصل الأول

عصر محمد أسد وحياته

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: عصر محمد أسد

المبحث الثاني: حياته الشخصية

المبحث الثالث: حياته العلمية

المبحث الرابع: حياته العملية

المبحث الخامس: حياته الدينية

المبحث السادس: تراثه الفكري وإنتاجه العلمي

المبحث الأول

عصر محمد أسد

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القارة الأوروبية

المطلب الثاني: العالم الإسلامي

المطلب الثالث: شبه القارة الهندية

المطلب الأول القارة الأوروبية

أولاً - الحياة السياسية في أوروبا:

تقع القارة الأوروبية في وسط قارات العالم، فالأمريكتان تحدها من الغرب، وآسيا تحدها من الشرق، في حين أنّ القارة الأفريقية تحدها من الجنوب^١.

وتعدّ القارة الأوروبية ثاني أصغر قارات العالم مساحةً بعد أستراليا^٢، حيث تبلغ مساحتها نحو ١٠,٣٥٥,٠٠٠ كيلو متراً مربعاً أي ما يعادل ٧% من مساحة العالم^٣، ومع ذلك فهي أكثر القارات كثافةً سكانيةً إذ يبلغ عدد سكانها حوالي ٧٣١ مليون نسمة^٤، ينتمون جميعهم إلى الجنس القوقازي مما يميزها عن غيرها من قارات العالم بالوحدة الانثروبولوجية^٥.

ولقد شهدت أوروبا عبر التاريخ العديد من الحروب والتراعات بين سكانها، بدءاً من القرن الثاني الميلاديّ إبان الإمبراطورية الرومانية، وحتى منتصف القرن العشرين تقريباً أي نهاية الحرب العالمية الثانية؛ من أجل السيطرة على أراضيها^٦.

وأهم الأحداث السياسية التي شهدتها القارة الأوروبية، وعاصرها محمد أسد رحمه الله:

١. الحرب العالمية الأولى:

ففي عام ١٩١٤م شهدت أوروبا اندلاع الحرب العالمية الأولى؛ نتيجةً للتنافس الاقتصادي بين الدول الأوروبية وتسابقها لإقامة المستعمرات أولاً، ولرغبة الجماعات القومية في تحقيق الاستقلال لبلادها ثانياً، في حين كانت الأحلاف العسكرية السرية بين دول أوروبا سبباً ثالثاً^٧، واستمرت الحرب حتى عام

^١ جغرافية أوروبا من منظور جغرافي وتنموي، فتحي محمد مصيلحي، ط١، القاهرة: دار الماجد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص ٢٣.

^٢ جغرافية أوروبا دراسة موضوعية، حسن عبد العزيز أحمد، ط١، الرياض: دار المريخ للنشر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٢٣.

^٣ جغرافية أوروبا الجديدة دراسة إقليمية، حسام حاد الرب، ط بدون، القاهرة: دار العلوم، ٢٠٠٥م، ص ١٢.

^٤ أوروبا، موسوعة المعرفة الإلكترونية، متوفرة على شبكة المعلومات العالمية: www.marefa.org/index، تاريخ الدخول: ١٢/١٠/١٤٣٠هـ.

^٥ الانثروبولوجيا: هو علم الإنسان، وهو الدراسة العلمية للإنسان، والثقافة الإنسانية، يبحث الأنثروبولوجيون في فنون الحياة الملائمة التي يتعلمها الناس، ويشاركون فيها باعتبارهم أعضاء في مجموعات اجتماعية.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، ط٢، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج٣، ص ٢٤٣.

^٦ جغرافية أوروبا الجديدة دراسة إقليمية، مرجع سابق، ص ٢٥.

^٧ المرجع السابق، ص ٣٢-٤٢.

^٨ الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٣، ص ٣٧٨.

١٩١٨م، هُزمت في نهايتها ألمانيا^١ على يد دول الحلفاء، ولعلَّ أهمَّ ملامح الحياة السياسية لأوروبا بعد هذه الحرب تكمن فيما يلي:

انهار النظام القيصريُّ في روسيا^٢ إثر نشوب الثورة الشيوعية^٣ (البلشفية) عام ١٩١٧م برئاسة لينين^٤ (Lenen)، الذي رسم برنامجه السياسيَّ خلال الفترة (١٩١٧م/١٩٢٤م) على أساس الشيوعية، ولتحقيق أهدافه عمد إلى تكوين حزبٍ شيوعيٍّ دقيق التنظيم، وإنشاء شرطةٍ سريةٍ تسهر على إنهاء وإقصاء أعداء النظام الشيوعيِّ، والجيش الأحمر أداةً لتحقيق الأهداف المنشودة.

كما ظهر في إيطاليا^٥ الحزب الفاشي^٦ (Fascls, Party) على يد بنيتو موسوليني^٧ (Mussolini, Benito)، حيث بدأ نشاطه في ٢٣ مارس من عام ١٩١٩م، وتميز الحزب بمعارضته وكنمه لمبدأ الحرية.

^١ ألمانيا: دولة أوروبية، عاصمتها برلين، اللغة الرسمية فيها الألمانية، والديانة فيها المسيحية، والمذهب السائد هو البروتستنت، وهي عضو في الاتحاد الأوروبي، وحلف شمال الأطلسي، وفي منظمة التعاون الاقتصادي، وفي الأمم المتحدة.

ينظر: معجم بلدان العالم، محمد عتريس، ط١، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ١١٣-١١٩.

^٢ روسيا: عاصمتها موسكو، ولغتها الرسمية هي الروسية، والديانة فيها المسيحية طائفة (الأرثوذكس) الروسية، وكذلك الإسلام، وهي عضو في منظمة الأمم المتحدة، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة الأمن والتعاون الأوروبي.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٢٥٤-٢٥٥.

^٣ الثورة الشيوعية البلشفية (١٩١٧م): هي أول ثورة اشتراكية منتصرة في تاريخ العالم، قامت بها الطبقة العاملة الروسية متحالفة مع الفلاحين، والجنود الروس الفقراء، وبفضلها تمت الإطاحة بسلطة التحالف البورجوازيه مع كبار الملاك في روسيا.

ينظر: الموسوعة العسكرية، المقدم المهتم الأيوبي وآخرون، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م، ج١، ص ٣٧٧.

^٤ في. أي. لينين (١٨٧٠م / ١٩٢٤م): قائد الثورة الروسية عام ١٩١٧م، ومؤسس الاتحاد السوفيتي، والرفيق الشيوعي الذي كرس أول دولة شيوعية مركزية في العالم لتنتقل منها الحركات الشيوعية لتفرض نفسها بأفكارها وآرائها على مختلف قارات العالم، وتوفي في العام ١٩٢٤م بعد أن أسس أول دولة شيوعية في العالم تقوم على مبادئ وتعاليم كارل ماركس الهادفة إلى تحويل روسيا إلى مجتمع اشتراكي.

ينظر: موسوعة مشاهير العالم، إعداد مجموعة من المؤلفين، ط١، بيروت: دار الصداقة العربية، ٢٠٠٢م، ج٣، ص ٨٩-٩٢.

^٥ إيطاليا: الجمهورية الإيطالية، وعاصمتها روما، لغتها الرسمية الإيطالية، والديانة فيها المسيحية طائفة (الكاثوليكية) الرومانية، وهي عضو في الأمم المتحدة، وفي الاتحاد الأوروبي، وفي حلف شمال الأطلسي، ومنظمة الأمن والتعاون الأوروبي.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ١٧٢-١٧٦.

^٦ الفاشية: شكل من أشكال الحكومات التي يرأسها دكتاتور، وغالباً ما تنم عن سيطرة تامة على النشاطات السياسية، والاقتصادية، والدينية، والاجتماعية، وتشابه مع الشيوعية إلا أنها تختلف عنها في كون الصناعات تبقى ملكية خاصة تحت سيطرة الحكومة بعكس الشيوعية التي تسيطر على كل المجالات.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ج١٧، ص ١٩٣.

^٧ بنيتو موسوليني (١٨٨٣م / ١٩٤٥م): من مواليد إيطاليا، عمل والده في الحدادة، وكانت والدته معلمة مدرسية للأطفال، تأثر موسوليني بأفكار والسده السياسية الاشتراكية، وانتقل إلى سويسرا ليلقى تعليمه فيها فعمل على تأسيس العديد من الجمعيات والحركات السياسية اليسارية، مما أدى إلى طرده من سويسرا عام ١٩٠٤م، كما عمل ضمن الحزب الاشتراكي الإيطالي، وكان أحد زعمائه، وتولى رئاسة جريدة الحزب، وفي نهاية الحرب العالمية الأولى أسس الحزب الفاشيستي الإيطالي، وتولى الحكم عام ١٩٢٢م، ومد سيطرته خارج إيطاليا باستيلائه على جزر الدوديكانيز عام ١٩٢٣م، وضم مدينة فيومي في العام ١٩٢٤م، كما هاجم الحبشة واستولى عليها عام ١٩٣٥م، القي القبض عليه عام ١٩٤٥م، وتم إعدامه مع بعض من رجاله.

ينظر: موسوعة مشاهير العالم، مرجع سابق، ص ١١٣-١١٦.

في حين ظهر في ألمانيا حزب الاشتراكيين الوطني^١ (النازي Nazi)، الذي اشترك أدولف هتلر^٢ في إنشائه عام ١٩٢٠م، وتقوم فلسفة الحزب النازي على مبدأ الوحدة الوطنية المركزية فالجميع نازيون يجبون بعضهم بشكلٍ واحدٍ، ويؤمنون بدينٍ واحدٍ، وزعيمٍ واحدٍ.

وفي أغسطس من عام ١٩٣٤م تسلّم هتلر منصب رئاسة الجمهورية مستغلاً موت الرئيس هندنبرج^٣، ومن وقتها سار بخطى ثابتة لتحقيق برنامجه الذي يهدف إليه.

أما فرنسا^٤ فقد كانت ساحتها السياسية مربكةً وغير مستقرة، فقد تقلب على الوزارة العديد من الوزارات التي لم تنجح في تحقيق الاستقرار، ومواجهة المشكلات فيها.

في حين كانت بريطانيا^٥ على النقيض من فرنسا مستقرةً بحكومتها الملكية، رغم الأزمات الاقتصادية، وارتفاع أعداد العاطلين فيها، كما تميزت هذه المرحلة فيها بنهوض (حزب العمال البريطاني) مما أدى إلى تضائل قوة حزب الأحرار.

٢. الحرب العالمية الثانية:

شهدت أوروبا العديد من الأحداث التي أثارها ألمانيا بقيادة زعيمها هتلر قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية من استرداد النمسا^٦، وكذا استرداد منطقة السوديت بتشيكوسلوفاكيا، ومعاداة اليهود باعتبارهم

^١ النازية: حركة سياسية ظهرت في ألمانيا في عشرينات القرن العشرين، وذلك بقيادة أدولف هتلر، وتحولت فيما بعد إلى نظام سياسي، ويطلق اسم (النازية) على أي نظام، أو معتقدات سياسية تشبه تلك الألمانية الهتلرية، وهي حركة فاشية تصادر الحريات الشخصية، مع السماح بالملكية الخاصة.
ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٢٥، ص ٣٠.

^٢ أدولف هتلر (١٨٨٩م / ١٩٤٥م): قائد ألماني، من مواليد النمسا، ومن أسرة فقيرة أجزته الظروف الاقتصادية لها على ترك الدراسة باكراً، شارك في الحرب العالمية الأولى، وقُتل وسام صليب الحرب لشجاعته، وأسس سنة ١٩١٩م حزب العمال الألماني، وبعد عام على تأسيسه غير اسمه إلى حزب العمال الوطني الاشتراكي، والذي اشتهر فيما بعد اختصاراً بالحزب النازي، استلم الحكم في ٣٠ كانون الثاني عام ١٩٣٣م.
ينظر: موسوعة مشاهير العالم، مرجع سابق، ص ١٢٠-١٢٥.

^٣ هندنبرغ (١٨٤٧م / ١٩٣٤م): عسكري، وسياسي ألماني، أحد مشاهير الحرب العالمية الأولى، تولى قيادة الجبهة الشرقية، وحاز على انتصار حاسم على السروس، انتخب رئيساً للجمهورية عام ١٩٢٥م، وعمل على رعاية الدستور الألماني حتى ظهور أزمة ١٩٣٠م، واشتداد الحزب النازي.
ينظر: ذاكرة القرن العشرين، خليل جواد، ط ١، دمشق: دار العائدي للنشر والتوزيع والدراسات والترجمة، ٢٠٠٠م، ج ٣، ص ١٣١.

^٤ فرنسا: الجمهورية الفرنسية، وعاصمتها باريس، اللغة الرسمية الفرنسية، وديانتها المسيحية طائفة (الكاثوليكية) الرومانية لـ ٩٠% من سكانها، في حين يمثل المذهب المسيحي البروتستنت ٢,٤٢%، وأما المسلمين فيها فنسبتهم ٥%، وهي عضو في الأمم المتحدة، وفي الاتحاد الأوروبي، وحلف شمال الأطلسي.
ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٢٩٨-٣٠٣.

^٥ بريطانيا: المملكة المتحدة، وتضم بريطانيا العظمى، وأيرلندا الشمالية، إنجلترا، وسكوتلندا، وويلز، وعاصمتها لندن، اللغة الرسمية الإنجليزية، والديانة فيها متعددة المذاهب المسيحية، ومسلمون، وهي عضو في الأمم المتحدة، وحلف شمال الأطلسي، والاتحاد الأوروبي.
ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ١٤٧-١٤٩.

^٦ النمسا: جمهورية النمسا، وعاصمتها فيينا، اللغة الرسمية فيها الألمانية، الديانة فيها المسيحية طائفة (الروتستنت) و(الكاثوليك)، وهي عضو في الأمم المتحدة، وفي الاتحاد الأوروبي، وفي منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.
ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ١٢٢-١٢٤.

السبب وراء هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وأخيراً الاعتداء على بولندا^١، الأمر الذي لم تجد فيه بريطانيا وفرنسا نفسيهما إلا وقد أعلنتا الحرب على ألمانيا، فاندلعت بذلك نار الحرب العالمية الثانية^٢، في الأول من سبتمبر عام ١٩٣٩م، واستمرت ست سنوات، شهدت أوروبا خلالها العديد من الأحداث.

وبنهاية الحرب شهد العالم أجمع تغيرات في الأوضاع السياسية، إلا أن أهم هذه التغيرات ظهور قوتين عظميتين متنافستين هما الولايات المتحدة الأمريكية^٣، والاتحاد السوفيتي^٤.

ثانياً - الحياة الاجتماعية في أوروبا:

ففي نهاية كل من الحربين العالميتين الأولى والثانية شهد العالم أجمع تغيرات في أوضاعه سواء الاجتماعية، أو الاقتصادية، علاوة على التغيرات في أوضاعه السياسية.

وعلى صعيد الحياة الاجتماعية الأوروبية بعد الحرب العالمية الأولى، فقدت شهدت دخول المرأة سوق العمل في المصانع، والخدمات الحربية بشكل لم يكن معروفاً في السابق، كما أصبح هن الحق في الانتخاب، ومن ناحية الدخل فقد أثقلت الحرب كاهل الأفراد ذوي الدخل المحدود؛ لتضخم الأسعار بعدها، تاركة شعوباً ثائرة عديمة الاتزان تصارع عواقبها^٥.

ولم تكن نهاية الحرب العالمية الثانية أفضل حالاً من سابقتها، فقد خلقت وراءها الملايين من البؤساء المحرومين من مقومات الحياة من طعام، ولباس، ودواء، بالإضافة إلى مشوهي الحرب، والعجزة^٦.

ثالثاً - الحياة الاقتصادية في أوروبا:

أما على الصعيد الاقتصادي، فقد شهدت أوروبا بعد الحرب اضمحلالاً للاقتصاد الأوروبي، وانخفاضاً في قيمة العملة، ونقصاً للاحتياطي من الذهب، كما فقدت مصانع الإنتاج والأيدي العاملة المدربة أثناء الحرب^٧.

^١ بولندا: جمهورية بولندا، عاصمتها راسو، لغتها الرسمية هو البولندية، والديانة المسيحية طائفة (الكاثوليكية) الرومانية، وهي عضو في حلف شمال الأطلسي، والأمم المتحدة.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ١٩٧-١٩٩.

^٢ تاريخ أوروبا، شوقي الجمل؛ عبد الله عبد الرزاق، ط١، القاهرة: المكتب العربي لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٠م، ص ٢٨٥-٢٦٣.

^٣ الولايات المتحدة الأمريكية: عاصمتها واشنطن، اللغة الرسمية هي اللغة الإنجليزية، والأسبانية، والديانة لسكانها المسيحية، ويمثل المسلمون فيها أقلية، وهي عضو في الأمم المتحدة، ومنظمة الأمن والتعاون الأوروبي، وحلف شمال الأطلسي.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ١٣٩-١٤٥.

^٤ تاريخ أوروبا، مرجع سابق، ص ٢٩١-٢٩٣.

^٥ تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (١٨١٥م - ١٩١٩م)، عمر عبد العزيز عمر، ط١، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م، ص ٢٨٥.

^٦ تاريخ أوروبا، مرجع سابق، ص ٢٩٣.

^٧ تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (١٨١٥م - ١٩١٩م)، مرجع سابق، ص ٢٨٤، ص ٢٨٦.

كما تغيرت العلاقات الاقتصادية بين أوروبا وقارات العالم الأخرى تغيراً جذرياً ذهب بمركز أوروبا الصناعية المتميز^١.

رابعاً - الحياة الثقافية في أوروبا:

ويمتاز الفكر الأوروبي بشئى جوانبه المذهبية الفلسفية، والعلمية، والسياسية، والاقتصادية بأنها انبثقت جميعها عن النظرة المادية للكون كما في فلك كوبر نيكوس^٢، وفيزياء نيوتن^٣، ونظريات كل من سان سيمون^٤ الاقتصادية، وداروين^٥ الاجتماعية، وماركس^٦ السياسية، متجاهلةً بذلك دور الدين في بناء الإنسان، والحضارة تجاهلاً كلياً^٧.

^١ تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (١٨١٥ - ١٩١٩م)، مرجع سابق، ص ٢٨٦.

^٢ كوبر نيكوس (١٤٧٣م / ١٥٤٣م): عالم فلك بولندي، طور نظرية دوران الأرض، ويعتبر مؤسس علم الفلك الحديث، ولد في ثورني (الآن توروني في بولندا)، ودرس في جامعة تراكو، ودرس القانون والطب في جامعات بولونيا، وبادوا، وفيرارا في إيطاليا منذ عام ١٤٩٦م، وحتى عام ١٥٠٦م حين عاد إلى بولندا، وعمل مستشاراً صحياً لعمه، وكاهناً في الوقت ذاته.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٢٠، ص ١٧٣-١٧٤.

^٣ إسحاق نيوتن (١٦٤٢م / ١٧٢٧م) ولد إسحاق نيوتن يوم عيد الميلاد سنة ١٦٤٢م، وقد كانت ولادته قبل أوانها، وكان وحيداً في طفولته لا يلعب مع الأطفال، وكان فتي مفكراً صامتاً رصيناً، يصرف وقته في غرفته باستعمال الفأس، ورسم الطيور، والحيوانات، وتصميم السفن، ورسم الأشكال على الجدران بالفحم، التحق بكلية ترنيتي بكمبردج عام ١٦٦١م، ودرس فيما درس هندسة ديكارت، وله العديد من التجارب، والدراسات، والمؤلفات منها: (التقويم التاريخي للممالك القديمة)، و(الفلسفة الطبيعية ومبادئ الرياضيات)، كما اشتهر بقوانينه للحاذية، توفي في ٢٠ آذار لعام ١٧٢٧م.

ينظر: موسوعة مشاهير العالم، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٧-٤٨.

^٤ سان سيمون (١٧٦٠م / ١٨٢٥م)، اسمه الأصلي كلود هنري دي روقروي، يعتبر مؤسس الاشتراكية الفرنسية، ولد في باريس، ثم ذهب إلى أمريكا، وشارك في الثورة الأمريكية، كان من طموحاته الأولى الارتقاء بوضع الإنسان؛ حيث سعى لإيجاد مجتمع جديد يؤدي كل إنسان فيه عمله، ويتقاضى أجراً مساوياً لعمله الذي قام به.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ١٢، ص ٧٧.

^٥ تشارلز روبرت داروين (١٨٠٩م / ١٨٨٢م) عالم حيوان، وصاحب نظرية التطور التي طرحها في كتبه، ولقد أثرت نظريته على مجريات علم النفس، له العديد من المؤلفات، منها: أصل الأنواع عن طريق الانتخاب الجماعي، تنوع الحيوانات والنباتات تحت تأثير الاستئناس.

ينظر: موسوعة مشاهير العالم، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٧١-١٧٢.

^٦ ماركس (١٨١٨م / ١٨٨٣م)، فيلسوف ألماني، واجتماعي، وثوري محترف، كان المؤسس لحركتين جماهيريتين قويتين هما الاشتراكية الديمقراطية، والشيوعية الثورية، ولد ونشأ في إقليم ترير التابع لما كان يعرف باسم بروسيا، ويطلق على نظريته أحياناً اسم المادية الجدلية، وهي ذات مفاهيم صعبة، وغامضة.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٢٢، ص ٦٣.

^٧ تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١م-١٩٧٧م، دونالد ستروميرج، ترجمة أحمد الشيباني، ط٣، القاهرة: دار القارئ العربي، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ١٢.

المطلب الثاني العالم الإسلامي

أولاً - الحياة السياسية في العالم الإسلامي:

يقع العالم الإسلامي في وسط قارات العالم، ولاسيما قارات العالم القديم (آسيا، أفريقيا، أوروبا)، فهو يمتد من الحدود الشمالية لجمهورية كازخستان^١ مع روسيا شمالاً حتى جزيرة مايوت إحدى جزر القمر^٢ جنوباً، ومن الحدود الشرقية لإقليم إيرين التابع لإندونيسيا^٣ شرقاً حتى جزيرة سانتو أنتا إحدى جزر الرأس الأخضر الأفريقي غرباً^٤.

كما تبلغ مساحته حوالي ٤١,٧٠٧,٥٤٠ كيلو متراً مربعاً، أي ما يعادل ٢٨% من مساحة اليابس في العالم^٥، في حين يبلغ عدد السكان فيه نحو ٢,٠٣٨,٠٤٠,٠٠٠ نسمة، أي ما يعادل ٢٨,٢٦% من سكان العالم^٦.

ونتيجةً للامتداد العظيم، والمساحة الشاسعة للعالم الإسلامي، نخلص إلى الحقائق التالية: يشغل العالم الإسلامي كتلةً متصلةً من الأراضي بدءاً من الغرب الآسيوي وحتى الشرق الأفريقي لا يفصل بينهما سوى مسطحات مائية محدودة لا تمثل أية عقبة في ظل وسائل النقل الحديثة، إطلاله على العديد من البحار والمحيطات وإشرافه على منافذها، نطاقاته الصحراوية ذات امتدادٍ عظيمٍ تمثل أكبر الأقاليم الطبيعية وأوسعها انتشاراً فيه^٧.

^١ كازاخستان: جمهورية كازخستان، عاصمتها أستانا، لغتها الرسمية الكازاخ، والروسية، والديانة فيها الإسلام، والمسيحية طائفة (الأرثوذكسية)، وهي عضو في الأمم المتحدة، وفي كومنولث الدول المستقلة.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٣٣٥-٣٣٦.

^٢ جزر القمر: جمهورية جزر القمر الاتحادية الإسلامية، عاصمتها موروني، واللغة الرسمية فيها العربية، والفرنسية، والقمرية، يدين أهلها بالإسلام، وهو الدين الرسمي للدولة، ويوجد بها مسيحية من طائفة (الكاثوليك)، وهي عضو في منظمة الوحدة الأفريقية، والأمم المتحدة.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٢٣١-٢٣٢.

^٣ إندونيسيا: جمهورية إندونيسيا، عاصمتها جاكارتا، ولغتها الرسمية البهازا الإندونيسية، الديانة فيها الإسلام، ويمثل المسيحية فيها أقلية، وهي عضو في الأمم المتحدة، ورابطة دول جنوب شرق آسيا.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ١٥٨-١٦٠.

^٤ جغرافية العالم الإسلامي، محمد حميس الزوكة، ط٢، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للنشر والطباعة، ٢٠٠٠م، ص ١٧.

^٥ حاضر العالم الإسلامي، تاج السر أحمد حران، ط٤، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٨هـ، ص ٢٤.

^٦ سكان العالم الإسلامي: متوفر على شبكة المعلومات العالمية، <http://www.muslimpopulation.com/World>، تاريخ السدخول ١٤٣٥/٠٨/٢٣هـ.

^٧ جغرافية العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٧-٢٣.

وفي ضوء ما سبق من الحقائق والخصائص المتعلقة بالعالم الإسلامي، كان العالم الإسلامي مطمعاً للدول الاستعمارية الكبرى، التي كانت ومازالت تتكالب عليه، وتحيك له الدوائر في دهاليزها المظلمة؛ للقضاء على الإسلام، والحد من انتشاره، ورغبة من أعدائه في السيطرة على ثرواته، وإقامة المستعمرات الأجنبية على أراضيه الطاهرة.

ويمكن وصف الحياة السياسية في العالم الإسلامي على النحو التالي:

١. أثناء الحرب العالمية الأولى:

بعد أن لاح النصر وشيكاً للحلفاء، اجتمع وزيراً خارجية بريطانيا، وفرنسا عام ١٩١٦م؛ لتوقيع اتفاقية استعمارية تقسم الأراضي العربية من العالم الإسلامي بينهما حائلين بذلك قيام دولة عربية موحدة، عرفت الاتفاقية باسميهما سايكس - بيكو^١.

وفي عام ١٩١٧م تم الإعلان عن وعد بلفور^٢ وزير الخارجية البريطانية آرثر بلفور^٣ بإنشاء وطن لليهود في فلسطين^٤ التي وقعت في العام نفسه تحت الاحتلال البريطاني بدخول الجنرال اللنبي^٥ القدس^٦،

^١ سايكس - بيكو: هي اتفاقية سرية، تم إبرامها عام ١٩١٦م بين فرنسا وبريطانيا العظمى، بموافقة روسيا القيصرية، وأطلق عليه في البدء اسم (الاتفاقية الإنكليزية - الفرنسية - الروسية) أو اتفاقية سايكس بيكو سانونوف، نسبة إلى أسماء ممثلي الدول الثلاث المعنية، ولقد تم بموجب هذه الاتفاقية التفاهم على تقسيم سوريا ولبنان وفلسطين والعراق وبعض الأراضي التركية بين الدول الموقعة على الاتفاقية، وتعتبر هذه الاتفاقية المشروع الذي اعتمدت عليه فرنسا وبريطانيا لتقسيم المشرق العربي فيما بعد.

ينظر: الموسوعة العسكرية، مرجع سابق، ج٣، ص ٧٤٦-٧٤٨.

^٢ ذاكرة القرن العشرين، مرجع سابق، ص ٦٤.

^٣ وعد بلفور: في عام ١٩١٧م أصدرت بريطانيا على لسان وزير خارجيتها الصهيوني "بلفور" وعده المشؤوم، معلنة بذلك التزامها تجاه المنظمة الصهيونية العالمية بإقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وقد أعطت بريطانيا هذا الوعد قبل أن تدخل القدس أو أن تنهي احتلالها لفلسطين، فكان أمراً عجيبياً ومذهلاً للعرب، لكن بريطانيا سارعت بعد ذلك فدخلت القدس واستولت على بئر سبع.

ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مسعود الخوند، ط١، بيروت: دار رواد النهضة، ١٩٩٤م، ج١، ص ٣٥٦.

^٤ آرثر جيمس بلفور (١٨٤٨م / ١٩٣٠م) عمل رئيساً لوزراء بريطانيا من عام ١٩٠٢م حتى عام ١٩٠٥م، وكان زعيماً لحزب المحافظين أكثر من عشرين عاماً، وهو صاحب البيان الشهير المعروف باسمه، والذي يؤيد فيه مساندة بريطانيا لعملية جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٥، ص ٩٤.

^٥ فلسطين: الأرض المقدسة كما وردت في التوراة، وتسمى أيضاً كنعان، عاصمتها القدس، وفتحها للمسلمون عام ٦٣٦هـ، وتعرضت فلسطين لكثير من عمليات الغزو، و في نهاية الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى بدأ الحكم البريطاني للبلاد عام ١٩١٧م، وهو نفس العام الذي صدر فيه وعد بلفور، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية منذ عام ١٩٤٨م. وهي أرض محتلة احتلها اليهود.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٣٠٧، ص ٣١١.

^٦ اللنبي فيسكونت (١٨٦١م / ١٩٣٦م): قائد عسكري، وسياسي بريطاني، ومندوب سامي بمصر عام ١٩١٩م، اشترك في حرب البوير، وفي الحرب العالمية الثانية، قاد الجيش البريطاني في فرنسا عام ١٩١٧م، وقاد القوات البريطانية في غزو فلسطين ضد تركيا خلال الفترة ١٩١٧م-١٩١٩م، استولى على دمشق، وحلب، والقدس بعد هزيمة الأتراك بمساعدة جيش الشريف حسين، وعرب فلسطين، استقلال عام ١٩٢٥م.

ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ج٥، ص ٢٠٨.

^٧ القدس: عاصمة فلسطين، فهي ملتقى الديانات الإسلامية، والمسيحية، واليهودية، فتحت في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٦هـ، وبقيت في حوزة المسلمين حتى سقطت في أيدي الفرنجة سنة ٤٩٢هـ، ثم استعادها صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ.

ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، عبد الحكيم العفيفي، ط١، بيروت: أوراق شرقية للطباعة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٣٦٦-٣٦٨.

وأعلن مقولته الشهيرة (اليوم انتهت الحروب الصليبية)، وأصبح هذا الوعد جوهر السياسة البريطانية تجاه فلسطين^١.

٢. بعد نهاية الحرب العالمية الأولى:

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٩م سقطت الدولة العثمانية^٢، وأعلنت الجمعية الوطنية التركية قيام الجمهورية التركية^٣ عام ١٩٢٣م برئاسة مصطفى كمال كخطوة أولى لإنهاء الخلافة الإسلامية، حيث باشر مصطفى كمال بتنفيذ المخطط الغربي الذي نصّت عليه اتفاقية لوزان عام ١٩٢٣م من إلغاء الخلافة العثمانية، وقطع كل صلة لتركيا بالإسلام، وإخراج الخليفة العثماني من البلاد مع مصادرة ممتلكاته، والتعهد بإخماد أية حركة تنشأ موالية للخلافة، وأخيراً اتخاذ دستور مدني جديد بدلاً من الدستور القديم القائم على الشريعة الإسلامية، وفي ٢ مارس من عام ١٩٢٤م تمّ إنهاء الخلافة العثمانية نهائياً^٤.

في حين بدأت كل من بريطانيا، وفرنسا بتقسيم الأراضي العربية من العالم الإسلامي تنفيذاً لاتفاقية سايكس - بيكو، وشاركتها في هذا التقسيم كل من إيطاليا وإسبانيا^٥.

^١ ذاكرة القرن العشرين، مرجع سابق، ص ٦٨.

^٢ الدولة العثمانية: دولة إسلامية، بدأت في القرن الرابع عشر الميلادي كدولة صغيرة حول مدينة بورسا، ثم نمّت وازدادت لتشمل معظم أنحاء الشرق الأوسط وبعض الأجزاء في شمالي أفريقيا و جنوب شرقي أوروبا، عاصمتها إسلامبول (القسطنطينية) سابقاً و(إسطنبول) حالياً، بلغت أوج قوتها في القرن السادس عشر الميلادي خلال فترة حكم السلطان بايزيد الثاني، شاركت في الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا والنمسا والمجر، وبنهاية الحرب عام ١٩١٩م سقطت الدولة العثمانية. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٦، ص ٢٤٤-٢٤٦.

^٣ الجمهورية التركية: عاصمتها أنقرة، اللغة التركية هي اللغة الرسمية، والديانة فيها الإسلام حيث يشكل المسلمون فيها ٩٩,٨%، وهي عضو في حلف شمال الأطلسي، وفي الأمم المتحدة، ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٢١٢-٢١٥.

^٤ مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١م / ١٩٣٨م) قائد تركي من مواليد سالونيك، انتخب أول رئيس لجمهورية تركيا الجديدة عام ١٩٢٣م، وبقي في منصبه حتى وفاته، وتحت قيادة أتاتورك تبنت تركيا نمحاً علمانياً غربياً أدى إلى إحداث تغيرات جذرية غيرت كثيراً من الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التركية، فهو الذي بدل نظام الكتابة في اللغة التركية من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، ومنع الاحتفال بالأعياد الدينية، وجعل يوم الأحد هو يوم العطلة الأسبوعية بدلاً من يوم الجمعة، كما أنه منع الحج. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ١، ص ١١٥-١١٦.

^٥ حاضر العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص ٤٠-٤٣.

^٦ اسبانيا: المملكة الإسبانية، عاصمتها مدريد، واللغة الرسمية فيها الإسبانية، والديانة فيها المسيحية، طائفة (الكاثوليكية) الرومانية، وهي عضو الاتحاد الأوروبي، وحلف شمال الأطلسي، والأمم المتحدة. ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٢١-٢٤.

٣. بعد نهاية الحرب العالمية الثانية:

شهد العالم الإسلامي في منطقتيه العربية العديد من الحروب الدامية مع إسرائيل^١، ففي عام ١٩٤٨م قامت الحرب بين الجيوش العربية واليهود، وانتهت بهزيمة الجيوش العربية، وقيام دولة إسرائيل على معظم الأراضي الفلسطينية، وأبعدت الآلاف من الفلسطينيين عن أراضيهم^٢. وفي عام ١٩٦٧م شنت إسرائيل عدوانها على مصر^٣ وسوريا^٤ والأردن^٥، محتلةً بهذه الحرب ما تبقى من فلسطين، والجولان^٦، وسيناء^٧.

ثانياً - الحياة الاجتماعية في العالم الإسلامي:

لقد شهد العالم الإسلامي نتيجة الاستعمار موجاتٍ عارمةً من التغيير، لم تقتصر على الحياة السياسية فيه، وإنما امتدت لتشمل نواحي الحياة الأخرى، كالحياة الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية. ففي الحياة الاجتماعية ظهرت الطبقة الاجتماعية، وتمثلت في طبقتين: الطبقة الغنية المحتكرة للثروة، والطبقة الفقيرة المحتاجة، وشهدت الساحة الاجتماعية كذلك توجه المرأة للتعليم، وتقلدها للوظائف العامة، والمناصب السياسية^٩.

^١ إسرائيل: في عام ١٩٤٨م أعلن رسمياً قيام دولة إسرائيل، وجاء في المادة الأولى للقانون الأساسي أن اسم الدولة (إسرائيل)، وأنها دولة جمهورية مستقلة ديمقراطية ذات سيادة، وفي عام ١٩٤٩م صدر قرار من مجلس الأمن بقبولها عضواً في الأمم المتحدة، ويقطن فيها العرب، واليهود، والديانة هي اليهودية بفرقها المختلفة، ويعيش المسلمون فيها بينهم، واللغة الرسمية هي العربية، وعاصمتها تل أبيب.

^٢ ذاكرة القرن العشرين، مرجع سابق، ص ٢٠١.

^٣ مصر: جمهورية مصر العربية، عاصمتها القاهرة، اللغة العربية هي اللغة الرسمية، والديانة الإسلام، ومسيحيين أقباط، عضو مؤسس في الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية، ومنظمة الوحدة الإفريقية.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٣٧١، ص ٣٨٣.

^٤ سوريا: الجمهورية العربية السورية، عاصمتها دمشق، لغتها الرسمية هي اللغة العربية، والديانة فيها الإسلام (سنية، علوية، دروز)، والمسيحية أقلية فيها، عضو في الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٢٧٣-٢٧٤.

^٥ الأردن: المملكة الأردنية الهاشمية، عاصمتها عمّان، لغتها الرسمية هي اللغة العربية، والديانة الإسلام، عضو في الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٣٩-٤١.

^٦ الجولان: بالفتح ثم السكون، قرية، وقيل جبل من نواحي دمشق، من عمل حوران.

ينظر: مراد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع، صفي الدين البغدادي، تحقيق علي محمد الجهادي، ط١، بيروت: دار الجليل، المجلد ١، ١٤١٢هـ/

١٩٩٢م، ص ٣٦٠.

^٧ سيناء: بكسر أوله، موضع بمصر، يضاف إليه الطور، فيقال طور سيناء، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران، وقد جاء في اسم الموضع سينين.

ينظر: مراد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع، مرجع سابق، ص ٧٦٨.

^٨ ذاكرة القرن العشرين، مرجع سابق، ص ٢٨٢.

^٩ حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، جميل عبد الله المصري، ط١٠، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٦م، ص ٢١٣ ٢١٧.

ثالثاً - الحالة الاقتصادية في العالم الإسلامي:

لم تكن الحياة الاقتصادية أفضل حالاً عن غيرها من أنماط الحياة الأخرى في العالم الإسلامي؛ فقد غزا النظام الاقتصادي الغربي مع فلسفته ونظرياته بلدان العالم الإسلامي، فأصبحت رؤوس الأموال الغربية هي المستثمرة، فتفشى الفقر، والمرض بين أبناء العالم الإسلامي^١.

رابعاً - الحالة الثقافية في العالم الإسلامي:

مما لاشك فيه أن الفكر يعدُّ ركيزة هامة في حياة الأمم، فيه يُستدلُّ على حياة الأمم، وتقدمها، أو جمودها وتخلفها، وفي الإسلام يعدُّ الفكر هو روح الجماعة، ومحركها الأساسي، وقالبها الذي تتشكل فيه قيمها، ومفاهيمها، وتغيراتها السياسية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية^٢.

لذا أدرك الأوروبيون أن أية مواجهة عسكرية مع المسلمين لن تجديهم نفعاً، أو تبقي لهم وجوداً في الأمة الإسلامية بعد هزيمتهم في الحروب الصليبية، فأتجهوا إلى حربٍ هي أكثر نفعاً وجديةً، وهي الحرب الفكرية، أو ما يعرف بالغزو الفكري، مستخدمين بذلك الفكرة، والرأي، والشبهات، وغيرها أسلحة لها^٣.

فحروب الفكر حروبٌ لا يحصرها ميدانٌ، بل أنها تمتاز بشموليتها، وتنوعها، وامتدادها الواسع حتى تصل إلى مجالات الحياة الإنسانية جمعاء.

ومن الأدوات التي استخدمها الغرب في غزوهم الفكري للمسلمين بثُّ الفكر العلماني، وحركة التنصير، وحركة الاستشراق، وبثُّ الدعوات الدينية الهدامة، بالإضافة إلى بثُّ الفكر السياسي الغربي من قومية، واشتراكية، وشيوعية.

^١ حاضِر العالم الإسلامي وقضاياها المعاصرة، مرجع سابق، ص ٢٤٤.

^٢ المرجع السابق، ص ١٧٤.

^٣ المرجع السابق، ص ١٧٤.

المطلب الثالث شبه القارة الهندية

أولاً - الحياة السياسية في الهند:

تقع دولة الهند جنوبي آسيا، وتبلغ مساحتها حوالي ٣,٢٨٧,٩٥٠ كيلو متراً مربعاً، محتلةً بهذه المساحة المرتبة السابعة عالمياً، في حين تحتل المرتبة الثانية عالمياً من حيث عدد السكان^١ البالغ نحو ١,٢٧٦,٥٠٠,٠٠٠ نسمة^٢.

وكانت الهند إحدى المستعمرات البريطانية في آسيا منذ القرن الثامن عشر الميلادي، حتى نالت استقلالها في عام ١٩٤٧م^٣.

وقد بدأت مرحلة الاستقلال مع ظهور الحركة القومية الهندية في بدايات الثمانينيات من القرن التاسع عشر، فتأسس حزب المؤتمر القومي الهندي في عام ١٨٨٥م حزباً معارضاً للوجود البريطاني^٤.

فبدأ النضال بين الهنود والبريطانيين المستعمرين، وساعد في ذلك هزيمة إيطاليا في الحبشة عام ١٨٩٤م، مما جعل الهنود يرون بأن في مقدورهم هزم البريطانيين، وإخراجهم من أراضيهم، إلا أن هذه الرؤية سرعان ما تلاشت عند ظهور بعض المشكلات الداخلية التي جعلت من الحزب يصب اهتمامه في قضايا الشعب، وهوومه بدلاً من التخطيط السياسي، علاوة على أن الحاكم البريطاني في هذه الفترة هو اللورد (كرزون)^٥ الذي عرف حكمه بأنه قمعي إلى أبعد الحدود، وعدم اكتراثه للحزب وآرائه^٦.

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى، وتحديدًا في عام ١٩١٥م أكد الحزب في مؤتمره في مدينة مدراس^٧ أن

^١ الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٢٦، ص ١٢٧.

^٢ عدد السكان المسلمين في آسيا: متوفر على شبكة المعلومات العالمية، <http://www.muslimpopulation.com/World>، تاريخ الدخول ١٤٣٥/٠٨/٢٣هـ.

^٣ الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٢٦، ص ١٢٧.

^٤ الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ص ١٠٥.

^٥ جورج ثانياً كرزون (١٨٥٩م/ ١٩٢٥م): ويعرف باسم لورد كرزون من كلدستون ما بين ١٨٩٨م ١٩١١م، وإيرل كرزون من كلدستون ما بين ١٩١١م و١٩٢١م، وكان رجل دولة بريطاني محافظ، عمل نائباً للملك البريطاني في الهند، ووزيراً للشؤون الخارجية. ينظر: موسوعة المعرفة الإلكترونية، متوفرة على شبكة المعلومات العالمية: www.marefa.org/index، تاريخ الدخول ١٤٣٠/١٠/٢٥هـ.

^٦ الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع السابق، ص ١٠٥.

^٧ مدراس: ثالث أكبر مدينة في الهند، بعد كلكتا ومومباي، يبلغ عدد سكانها حوالي ٦ ملايين نسمة، ودخل الإسلام إليها في عهد الدولة الغزنوية في القرن الخامس الهجري.

ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ٤٤٧.

المساهمة في الجهود الحربيّ البريطانيّ سيجلب الحرية للبلاد، إضافةً إلى النضال العنيف كوجهة نظرٍ أخرى^١.

وفي الفترة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، تولّى (غاندي)^٢ رئاسة الحزب، وبرز بشكلٍ كبيرٍ باعتماده على سياسة اللاعنّف لحلّ مشاكل البلاد الداخلية أو في علاقتها مع المستعمر البريطاني^٣.

واستمرت حركات المقاومة الهندية، حتى نالت الهند استقلالها التامّ بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وتحديدًا في ١٥ أغسطس عام ١٩٤٧م، وكان جواهر لال نهرو^٤ أول رئيس وزراء فيها^٥.

ثانياً - الحياة الاجتماعية في الهند:

ينتمي سكان الهند إلى عددٍ من المجموعات العرقية، إلا أنّ أكبر مجموعتين فيها هما: مجموعة الآريين ذوي اللون الفاتح، ويسكن معظمهم في شمال البلاد، ومجموعة الدرافيديين ذوي اللون الأسود وهي المجموعة الثانية، وتسكن في جنوبيّ البلاد^٦.

ولقد ساعد التطور الاقتصاديّ للهند في تطوير الحياة في القرى، التي تتميز بأكوخها الطينية المزدهمة، في حين أصبحت المدن مراكز للتجارة، والسياسة، والخدمات الجامعية، والخدمات الدينية^٧.

وتتميز الهند بنظام الطبقيّة في حياتها الاجتماعية، إذ يتكون هذا النظام من أربع طبقاتٍ، وهي طبقة البراهمة التي تعدّ أعلى طبقةً، ويعتقدون أنّ خلقتهم من رأس الإله براهم، لذلك صاروا عندهم من خيرة الناس، أما طبقة كشر فتأتي في المرتبة الثانية، وهي بزعمهم خلقت من مناكب براهم ويديه، لذلك فإن

^١ الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ص ١٠٥-١٠٦.

^٢ موهنداس كرمشند غاندي (١٨٦٩م/١٩٤٨م)، أحد أكبر قادة السياسيين في القرن العشرين، وقد عرف عند الهنود بالمهاثما أي الروح العظيمة، ولد غاندي في ١٨٦٩/١١/٢م في بوريندر في الهند، سافر إلى إنجلترا عندما بلغ التاسعة عشر من عمره، وفي عام ١٨٩٣م ذهب إلى جنوب أفريقيا، وفي عام ١٩١٥م عاد إلى الهند، وأصبح خلال فترة قصيرة قائداً للحركة الوطنية الهندية، وساعد على تحرير الهند من الاستعمار البريطاني بأسلوب فريد يمثل في المقاومة بدون عنف، وأعتبره الهنود أباً لهم تكريماً له.

ينظر: موسوعة مشاهير العالم، مرجع سابق، ص ٨٥-٨٨.

^٣ الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ص ١٠٥-١٠٦.

^٤ جواهر لال نهرو (١٨٨٩م/١٩٦٤م): أول رئيس وزراء للهند، كان له تأثيراً استمر فترة طويلة على مؤسسات الوطن، كان أحد مؤسسي حركة عدم الانحياز، وشارك في النضال الوطني ضد الإنجليز، وسجنه البريطانيون عدة مرات، وقاد حزب المؤتمر إلى النصر، وتبنّى الديمقراطية البرلمانية في الهند.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٢٥، ص ٥٤٥.

^٥ المرجع السابق، المجلد ٢٦، ص ١٤٥-١٤٦.

^٦ المرجع السابق، ص ١٢٧.

^٧ المرجع السابق، ص ١٢٨.

رتبتهم غير متباعدة عن رتبة البراهمة، أما طبقة بيش فتأتي في المرتبة الثالثة، وقد خلقت من رجلي براهم، في حين أنّ طبقة شودر تأتي في المرتبة الرابعة، وهي غير بعيدة عن مرتبة بيش^١.

ج. الحياة الاقتصادية في الهند:

على الرغم من وفرة الموارد الطبيعية في الهند، إلّا أنّ الفقر هو السائد، مع وجود قلة من الشعب يتصفون بالثراء؛ ولعلّ ذلك يعود إلى عدد السكان الهائل الذي جعل مستوى دخل الفرد متدنياً رغم ضخامة إجمالي الدخل القومي، وعائد البضائع، والخدمات^٢.

د. الحياة الثقافية في الهند:

لاشك أنّ الهند تعتبر بلداً ذا أعراق، ولغات، وثقافات متعددة، فقد شهدت إحدى أقدم وأغني الحضارات في العالم والتي يرجع تاريخها لخمسة آلاف سنة، تخللتها عدّة من الإمبراطوريات التي سادت ثم بادت، وكان آخرها الإمبراطورية البريطانية التي انتهت بقيام جمهورية الهند المستقلة عام ١٩٤٧ م^٣.

وتتعدد الطوائف الدينية في الهند فهناك الهندوس، والمسلمين، والنصارى، والبوذيين، وتبلغ نسبة المسلمين في الهند قرابة ٢٠% من إجمالي عدد السكان^٤.

وعلى الرغم من تعدد الطوائف الدينية في الهند إلّا أنّ للدين في الهند دوراً هاماً، فالقوانين الهندوسية، وكذلك القوانين الإسلامية هي التي تحكم طريقة اللباس، والطعام، والزواج لمعتنقي تلك الأديان. حتى أنّ انقسام الهند إلى دولتين هما الهند وباكستان، كان ناتجاً عن الاضطرابات الدامية بين الهندوس والمسلمين^٥.

وفي ضوء ما سبق من استقراءنا لعصر محمد أسد - رحمه الله - نجد أنّ هذا العصر يتسم بما يلي:

١. زوال الإمبراطوريات، واندلاع الحروب العالمية الكبرى، والحروب الإقليمية.

٢. سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٣ م.

^١ كتاب البيروني في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان محمد البيروني، ط بدون، حيدر أباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م، ص ٧٦-٧٧.

^٢ الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٢٦، ص ١٣٢.

^٣ المرجع السابق، ص ١٣٥.

^٤ عدد السكان المسلمين في آسيا: متوفر على شبكة المعلومات العالمية، <http://www.muslimpopulation.com/World>، تاريخ الدخول ١٤٣٥/٠٨/٢٣هـ.

^٥ الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٢٦، ص ١٢٨.

٣. ظهور الولايات المتحدة الأمريكية في بداية القرن، وسرعة تقدمها حتى أصبحت تقف في مصاف الدول الصناعية الكبرى.
٤. ظهور الثورة الصناعية في أوروبا، وثورات التمرد والعصيان كالثورة الشيوعية في روسيا.
٥. تدهور الأوضاع السياسية في أنحاء العالم، وظهور أنظمة قمعية كالبلشفية، والفاشية، والنازية.
٦. ظهور الاستعمار الأوروبي، وسيطرته على كثير من الدول الإسلامية.
٧. اضمحلال الاقتصاد في أوروبا، وتدهور الاقتصاد في العالم الإسلامي مع انتشار الفقر، والامية فيه.
٨. ظهور المرأة الأوروبية في سوق العمل بشكل لم يكن معروفاً في السابق.
٩. توجه المرأة العربية للتعليم، وتقلد الوظائف العامة، والمناصب السياسية.
١٠. الركود الفكري، والثقافي في العالم الإسلامي، ومعاناته من تيارات التغريب، والعلمنة.
١١. ظهور اتجاهات فكرية، وفلسفية متضاربة، ومتناقضة في أوروبا، تنصب جميعها في الإلحاد، ورفض الإيمان، ونبذ الدين.
١٢. حصول الدول الإسلامية على الاستقلال، والتحرر من الاستعمار الغربي الذي رضخت تحت سيطرته عقوداً عديدة.

المبحث الثاني

حياته الشخصية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مولده، واسمه، ونشأته

المطلب الثاني: زواجه

المطلب الثالث: وفاته

المطلبُ الأولُ

مولده، واسمه، ونشأته

أولاً - مولده:

ولد ليوبولد فايس (Leopold Weiss)، في الثاني من شهر يوليو، عام ١٩٠٠م في مدينة لوو^١ (Lwow)، الواقعة شرق إقليم غاليسيا^٢ (Galacia)، وكان الإقليم يومها تابعاً للإمبراطورية النمساوية، وهي الآن في أوكرانيا^٣.

كانت ولادة ليوبولد فايس في عهد الإمبراطورية النمساوية، أو إمبراطورية الدانوب، التي توسّطت أوروبا، فحكمت وسطها، والجنوب الشرقي منها.

ومما لا شك فيه أن اتساع مساحة إمبراطورية النمسا، وموقعها المميز وسط أوروبا على جزءٍ من نهر الدانوب^٤، جعل منها ملتقىً لثقافات، ولغات، وديانات العديد من الشعوب التي سكنت تلك المنطقة، وما جاورها.

وفي وسط هذا المناخ الإمبراطوري، ولد ونشأ ليوبولد فايس، الأمر الذي أثر في تكوين خلفيته الثقافية، والفكرية، ويسّر له إتقان العديد من اللغات، فكان يتحدث البولندية كعامية الناس، والألمانية لغة البلاد الرسمية، ولعلّ انفتاح ليوبولد فايس على الثقافات، وفهمه العميق للديانتين اليهودية، والنصرانية، كان نتاج تلك البيئة التي عاش فيها.

^١ ينظر: الطريق إلى مكة، محمد أسد، ترجمة عفيف البعلبكي، ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٦م، ص ٨١.

-تتمّة الأعلام للزركلي وفيات (١٩٧٦م - ١٩٩٥م)، محمد خير رمضان، ط٢، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، المجلد ٢، ص ١٢٤.
-نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر وبذيله عقد الجواهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر، د. يوسف المرعشلي، ط١، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٦م، المجلد ٢، ص ٢٠٢٤.

^٢ غاليسيا: منطقة تقع في شمال غرب اسبانيا على الأطلسي، وعاصمتها سانتيا غودي كومبوسنيلا، وتتمتع بنظام حكم ذاتي، تكسوها الغابات والمستنقعات، بما صيد سمك، وزراعة وتربية مواشي.

ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٠٤.

^٣ أوكرانيا: جمهورية أوكرانيا، عاصمتها كييف، ولغتها الرسمية الأوكرانية، والديانة فيها المسيحية تمثل طائفة (الأرثوذكس) الغالبية العظمى في حين طائفة (الكاثوليك) قلة فيها، ونظام الحكم فيها جمهوري دستوري، وهي عضو في الأمم المتحدة.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٣٣-٣٥.

^٤ ينظر: - قصة إسلام المفكر الإسلامي محمد أسد، محمد الرمادي، ٢٠١٠م، متوفر على شبكة المعلومات العالمية:

<http://quran-m.com/container.php?fun=artview&id=607>، تاريخ الدخول، ١٤٣٢/٠١/١٢هـ.

- محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، د. جونتر فيند هاجر، ترجمة وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، ٢٠١١م، ص ١٠.

^٥ نهر الدانوب: يعتبر أطول نهر في الاتحاد الأوروبي، وينبع من الغابة السوداء في ألمانيا، ويمر بعدة عواصم أوروبية قبل أن يصب في البحر الأسود، ويطلق عليه نهر العواصم.

ينظر: موسوعة المعرفة الإلكترونية، متوفر على شبكة المعلومات العالمية: www.marefa.org/index، تاريخ الدخول: ١٤٣٠/١٠/١٢هـ.

ثانياً - اسمه:

سماه والده (ليوبولد فايس)، وهو من الأسماء الألمانية العتيقة، وليس له معنى معين، غير أن المقطع الأول منه يعني أسد^١.

وحينما أسلم ليوبولد فايس، أُطلقَ عليه اسم (محمد أسد) تيمناً، وأسوّةً بالرسول ﷺ، رسول الأمة التي دخل - رحمه الله - في دينها، وأحبّها، وكافح في حياته من أجلها، وأما (أسد) فهي الترجمة العربية لاسمه الأول (ليو) الذي يعني باليونانية (أسد)^٢، وهذا ما ذكره له صديقه الهندي رئيس رابطة المسلمين في برلين^٣ حيث قال: "لقد كان اسمك حتى الآن ليوبولد **Leopold** وكلمة **Leo** اليونانية معناها أسد، إذن سندعوك من الآن فصاعداً محمد أسد"^٤.

ثالثاً - نشأته:

نشأ ليوبولد فايس في أسرة يهودية متعصبة محافظة على التراث، وكان لقب أسرته (فايس)، وتعني باللغة الألمانية اللون الأبيض، وهذه إشارة واضحة للأصول الألمانية لأسرته، وكتابة (**Weiss**) بتكرار حرف (**ss**) في نهاية الاسم بدلاً من (**Weip**) دليلاً واضحاً على الأصول اليهودية للأسرة^٥، فهو نساوي الأصل، وينحدر من سلالة يهودية.

ليوبولد فايس هو الابن الثاني لوالديه، وقد أمضى طفولته في مدينة (لوو) البولندية، وكانت طفولة هادئة هائلة مستقرة أحبها كثيراً، راضياً عنها سعيداً بما حتى في تذكراها، ولم يكن يشكو من أيّ عقد، أو معاملات صعبة من أحد والديه، بل على العكس كان والده يحبه كثيراً، وكذلك كانت والدته، وتميزت هذه الفترة من حياته بالعيش في وسط عائلي مترابط، ومستقر، ويصف لنا ذلك بقوله: "طفولة سعيدة كانت، مشبعة حتى بعد انقضائها كان والداي يعيشان حياة رغدة؛ وعاشا الجانب الأعظم من حياتهما من أجل أطفالهما"^٦.

هكذا حكم ليوبولد فايس على هذه الفترة من حياته، وعلى ما يبدو أن أسرته كانت ميسورة الحال، وظروفها المادية مريحة.

^١ قصة إسلام المفكر محمد أسد، مرجع سابق، متوفر على شبكة المعلومات العالمية:

<http://quran-m.com/container.php?fun=artview&id=607>

^٢ ينظر: المرجع السابق.

—صفحات وثائقية من تاريخ الإعلام في الجزيرة العربية، د. عبد الرحمن الشبيلي، ط١، الرياض: مطبعة سفير، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص ١٧٩-١٨٠.

^٣ برلين: عاصمة ألمانيا، وتعتبر أكبر المدن الألمانية، كما أنها تمثل أهم المراكز الصناعية، والثقافية في الدولة.

ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ج٣، ص ٩٧-٩٩.

^٤ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٣٣٠.

^٥ محمد أسد، ويكيديا الموسوعة العربية الحرة، متوفر على شبكة المعلومات العالمية <http://ar.wikipedia.org> تاريخ الدخول: ١٢/١٠/١٤٣٠هـ.

^٦ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٧٩.

وبجانب نشأته في أسرة يهودية متعصبةٍ محافظةٍ على التراث، فقد كانت أسرة متعلمة، فوالده د. كيفا (Kiwq)، والذي سُمِّيَ بعد ذلك كارل (Karl) فايس، (١٨٧٢م - ١٩٢٤م)^١، فقد كان رجلاً متعلماً وذكياً رغم أنه لم يكمل دراسته الجامعية لظروفه المادية، فتحول إلى المحاماة وأصبح محامياً ناجحاً في عمله^٢، تزوج من والدة ليوبولد فايس، وتُدعى أماليا فايس (Amalia Weiss) (١٨٧٥م - ١٩١٩م)، وكانت واحدةً من أربع بنات لمصرفيٍّ ميسور الحال، وقد تميزت أمُّه بهدوء طباعها، وبساطتها، الأمر الذي أثر على ليوبولد فايس إيجاباً^٣.

وفيما يتعلق بجده لأبيه بنيامين فايس (١٨٤١م - ١٩١٢م)^٤، كان حبراً يهودياً على رأس القسم الأرثوذكسي^٥ من الطائفة اليهودية في مدينة تشرنوفيتز (Czernowilt)^٦ عاصمة مقاطعة (بوكوفينا النمساوية).

أمّا عن أشقاء ليوبولد فايس، فالأخ الأكبر هاينرش فايس (Heinrich Weiss)، ويكبره بثلاث سنوات كان طبيباً، في حين كانت أخته الصغيرة راخيل فايس (Rachel Weiss) متخصصةً بدراسة علوم القانون^٧، في حين أظهر فيلم (The Road to Mecca)^٨ أحياناً غير شقيقٍ لمحمد أسد يدعى (مارتن غولدينوغ)، وكان يبدو عليه الامتعاض من اعتناق محمد أسد الإسلام.

في ضوء ما سبق، يظهر لنا أنّ ليوبولد فايس تمتع بالعيش في وسط أسرة متماسكة، شعر فيها بخنان أمه، وعطف والده، وبروابط عائلية حميمة بينه وبين أعمامه، وأحواله، وأبنائهم، كما كان وعلى ما يبدو لم يعان من ظروف مادية صعبة؛ فقد كان جده لأمه غنياً، وامتحن والده مهنةً جيدةً كفيلةً بدر المال عليهم، فنشأ نشأةً هادئةً، ومستقرّةً، ومرتنةً، وملبئةً بالعلم والمعرفة.

^١ محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم الغربي)، مرجع سابق، ص ١٠.

^٢ ينظر: الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٧٩-٨١.

- محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١٠.

^٣ ينظر: الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٧٩-٨١.

- محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١٠.

^٤ المرجع السابق، ص ١٠.

^٥ الأرثوذكسية اليهودية: فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر، وجاءت كرد فعل للتيارات التنويرية، والإصلاحية بين اليهود، وتعتبر الأرثوذكسية الامتداد الحديث لليهودية الحاخامية التلمودية.

ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ط٣، القاهرة: دار الشروق، ج٢، ص ١٥٢.

^٦ ينظر: الإسلام والغرب رؤية محمد أسد، د. صفوت مصطفى خليلوفيتش، ط١، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ١٤.

- محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١٠.

^٧ المرجع السابق، ص ١٠.

المطلب الثاني

زواجه

أولاً - زواجه من إلزا شيمان (Elsa Schiemann):

بعد أن قضى ليوبولد فايس في البلاد الإسلامية ثمانية عشر شهراً، غيرت حياته، ومنهجه، ورؤيته تجاه الشعوب العربية، والدين الإسلامي، وتجاه أوروبا التي أصبح ينظر إليها بعين الغريب، فأتثناء هذه الرحلة قام بزيارة برلين عدة مرات؛ حيث كان يقيم فيها معظم أصدقائه، الذين تواصل معهم عبر الأندية الأدبية، والدوائر الصحفية، وفي إحدى زيارته لبرلين التقى بسيدة رسامة مطلقة تُدعى إلزا شيمان (Elsa Schiemann) (١٨٧٨م - ١٩٢٧م)، وهي سليلة إحدى أسر (هولشتان) العريقة بشمال ألمانيا^١، كانت تعيش في برلين مع أبنها الصغير هاينرش (Hernrich) (١٩١٦م - ٢٠٠٢م)، وذلك بعد إتمامها لتعليمها في أكاديمية الفنون الألمانية^٢.

ولقد أبدت إلزا تفهماً كبيراً حول انطباعات ليوبولد فايس عن العرب، والمسلمين، فأحس بقوة أنها وحدها من سيساعده في البحث عمّا يريد، لذا اقترن بها وهو في السادسة والعشرين من عمره، رغم أنها رفضت في بداية الأمر بسبب فارق السنّ بينهما، إلا أنه استطاع انتزاع هذه المشكلة من فكرها؛ لأنه وجد المرأة التي تحسن فهمه لما يريد، وتضيء آماله، وتجعله أشدّ صلابةً، وأقرب إلى تحقيق هدفه^٣.

وكثيراً ما كان ليوبولد فايس يجلس معها لقراءة القرآن الكريم، ويناقشها حول ما ورد فيه من أفكار، حتى أصبحت تتأثر مثله يوماً بعد يوم^٤، إلى أن أسلم هو على يد رئيس رابطة المسلمين في برلين، وأسلمت زوجته إلزا بعد إسلامه بعدة أسابيع^٥.

وفي مايو من عام ١٩٢٧م، رحلت إلزا مع زوجها محمد أسد - رحمه الله - ، وابنها هاينرش (Hernrich) الذي سُمي بعد إسلامه بأحمد شيمان إلى أرض الجزيرة العربية؛ لأداء فريضة الحج، وفي أثناء الرحلة أصيبت إلزا بالمalaria، وما لبثت أن تُوفيت بعد إصابتها بالمرض بأيام قليلة، ودُفنت في مقبرة

^١ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ١٨٠-١٨١.

^٢ ينظر: المرجع السابق، ص ١٨٠-١٨١.

-محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١١.

^٣ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٣١٧-٣١٨.

^٤ المرجع السابق، ص ٣١٨.

^٥ المرجع السابق، ص ٣٢٩-٣٣٠.

^٦ محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١٣.

بمكة المكرمة^١، فحزن محمد أسد - رحمه الله - على موتها حزناً شديداً، لم يفارقه إلا بعد زمنٍ طويلٍ قضاه في الجزيرة العربية بضيافة الملك عبد العزيز آل سعود^٢ رحمه الله.

وأما ابنها هاينرش الذي بلغ العاشرة من عمره فقد بقي في الجزيرة العربية برفقة محمد أسد - رحمه الله - ، وفي نهاية عام ١٩٢٩م أرسله محمد أسد - رحمه الله - إلى ألمانيا بناءً على طلب من أهل أمه، وبقيت علاقته مستمرةً بمحمد أسد - رحمه الله - لأمدٍ طويلٍ، وتوجّه إلى العمل الصحفي ليصبح بعد ذلك من أشهر الصحفيين في الحقول العلمية في ألمانيا^٣.

ثانياً - زواجه من رقية بنت مطرق المطيري:

عندما كان محمد أسد في المدينة المنورة عرض عليه صديق له يدعى فهد الزواج من ابنة أخته، وهي فتاة مطيرية تدعى رقية، وبعد أن تمّ عقدُ القران، ورأى محمد أسد العروس اكتشف أنها طفلةٌ صغيرةٌ لم يتجاوز عمرها أحد عشر عاماً، فقدم لها قطعةً من الحلوى، وحاول تسليتها ببعض قصص (ألف ليلةٍ وليلةٍ)، حتى أرسل من يستدعي أمها، وطلب منها اصطحاب ابنتها معها، ثمّ طلقها دون أن يلمسها^٤.

ثالثاً - زواجه بفتاة من مدينة الرياض:

في عام ١٩٢٨م عندما كان يعيش محمد أسد في مدينة الرياض بالقرب من الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - تزوج من فتاة من مدينة الرياض، إلا أنّ هذا الزواج لم يدم طويلاً، حيث طلقها في العام الذي يليه، مشيراً في حديث له مع الملك عبد العزيز - رحمه الله - إلى أن سبب طلاقه أن أحدهما لا يلاءم الآخر^٥.

رابعاً - زواجه من منيرة بنت حسن الموسى الشمري:

ولدت منيرة بنت حسن الموسى الشمري في مدينة حائل، وعاشت مع أسرهما في المدينة المنورة، وقد أنجبت ولدين الأول (طارق) الذي توفي في صغره، والثاني (طلال)^٦ الابن الوحيد لمحمد أسد، الذي وُلِدَ في إبريل عام

^١ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٣٩٩.

^٢ الملك عبد العزيز آل سعود (١٢٩٣هـ/ ١٣٧٣هـ): عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية الأول، ومنشؤها، ولد في مدينة الرياض بنجد، حاض العديد من المعارك حتى وحد البلاد عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، اشتهر بكرمه، وشجاعته، وفروسيته، وخطابته، يكره الملق، والرياء، ظهر في عهده البترول، فانتعشت البلاد، وخطت نحو التمدن والتحضّر، له العديد من الأعمال الريدادية في المملكة فقد أنشأ المحر، وأوصل بلاده مترامية الأطراف بشبكات لا سلكية، وأنشأ الموانئ،وعبد الطرق، وغيرها الكثير، توفي - رحمه الله - في الطائف، ودفن في الرياض.

ينظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، ط٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ج٤، ص ١٩-٢١.

^٣ محمد أسد ليبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١٣.

^٤ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ١٩٣-١٩٦.

^٥ المرجع السابق، ص ٢٧٠.

^٦ طلال أسد: ولد عام ١٩٣٢م، بالمدينة المنورة، ونشأ في الباكستان، حيث درس في مدرسة تبشيرية داخلية غالبية الطلبة فيها نصارى، ثم سافر إلى بريطانيا، وحصل على درجة الماجستير من جامعة أدنبرة في سكوتلاند، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة أكسفورد، تخصص الفلسفة، وعلم الأنثروبولوجيا، ودراسات الشرق الأوسط، له العديد من المؤلفات منها: (Ithaca Press)، و(Genea logies of Religion)، وترجمت أعماله إلى العديد من اللغات.

ينظر: Participants S.V.s " Muhammad Asad A life for Dialogue", King Faisal Center for Research and Islamic

Studies, 11-12/04/2011

١٩٣٢م، في المدينة المنورة^١.

ولقد أُصيبت منيرة الشمري بمرض السرطان، وتوفيت بالرياض في الرابع من شهر فبراير لعام ١٩٨٧م^٢.

خامساً - زواجه من بولا حميدة (Pola Hamida):

عندما استقرَّ محمد أسد - رحمه الله - في نيويورك^٣، هيا الله له الزواج من دبلوماسية أمريكية اهتدت إلى الإسلام، وكانت تعمل في وزارة الخارجية الأمريكية ضمن وفد الولايات المتحدة الأمريكية في منظمة الأمم المتحدة^٤، كانت قد قطعت وحدها رحلتها إلى الإسلام بعد سنوات من الدرس، والبحث فتحوّلت من المسيحية الكاثوليكية^٥ إلى الإسلام، وقبل أشهرٍ من لقائها بمحمد أسد - رحمه الله - كانت قد أشهرت إسلامها، واتخذت لنفسها اسم حميدة، وبعد زواجها منه صارت تحمل طبقاً للتقاليد هناك اسم حميدة أسد^٦.

ولقد تبين بعد الاطلاع على النسخ الأصلية لبعض كتبه - رحمه الله - أن حقوق الطبع محفوظة باسم بولا حميدة (Pola Hamida) (١٩٢٦م - ٢٠٠٦).

يتضح مما سبق أن محمد أسد - رحمه الله - لم يقترن بعد إسلامه إلا من نساء مسلمات عربيات كنّ، أو غير عربيات؛ ولعل ذلك لاقتناعه الشديد بالإسلام، وتمسكه به، حتى أنه استطاع التأثير على زوجته الأولى فاعتنقت الإسلام طواعيةً.

^١ صفحات ووثائق من تاريخ الإعلام في الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ١٨٠-١٨١.

^٢ ينظر: صفحات ووثائق من تاريخ الإعلام في الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ١٨٠-١٨١.
- العلمانية والممانعة الإسلامية محاورات في النهضة والحداثة، علي العميم، ط٢، بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٢م، ص ١٧٦.

^٣ نيويورك: مدينة أمريكية كبرى، وتعد سادس المدن الكبرى في العالم، ومركزاً رائداً للمشاريع التجارية، وأكبر المراكز الثقافية في العالم، وكذلك الموانئ، ومركزاً رائداً في مجال الاتصالات والمصارف.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٢٥، ص ٦٨١-٦٨٣.

^٤ الأمم المتحدة: منظمة دولية تعمل للمحافظة على السلام، والأمن العالميين، ومن أجل الارتقاء بالإنسانية، أنشئت هيئة الأمم المتحدة في ٢٤/١١/١٩٤٥م بعد الحرب العالمية الثانية بفترة وجيزة، وينتمي إليها الدول المستقلة في جميع أنحاء العالم، وترسل كل دولة أعضاء ممثلين لها إلى مقر الأمم المتحدة في نيويورك حيث يناقشون المشاكل، ويحاولون حلها.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ج ٣، ص ٨٨.

^٥ الكاثوليك: أكبر الكنائس النصرانية في العالم، وتمثل في عدة كنائس تتبع كنيسة روما، وتعترف بسيادة بابا روما عليها، وسميت بالكنيسة الغربية، أو اللاتينية؛ لامتناد ففوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة، ويدعي أصحابها أن القديس بطرس هو مؤسسها وفق ما أشار إليه القديس سيريان، رغم أن مصادر التاريخ الكنسي تشير إلى أن لكل منهما دوره في وجودها.

ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ص ٦٠٣.

^٦ محمد أسد الطريق إلى مكة (٢-٢)، محمد الصاوي، مجلة المعرفة، المملكة العربية السعودية، وزارة التربية والتعليم، العدد ١٠٣، شوال ١٤٢٤هـ/ديسمبر ٢٠٠٣م، ص ١٠٦.

المطلب الثالث

وفاته

ترك محمد أسد الباكستان^١ بعد الجهد الذي بذله في محاولة إقامة دولة على الشريعة الإسلامية، وانتقل إلى سويسرا^٢ مستقراً بها مدة عشر سنوات، تفرغ خلالها للكتابة والتأليف، ثم رحل إلى المغرب^٣ عام ١٩٦٢م، وأقام في طنجة^٤ ليواصل نشاطه في التأليف، والتعبير عن موقفه من الأحداث العالمية، وظل في المغرب نحو عقدين من الزمان، انتقل بعدها إلى البرتغال^٥، ثم استقر في بلدة ميخاس^٦ (Mijas) الإسبانية التابعة لمحافظة (مالقة)^٧ بجنوبي أسبانيا، حيث توفي فيها في اليوم التاسع عشر من فبراير لعام ١٩٩٢م، عن عمر يناهز الحادية والتسعين، ودفن حسب وصيته في المقبرة الإسلامية بغرناطة^٨ الأندلسية رحمه الله^٩.

^١ الباكستان: جمهورية باكستان الإسلامية، عاصمتها إسلام آباد، اللغة الرسمية فيها الأردو والإنجليزية، ديانتها الإسلام، وهي عضو في الأمم المتحدة والكونغرس البريطاني.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٢٠٣-٢٠٦.

^٢ سويسرا: وهي بلد داخلي تقع في وسط أوروبا، ويحيط بها ألمانيا، والنمسا، وإيطاليا، وفرنسا، عاصمتها بيرن، وديانة سكانها المسيحية طائفة (الكاثوليكية) الرومانية وطاققة (البروتستنت)، ولم تشترك سويسرا في أي حرب خارجية منذ عام ١٥١٥م، وتعد سويسرا مركزاً عالمياً رئيسياً للبنوك، ومقرّاً لكثير من المنظمات الدولية، إلا أنها ليست عضواً في الأمم المتحدة، وهي مزار سياحي على مدار العام.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٢٧٦-٢٧٨.

^٣ المغرب: المملكة المغربية، عاصمتها الرباط، اللغة العربية هي لغة البلاد الرسمية، والديانة الإسلام، وهي عضو في الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ١٠٧-١٠٩.

^٤ طنجة: مدينة مغربية تقع في أقصى الشمال المغربي على شاطئ المحيط الأطلسي، في الطرف الجنوبي الغربي من مضيق جبل طارق، وهي مركز تجاري، وزراعي، وثقافي، وصناعي، ويوجد بها مرفأً تجاري مهم وحر منذ العام ١٩٦٢م.

ينظر: الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، كمال موريس شربل، ط١، بيروت: دار الجليل، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٣٥١-٣٥٢.

^٥ البرتغال: الجمهورية البرتغالية، وعاصمتها لشبونة، واللغة الرسمية فيها البرتغالية، والديانة الكاثوليك الرومانية، ونظام الحكم فيها جمهوري ديمقراطي، وهي عضو في الاتحاد الأوروبي، وحلف شمال الأطلسي، وفي الأمم المتحدة.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٤٥-٤٧.

^٦ ميخاس: مدينة وبلدية تقع في محافظة مقاطعة مالقة جنوب اسبانيا.

ينظر: شبكة المعلومات العالمية: <http://www.mijas.es/portal/en/> تاريخ الدخول: ١٢/١٠/١٤٣٠هـ.

^٧ مالقة: مرفأً في جنوب إسبانيا على البحر المتوسط، يقدر عدد سكانها نحو ٣٨٠,٠٠٠ نسمة، وتتميز بالقلاع المغربية، وبها كاتدرائية خلال القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، وتتميز بالصناعات الكيميائية.

ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ج١، ص ٣١٢.

^٨ غرناطة: مدينة إسبانية، يقدر عدد سكانها بحوالي ٢٩٠,٠٠٠ نسمة، احتلها المرابطون عام ١٠٩٠م، واتخذها محمد بن نصر مؤسس سلالة بني الأحمر عاصمة له خلال الفترة من ١٢٣٥م، وحتى ١٤٩٢م بعد سقوطها، وكانت في أيامهم مركزاً حضارياً، وثقافياً لامعاً، من أهم آثارها العربية قصر الحمراء الذي يعد رابعة الأندلس.

ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ج١، ص ٣٠٨.

^٩ ينظر: تمة الأعلام للزركلي وفيات (١٩٧٦م - ١٩٩٥م)، مرجع سابق، ص ١٢٥.

-نثر الجوهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، مرجع سابق، ص ٢٠٢٤-٢٠٢٥.

-قصة إسلام المفكر الإسلامي محمد أسد، مرجع سابق، متوفر على شبكة المعلومات العالمية:

<http://quran-m.com/container.php?fun=artview&id=607>

المبحث الثالث
حياته العلمية

وفيه مطلبين:

- المطلب الأول: حياته العلمية في أوروبا
المطلب الثاني: حياته العلمية في العالم الإسلامي

المطلب الأول حياته العلمية في أوروبا

تدرج ليوبولد فايس ضمن مراحل تعليمية مختلفة، حتى أصبح مراسلاً صحفياً لعددٍ من الصحف الأوروبية الكبرى.

فمن المعروف أنه ينحدر من أسرة يهودية أصيلة، وبحسب تقاليد العائلة، وتحت إصرارٍ شديدٍ من والده، فقد تلقى تعليمه الأساسي، على أيدي أساتذة متخصصين في العلوم الدينية العبرانية، وكان يقضي ساعاتٍ طويلةً يومياً في دراسة الكتب المقدسة، والتاريخ اليهودي، والقصص العبرية^١، فدرس التوراة في نصوصها الأصلية، وأصبح عالماً بالتمود^٢، وتفسيره، وصار بإمكانه وبكل ثقة أن يشرح الفرق بين التلمود البابلي^٣، والتلمود الأورشليمي^٤، كما انغمس في دراسة التفسير المعقد للتوراة المسمى (ترجوم)^٥، وهكذا وجد نفسه وهو في سن الثالثة عشر يقرأ العبرية، ويتحدثها بإتقان، ويجيد الآرامية^٦، وكأنما يهيئ نفسه لمنصب ديني^٧.

ومن الواضح أن هذا الإتقان العميق للثقافة اليهودية، والتاريخ، وإجادته للغة العبرية، هو ما مكّنه فيما بعد من إتقان اللغة العربية، والدخول في مناقشات، وحوارات في قضايا الأديان، ومبادئها، والتاريخ، ومسلماته المنطقية.

^١ العبرية: من أقدم اللغات، وتحدث وكتب بها بنو إسرائيل في العهد التوراتي، وهي واحدة من لغات اليهود الرسمية اليوم، وهي أحد فروع اللغات السامية الشمالية الغربية، ولها نفس السمات الصوتية للغة العربية، واللغة الآرامية، وتتكون الألفبائية من ستة وعشرين صامتا، بالإضافة إلى علامات تسمى صوائت (حركات)، وتكتب الكلمات فيها من اليمين إلى اليسار.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ١٦، ص ١٠٧.

^٢ التلمود (Talmud): كلمة مشتقة من الجذر العبري (لامد) الذي يعني الدراسة، والتعلم، كما في عبارة (تلمود توراة) أي (دراسة التوراة)، وهو من أهم الكتب الدينية عند اليهود، وهو الثمرة الأساسية للشريعة الشفوية أي تفسير المحاضرات للشريعة المكتوبة (التوراة)، ويعتبر التلمود مصنف للأحكام الشرعية، أو مجموعة القوانين الفقهية اليهودية.

ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٧٨.

^٣ التلمود البابلي: أحد نوعي التلمود، وهو نتاج الحلقات التلمودية (أكاديمية - شيفيا) في العراق (بابل)، وهو يعرف بمحالات نادرة بتلمود أهل الشرق.

ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٧٩.

^٤ التلمود الأورشليمي: النوع الآخر للتلمود، وهو التلمود الفلسطيني، وينسب اليهود خطأ إلى أورشليم (القدس)، بسبب خلو القدس من المدارس الدينية بعد هدم الهيكل الثاني.

ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٧٩.

^٥ ترجوم (Targum): كلمة آرامية تعني ترجمة، ويطلق هذا المصطلح على الترجمات الآرامية للكتاب المقدس، وتعد هذه الترجمات أمراً مهماً، وحيوياً بالنسبة لليهود؛ لأن الآرامية حلت محل العبرية بعد التهجير البابلي، ووضعت هذه الترجمة خلال الفترة ما بين القرن ٢ إلى القرن ٥ قبل الميلاد.

ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج ٥، ص ١١٦.

^٦ الآرامية: إحدى اللغات الشرق أوسطية، والتي تنتمي إلى مجموعة اللغات السامية كالعربية، والعبرية، وتصنف مع اللغة العبرية ضمن اللغات السامية الشمالية الغربية، ويرجع تاريخها إلى القرن العاشر قبل الميلاد.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ١، ص ٤٤٩.

^٧ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٨٢-٨٣.

ولقد كان ليوبولد فايس يجد متعةً شديدةً في قراءة الشعر، والأدب، والتاريخ البولندي، والألماني، وكذلك قراءة القصص التاريخية، والرومانسية، وروايات الهنود الحمر، والاستماع إلى المقطوعات الموسيقية، وفي الوقت نفسه كان لديه نفورٌ شديدٌ من العلوم الطبيعية مثل الرياضيات، والفيزياء؛ لأنها كانت تسبب له الضجر، والملل.

فيقول معبراً عن شعوره تجاه العلوم الطبيعية، وتجاه العلوم الأدبية والإنسانية: "وعلى الرغم من أنني لم أكن غيباً إلا أنني كنت لا مبالياً، كانت الرياضيات والعلوم الطبيعية على وجه الخصوص تصيبني بالضجر والملل، وفي الوقت الذي كنت أشعر فيه بمتعةٍ كبيرةٍ في قراءة الروايات التاريخية والرومانسية، ... وقصص الخيال العلمي وروايات الهنود الحمر... والاستماع إلى المقطوعات الموسيقية الإيقاعية ... كانت ألغاز الجاذبية الأرضية وقوانين الكهرباء لا تقلُّ ضجراً عن قواعد اللغة اللاتينية^١ واليونانية، كنت أنهي دروسها وبرودةً تسري في أوصالي وغنيٌّ عن القول أنني كنت أتجاوز اختبارات تلك المواد بشقِّ النفس، أصاب ذلك أبي بإحباط شديد، إلا أنه وجد بعض العزاء في رضا المدرسين عن ميولي للآداب البولندية والألمانية بالإضافة إلى التاريخ"^٢.

وفي أواخر عام ١٩١٤م حين اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى، وبسبب روحه القلقة، هرب من المدرسة، وكان عمره أربعة عشر عاماً، والتحق بالجيش النمساوي تحت اسم مزور، وساعده على ذلك طولُه الفارع، فادَّعى بأنه ابن الثامنة عشرة، ولكن والده نجح في اقتفاء أثره، والقبض عليه مع الشرطة، بعد أن أعلمهم بعمره الحقيقي^٣.

ويبدو أن ليوبولد فايس بدأ ينضج عند هذه المرحلة، ويبحث عن الذات، ويسعى إلى تحقيق أحلامه الصبانية، مما جعله يتمرد على والده، وعلى أنظمة المدرسة، ليفرّ، ويلتحق بالجيش المقاتل ظناً منه بأنَّ المجد العسكري سيصل به إلى واقعيةٍ أكثر في الحياة، وسيعالج حيرته النفسية التي عانى منها معظم جيل عصره.

وإلى هذا يشير ليوبولد فايس قائلاً: "إنَّ حيرتي كي أكون منصفاً لنفسي، لم تكن بصنع يدي، وذلك لأنها كانت خيرة جيلٍ بأسره، لقد تميزت العقود الأولى من القرن العشرين بالفراغ الروحي، وأصبحت جميع القيم الأخلاقية، والروحية التي ألفتها أوروبا عدة قرونٍ غير ذات شكلٍ مقررٍ محدودٍ،

^١ اللغة اللاتينية: كانت اللغة الرئيسية لأوروبا الغربية لثلاث السنين، وقد كانت لغة الإمبراطورية الرومانية، ولم تعد هذه اللغة تستخدم في التخاطب منذ نهاية القرون الوسطى، وتحديدًا في بداية القرن السادس عشر الميلادي، ولقد ساهم العديد من كلماتها في تشكيل المصطلحات العلمية القانونية، والعلمية الحديثة.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٢١، ص ٢٠.

^٢ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٨٢.

^٣ المرجع السابق، ص ٨٤.

... لقد كان في الجوَّ شعورٌ من الهشاشة والخطر، إحساسٌ مسبقٌ بالجيشان الاجتماعيِّ والعقليِّ جعل المرء يشكُّ ما إذا كان من الممكن أن يكون هناك، مرةً أخرى، ... لم تستطع الحيرة الروحية لدى الشباب أن تجد لنفسها موطناً قديماً، وبسبب فقدان المقاييس الأخلاقية الموثوق بها، لم يستطع أحدٌ أن يقدم (إلينا) نحن الشباب، أجوبةً مرضيةً عن كثيرٍ من الأسئلة التي كانت تحيرنا، كان العالم يقول: (المعرفة هي كلُّ شيءٍ) ونسي أن المعرفة دونها هدفٌ أخلاقيٌّ لا يمكن أن تؤدي إلّا إلى الفوضى والغموض، إنَّ المصلحين الاجتماعيين، والثوريين والشيوعيين ... كانوا يريدون بناء عالمٍ أفضل ولكنهم لم يكونوا يفكرون إلّا بمقتضى ظروفٍ خارجيةٍ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ، ... ورجال الدين التقليديون كانوا سبباً في الفوضى والاختلاط ... حيث فصلوا الإنسان عن مصيره^١.

في ظلِّ هذه الظروف السياسية، والاجتماعية، انتقلت أسرة ليوبولد فايس في صيف عام ١٩١٤م للعيش في مدينة فيينا^٢، وسمحت الأوضاع الاقتصادية للأسرة، بتعليم أولادها في المدارس الثانوية، والجامعات، على خلاف أغلبية الأسر اليهودية اللاجئة في ذلك الوقت، فنال ليوبولد فايس نصيبه من التعليم المدرسيِّ في مختلف ثانويات فيينا، وحصل على الثانوية العامة - بواسطة نفقته الخاصة - من الثانوية الإمبراطورية الملكية في (تشرنوفيتز)، ثمَّ قام ما بين عامي ١٩١٨م - ١٩٢٠م بدراسة تاريخ الفنون، والفلسفة في جامعة فيينا، وبالتردد على محاضرات في الفيزياء، والكيمياء^٣.

واتجه إلى دراسة التحليل النفسيِّ لـ (سيجموند فرويد)^٤، وأصبح يتردد على دوائر الصحافة، والأدب في فيينا، فأصبح كثيراً ما يرتاد مقهى هيرن هوف (Herren Hof)، فكان من أصدقائه المقربين كلُّ من الكاتب النمساويِّ الكبير أنطون كوه (Anton Kuh) (١٨٩١م - ١٩٤١م)، والمحلل النفسيِّ المعروف أتو غروس (Otto Gross) (١٨٧٧م - ١٩٢٠م)^٥.

^١ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٨٥-٨٦.

^٢ فيينا: عاصمة النمسا، وأكبر مدينة فيها، عدد سكانها يقدر بنحو ١,٥٣٩,٨٥٨ نسمة، وهي تقع في الجزء الشمالي الشرقي من النمسا على الضفة الجنوبية من نهر الدانوب، وتعتبر مركز القيادة الثقافي، والاقتصادي، والسياسي للنمسا. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، المجلد ١٧، مرجع سابق، ص ٧٣٠.

^٣ محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١٠-١١.

^٤ سيجموند فرويد (١٨٥٦م/ ١٩٣٩م): من أشهر علماء النصف الثاني من القرن العشرين، خاض معارك صعبة وجريفة في التحليل النفسي، ونتيجة لانخراطه في التحليل النفسي اكتشف اللاوعي، وألف كتاب بهذا الشأن اسمه (تفسير الأحلام) عام ١٩٠٠م. ينظر: موسوعة مشاهير العالم، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٢٧-٣٢٩.

^٥ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٨٦-٨٧.

^٦ محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١١.

ونظراً لعدم شعوره بالرضا تجاه ما يدرسه بالجامعة، ونتيجة الحيرة، والقلق التي كان يشعر بها في داخله، أثناء تلك الظروف المتخبطة فكرياً، وثقافياً، ودينياً فقد قرر أن يترك دراسته الجامعية، ويجرب قلمه في الصحافة.

ففي عام ١٩٢٠م، غادر فيينا إلى براغ^١ ليصل بعدها إلى برلين، وانخرط مع مجموعة من الأدباء، والفنانين، والمفكرين، وأصبح يرتاد المقهى الغربي القديم (Old Café Des Westens)^٢، للمشاركة في المناقشات الفكرية، والثقافية التي كانت تدور بين رواد التحليل النفسي.

وعليه فإنَّ أصدق حكمٍ على ليوبولد فايس في قضية تركه للدراسة الجامعية بأنه "صاحب نزعةٍ فرديةٍ وفكرٍ مستقلٍ"^٣، فلم يكن مستعداً للجلوس خلف مقاعد الدراسة، وأمام السبورة التعليمية، والالتزام بالحضور اليوميٍّ مع كمٍّ من الواجبات، في الوقت الذي يُحرّم فيه القراءة الحرة، والبحث، والمناقشة، والربط، والتحليل، والاستدلال، ويخضع لسيطرة طرق تدريس مملّة، وجافةٍ، وغير قادرةٍ على علاج روحه القلقة.

^١ براغ: عاصمة جمهورية تشيكيا، وأكبر مدنها، وتعد مركزاً ثقافياً، وتعليمياً مهماً، وهي من أقدم مدن أوروبا الوسطى، تقع على نهر فلتافا، وتدعى مدينة المائة برج؛ بسبب كثرة كنائسها.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٤، ص ٢٨٤.

^٢ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٨٩.

^٣ محمد أسد لم يتجاوز الثانوية، إبراهيم البليهي، حريدة الرياض، العدد ١٣٥٤٤، الأحد ١٨/جمادى الثاني/١٤٢٦هـ - ٢٤/يوليو/٢٠٠٥م.

المطلب الثاني حياته العلمية في العالم الإسلامي

وفي أثناء سفره إلى بلاد الشرق الأوسط ؛ لتغطية عمله الصحفي، فإن لقاءاته بالعرب، والمسلمين شكلت أثراً عميقاً في مثله الاجتماعية، وبعثت اهتمامه الشديد بالإسلام، ف قضى معظم وقته في سوريا وفي قراءة ما تصل إلي يده من كتب عن الإسلام، فقرأ ترجمتين لمعاني القرآن الكريم إحداهما فرنسية، والأخرى ألمانية، وحاول الاطلاع على مؤلفات المستشرقين الأوروبيين^١، بدافع من إدراكه الجديد عن بلاد الشرق الأوسط، وثقافتها.

ولأنه كان الرجل الباحث عن الحقيقة، لم يقنعه أن يتعرف على الإسلام من خلال ما كتبه المستشرقون، ففي عام ١٩٢٤م أثناء وجوده في القاهرة، اجتهد بتعلم اللغة العربية على يد أحد طلاب الأزهر وفقاً لدروس يومية ومنظمة، وكان ذلك عام ١٩٢٤م أثناء وجوده في القاهرة^٢، فكان ذلك هو المفتاح الذي يسر له الدخول إلى الفكر الإسلامي، وفهمه.

وبعد أن اعتنق ليوبولد فايس الإسلام، وغادر موطنه الأصلي إلى بلاد الجزيرة العربية، ليعيش في المدينة المنورة؛ حيث مسجد رسول الله ﷺ منبع الدعوة الإسلامية، ومركز الإيمان، بدأ يدرس - رحمه الله - القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والتاريخ الإسلامي، والسيرة النبوية، وكان يلتقي بشيخه عبد الله بن بليهد^٣ في مكتبة قرب المسجد النبوي، وكان كثيراً ما يجالس شيخه للدرس، والنقاش حول القضايا الإسلامية، وأحوال المسلمين المعاصرة^٤.

لم يُخف محمد أسد - رحمه الله - إعجابه بالشيخ ابن بليهد، فقد كان أحب شيوخه إلى قلبه، وفي هذا يقول: "إنه أعظم علماء نجد على الإطلاق، وبرغم الضيق النظري التي تمتاز به النظرة الوهابية، فقد

^١ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ١٧٠.

^٢ المرجع السابق، ص ٢٣٧.

^٣ عبد الله بن بليهد (١٢٧٨هـ/١٣٥٩هـ): هو عبد الله بن سليمان بن سعود بن محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن بليهد، وآل بليهد من عشيرة السيار، وهم فخذ من آل جبور أحد فروع قبيلة بني خالد العامرية العدنانية، ولد الشيخ عبد الله في بلدة القرعاء عام ١٢٧٨هـ، فأخذ مبادئ القراءة والكتابة عن والده، وحفظ القرآن الكريم، وشجعه والده على طلب العلم، فبدأ بطلبه متنقلاً بين مدن منطقة القصيم بداية بالمدنب، ثم بريده، ثم الرس، وتشير بعض المصادر إلى أنه سافر إلى الهند مضطراً لعلاج مرض أصابه في الأمعاء، واستغل فترة إقامته بالهند بطلب علم الحديث الذي تميز به بعض علماء الهند، وأجيز بسند تصل بالرواية، وقد كانت تربطه علاقة وثيقة بالملك عبد العزيز، فعينه في عام ١٣٣٣هـ قاضياً على البكيرية، والرس، والبدائع، والخبراء، وما حولها، وفي عام ١٣٤١هـ عينه الملك عبد العزيز رئيساً للقضاة في الحجاز، كما أصبح المسئول الأول عن شئون الحرمين في تلك الفترة، كما شارك رحمه الله في عام ١٣٤٤هـ في المؤتمر الأول للعالم الإسلامي الذي عقد في مكة المكرمة، وفي عام ١٣٤٦هـ عاد رحمه الله إلى قضاء حائل، ولم يكن رحمه الله يمتلك وقتاً كافياً للتأليف، حيث أنه لم يولف إلا كتاباً واحداً بعنوان (جامع السالك في أحكام المناسك)، ولعل ذلك يعود إلى كثرة تنقله، توفي رحمه الله ليلة الاثنين ١٠/٦/١٣٥٩هـ في الطائف.

ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله بن عبد الرحمن البسام، ط ٢، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ، ج ٤، ص ١٣٨-١٥٠.

^٤ الطريق إلى مكة، مرجع السابق، ص ٢٩٨-٣٠٢.

كان من أذكى الرجال الذين عرفتهم في العالم الإسلامي، والحق أن صداقته لي قد أسهمت إلى حد كبير في جعل حياتي في الجزيرة العربية يسيرة بهيجة، ذلك أن كلمته في مملكة ابن سعود لم تكن تعدلها كلمة أي رجل آخر".^١

ومن الجدير بالذكر أن محمد أسد - رحمه الله - كان يتقن العديد من اللغات، كاللغة الألمانية وهي لغته الأم، واللغة البولندية، واللغة الإنجليزية، واللغة الفرنسية، واللغة العبرية، واللغة العربية، واللغة التركية، واللغة الفارسية، واللغة الإسبانية، والأردو، فحيثما حطت رحاله أتقن لغة القوم.

وذكر عنه د. حسان تحتوت نقلاً عن الصاوي قوله: "سجلت حواراً مع الرجل في بيته بالأندلس باللغة العربية فما أخطأ في النحو مرة واحدة".^٢

وفي هذا السياق أيضاً يقول د. مراد هوفمان^٣: "انتظرنا بتلهفٍ وشوقٍ في فندق تيفولي لشبونة وصول محمد أسد وزوجته الأمريكية بولا حميدة، وأخيراً وصل وهو يقود سيارته بنفسه، وهو ابن الخامسة والثمانين، وبدأنا حديثنا أولاً بالألمانية وهي اللغة التي كان يتكلمها في شبابه، ثم تكلمنا بعد ذلك بالإنجليزية، ولكنه بدا مستعداً أن يبدأ محادثةً باللغة العربية، أو الفارسية، أو البرتغالية، أو الإسبانية، أو الأردو".^٤

وفي الحقيقة نحن نقف أمام فيلسوفٍ، وكاتبٍ، ومحاضرٍ، ومثقفٍ، ومفكرٍ مسلمٍ، وسياسيٍّ محنكٍ، بل ومبدعٍ، وعبقريٍّ بامتيازٍ، استطاع أن يجمع بين العديد من الثقافات، فأبواه هوداه بالقدر الذي أصبح فيه وكأته حاخاماً، ثم استطاع أن يُلمَّ بالمسيحية، وعقائدها المختلفة من خلال حياته في أوروبا وسط الثقافة الغربية، وكان كذلك بالنسبة للثقافة الإسلامية، فتحواله داخل البلاد الإسلامية، وحياته بين الشعوب المسلمة، واعتناقه للإسلام بعد ذلك، جعل منه عالماً بالدين الإسلامي، ومصادره، هذا عدا معرفته بعادات الشعوب التي خالطها، وعاش معها.

^١ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٢٩٨.

^٢ الطريق إلى مكة (٢-٢)، مرجع سابق، ص ١٠٥.

^٣ مراد هوفمان: مفكر ألماني مسلم، اسمه (ويلفريد هوفمان)، ولد سنة ١٩٣١م، لأسرة كاثوليكية في ألمانيا، درس المرحلة الجامعية في جامعة هارفارد، وعمل في الإدارة الخارجية الألمانية، وتخصص في مسائل الدفاع النووي، تولى منصب مدير استعلامات الناتو في بروكسيل، ثم سفيراً ألمانياً في الجزائر، ثم سفيرها في المغرب، عكف على دراسة القرآن الكريم، فاعتنق الإسلام سنة ١٩٨٠م، وأدى فريضة الحج سنة ١٩٩٢م، له العديد من المؤلفات، منها: يوميات ألماني مسلم، والإسلام كبدل، والإسلام عام ٢٠٠٠م، ويعد من أشهر ناقدتي الثقافة الغربية.

ينظر: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، إشراف د. محمود حمدي زقزوق، القاهرة: وزارة الأوقاف، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ١٠٤٨-١٠٥٢.

^٤ لشبونة: عاصمة البرتغال، وأكبر مدنها، وهي تقع عند مصب نهر تاجو، وتعد من الموانئ الرئيسة للبرتغال، ومركزها السياسي، والاقتصادي، والثقافي.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٢١، ص ١١٢.

^٥ الرحلة إلى الإسلام - يوميات دبلوماسي ألماني، د. مراد هوفمان، ترجمة د. محمد سعيد دباس، ط ٢، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ١٨٦.

فتركه للدراسة الجامعية لم يُحلّ دون تقدمه، ونجاحه في حياته العلمية، فقد استطاع أن يشقّ طريقه نحو العلم، وأثبت أنّ الإنسان حباه الله بقدراتٍ هائلةٍ، وطاقةٍ عظيمةٍ، تعود عليه، وعلى مجتمعه بالنفع؛ إذا ما بذل جهده، وسخر قدراته في الخير.

المبحث الرابع حياته العملية

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: حياته العملية في أوروبا
- المطلب الثاني: حياته العلمية في العالم الإسلامي
- المطلب الثالث: حياته العملية في القارة الهندية

المطلب الأول

حياته العملية في أوروبا

أولاً - جندياً في الجيش النمساوي:

عاشت الإمبراطورية النمساوية بعد الحرب العالمية الأولى حالة من الاضطراب السياسي، والثقافي، والاجتماعي، إذ كانت خسارة الإمبراطورية في أراضيها، وممتلكاتها، ورجالها ضخمة جداً؛ حيث زال عنها ثراؤها، ولحق الدمار بمدنها، فأصبح هناك حالة من الانفلات، والفوضى، والضياع، واليأس لدى الشباب، وساعد على ذلك ظهور حركات فكرية ترفض الإيمان بوجود الإله والدين وتدعو إلى التحلل من القيود، والقيم الأخلاقية، خاصة تلك القيود التي تحكم العلاقة بين الجنسين، وانتشر الفقر، وعمت البطالة معظم أراضي الإمبراطورية.

في ظل هذه الظروف المضطربة، والقاسية قرر ليوبولد فايس الالتحاق بالجيش النمساوي، فجنّد بشكل رسمي بعد أربع سنوات من الحرب العالمية الأولى، فيقول: "... ولكنني، بعد سنوات أربع تقريباً، جنّدتُ فعلاً وشرعاً في الجيش النمساوي، إلا أنني كنت عندئذ قد انقطعت عن أن أحلم بالمجد العسكري، وكنت أبحث عن سبلٍ أخرى لتحقيق ذاتيتي، ومهما يكن فبعد بضعة أسابيع من انخراطي في سلك الجنديّة، اندلعت الثورة، وانهارت الإمبراطورية النمساوية، ووضعت الحرب أوزارها".^١

ثانياً - مساعداً لمنتج أفلام سينمائية:

ومع تزايد قلقه ونموّه، قرر ترك دراسته الجامعية، والبحث عن الحقيقة التي يطمئن إليها قلبه، فأتجه إلى مهنة الصحافة رغم اعتراض والده، وإصراره بضرورة إكمال دراسته الجامعية، إلّا أن ليوبولد فايس قرر أن يبدأ حياته بطريقة الخاصة، وكان واثقاً من قدرته على الكتابة، ومؤمناً بمواهبه الأدبية، فغادر فيينا في صيف ١٩٢٠م، وأخذ القطار إلى براغ، ومنها إلى برلين دون أن يخبر أحداً بنيته، وليس في حوزته سوى ثمنٍ لخاتم ألماس، كانت قد بعثته له والدته مع أحد خدمها قبل وفاتها.^٢

فبدأ البحث عن عمل في الصحف الكبرى، إلّا أن فرصة قبوله كصحفي كانت ضعيفة جداً بل شبه مستحيلة بالنسبة إلى صغر سنّه، وعدم حصوله على شهادة جامعية، وانعدام خبرته، واستنفذ بحثه عن عملٍ عدة أسابيع طويلة من المشي المضني في شوارع برلين، والمقابلات المتكررة مع رؤساء تحرير

^١ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٨٤.

^٢ المرجع سابق، ص ٨٨-٨٩.

الصحف الكبرى دون جدوى، إلى أن اعتاد على تحمل الجوع، وأدرك أنه لابد من وقوع معجزة خارقة ليتم فيها قبوله كاتباً صحفياً لم يكتب سطرًا واحدًا من قبل^١.

وفي أثناء محاولاته للبحث عن عملٍ قدّمه أحد أصدقائه إلى السيد (مورنو) مخرج سينمائي من أشهر مخرجي ألمانيا في ذلك الوقت، فعرض عليه أن يكون مساعدًا له، فوافق ليوبولد فايس فوراً، ودخل عالم السينما، وعمل مساعد مخرج، وكاتب سيناريوهات أفلام سينمائية^٢.

ثالثاً - محرراً صحفياً:

وبعد سنة من العمل في السينما، نجح ليوبولد فايس في الدخول إلى عالم الصحافة، ففي عام ١٩٢١م استطاع الحصول على فرصة عملٍ كعامل هاتفٍ في وكالة صحفية تُدعى (يونايته تلغراف)، وصحيح أنه عمل لا يمتُّ بصلة إلى مهنة الصحافة التي طالما حَلَمَ بها، فلم يكن لديه ما يعملهُ سوى نقل الأخبار المكتوبة أمامه في قصاصة الورق عبر الهاتف إلى كافة مقاطعات البلدة، إلا أنه كان يتقاضى مرتباً شهرياً ممتازاً^٣.

وبعد مضيِّ قرابة شهرٍ من استلامه هذه الوظيفة، ظفر بسبقي صحفي ترقى بعده إلى درجة محررٍ في وكالة (يونايته تلغراف)، حيث استطاع الحصول على حديثٍ خاصٍ مع زوجة الأديب الروسي الشهير (مكسيم جوركي)^٤، أثناء زيارة لها في برلين؛ لمدِّ يد المساعدة، وتحريك الرأي العام في قضية المجاعة التي حصلت في روسيا عام ١٩٢١م بعد الحرب العالمية الأولى، وبذكائه ولباقة حديثه صار عامل الهاتف محرراً صحفياً^٥.

^١ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٨٩-٩٠.

^٢ المرجع السابق، ص ٩١.

^٣ المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

^٤ مكسيم جوركي (١٨٦٨م - ١٩٣٦م) ولد عام ١٨٦٨م، وهو مؤلف روسي، وأديب من كبار المشاهير، له العديد من الكتب، ومنها: طفولتي، وكتان الأم، والشاردان، وفيها يصف الحياة الشعبية بكل مظاهرها، توفي عام ١٩٣٦م.

ينظر: موسوعة مشاهير وعظماء وشخصيات من العالم، عبد الرحمن مار ديني، ط ١، دمشق: دار المحبة، ٢٠٠٢م/٢٠٠٣م، ص ١٢٠-١٢١.

^٥ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٩٣-٩٧.

المطلب الثاني حياته العملية في العالم الإسلامي

أولاً - مراسلاً صحفياً:

استطاع ليوبولد فايس أن ينعم بقدر كبير من النجاح في عمله، وأصبح لديه العديد من الأصدقاء من كتاب، وفنانين، وصحفيين، وممثلين، وبفضل معرفته للعديد من اللغات فقد فتحت أمامه سبل عديدة للولوج إلى عالم أوسع من الصحافة، فاستمر بالعمل في وكالة (يونايته تلغراف) لمدة سنة حتى عام ١٩٢٢م^١، ثم انتقل بعدها إلى بلاد الشرق الأوسط، وكانت فلسطين هي أولى محطاته التي تعرّف من خلالها على الإسلام والعرب، ووقف على المشهد السياسي بنفسه، فكان شاهد عيان على ما يحدث، وتحركت رغبته بالكتابة الصحفية من جديد، فكتب مقالاً وصف فيه انطباعاته كما رآها على أرض الواقع في فلسطين، وأرسل نسخاً من المقال إلى ما لا يقل عن عشرة صحف ألمانية مصحوبة بعرض منه أن يكتب سلسلة من المقالات عن الشرق الأوسط، وقد صادف أن لقي مقاله استحساناً من واحدة من أشهر الصحف الألمانية، وهي صحيفة (فرانكفوتر زايوتوج)، التي عينته بأجر بسيط مراسلاً متجولاً لها في الشرق الأوسط أواخر عام ١٩٢٢م^٢.

ثم سافر إلى مصر لتوسيع مجال تغطيته الصحفية مع الصحيفة الألمانية آنفة الذكر، واستطاع الحصول على عمل كمترجم رسائل من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية في إحدى الشركات المصرية في القاهرة، ولمدة ثلاث ساعات يومياً مقابل أجر بسيط يكفي لدفع إيجار المنزل، والعيش على الخبز، واللبن، والزيتون^٣.

وانطلق بعدها إلى زيارة الأردن، ثم عاد إلى القدس في صيف ١٩٢٣م، وفي هذه المرة قرر أن يبحث عن عمل لتمويل باقي رحلته التي يخطط لها عبر الشرق الأوسط، فساعده صديقه (جاكوب دي هان)^٤ في الحصول على عقدين مع صحيفتين ناشئتين واحدة هولندية، والأخرى سويسرية لكتابة سلسلة من المقالات عن الأوضاع في الشرق الأوسط^٥.

^١ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ١٠٥-١٠٦.

^٢ المرجع السابق، ص ١٣٢-١٣٣.

^٣ المرجع السابق، ص ١٤٢-١٤٤.

^٤ جاكوب دي هان: صديق ليوبولد فايس، وكان يعيش في القدس، وهو هولندي الأصل، يهودي المعتقد، عمل مدرساً للقانون في إحدى جامعات هولندا، ثم عمل مراسلاً صحفياً لجريدة (أمستردام هاند ليلاد)، و(دايلي أكسبرس)، كان رجلاً متمسكاً بمبادئ دينية، ورافضاً للصهيونية، حتى اغتيل على يد الصهاينة في القدس.

ينظر: الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ١٣٤-١٣٥.

^٥ المرجع السابق، ص ١٧٥-١٧٧.

وبعد أن قضى ليوبولد فايس في بلاد الشرق الأوسط ثمانية عشر شهراً، عاد إلى أوروبا، وسافر إلى (فرانكفورت)^١ ليقدم نفسه شخصياً إلى الصحيفة التي كان يمثلها في الخارج على مدار عام، والتقى برئيس التحرير، ويُدعى (د. سيمون)، فرحب به، وامتدحه بأنه ذو أفكار ناضجة، وأن مقالاته كانت تلقى كلَّ الترحيب، والتقدير في الصحيفة رغم صغر سنِّه، الأمر الذي جعل من (د. سيمون) يشجعه على العودة إلى الشرق الأوسط بأسرع ما يمكن، وتزويد الصحيفة بالتقارير، والوثائق التي تعتمد على البحث، والتقصي^٢.

إنَّ عمله في هذه الصحيفة الكبرى، أسبغ على تفكيره الواعي قوةً، وخبرةً جديدةً، وصقل مواهبه، وقدراته، فلم تكن صحيفة (فرانكفورت زایتوتج) مجرد صحيفة تحتوي على مقالات إخبارية لعكس ما يحدث فقط، وإنما كانت مؤسسة علميةً بحثيةً استخدمت خمسةً وأربعين محرراً متخصصاً كلاً في مجاله، كما كانت مقالاتها ضرباً من الأدلة، والوثائق الخطية التي يمكن للسياسيين، والمؤرخين الرجوع إليها، فعزويته في صحيفة (فرانكفورت زایتوتج) كان أمراً مبهجاً، ومرضياً إلى حدِّ كبير، لاسيما وأنَّ آراؤه عن الشرق الأوسط لاقت اهتماماً جدياً من المحررين، ثمَّ جاءه النصر المبين عندما طُلبَ منه أن يكتب افتتاحيةً عن مشكلة نشأت في الشرق الأوسط حينذاك^٣.

وفي ربيع سنة ١٩٢٤م عاد ليوبولد فايس إلى الشرق الأوسط، في رحلته الثانية، كمراسلٍ من قبل صحيفة (فرانكفورت زایتوتج)، وتمكن هذه المرة من زيارة عدد أكبر من بلدان الشرق الأوسط، فزار بلاد الشام، والعراق^٤، وإيران^٥، وأفغانستان^٦، وسمرقند^٧،

^١ فرانكفورت: مدينة ألمانية تعد مركزاً للمواصلات، تقع على ضفاف نهر المين، تحتوي على الميناء الثالث في الترتيب على مستوى ألمانيا، وتعد المدينة مركزاً دولياً، وتجارياً، ومالياً، كم أنها مركزاً مهماً لحياة ألمانيا الفكرية، والثقافية
ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٤، ص ٢٧٧-٢٧٨.

^٢ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ١٧٥-١٧٧.

^٣ المرجع السابق، ص ١٧٦-١٧٨.

^٤ العراق: الجمهورية العراقية، عاصمتها بغداد، اللغة الرسمية هي العربية، والديانة الإسلام، وهي عضو في الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة الدول المصدرة للبترو (الأوبك).

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٨٧-٩٠.

^٥ إيران: جمهورية إيران الإسلامية، عاصمتها طهران، والديانة فيها الإسلام، ولغتها الرسمية اللغة الفارسية، وهي عضو في منظمة الأمم المتحدة، ومنظمة الأوبك.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ١٦٧-١٧٠.

^٦ أفغانستان: دولة أفغانستان الإسلامية، عاصمتها كابول، الديانة فيها الإسلام، اللغة الرسمية البشتو والأفغانية، وهي عضو في الأمم المتحدة.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٣٢-٣٣.

^٧ سمرقند: من أهم المدن في جمهورية أوزبكستان، وهي مدينة قديمة يذكر أنها بنيت على يد الأسكندر الأكبر، وقد دخلها الإسلام على يد القائد المسلم قتيبة بن مسلم سنة ٧٧هـ، ويوجد فيها العديد من الآثار الإسلامية، وتعتبر اليوم من المدن الهامة في السياحة، والصناعة، والتجارة.

ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ٢٨٦-٢٨٧.

وتركستان^١، وبخارى^٢، وطشقند^٣، وتركمانستان^٤، بالإضافة إلى روسيا، وبولندا، حيث عاد ثانية إلى موطنه الأصلي^٥، ومنها إلى فرانكفورت ليجد اسمه قد انتشر، وأصبح واحداً من أبرز مراسلي صحف أوروبا في الخارج، وأن مقالاته كانت تلفتُ نظر مشاهير المستشرقين^٦.

كما تلقى دعوةً لإلقاء محاضرات في أكاديمية الجغرافيا السياسية في برلين رغم صغر سنّه، فلم يكن يتجاوز السادسة والعشرين بعد، كما أُعيدَ نشرُ مقالاته في صحفٍ أوروبية عديدة بالاتفاق مع صحيفة (فرانكفورت زايوتوج)، بل إن بعض مقالاته نُشرت ثلاثين مرةً في أكثر من مطبوعة^٧.

وفي منتصف عام ١٩٢٦م ازداد اهتمامه بالإسلام كثيراً، حتى تجاوز مرحلة التفكير بدين، وثقافة غربيتين إلى مرحلة البحث عن الحقيقة، وأصبح من الصعب عليه أن يركز في الكتابة، فتقاعس عن إنجاز الكتاب الذي كان من المفترض أن يقدمه إلى صحيفة (فرانكفورت زايوتوج)، ما أدّى إلى وقوع شجارٍ بينه وبين (د. سيمون) محرر الصحيفة، انتهى باستقالته من الصحيفة، والعودة إلى برلين^٨.

وفي برلين استطاع أن يجدد علاقته بالصحافة سريعاً؛ نسبةً إلى الشهرة التي وصل إليها اسمه في أوروبا، فتوصل إلى اتفاق سريع مع ثلاث صحف، وهي صحيفة (نيوز يوريج ذنتونج)، التي تصدر من زيوريخ^٩، وصحيفة (تيلجرام) التي تصدر من أمستردام^{١٠}، وصحيفة (كولون ذيتونج) التي تصدر من

^١ تركستان: منطقة جغرافية واسعة تقع في آسيا، وهي منطقة ليس لها حدود واضحة؛ إذ تمتد من سيبيريا شمالاً إلى إيران، وباكستان، والهند، والتبت جنوباً، وتقع الصحراء المنغولية إلى الشرق منها، بينما يمر قزوين إلى الغرب، ويشير لفظ تركستان إلى القبائل الناطقة باللغة التركية التي ظلت تعيش في هذه المنطقة. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٦، ص ٢٢٨-٢٢٩.

^٢ بخارى: مدينة عريقة ذات تاريخ حافل بالأجداد، تقع في وسط آسيا بجمهورية أوزبكستان، وهي تقع على نهر زرافاشان، وينحدر سكانها من الأصل التركي، والأصل الفارسي، كانت مركزاً للعلم والقيم في العصر الإسلامي، ومن أبرز علمائها الإمام البخاري، وابن سينا الطبيب المعروف. ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ١٠٣-١٠٤.

^٣ طشقند: عاصمة جمهورية أوزبكستان، تشتهر بالتجارة، والصناعة خاصة صناعة الحرير، والجلود، ومنتجات البروسالين، يوجد بها العديد من الآثار الإسلامية بالإضافة إلى وجود معهد للدراسات الشرقية، والإسلامية فيه العديد من المخطوطات الإسلامية النادرة. ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ٣٣٠.

^٤ تركمانستان: من الجمهوريات السوفيتية السابقة، نالت استقلالها في ديسمبر ١٩٩١م، تقع بين بحر قزوين في الغرب، أوزبكستان في الشرق، في حين يحدها من الشمال كزخستان، ومن الجنوب أفغانستان وإيران، وعاصمتها أشخباد، ويمثل المسلمون نسبة ٨٧% من سكانها. ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٢١١-٢١٢.

^٥ صفحات وثائقية من تاريخ الإعلام في الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ١٨٩-١٩٠.

^٦ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٣١٧.

^٧ المرجع السابق، ص ٣٢٤-٣٢٥.

^٨ زيوريخ: أكبر مدن سويسرا، وعاصمة مقاطعة زيوريخ، وتعد مركزاً صناعياً، وتجارياً كبيراً فيها، تقع على الطرف الشمالي من بحيرة زيوريخ بمحاذاة نهر ليمان. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ١١، ص ٧٠٨.

^٩ أمستردام: عاصمة هولندا، وأكبر مدنها، وهي تقع عند ملتقى نهر أمستل، والإيج، ويعني اسمها سد أمستل، ولقد تأسست مدينة أمستردام حوالي القرن الثالث عشر الميلادي كقرية لصيد الأسماك.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٣، ص ٨٣-٨٤.

كولونيا^١، كما أنه استعدّ لمواصلة سلسلة محاضراته التي كان يلقيها في أكاديمية الجغرافيا السياسية ببرلين^٢.

وفي أواخر عام ١٩٢٦م، اعتنق ليوبولد فايس الإسلام، وسُميَّ بمحمد أسد، وسافر إلى الجزيرة العربية لأداء فريضة الحجّ، وقد أحبَّ الجزيرة العربية، وأهلها، واعتبرها موطنه، ومكثَّ بها ستَّ سنواتٍ من عام ١٩٢٧م إلى عام ١٩٣٣م، تعرّف خلالها على الملك عبد العزيز - رحمه الله - ، وبأدله الودّ، وظلَّ من أخلص خالصائه زماناً، واتصلت مودته بأولاده من بعده^٣.

وعن ذلك الودّ يخبرنا البخلاخي^٤ بأنّه زار محمد أسد - رحمه الله - في منزله بالجبل في صيف ١٩٨٣م، ووجد على طاولة مكتبه صورة الملك الراحل عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - وكانت مهداةً إلى محمد أسد - رحمه الله - بخطّ يد الملك - رحمه الله - ، وحينما أمعن البخلاخي النظر في الصورة أخذها محمد أسد - رحمه الله - بيده، وقال: "لقد كان هذا الملك في حياته إنساناً عظيماً، وقد شاءت الأقدار الإلهية أن تربطني معه صداقةً قويةً خلال وجودي بالسعودية أعتزُّ بها الآن بعد رحيله"^٥.

وهو ما يؤكده الرفاعي^٦ إذ يقول: "... كان (أسد) يعتزُّ بصداقته للملك عبد العزيز، تلك الصداقة الفوتوغرافية التي حصلت عليها (كاميرته) عن الملك عبد العزيز، وقد ذكر أن استعمال الكاميرا أيامها كان شيئاً عزيزاً، فكيف إذا استطاعت الكاميرا أن تدلف إلى مجالس الملك الفذّ"^٧.

^١ كولونيا: مدينة ألمانية تمتد على طول نهر الراين، وهي أكبر مدينة في ولاية شمال الراين - ويستفاليا، كما تعد المركز الصناعي، والتجاري، والثقافي الرئيسي للإقليم الكبير المسمى الراينلاند.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٢٠، ص ٢٧٢.

^٢ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٣٢٥.

^٣ ينظر: تمة الأعلام، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٢٤.

-موسوعة الملك عبد العزيز الدبلوماسية، فهد عبد الله السماري وآخرون، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٦٠٩.

^٤ ينظر: ملحق رقم (٤).

^٥ محمد علال البخلاخي البقوي (ابن الريف)، مفكر وباحث من طنجة، له مجموعة من البحوث، والدراسات، وعمل على تحقيق بعض المخطوطات، من مؤلفاته: خطر المبشرين في المغرب ١٩٨٠م، الجبل الضائع (المهيز) فلسفته وخطره عام ١٩٧٢م، ومن مخطوطاته: مأساة انهيار الخلافة العثمانية الإسلامية على يد الماسونية الصهيونية، خلاصة تاريخ طنجة من العهد الروماني إلى عهد الحسن الثاني.

ينظر: رحلات واستكشافات (رحلة محمد أسد المستشرق النمساوي)، محمد علال البخلاخي، دار المنهل، العدد ٤٧٥، سنة ٥٦، المجلد ٥١، الربيعان

١٤١٠هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٩٨٩م، ص ١٩٢.

^٦ رحلات واستكشافات (رحلة محمد أسد المستشرق النمساوي)، مرجع سابق، ص ١٩١.

^٧ عبد العزيز الرفاعي: هو علم من أعلام الأدب السعودي في المملكة العربية السعودية، ورائد من رواد الثقافة، ولد عام ١٣٤٣هـ بمكة المكرمة، ونشأ بها، وتعلم في مدارسها، والتحق بالمعهد العلمي السعودي، وتخرّج منه، وعمل موظفاً بعدة جهات منها الديوان الملكي حيث كان مستشاراً به في عهد الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله -، شارك في العديد من المؤتمرات الأدبية العربية والدولية ممثلاً للمملكة العربية السعودية، وله العديد من المؤلفات، منها: (زيد الخير)، (الحج في الأدب العربي)، و(جبل طارق والعرب)، توفي - رحمه الله - عام ١٤١٤هـ.

ينظر: تمة الأعلام للزركلي، مرجع سابق، المجلد ١، ص ٢٩٥-٢٩٨.

^٨ أيام حزينه (١) النمساوي المسلم محمد أسد، عبد العزيز الرفاعي، المجلة العربية، العدد ١٨٦، السنة ١٧، رجب ١٤١٣هـ/ ديسمبر ١٩٩٢م - يناير ١٩٩٣م، ص

ثانياً - مستشاراً لدى الملك عبد العزيز رحمه الله:

تشير المصادر إشارات تفيد بأن محمد أسد - رحمه الله - كان مستشاراً للملك عبد العزيز - رحمه الله - في العديد من القضايا السياسية، وبسبب علاقاته، واتصالاته مع وسائل الإعلام الأوروبية، فقد كان له دورٌ هامٌ كوسيطٍ للملك عبد العزيز، ولمصالح البلاد، ويدلُّ على ذلك مقالات محمد أسد - رحمه الله - التي شرح فيها موقف المملكة في نزاعها مع جيرانها، مثل: (خلافات في الصحراء)، و(دراما عربية)، و(الطائرات البريطانية تقصف نجد)، ومقالاته حول تمرد (الإخوان)، فالمعلومات التي احتوتها كانت فريدة، وتدللُّ على أنه كان قريباً جداً من مكان الأحداث، واستقاء المعلومات، واتخاذ القرار.^٢

وربما تولى محمد أسد رئاسة الإعلام في ديوان الملك عبد العزيز - رحمه الله -، وهذا ما ذكره والده المكتب تسجيل المواطنين في فيينا عام ١٩٣٣م^٣، كما ظهر ذلك في تكليف الملك عبد العزيز لمحمد أسد - رحمه الله - بمهام ذات طابع إعلامي.

ومن هذه المهام أنه في عام ١٩٢٩م كلفه - رحمه الله - بمهمة سرية، وخطيرة، الغرض منها أن يقف بنفسه على حقيقة مؤامرة (فيصل الدويش)^٤، ومن الذي يدعمها بالمال، والسلاح، ليخبر العالم عبر مقالاته عن تلك المؤامرات التي كانت تُحاك ضدَّ الملك عبد العزيز - رحمه الله -^٥.

^١ محمد أسد ليبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١٣.

^٢ المرجع السابق، ص ٥٩.

^٣ المرجع السابق، ص ٦٠.

^٤ فيصل الدويش (١٢٩٩هـ / ١٣٤٩هـ): فيصل بن سلطان بن فيصل بن نايف الدويش، آخر شيوخ قبيلة (مُطير)، ومن كبار أصحاب الثورات في نجد، كان بلوياً قحاً، وفيه شراسة، ودهاء، واعتزاز بعدده الضخم، صحب الملك عبد العزيز في صباه، إلا أنه خالفه سنة ١٣٣٠هـ، وقام بالعديد من المعارك لصالح الملك عبد العزيز، إلا أنه انقلب عليه وتقاتلا في منطقة (السبلة) عام ١٩٢٩م، ولم يقتله الملك عبد العزيز بعد أن أحجز عليه، قام بعدها بالعديد من المعارك ضد كل من يخالفه مقاتلة الملك عبد العزيز، حتى فر إلى الكويت تحت رعاية البريطانيين، إلا أنه وبعد المفاوضات تم تسليمه إلى الملك عبد العزيز الذي أرسله إلى سجن في الأحساء عام ١٩٣٠م، وتوفي بعد سبعة أشهر من سجنه.

ينظر: الأعلام، مرجع سابق، ج ١٥، ص ١٦٦.

^٥ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٢٦٩.

المطلب الثالث

حياته العملية في القارة الهندية

في عام ١٩٣٣م غادر محمد أسد - رحمه الله - الجزيرة العربية متوجهاً إلى شبه القارة الهندية، بعد أن تشبع ذهنه بفكر العقيدة، وبدأ ينصرف تدريجياً نحو الاهتمام بالدراسات الإسلامية^١.

والتقى في الهند بالشاعر، والفيلسوف المسلم (محمد إقبال)^٢، وإليه يرجع الفضل في إقناع محمد أسد - رحمه الله - بالبقاء في الهند، والعدول عن فكرة السفر إلى تركستان، والصين^٣، واندونيسيا؛ لبلورة التصور الفكري لإقامة دولة إسلامية مستقلة تحمل اسم باكستان^٤، يقول محمد أسد - رحمه الله -: "لقد كان هذا الحلم بالنسبة إليّ، كما كان بالنسبة إلى إقبال، يمثل طريقة، بل قل الطريقة الوحيدة، لإنعاش جميع الآمال الإسلامية الهاجعة، وخلق وحدة سياسية واحدة^٥."

ظل محمد أسد - رحمه الله - أعواماً طويلة يعمل على تحقيق هذا الهدف النبيل دارساً، وباحثاً، وكتاباً، ومحاضراً، ومع مضي الأيام أصبح متخصصاً في الفكر الإسلامي، والثقافة الإسلامية، وبعد قيام دولة باكستان الإسلامية عام ١٩٤٧م، كلفته حكومة باكستان بإنشاء إدارة خاصة تسعى لإحياء النهضة الإسلامية على أن يتولى إدارتها، وبعد عامين من إنجاز تلك المهمة انتقل - رحمه الله - للعمل بوزارة الخارجية الباكستانية، فعيّن رئيساً لإدارة علاقات قسم الشرق الأوسط، وركز جهوده على تأسيس علاقات، وروابط قوية بين باكستان ودول العالم الإسلامي، ثم عُين بعد ذلك مندوباً لباكستان لدى الأمم المتحدة في نيويورك^٦.

وفي نهاية عام ١٩٥٢م استقال - رحمه الله - من عمله في وزارة الخارجية الباكستانية؛ رغبةً منه في التفرغ للبحث، والتأليف، فقد قرر - رحمه الله - أن يقدم تجاربه الخاصة، وقصة حياته؛ لعلّه يكون

^١ صفحات وثائقية من تاريخ الإعلام في الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ١٩٢.

^٢ إقبال ابن الشيخ نور محمد (١٨٧٧م - ١٩٣٨م) ولد في سيالكوت في البنجاب سنة ١٨٧٧م، وحصل على إجازة في الأدب من جامعة بنجاب، ثم درس الفلسفة على يد الأستاذ توماس أرنولد، وحصل على شهادة الدكتوراة في الفلسفة من ألمانيا في ميونخ، زار العديد من بلدان العالم الغربي والعربي، وكان في كل أسفاره يعمل على نشر الإسلام، وأثر بشعره وأسلوبه في كثير من الأوروبيين، وفي عام ١٩٠٩م عين أستاذاً في الفلسفة في كلية لاهور وكان محامياً في نفس الوقت، اجتمع عليه المرض في السنوات الأخيرة من عمره، توفي عام ١٩٣٨م مخلفاً لنا ثروة علمية ضخمة في الفكر والفلسفة. ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ص ٦٥-٦٦.

^٣ الصين: جمهورية الصين الشعبية، عاصمتها بكين، اللغة الرسمية فيها اللغة الصينية، والمندرين، الديانة الإلحاد رسمياً، والبوذية التاوية، مسلمون، ومسيحيون، وهي عضو في الأمم المتحدة.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٨١-٨٥.

^٤ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ١٦.

^٥ المرجع السابق، نفسه.

^٦ المرجع السابق، ص ١٦-١٧.

أكثر نفعاً من عمله في وزارة الخارجية الباكستانية لدى الأمم المتحدة، ويذكر ذلك فيقول: "بدأت أفكر بصورة جدية في كتابة قصة حياتي، فأسهم ... في رفع النقاب الضيق الذي يفصل ما بين الإسلام وثقافته، وبين العقل الغربي، ... لقد كان طريقي إلى الإسلام غريباً، فلم أصبح مسلماً لأني عشت زمناً طويلاً بين المسلمين، بل العكس، ذلك أتى قررت أن أعيش بينهم لأتني اعتنقت الإسلام، أوليس باستطاعتي عن طريق نقلي لخبراتي الشخصية إلى القراء الغربيين، أن أساعد في إقامة تفاهم مشترك بين العالمين الإسلامي والغربي؟ ... ومهما يكن فإن أي رجل لبيب يمكن أن يكون مندوباً لباكستان في الأمم المتحدة، ولكن كم من الرجال يمكن أن يتحدثوا إلى الغربيين عن الإسلام كما أتحدث أنا؟ لقد كنت مسلماً، ولكني غربي المنشأ، وهكذا أستطيع أن أتكلم الثقافتين الإسلامية والغربية".¹

وهكذا ترك محمد أسد - رحمه الله - عمله في الباكستان، ليواصل طوافه حول العالم، ويكمل سلسلة أبحاثه، ومؤلفاته الثقافية، ومقالاته الفكرية، التي مثلت جسراً ربط بين العالم الإسلامي، والعالم الغربي، عبر وسائل الإعلام المختلفة.

في ضوء ما سبق يتضح لنا أن محمد أسد - رحمه الله - تقلد العديد من الوظائف منها ما هو قبل إسلامه، كالتحاقه بسلك الجندية في الجيش النمساوي، ثم مساعداً لمنتج أفلام سينمائية، وكتاباً لسيناريوهات الأفلام، وأخيراً محرراً صحفياً لأحد أكبر الصحف الأوروبية في ألمانيا (فرانكفوتر زايتوتج)، ومنها أصبح مراسلاً صحفياً متجولاً في الشرق الأوسط للصحيفة ذاتها.

أما بعد إسلامه - رحمه الله - فقد أصبح مستشاراً للملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - في ديوانه، ورئيساً لدائرة الإعلام في الجزيرة العربية، ثم اتجه - رحمه الله - للسلك الدبلوماسي، فتقلد العديد من الوظائف الدبلوماسية في حكومة الباكستان، كان آخرها مندوباً مفوضاً من وزارة الخارجية في الباكستان لدى الأمم المتحدة.

¹ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٢٤-٢٥.

المبحث الخامس
حياته الدينية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقفه من اليهودية

المطلب الثاني: موقفه من المسيحية

المطلب الثالث: اعتناقه للإسلام

المطلبُ الأولُ

موقفه من اليهودية

بدأت هذه المرحلة منذ سنوات الطفولة التي قضاها ليوبولد فايس في أسرته المتعصبة المتمسكة بتراتها اليهودي، والتي فرضت عليه بحسب تقاليدها أن يخضع لدراسة العلوم الدينية اليهودية، والكتاب المقدس، إلى جانب ضرورة إتقانه للتاريخ اليهودي، واللغة العبرية، والآرامية.

وبسبب تلك التقاليد الدينية الحاخامية، نمت لديه شعورٌ بالنفور من الدين اليهودي، وعدم الاقتناع به، وهو لم يتجاوز عامه الثالث عشر، وتمثلت أولى أشكال ذلك النفور في حكمة على تدين والديه، إذ يقول: "... ذلك أنهما كانا ينتميان إلى جيلٍ يؤدي الشعائر الدينية باللسان والشفة، وعلى الرغم من أن تلك الشعائر قد شكلت حياة أسلافهم الأوائل، إلّا أنهم لم يبذلوا أيّ جهدٍ لتوافق حياتهم اليومية تعاليم الدين، أو حتى الالتزام الأخلاقي الذي تُمليه عليهم تلك التعاليم، ففي مثل ذلك المجتمع تراجعت مفاهيم العقيدة الدينية، وتقلّصت إلى موقفٍ من اثنين: ممارسة شعائر جامعة من قبل المتمسكين عن طريق العادات والإرث الديني، أو لا مبالاة ساحرة من قبل الأكثر (تحرراً) الذين يرون الدين خرافةً عفى عليها الزمن، والتي يتقبلونها في بعض المناسبات على أنها مظاهرٌ لا بدّ منها إلّا أنهم يسخرون منها سراً، ... كان والداي ينتميان إلى الصنف الأول، إلّا أن الشك اعتراني أن أبي كان يميل إلى الصنف الثاني".^١ هكذا كان حكمه على تدين والديه بأنه مجرد عادة وإرث ديني خالي من الروحانية، وطمأنينة القلب.

ورغم أنه أظهر نبوغاً، وتفوقاً في دراسته الدينية، إلّا أن هذه الدراسة المبكرة، والمعقدة للعقيدة اليهودية، ساعدت على نموّ مشاعر سلبية لديه ظهرت في رفضه العقليّ لكثيرٍ من جوانب دينه الموروث، فيذكر لنا معللاً أسباب نفوره من عقيدة آباءه، وأجداده: "ما رفضه عقلي هو ما بدا لي أن الربّ في النصوص التوراتية والتلمودية يهتمّ اهتماماً غير مفهومٍ ولا مسوّغٍ له بالشعائر التي لا بدّ على عباده أدائها، كما وجدت أن الربّ مشغولٌ فوق العادة بمصير أمة معينة دون غيرها، وهم اليهود بالطبع، ومالت نصوص التوراة التي تؤرّخ لنسل إبراهيم إلى إبراز الربّ لا كخالقٍ وحافظٍ لكلّ خلقه من البشر، بل كربّ قبليّ يُسخّرُ كلّ المخلوقات لخدمة ما يحتاج إليه (الشعب المختار)، ويكافئهم بتوفيقهم في غزواتهم إن كانوا مخلصين له، كما يعرضهم للتعذيب على أيدي الكافرين به عندما يتعدون عن طريق الإخلاص له كما وصفه لهم".^٢

^١ الطريق إلى مكة، محمد أسد، ترجمة رفعت السيد، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٥هـ، ص ١٠٤-١٠٥.

^٢ المرجع السابق، ص ١٠٥.

وعلى الرغم من ذلك كله، فإنَّ تعمقه، وفهمه للتراث اليهوديَّ ساعده فيما بعد على التأكد من فساد إدعاءات اليهود، والصهاينة بالحقوق التاريخية في أرض فلسطين، واغتصابهم لها، إلى جانب تمكنه من الردِّ على إدعاءات المدعين المستشرقين اليهود، وغيرهم من الغربيين الذين زعموا أنَّ الرسول ﷺ نقل عن اليهودية^١.

ومن الواضح أنَّ البنية الأسرية، والمناخ الثقافي والاجتماعيَّ العام كان لهما تأثيرٌ في إبعاده عن دينه، لهذا خاب أمله في العقيدة اليهودية، فلم يهتمَّ بالبحث عن معتقداتٍ روحيةٍ أخرى، بل رفض الواقع الدينيَّ كله بجميع مؤسساته، ولما كانت عقيدته لم تشكل له سوى سلسلةٍ من النواهي والأوامر، فإنه لم يشعر بفارقٍ، أو بأسٍ من انحرافه بعيداً عنها، فلم تكن بالنسبة له سوى قواعد صارمة مقيدة للحرية، وكان شأنه شأن أبناء جيله الذين تطلَّعوا إلى الإثارة، والمغامرة عوضاً عن الخواء الروحيَّ الذي سببته لهم معتقداتهم الدينية الباطلة^٢.

هذا الموقف الواضح منه تجاه عقيدته كان خطوةً متقدمةً في صدِّ التحديات الفكرية، والعقبات الروحية التي لا بدَّ أن تواجهه أثناء بحثه عن الحقيقة، وهي طريقه إلى الإسلام، وإنَّ لم يكن يرى معالم ذلك الطريق بعد.

^١ محمد أسد ودوره في الفكر الإسلامي المعاصر، د. بنجاح محمود الغنيمي، ط١، القاهرة: دار المنار، ١٩٨٧م، ص ٢٠-٢١.

^٢ الطريق إلى مكة، ترجمة البعلبكي، مرجع سابق، ص ٨٣-٨٤.

المطلب الثاني

موقفه من المسيحية

بدأت هذه المرحلة من حياة ليوبولد فايس الدينية في شبابه، فلمّا نفر من الخرافات التي وجدها في ميراثه اليهودي، ومن العجز عن الجواب عن الأسئلة الوجودية الكبرى، وأصابه الإحباط، وخيبة الأمل في عقيدته، اتجه بتفكيره، وعقله إلى الديانة النصرانية، لعلّه يجد فيها الجواب الشافي المقنع لعقله الحائر، وقلبه المتعطش للحقيقة.

ويعلق ليوبولد فايس على هذه المرحلة من حياته قائلاً: "في السنوات السابقة، عندما أصبحت قانطاً من دين آبائي وأجدادي فكرت في المسيحية بعض الشيء، لقد كان مفهوم المسيحية عن الله، في نظري، أسمى وأفضل إلى حدّ لا نهاية له من مفهوم العهد القديم، وذلك لأنّه لم يقصر اهتمام الله ومحبته على أية جماعة من الناس، بل افترض أبوته للإنسانية جمعاء، بيد أنّه كان هناك عنصرٌ واحدٌ في النظرة الدينية المسيحية كان ينقص من عالميته: تمييزه وتفريقه بين الروح والجسد، وبين عالم المعتقد، وبين عالم الشؤون العلمية".¹

وللمرة الثانية يخيب أمله بكتاب مقدسٍ آخر، حيث لم يستطع الإنجيل أن يقدم له إجابات شافية لما حير عقله، وأقلق نفسه، فتعارض الروح والجسد، واصطدام الحياة الدنيا بالآخرة، هو ما أبعدته عن الديانة النصرانية فانتهى إلى الشكّ فيها.

ويتجلى موقف ليوبولد فايس من الديانة النصرانية بوضوح أكثر من خلال حوارٍ دار بينه وبين قسيسٍ يدعى (الأب فليكس) التقى به على متن سفينةٍ أثناء رحلته الأولى إلى مدينة القدس عام ١٩٢٢م، وكان القسيسُ معلماً للتاريخ في أحد كليات الإسكندرية^٢، وكان عائداً إليها بعد انتهاء إجازته، ولقد أتاحت لهما الرحلة أن يتحدثا باستفاضة عن موضوعاتٍ شتى تتعلق بالمصير الإنساني، ومعنى الحياة، وكذلك علاقة الجسد بالروح، فوضح (الأب فليكس) في حديثه عن النصرانية بأنّها تسمو بالروح فوق الجسد، وأنّ الغرائز الإنسانية، ومتطلبات الجسد ما هي إلا بقايا حيوانية في النفس البشرية، أما الروح فهي الجانب الإلهي المقدس في النفس البشرية، فالنفس تسعى إلى النور المتمثل في الروح، وهو روح القدس، ولكن بسبب الخطيئة الأولى فإنّ طريق الروح إلى النور مملوء بالعثرات المادية، وهي البدن،

¹ الطريق إلى مكة، ترجمة البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٧٨-١٧٩.

² الإسكندرية: هي الميناء البحري، والتاريخي لمصر، أسسها الإسكندر الأكبر عام ٣٢٢ ق.م، يوجد بها أشهر مكتبة في العالم، وهي مدينة تجارية، ولا يزال بها بعض الآثار الرومانية، شهدت المدينة العديد من الحروب فقد احتلها نابليون عام ١٧٩٨، ثم احتلها البريطانيون عام ١٨٠١م، ودخلت الإسلام بعد فتح مصر.

ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ٤٧.

واحتياجاته، وغرائزه، ثم ختم حديثه بأن هدف التعاليم النصرانية هو تحرير البشر من متطلبات الجسد، وشهواته الفانية، والعودة بهم إلى ميراثهم الروحي الذي أخذوه من الرب^١.

لم يوافق ليوبولد فايس على هذا العرض الذي عرضه من تصور النصرانية لعلاقة الروح والجسد، وأبدى معارضته الشديدة لتلك الأفكار والمبادئ، وذكر أنه من الخطأ تماماً الفصل بين الجسد والروح؛ فالإنسان عبارة عن جسد وروح معاً، ولكل منهما طرقاً للتغذية لا بد منها حتى يعيش الإنسان بسلام، وفي تكامل مع ذاته، ثم أردف القول بأن العلاقة بين الجسد والروح هي مشكلة فكرية عنده، وعند كثير من أبناء جيله، وأنه يبحث عن منهج للحياة يوازن بين الجسد والروح، ودون أن يكون بينهما صراع مستمر، وإن كان لا يعرف ملامح ذلك المنهج بوضوح حتى لحظة حديثهما^٢.

وبعد هذا الحوار استطاع ليوبولد فايس أن يصل إلى نتيجة منطقية عقلية طبيعية، وهي استحالة تعارض الروح والجسد، فكان هذا الجانب غير الواقعي في الديانة النصرانية هو ما جعله يغلق الباب عليها، ويقنع بأنها عقيدة لا يمكنها تحقيق ذاتية الإنسان، وتكامله بتلك المبادئ التي تخالف الطبيعة البشرية، الأمر الذي ساعده فيما بعد، ومهد له طريقه حتى وصل إلى ضالته المنشودة في الإسلام.

ومن الجدير بالذكر أن ليوبولد فايس، وكما هو معروف كان أوروبياً النشأة، فهو ابن الحضارة الغربية، حيث عاش في بيئتها الأصلية، متنقلاً بين مختلف مناطقها، وعواصمها، الأمر الذي جعله ينتقد تلك الحضارة نقداً لاذعاً، لاسيما في جذورها، وفيما استندت عليه من قواعد وأصول، فقد كان يرى أن الحضارة الغربية تدعي الإيمان بالنصرانية، وفي الوقت نفسه تخلع نفسها من أية عقيدة أو دين، فالدين فيها مجرد طقوس خرافية مضى عليها الزمن، والقيم والأخلاق لا قيمة لهما في تلك الحضارة، يقول: "بسبب من افتراق المسيحية الباكر عن جميع التراعات والميول التي تهدف على توكيد الحياة والمساعي الدنيوية، فقد شعرت أنها كانت قد انقطعت منذ زمن طويل عن أن تقدم قوة أدبية أخلاقية دافقة إلى الحضارة الغربية ... لم يكن من شأن الدين أن يتدخل في الحياة العملية ... لقد فشل الدين الذي اعتنقه الغرب ... وفيما كان في رأيي، يبدو أنه رسالة المسيح الحقيقية ... لقد رأيت ترك الغرب التدريجي للمسيحية وانصرافه عنها، ثورة ضد ازدياد الحياة التي بشر بها بولس^٣، ... فكيف يدعي المجتمع الغربي

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٠٨-١١٠.

^٢ المرجع السابق، ص ١١٠-١١١.

^٣ بولس (١٥٥ / ٦٧م): لقب برسول الأمم (أي الوثنيين) ولد في طرطوس ما بين العامين ١٥م توفي في روما عام ٦٧م اسمه العبري شاول. تتلمذ على الربان غملايل في اورشليم وهو في الثانية عشر من عمره وأصبح من الفريسيين الورعين ويبدو أنه لم يعرف المسيح وأنه كان أحد الذين حكموا بالموت على القديس اسطفان، أخذ بولس يضطهد المسيحيين وحصل من السنهدرين على السماح له بالبحث عن هؤلاء في كل أرجاء سورية وكان في طريقه إلى دمشق لهذه الغاية حين حذلته قوة خارقة وهو على أبواب المدينة وسمع صوت المسيح يقول .. شاول لما تضطهدني؟" تعمد على يد حناينا وبدأ يبشر بقيامة المسيح وبدل اسمه إلى بولس وأصبح رسول الأمم.

ينظر: معجم الحضارات السامية، هنري. س. عبودي، ط٢، لبنان: حروس برس، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٢٤٥.

أنه مجتمعٌ مسيحيٌّ؟ وكيف يستطيع من دون إيمانٍ أن يتغلب على فوضاه الأدبية والأخلاقية الحاضرة، عالمٌ يعتره الجيشان والاضطراب، ذلك كان عالمنا الغربيُّ، سفك دماء، وتدميراً وعنفاً ... تهافتاً في التقاليد الاجتماعية وتصادماً بين المذاهب الفكرية وصراعاً مريراً في كلِّ مكانٍ...^١.

تلك الرؤية كانت أحد أهمِّ الأسباب التي جعلتْ ليوبولد فايس يحكم على الدين النصرانيُّ بأنه دينٌ فاشلٌ، ومن ثمَّ يُسدلُّ الستار عليه، ويُغلقُ أبواب التفكير فيه نهائياً.

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٧٩-١٨٠.

المطلب الثالث

اعتناقه للإسلام

تعدُّ هذه المرحلة من حياة ليوبولد فايس الدينية أهمَّ المراحل على الإطلاق؛ فهي تحكي رحلته من الكفر إلى الإيمان، وطريقه في البحث عن الذات، "ومعرفة الحقيقة التي طالما بحث عنها في ثنايا التوراة وأسفار اليهود والنصارى، ثمَّ ابتغائها في مقاهي فيينا، وصالوناتنا، وغازل في سبيلها أعمال فرويد وكتاباتِه في التحليل النفسي، وأخيراً وجدها في رحلته إلى دول العالم الإسلامي"^١.

ولقد جاءت هذه المرحلة بكلِّ تفاصيلها، ووقائعها موثقةً في كتابه (الطريقُ إلى مكة) الذي يُعتبر ترجمةً ذاتيةً لسيرة حياته حتى سنة تأليفه عام ١٩٥٢م؛ لهذا عمد الكثير من الكتاب، والمفكرين إلى إعادة ترتيب وجمع، أو تهذيب ما كُتِبَ عن هذه المرحلة^٢.

كما تميزت هذه المرحلة من حياة ليوبولد فايس بمعايشته للإسلام وأهله، وعقده المقارنات بين الثقافة الغربية التي نشأ عليها، وبين الثقافة الإسلامية التي بدأ التعرف عليها لأول مرةٍ عندما وطأت قدماه أرض بلادها، ولقد حملت هذه المرحلة الكثير من مغامراته، وتجاربه، ومواقفه، ومشاهداته، وانطباعاته، وأفكاره، فكان يذكر الرؤى، والتصورات، وما يحمله قلبه من مشاعر وجدانية تجاه كلِّ ما يمرُّ به في بلاد المسلمين من عقائد، وعبادات، وعادات، ونظامٍ للحياة تميزت به دولُ العالم الإسلامي، حتى أصبح ذلك الأمر مبلغ اهتمامه، بل أصبح قضيةً ذاتيةً بالنسبة له، يريد أن يصل إلى فهمها مهما كلفته من جهدٍ، أو وقتٍ.

ولقد بدأت هذه المرحلة من حياة ليوبولد فايس في عام ١٩٢٢م عندما قرر بتصميمٍ، وعزمٍ على السفر إلى بلاد الشرق الأوسط، وكانت أولى محطات رحلته في فلسطين، ولم يتوقع ليوبولد فايس أن هذه المرحلة ستكون بداية أول علاقة له بالثقافة الإسلامية، وأنها ستكون نقطة تحولٍ عظمى في حياته، وأنه سيخوض على إثرها العديد من المغامرات الروحية، ويعقب ليوبولد فايس على ذلك بقوله: "لم تمثل لي تلك الرحلة وأنا أعدُّ نفسي لها أيَّ وعدٍ خاصٍّ أو حلمٍ بتحقيق أيِّ جانبٍ شخصيٍّ، كلُّ ما كان يدور بذهني عن تلك الرحلة كنت أتعامل معه برؤيةٍ غريبةٍ، فقد كان رهاني محصوراً في تحقيق أعمق المشاعر والإدراك من خلال البيئة الثقافية الوحيدة التي نشأتُ بها، وهي البيئة الثقافية الأوروبية، ...، لم

^١ ينظر: تمة الأعلام، للزركلي، مرجع سابق، المجلد ٢، ص ١٢٤.

-نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، مرجع سابق، المجلد ٢، ص ٢٠٢٥.

^٢ ينظر: هجرة صحفي أوروبي إلى جزيرة العرب، تهذيب سيرة (ليوبولد فايس)، سعد بن عبد الرحمن الحصين، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

-محمد أسد في الطريق إلى مكة، صالح عبد الرحمن الحصين، المملكة العربية السعودية: مؤسسة الوقف الإسلامي، ١٤٣١هـ.

-محمد أسد سيرة عقل يبحث عن الإيمان، محمد يوسف عدس، القاهرة: كتاب المختار.

-محمد أسد من عالم الغرب إلى أخوة المسلمين ومن النظرة العلمانية إلى الإسلام (قراءة في كتاب الطريق إلى مكة)، مرجع سابق، ص ١٨٣-٢٠٦.

أكنّ إلّا شاباً أوروبياً صغيراً في مقبل عمره نشأت على الاعتقاد بأنّ الإسلام وكلّ رموزه ليس إلا محاولةً التفافيةً رومانطيقيةً حول التاريخ الإنسانيّ، محاولةً لا تحظى حتى (بالاحترام) من الناحية الروحية والأخلاقية، ومن ثمّ لا يستحقّ الذكر، فضلاً عن أنه أقلُّ من أن يوازن بالعقيدتين الوحيدتين اللتين يرى الغرب أنّهما تستحقان الاهتمام والبحث وهما المسيحية واليهودية^١.

في ظلّ هذه الصورة الضبابية، والفكر المضلل، والانحياز الغربيّ ضدّ كلّ ما يتعلق بالإسلام، كان ليوبولد فايس يفكر شأنه شأن أيّ شخصٍ أوروبيّ، غرق في هذه الرؤية الذاتية الأوروبية التي اتسم بها الغرب على مدى تاريخه.

ركب ليوبولد فايس السفينة متجهاً من برلين إلى القسطنطينية^٢، ثم رست السفينة في ميناء الإسكندرية، وكان عليه حينها أن يستقلّ قطاراً إلى فلسطين ماراً بالمدن والقرى المصرية حتى قناة السويس^٣، ثم غزوة^٤.

ولقد توقف ليوبولد فايس عند العبادات في الإسلام، والشعائر الإسلامية، التي لاحظها في زيارته المختلفة إلى فلسطين، ثم مصر، ثم سوريا، وكان لها الأثر على نفسه، وكأنها كانت سبباً في وقوع الإسلام في قلبه.

مكث ليوبولد فايس عدة أشهرٍ في فلسطين، استطاع خلالها أن يخاطب العرب عن قرب، ويتعرف عليهم أكثر على أرض الواقع، فوجد عندهم الأمان الفكريّ، والمعنويّ، فلا تقلقهم مسألة الوجود، والحياة، والموت، وينعمون بالانسجام، والتوافق التامّ بين الفكر، والحسّ الذي فقده في أوروبا منذ زمنٍ بعيد، الأمر الذي جعله يصمم على ضرورة فهم حياة العرب، وروح الشعوب المسلمة، حتى أصبحت القضية بالنسبة له مسألةً شخصيةً من أوليات اهتماماته رغم أنه لم يسلم بعد، ولم يعرف إلا القليل عن الإسلام، حتى ذلك الوقت، يقول: "لقد قابلت وجهاً لوجه إدراكاً لمعنى الحياة كان جديداً بالكلية بالنسبة إليّ، فقد بدا لي أن هناك نسمةً دافئةً إنسانيةً تسيل من دم هؤلاء العرب إلى أفكارهم وحركاتهم خاليةً من أيّ تلك الصدوع الروحية المؤلمة، تلك الأشباح من الخوف والكبت التي كانت تجعل الحياة

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة رفعت السيد، مرجع سابق، ص ١٢٩-١٣٠.

^٢ القسطنطينية: عاصمة الإمبراطورية الرومانية في عهد قسطنطين الأول، وكانت تعرف باسم بيزنطة، والآن هي اسطنبول عاصمة تركيا، فُتحت على أيدي المسلمين في عام ١٤٥٣م.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ١، ص ٧٦٩، المجلد ١٨، ص ١٨٠.

^٣ قناة السويس: ممر مائي اصطناعي في مصر، يمتد طوله إلى ١٩٠ كم، يربط بين البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر، تم افتتاحها عام ١٨٦٩م، وظلت أكثر الممرات المائية حركة، وازدهاراً في العالم حتى أُغُلقت عام ١٩٦٧م خلال الحرب العالمية الثانية.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ١٨، ص ٣٤١.

^٤ غزوة: مدينة فلسطينية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط في أقصى جنوب الساحل الفلسطيني، وهي مركز قطاع غزة، لها ميناء لصيد الأسماك.

ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ٣٤٩-٣٥٠.

الأوروبية بشعةً جداً ... لقد بدأت أجد في العرب شيئاً طالما فتشت عنه ... ومع الزمن أصبح أهمُّ شيءٍ بالنسبة إليّ، أن أفهم روح أولئك المسلمين، لا لأنّ دينهم قد استمالي، ... بل لأنني وجدت فيهم الالتئام العضويّ بين العقل والأحاسيس ... لقد بدأت أشعر بصورة متزايدة وبرغبة ملحّة في أن أعرف الشيء الذي كان في أساس ذلك الأمن العاطفيّ، ... وبدأت لي تلك الرغبة متصلةً بصورةٍ عجيبةٍ بمشاكلي النفسية الصميمية الخاصة ... بدأت أقرأ كثيراً عن تاريخهم وثقافتهم ودينهم"^١.

من خلال كلام ليوبولد فايس وهو أوروبيّ التجربة، يتضح لنا أن الشعوب العربية، والإسلامية تمتلك كثيراً لو وجد في أوروبا حلّ كلِّ مشكلاتها، وأن ما تمتلكه أعظم بكثيرٍ من ماديّات أوروبا وحضارتها.

لقد ظلّت رغبة ليوبولد فايس في فهم الإسلام، وروح المسلمين تلازمه في كلِّ أحواله، وبحكم عمله كمراسلٍ صحفيّ، بات يتنقل بين الدول الإسلاميّة من مصر إلى سوريا إلى الأردن؛ ليحصل على تغطيةٍ أوسع لأحوال الشرق الأوسط، ومن هناك نقل لنا تأملاته العميقة، ووصفه الدقيق، وتحليلاته الفكرية، لكلِّ ما شاهدته من حاراتٍ، ومحلاتٍ تجاريةٍ، ومبانٍ، وعاداتٍ^٢.

عندها أدرك ليوبولد فايس مدى تطابق الإسلام مع حياة الناس، وتأثر تأثراً عميقاً هزّه من داخله هزةً قويةً، دفعته إلى قراءة كلِّ ما يقع تحت يديه من كتبٍ عن الإسلام، فكانت نتيجة بحثه، وإطلاعه، ونقاشه مع صديقه الدمشقيّ حول قضايا الإسلام، أن رفع الستار عن عينيّه، وبدأ يتعرف على عالمٍ من الحقائق، والأفكار كان غافلاً عنها حتى ذلك الوقت، يقول: "لم يبدُ الإسلام لي ديناً بالمعنى المتعارف عليه بين الناس لكلمة الدين، بل بدا لي أسلوباً للحياة؛ ليس نظاماً لاهوتياً بقدر ما هو سلوك فردٍ ومجتمعٍ يرتكز على الوعي بوجود الله الواحد، لم أجد في آية آية من آيات القرآن الكريم آية إشارة إلى احتياج البشر إلى (الخلاص) الروحيّ ولا يوجد ذكر (الخطيئة الأولى) ... لم أجد أيّ أثرٍ يدلُّ على الثنائية في الطبيعة البشرية فالبدن والروح يعملان في المنظور الإسلاميّ كوحدةٍ واحدةٍ متكاملة"^٣.

دهشَ ليوبولد فايس من اهتمام القرآن الكريم بالإنسان كوحدةٍ متكاملةٍ مكونةٍ من جسدٍ وروحٍ، كما دهشَ أيضاً من نظرة القرآن الكريم الشاملة إلى علاقة الدنيا بالآخرة، فلا تنافر، ولا تضاداً بينهما، إنما هما داران متكاملان، هذا السموُّ العظيم في المبادئ، وإشراقها، وصوابها، وهذا التوافق الرائع بين العقل، والفترة الإنسانية السليمة تحت غطاء الشمول، والكمال الذي لا يعتريه نقصٌ، ولا تعارضٌ مع اليسر، والوضوح جعله ينفر من الأديان التي عرفها سابقاً، ومن المجتمعات الغربية، حتى أصبح الإسلام

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٣٦-١٣٧.

^٢ الطريق إلى مكة، ترجمة رفعت السيد، مرجع سابق، ص ١٦٩.

^٣ المرجع السابق، ص ١٩٣.

(كالمغناطيس) يجذبه جذباً إلى أن انتهى به المطاف باعتناقه، يقول: " نظرت إلى تلك الجوانب الفكرية والأخلاقية بتقدير واحترام، كان منهجه في تناول مشكلات الروح أعمق بكثير من تلك التي وجدتها في التوراة، هذا عدا أنه لم يأت لبشرٍ دون بشرٍ أو لأمةٍ دون أخرى، كما أن منهجه في مسألة البدن بعكس الإنجيل، منهجٌ إيجابيٌ لا يتجاهل البدن، الروح والبدن معاً يكونان البشر كتوأمين متلازمين، سألت نفسي: ألا يمكن أن يكون ذلك المنهج هو السبب الكامن وراء الإحساس بالأمن والتوازن الفكري والنفسي الذي يميز العرب والمسلمين؟! "^١.

بلى هذا ما جعل المسلمين أكثر توازناً، وثباتاً، وأمناً، وحفاظاً على دينهم رغم معاناتهم القاسية مع أعدائهم على مختلف الأصعدة، وبجميع المعايير، ولو كان المسلمون أمةً أخرى لضاعت، واندثرت، ومضى عليها الزمان، ولكن الإسلام هو من حافظ على ثباتهم، وقوتهم في كل مكان، وزمان.

عاد ليوبولد فايس إلى أوروبا بعد انتهاء أول رحلة له في الشرق الأوسط، والتي استغرقت ثمانية عشر شهراً، كان من شأنها أن تغير حياته، ومنهجه، ورؤيته إلى الغرب، حيث بدأ يمزج خبرته بالشرق، والعالم الإسلامي بعلمه، فتبلورت في ذهنه المقارنات بين العديد من القضايا في الثقافة الإسلامية من جهة، والثقافة الغربية من جهةٍ أخرى، وعلى هذا الأثر أُصيب بصدمة حضارية بمجرد وصوله إلى أوروبا، فقد أصبح ينظر إلى عالمه الأوروبي بعيني الغريب، وبدا الناس في نظره غايةً في القبح، بلا هدف، ولا مبدأ، ولم يبقَ شيءٌ راسخٌ في ذهنه سوى الثمانية عشر شهراً التي قضاها في البلاد العربية، حيث أستطاع أن يتخلص من الرؤية الأوروبية المشتركة، ويعود بعقليةٍ، ورؤيةٍ ذهنيةٍ أكثر نضجاً، ووضوحاً من السابق، فخلص إلى ما يلي:

١. أن الشعوب الأوروبية مغمورةٌ في ظاهرة (البيئة الثقافية الواحدة)، بمعنى أنها متوحدة فيما بينها، ويمكن أن تفهم بعضها البعض، وهو أمرٌ إيجابيٌ، ولكن من ناحيةٍ أخرى دفعهم هذا الأمر إلى حمول القلب فلا يستطيعون تفهم الآخر، ولا قبوله، بل يقللون من شأنه، ويميلون تجاهه بسلوكٍ عدوانيٍ^٢.

٢. هناك علاقةٌ واضحةٌ بين الاطمئنان النفسي، والعاطفي السائد في نفوس العرب، وبين عقيدتهم التي يؤمنون بها، وعلى العكس بالنسبة للشعوب الغربية، فهناك نقصٌ في التوافق النفسي الداخلي للأوروبيين، وحالةٌ من الفوضى اللا أخلاقية التي تسيطر عليهم بسبب عدم تماسكهم بآبائهم.

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة رفعت السيد، مرجع سابق، ص ١٩٣-١٩٤.

^٢ ينظر: المرجع السابق، ص ٢١١-٢١٢.

٣. إن الإسلام وحده من بين الديانات السماوية كلها، اعتبر أن الرغبات الجسدية جزءاً مكملً لطبيعة البشر، وأن تلك الرغبات ليست وليدة (الخطيئة الأولى)، بل إنها مكونٌ إيجابيٌ خلقه الله تعالى في البشر ليقبلوها، ويمارسوها في أوجهها الصحيحة، ومن ثمّ فمشكلة البشر ليست كبت احتياجات الجسد، بل على الأصحّ في كيفية توظيفها بشكلٍ متكاملٍ، ومتوازنٍ مع متطلبات الروح، وهو مفهومٌ يتناقض مع مفاهيم المسيحية.

٤. أنّ الإسلام يؤكد على خيرية الإنسان، فهو مفطورٌ على الخير، حين يولد لا يحمل معه أيّ ذنب، بعكس المفهوم المسيحيّ الذي يرى أنّ الإنسان يولد وهو يحمل ذنب (الخطيئة الأولى)، وبالعكس التعاليم الهندوسية أيضاً التي ترى أنّ البشرية بطبيعة خلقهم مذنبون، ولا بدّ لهم أن يجاهدوا بكلّ عنيت، ومعاناةٍ عن سلسلةٍ طويلةٍ من التجسد، وحلول الروح في كائناتٍ مختلفةٍ حتى تحقق هدفها النهائيّ في الوصول إلى الكمال^١.

إنّ كلّ هذه الخلاصات، والاستنتاجات، والمقارنات، والرؤى الذهنية الناضجة إنما تدلّ على أنّ ليوبولد فايس لم يبقَ أسيراً لتلك المسلّمات الغربية الخاطئة، والثقافة المنغلقة على نفسها، وإنما حاول الاعتماد على نفسه، فسافر، واختلط مع الناس على اختلاف ألوانهم، وأعراقهم، ولغاتهم، وأديانهم، وقرأ، وتعلم، وقارن، واستنتج، ونقد، ثم قرر السير في الطريق الذي يراه صحيحاً، فهو ذو عقلٍ ناضجٍ متفهمٍ، وبصيرةٍ نافذةٍ، وذكاءٍ حادٍّ، استطاع أن يفهم الإسلام فهماً صحيحاً واضحاً، ولم يحكم عليه من خلال واقع المسلمين، وعرض حقائقه بصورةٍ مرضيةٍ، تدلّ على سعادته، ورضاه بما توصل إليه من خلاصاتٍ وحقائق، الأمر الذي قارب بينه، وبين الوصول إلى الإسلام، وكسر من الحواجز الكثير.

وفي ضوء تلك الخلاصات فقد تطلع ليوبولد فايس إلى العودة بسرعةٍ إلى بلاد الشرق الأوسط؛ لأنه اكتشف من الصعب جداً أن يجيا في عالم الغرب، يقول: "كنت تواقاً إلى أن أتفهم، تفهماً أعمق، القلق الذي أحدثته أول معرفةٍ لي بالعرب وثقافتهم، رجاء أن يعينني ذلك التفهم على أن أفهم بطريقةٍ أفضل ما كنت أنا نفسي أتوقع من الحياة، ومن ناحيةٍ أخرى كنت قد وصلت إلى نقطةٍ اتضح لي عندها أنني لن أستطيع بعد أن انسجم مع أهداف المجتمع الغربي^٢".

وفي عام ١٩٢٤م عاد ليوبولد فايس إلى الشرق الأوسط في مهمته الثانية التي أرسلته لها جريدة (فرانكفوتر زايونج) عابراً البحر الأبيض المتوسط، مستقلاً القطار إلى القاهرة، وفي هذه المرة أصبح باستطاعته أن يميز الخطوط الأساسية لمنهج الإسلام، وشهد عند وصوله دخول اليوم الثالث من شهر

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة رفعت السيد، مرجع سابق، ص ٢١٧.

^٢ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البليكي، مرجع سابق، ص ٢٢٧.

رمضان المبارك، فاستطاع أن يتعرف على قدسية شهر رمضان عند المسلمين، وعلى مختلف الأوجه الأخلاقية، والاجتماعية التي يهدف إليها الصيام^١.

وبدأ ينظر إلى الإسلام بوصفه العقيدة الأساسية الحقة التي لم تتعرض لأي تشويه، أو تزوير، ووصل إلى قناعات مفادها في قوله: "لقد كان واضحاً عندي أن تأخر المسلمين لم يكن ناجماً عن أي نقص في الإسلام، بل من عدم عملهم هم أنفسهم بتعاليمه"^٢، ويقول أيضاً: "لم يكن المسلمون هم الذين جعلوا الإسلام عظيماً، بل لقد كان الإسلام هو الذي جعل المسلمين عظماء، إلا أنهم ما إن أصبح إيمانهم عادةً وانقطع عن أن يكون منهجاً في الحياة يُتبعُ بوعي وإدراك، حتى خبت تلك القوة الرافعة للخلاقة التي كانت من وراء مدنيتهم وأفسحت المجال للاسترخاء، والعقم، والانحطاط الثقافي"^٣.

ولقد ظهرت هذه القناعات نتيجة تعمقه في دراسة اللغة العربية على يد أحد طلاب الأزهر، حيث تمكن من الإمساك بالمفتاح الذي وصل به إلى فهم الثقافة الإسلامية، وحياة الشعوب العربية، فلم يعد العالم الإسلامي عالماً غريباً بالنسبة له، بل كان يعتقد أنه كلما انفصل عن عاداته السابقة في التفكير، وأصبح محايداً، فإن سهولة فهم العالم الإسلامي، وإدراكه تصبح في أعلى مؤشراتهما، وفي هذا يقول: "لقد تكشف لي الإسلام، إذن رويداً رويداً من حديث هنا وكتاب هناك، من نظرة هنا وملاحظة هناك، بروية وبطء إلى درجة لم أشعرُ معها بهذا التكشف"^٤.

وفي أوائل صيف ١٩٢٤م سافر من القاهرة في رحلة طويلة دامت قرابة العامين، زار فيها كلاً من الأردن، والعراق، وإيران، وأفغانستان، وفي كل يوم من أيام تلك الرحلة كان يضيف إلى معارفه الجديد، ويجد إجابات تأتيه من الخارج للعديد من الأسئلة التي بقيت في نفسه، وهكذا بدأ نور الإسلام يشعُّ في قلبه ليبقى إلى الأبد، يقول: "ذلك أن الإسلام ... قد دخل إلى نفسي كما يدخل السارق خلسةً إلى البيت دونما صوتٍ أو جلبة: إلا أنه يختلف عن السارق من حيث أنه قد دخل إلى نفسي ليبقى هناك إلى الأبد"^٥.

وفي أواخر عام ١٩٢٥م، وأثناء سفره إلى أفغانستان، تعرض ليوبولد فايس لحادثة كانت هي الخطوة الأخيرة في هذه الرحلة؛ والسبب الذي جعل نور الإسلام يشرق في ذهنه، وقلبه على أنه هو هدفه، ومبتغاه، ولقد تناول الكتاب، والمفكرون تلك الحادثة بأساليب عديدة، وتحت مسميات مختلفة في

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٢٣٠-٢٣١.

^٢ المرجع السابق، ص ٢٣٤.

^٣ المرجع السابق، ص ٢٣٦.

^٤ المرجع السابق، ص ٢٣٨.

^٥ المرجع السابق، ص ٢٣٨.

العديد من الكتب^١، والمقالات كقولهم (نقطة ضوء)^٢، و(شذرات من كتاب الطريق إلى مكة)^٣، و(محمد أسد ورحلته مع الإسلام)^٤، وغيرها، وتقول الحادثة: أنه أثناء إقامة ليوبولد فايس في أفغانستان، نزوله ضيفاً على أحد حكام بلدها، قام رجل من سكان البلدة يريد الترفيه عنهم، فغنى أغاني محلية تعبر عن داود وجالوت، وعن الإيمان عندما يواجه قوة غاشمة، فعلق الحاكم على الأغنية قائلاً: كان داود صغيراً إلا أن إيمانه كان كبيراً، عندها لم يتمالك ليوبولد فايس نفسه، واندفع مسرعاً بالكلام: وأنتم كثيرون وإيمانكم قليل، كيف حدث أنكم معشر المسلمين فقدتم الثقة بأنفسكم، تلك الثقة التي مكنتم من نشر عقيدتكم في أقل من مئة عام من الجزيرة العربية باتجاه الغرب حتى المحيط الأطلسي، وإلى الشرق حتى أعماق الصين، والآن مستسلمون بسهولة، وضعف إلى أفكار الغرب وعاداته؟! لقد أضاع أجدادكم العالم بالعلوم، والمعارف، والفنون بينما كانت أوروبا تائهة في بربرية وجهل، لماذا لا تستجمعون قواكم، وشجاعتكم لاستعادة إيمانكم الفعال، وكيف يصبح أتاتورك ذلك المتنكر التافه الذي ينكر كل قيمة في الإسلام، رمزاً لكم في الإحياء، والنهوض، والإصلاح؟؟

ظلّ الحاكم صامتاً دون أن ينطق بأية كلمة، ثم أردف ليوبولد فايس سيلاً من أسئلته قائلاً: قل لي كيف دفن علماءكم الدينيون الإيمان الذي أتى به نبيكم بصفائه، ونقائه تحت ركام المناقشات العقيمة لتوافه الأمور؟ وكيف حدث أن نبلاءكم، وكبار ملاك أراضيكم يغرقون في الملذات بينما يغرق أغلبية المسلمين في الفقر، والصمت، مع أن نبيكم علمكم أنه { لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه }^٥، هل يمكن أن تفسر لي كيف دفعتم النساء إلى هامش الحياة مع أن النساء في عصر الرسول ﷺ، والصحابة ساهمن في شؤون حياة أزواجهن، وكيف أصبحت أغليبتكم جاهلة، وأميه، وأقليتكم متعلمة؟ على الرغم من أن نبيكم قال: { طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة }^٦.

^١ ينظر: لماذا أسلمنا، هذب وعلق عليه عبد الحميد عبد الرحمن السحيباني، ط١، الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤١٥هـ، ص ٥١-٥٥.
-سلسلة رجال ونساء أسلموا، إعداد وترجمة د. عرفات كامل العشي، تعليق د. عبد الستار فتح الله، القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج٢، ص ١٥٧-١٦٠.

-ربحت محمداً ولم أحسر المسيح، د. عبد المعطي الدالقي، دمشق: مؤسسة الرسالة والشركة المتحدة للتوزيع، نسخة إلكترونية.
-الجانب الخفي وراء إسلام هولاء، محمد كامل عبد الصمد، ط١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٦٩-٧٣.
-لماذا أسلمنا، علي عبد الموجود القاضي، ط١، القاهرة: دار الهداية، ٢٠٠٤م، ص ١٠.
-مصايح العصر والتراث، أنور الجندي، طبعه (بدون)، القاهرة: دار الاعتصام، ٢٠٠٢م.

^٢ نقطة ضوء، محمود حبيب، جريدة الأخبار المصرية، العدد ١٧٨٦٢، ١٧/يوليو/٢٠٠٩م.

^٣ شذرات من كتاب الطريق إلى مكة، منير شفيق، مجلة رابطة العالم الإسلامي، العدد ٤٦٤، رجب ١٤٢٥هـ/ أغسطس ٢٠٠٢، السنة ٤٢.

^٤ محمد أسد ورحلته إلى الإسلام، مجلة الفيصل، العدد ١٨٥، ذو القعدة ١٤١٢هـ/ مايو ١٩٩٢م، ص ٥٦.

^٥ رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم ١٣.

^٦ رواه ابن ماجه، باب فضل العلماء والحث على العلم، حديث رقم ٢٢٤. وقال المحقق: في الروايد إسناده ضعيف لضعف حفص بن سليمان، وقال السيوطي: سئل الشيخ محي الدين النووي - رحمه الله - عن هذا الحديث فقال: إنه ضعيف أي سنداً، وإن كان صحيحاً في المعنى، وقال تلميذه جمال الدين المزني هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن، وهو كما قال فقد رأى المحقق له خمسين طريقاً وجمعها، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب: ضعيف جداً. حديث رقم ٤٨، ج ١، ص ١٣.

كان الحاكم ما يزال يحملق به دون أية كلمة، حتى جذب ثوبه بشدة على جسمه وهمس قائلاً: (ولكن أنت مسلم)، ضحك ليوبولد فايس، وأجاب: كلاً أنا لستُ مسلماً، ولكني اطلعت على الجوانب العظيمة في منهج الإسلام مما جعلني أشعر بالغضب الشديد على تفريطكم بدينكم، إلا أن الحاكم أصرَّ على رأيه قائلاً: كلاً، كلاً، أنت كما قلت لك، أنت مسلمٌ إلا أنك لا تعلم ذلك، ثم عرض عليه أن يعلن إسلامه، وعندها سيصبح واحداً منهم، وسيهبه الأمير بساتين، ومنازل، فأجاب ليوبولد فايس: لو أعلنت إسلامي في أيِّ وقتٍ فسيكون ذلك عندما يستقرُّ فكري، ويستريح قلبي للإسلام، وليس من أجل المنازل والبساتين، استمرَّ إصرار الحاكم: ولكنك تعرف عن الإسلام أكثر مما يعرفه المسلمون! ما الذي لم تفهمه بعد؟ أجاب ليوبولد فايس: ليس المسألة مسألة فهم، فهي من وجهة نظري مسألة اقتناع كليٌّ بأن هذا القرآن الكريم هو كلام الله، وليس ابتداءً ذكياً لعقلية بشرية عظيمة^١.

لم تكن المناصب، والأجواء السياسية، أو الأموال سبباً في إغرائه ليحوّل ديانته إلى الإسلام، بل أراد أن يكون اعتناقه للإسلام نتيجة أفكاره، ومنطقه، وسياقه الخاص، وقناعاته الشخصية، بعيداً عن الإكراهات السياسية، والاجتماعية.

وفي عام ١٩٢٦م أواخر فصل الشتاء غادر ليوبولد فايس أفغانستان عائداً إلى موطنه أوروبا بعد رحلة استغرقت قرابة عامين من التجوال في العالم الإسلامي، وأثناء وجوده في برلين كان كثيراً ما يقرأ القرآن الكريم مع زوجته إزنا، فهي الوحيدة التي استطاعت أن تشاركه اهتماماته، وأفكاره، وما يشعر به تجاه الإسلام، وكانت مثله تتأثر يوماً بعد يومٍ بمنهج القرآن الكريم، وأحكامه، وتشريعاته، وكان مما قرأه، وتأثر به ما يلي^٢:

١. أن القرآن لم يطلب من البشر طاعته بغياء، بل قدّم البراهين، والأدلة على جميع أوامره، وجاءت الآيات القرآنية تخاطبُ العقل، والفهم، وتشبعُ العاطفة.

٢. لم يُقرَّ القرآن الكريم مبدأ أن الحياة صراعٌ بين المادة، والجسد، والروح، كما لم يُقرَّ أن منهج الطريق إلى الخير يستلزم تحرير الروح من مطالب البدن، بل أدان الرسول ﷺ كلَّ شكلٍ من أشكال رفض الحياة.

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٠٠-٣١٦.

^٢ الطريق إلى مكة، ترجمة رفعت السيد، مرجع سابق، ص ٤٠٦-٤١١.

٣. وردَ النظامُ الاجتماعيُّ في القرآن الكريم غايةً في العدل، والإحسان يتضمن جميع جوانب الحياة الروحية، والبدنية، وحقوق الفرد، وحق الجماعة دون تمييزٍ بالولادة، أو الجنس، أو القبلية، أو المكانة الاجتماعية.

٤. أوجدت رسالة الإسلام أعظم حضارةٍ عرفها التاريخ، لا مكان فيها لامتيازاتٍ خاصة، ولا تقسيمٍ طبقيٍّ، ولا كهنوت، ولا حقوقٍ متوارثةٍ للنبلاء، إنما هي حضارةٌ عالميةٌ إنسانيةٌ منبثقةٌ من إرادةٍ حرةٍ لشعوبها، وليست وليدة قهرٍ، أو إكراهٍ، وصراعٍ، ولكنها مستمدةٌ من الإيمان بالله، وما حثَّ عليه القرآن من أعمال الفكر، والعمل.

٥. أدرك ليوبولد فايس أنَّ الحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية تحققتُ بشكلٍ مثاليٍّ في أقلِّ من مئة عامٍ من وفاة النبي ﷺ، ثم بدأ الفساد، والركود، والانحلال يلوث الشكل النقيَّ للإسلام، حتى ركبت الحضارة الإسلامية عصراً بعد عصرٍ، ومع ذلك فإنَّ إمكانات الإسلام لا علاقة لها بفشل المسلمين، وركود الحضارة الإسلامية، والمهمُّ أنَّ المثل الأعلى الذي حققه الإسلام كثقافةٍ، وحضارةٍ مازال متاحاً لكلِّ راغبٍ في اتباع منهجه، ومازال أمام المسلمين فرصةٌ لتحقيق مُوْضِعهم، وازدهارهم.

وهكذا اقتنع ليوبولد فايس بعقله، وقلبه بأنَّ القرآن الكريم وحيٌّ من عند الله تعالى، فانطلق مسرعاً إلى صديقٍ له من الهند يدعى (عبد الجبار خيرى) (١٨٨٠-١٩٥٨)^١، وكان رئيساً لرابطة المسلمين في برلين، وأخبره بأنَّه استقرَّ رأيه على الإسلام، فمدَّ له صديقه يده اليمنى آخذاً بيده اليمنى، وفي حضور اثنين من الشهود أعلن إسلامه قائلاً: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله: ثم أطلق عليه صديقه اسم محمد أسد، وبعد ذلك بعدة أسابيع أسلمت زوجته إلزاً^٢.

إن ظاهرة التحول الديني هي سنة تاريخية، وطبيعة بشرية، وكونية ليس أكثر، فلم يخلُ منها عصرٌ أو عهدٌ أو فترة، وانطلاقاً من فرضية ترى أنَّها واردةٌ بقوةٍ في الوقت الحالي، في ظلِّ ثورة الاتصالات، والتواصل بين الأفراد، واستحالة احتوائهم داخل إطار المؤسسات الدينية وحدها، لذا من الضروري أن تتداخل العديد من العلوم، والمناهج في قراءة، ودراسة التحول الديني، ومن المهمَّ استدعاء علم النفس الديني، وعلم النفس الاجتماعي في تحليل هذه الظاهرة، وهي رغم عمقها التي تتشابه به مع عملية

^١ محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١٣.

^٢ الطريق إلى مكة، ترجمة رفعت السيد، مرجع سابق، ص ٤١٥-٤١٨.

غسيل المخ، غالباً ما تكون جزءاً من عملية تراكمية نفسية، أو اجتماعية، أو تكيفاً مع أوضاع معينة واجهها المتحول^١.

وفي ضوء ما سبق نُبرز الدوافع النفسية، والاجتماعية، والأوضاع التي كان لها أثرٌ على محمد أسد - رحمه الله - في اعتناقه للإسلام:

١. تهافت ثقافته الموروثة (اليهودية)، وسقوطها في رأيه عقلاً، ونقلًا.
٢. افتقاده للقدوة الدينية الصالحة في أسرته؛ فلم يكن والداه مقتنعين بمبادئ دينهما، مما جعله ينشأ بعيداً عن المعايير الثابتة، والقيم الدينية الراسخة التي يحكم بها على الأمور.
٣. مخالفة النصرانية للعقل الرشيد، والفطرة السليمة، وبطلان عقائدها، وخرافاتها.
٤. الخواء الروحي، والقلق النفسي الذي كان يعترى الشباب من جيل عصره رغم ادعائهم بأنهم يؤمنون بالنصرانية، إلا أن النصرانية لم تقدم لهم الشفاء لما في صدورهم.
٥. روحه التواقفة للوصول إلى الحقيقة، ورغبته في الحصول على الأمان، والاستقرار النفسي.
٦. قدرته الجميلة على التخلص من تأثير الجهل، وسوء الفهم، والعرض السليبي المنقوص، والمشوه للإسلام، الذي عاشه في أوروبا.
٧. موضوعيته، وعقلانيته في البحث، والتفكير، فلم يكن صاحب حكم مسبق متعصب على ما لا يعرف، بل تجرد من جميع أفكاره السابقة، وهواه، وميوله النفسية.
٨. حياته في العالم الإسلامي، وزياراته لمعظم بلدانه، وعواصمه، مكنته من مخالطة الشعوب المسلمة، ومعرفة ثقافتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم.
٩. إمكانيات محمد أسد - رحمه الله - الهائلة التي فاقت التصور؛ حيث استطاع إتقان اللغة العربية، وبالتالي تمكن من التعرف على مبادئ الإسلام من خلال مصدره الأساسيين: كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ.

^١ المتحولون دنيا دراسة في ظاهرة تغير الديانة والمذهب، هاني نسيرة، مركز الأندلس لدراسات التسامح ومناهضة العنف، القاهرة: (بدون تاريخ)، ص ٥-٧.

١٠. بحثه الجاد، والمحموم عن الإسلام، وحقيقته من خلال التأمل، والتفكير، والتدبر، والبحث، والقراءة، والسؤال، "وهكذا كان قبله مراد هوفمان، وروجيه جارودي^١، فهؤلاء جميعاً، وغيرهم قد أتى إيمانهم دون دعوة، أو ترغيب، أو تهيب، ولكن نتيجة بحثٍ خاصٍ عن نظامٍ روحيٍّ شاملٍ يتجاوز التناقض الميتافيزيقي^٢، أو الإقصاء الطبيعي^٣، وغلواء المادة التي عاشوها في مجتمعاتهم وبيئاتهم الأولى"^٤.

١١. قوة الجذب في الإسلام؛ فهو دين الشمول، والكمال، والواقعية، .. ودين الفطرة والعقل، .. ودين العلم والعمل، والمنهج الذي يمنح الإنسان تصوراً صحيحاً عن نفسه، وعن الخالق عزَّ وجلَّ، وعن الكون، وهو ما كان يجيبه محمد أسد - رحمه الله - عندما يُسأل لماذا أسلمت؟، إذ يقول: "لم يكن الذي جذبني تعليماً خالصاً من التعاليم، بل ذلك البناء المجموع العجيب المترصص بما لا تستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقية بالإضافة إلى منهاج الحياة العملية، ولا أستطيع أن أقول أيُّ النواحي استهوئني أكثر من غيرها، فإنَّ الإسلام على ما يبدو لي بناءٌ تامُّ الصنعة، وكلُّ أجزائه صيغت ليتمَّ بعضها بعضاً ... فليس هناك شيءٌ لا حاجة إليه، وليس هناك نقصٌ في شيءٍ، ولعلَّ هذا الشعور ... هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي"^٤.

لقد كان إسلام محمد أسد - رحمه الله - سلاحاً قوياً وواقعياً، وملموساً على الهجمة الشرسة ضدَّ الإسلام من أعدائه، وأدعيائه، حين تحدث عن العوامل التي جذبتة إلى الإسلام، وحين قارن بين اليهودية، والمسيحية، والإسلام، ثم انطلق بفطرته السليمة، وعقله الرشيد، وموضوعيته النادرة، واهتمامه بالبحث عن الحقيقة، إلى اعتناق الإسلام.

^١ روجيه جارودي (١٩١٣م/ ٢٠١٢): ولد جارودي في ميرسيليا بفرنسا عام ١٩١٣م، ونشأ بأسرة غير متدينة، تعلم بمدرسة البروتستانتية، ثم مدرسة هنري الرابع، انضم إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، وفي سنة ١٩٣٦م حصل على شهادة الفلسفة من كلية الآداب، ثم على الدكتوراه في جامعة السوربون عام ١٩٥٣م، وفي عام ١٩٥٤م حصل على دكتوراه الفلسفة من أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي، وفي عام ١٩٣٩م تطوع في الجيش الفرنسي، واعتقل من قبل الألمان، ثم انضم إلى الفرنسيين في حرمهم ضد الجزائر، واعتقل عام ١٩٤١م بالجزائر، وأثناء اعتقاله لاحظ أخلاق المسلمين، وحسن معاملتهم مما جذبه إلى الإسلام، ثم أسلم، ووجهت له تهمة المعادة للسامية، وله إسهامات في مجال الإبداع الفلسفي، والسياسي، وبعد علامة بارزة في تاريخ الفكر الإنساني في القرن العشرين، ومن مؤلفاته: (مبشرات الإسلام أو عود الإسلام)، و(الإسلام يسكن حضارتنا)، و(الإسلام دين المستقبل)، و(فلسطين أرض الرسالات السماوية)، توفي عام ٢٠١٢م عن عمر يناهز ٩٨ عاماً.

ينظر: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٩٧-٢٠١.

^٢ الميتافيزيقيا: هي ما تأتي في الدراسة بعد الطبيعيات أو علم الكون، فموضوعاتها تتخطى علوم الطبيعة أو الكون؛ ليدرس الكينونة ذاتها بوصفها أساساً للوجود. ينظر: معجم المصطلحات الفلسفية عربي- فرنسي- إنكليزي، خليل أحمد خليل، ط١، بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٥م، ج٢، ص ١٣٤.

^٣ المتحولون دينياً دراسة في ظاهرة تغير الديانة والمذهب، مرجع سابق، ص ٢٠١.

^٤ الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة عمر فروخ، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م، ص ١٥.

المبحث السادس

تراثه الفكري وإنتاجه العلمي

وفيه اثنا عشر مطلب:

المطلب الأول: كتاب The Unromantic Orient
(مشرق غير رومانسي)

المطلب الثاني: كتاب Islam at the Cross roads
(الإسلام على مفترق الطرق)

المطلب الثالث: كتاب Sahih AL-Bukhari The Early Years of Islam
(صحيح البخاري، السنوات المبكرة للإسلام)

المطلب الرابع: Magazine Arafat
(مجلة عرفات)

المطلب الخامس: كتاب Making Islamic Constitution
(مقترحات في بناء الدستور الإسلامي)

المطلب السادس: كتاب The Road to Mecca
(الطريق إلى مكة)

المطلب السابع: كتاب Is Religion a Thing of Past?
(هل الدين شيء من الماضي)

المطلب الثامن: كتاب The Principles of Stat and Government in Islam
(منهاج الإسلام في الحكم)

المطلب التاسع: كتاب The Spirit of Islam
(روح الإسلام)

المطلب العاشر: كتاب The Massage of The Quran
(رسالة القرآن)

المطلب الحادي عشر: كتاب This Low of Ours and Other Essays
(شريعتنا ومقالات أخرى)

المطلب الثاني عشر: كتاب Home – Coming of the Hart
(عودة القلب إلى موطنه)

المطلبُ الأولُ

كتاب The Unromantic Orient

(مشرقٌ غيرُ رومانسيّ)

في عام ١٩٢٤م نشر ليوبولد فايس أول كتاب له باللغة الألمانية، وهو كتاب **The Unromantic Orient** (مشرقٌ غيرُ رومانسيّ: من يومياتِ رحالة^١) بواسطة مؤسسة (فرانكفوتر) الألمانية، وقد نوّه أنّ سبب تسميته للكتاب بمشرقٍ غير رومانسيّ، هو أنّه كتب عن واقع المسلمين المؤلم في بلاد الشرق الأوسط، محاولاً اختراق حقائق هذا الواقع، وإظهارها يوماً بيوم، مصرحاً بأنّ مشاهداته، وانطباعاته التي بيّنها في كتابه كانت معادية للصهيونية^٢، ومؤيدة للعرب في فلسطين، وكانت كذلك فاضحةً لحقيقة السياسة الخارجية للحكومة البريطانية في تعاطيها مع مشكلات الشرق الأوسط، مما أحدث ضجةً، واضطراباً في الصحف الألمانية، خشي على أثرها ليوبولد فايس من عدم تحقيق نسبة مبيعات جيدة للكتاب^٣.

وكان محمد أسد - رحمه الله - قد ذكر في كتابه (الطريقُ إلى مكة) أنّه أنجز كتاباً وصف فيه أسفاره في رحلته الأولى إلى الشرق الأوسط، وأنّ الكتاب كان يأخذ اتجاهاً معادياً للصهيونية، وميلاً كبيراً إلى العرب، وأحدث دويماً في الصحف الألمانية، ولم يحصل على نسبة مبيعات جيدة^٤.

والكتاب يحتوي على مئة وخمسة وتسعين صفحة من القطع المتوسطة، وتسع وخمسين صورةً أبيض وأسود التقطها فايس بنفسه^٥ باستثناء صورة قبر محمد أسد - رحمه الله - التي التقطها الأستاذ مظفر إقبال عام ٢٠٠٢م، وللكتاب قيمة أدبية، وتاريخية، وفكرية عظيمة؛ حيث اشتمل على مقتطفات من حياة ليوبولد فايس اليومية أثناء رحلته إلى بلاد الشرق الأوسط التي بدأت من القدس، ثم الأردن، ثم سوريا، والعراق، ومصر، وتركيا، في عرضٍ جميلٍ، وبطريقةٍ أدبيةٍ روائيةٍ، تجعل القارئ وكأنّه يعيش تلك الحقبة الزمنية لحظةً بلحظةً مع سكانها، وطبائعهم، ومزارعهم، وبيوتهم، ومساجدهم، كما تظهر قيمة الكتاب التاريخية من خلال وصف فايس الدقيق لملامح الحياة السياسية، والثقافية، والاجتماعية في كل دولة عربية قام بزيارتها، والتقى فيها برجال الدين، والسياسة.

1. The Unromantic Orient, Muhammad Asad, Op.cit.

- محمد أسد هبة الإسلام لأوروبا، د. عبد الرحمن الشيبلي، ط١، الرياض: مطبعة السفير، ١٤٣٢ هـ/٢٠١١م، ص ١٨.

^٢ الصهيونية: بالمعنى الديني (التراث اليهودي) تشير إلى جبل صهيون والقدس، بل إلى الأرض المقدسة ككل، ويعرفها أصحابها بأنها حركة وطنية لإعادة الشعب اليهودي إلى وطنه، واستئناف السيادة اليهودية على أرض إسرائيل، ولقد مرت الصهيونية بمرحلتين، كانت الأولى في عام ١٨٨٤م إذ حاول أصحاب هذه المرحلة إحياء الحياة اليهودية القومية، وأطلقوا على أنفسهم جماعة محبي صهيون، أما المرحلة الثانية كانت عام ١٨٩٧م عندما أسسها ثيودر هرتزل. ينظر: اليهود الموسوعة المصورة، د. طارق السويدان، ط١، الإبداع الفكري، الكويت، ١٤٣٠/٢٠٠٩م، ص ٢٣٦-٢٣٨.

3. The Unromantic Orient, Op. cit, translators introduction.

^٤ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٢٢٧-٢٢٨.

5. The Unromantic Orient, Op. cit, translators introduction.

أما عن قيمة الكتاب الفكرية فظهرت جليةً من خلال تأملات فايس الفكرية، وتحليله لنفسية الشعوب العربية، وكل ما وقف عليه من مظاهر الإسلام، وشعائر الدين كالصلاة، والصيام، والأذان.

فعلى سبيل المثال يذكرُ مخاطباً العقلية الغربية: "لابدّ لنا من الخروج من حدود الدائرة الثقافية الغربية الضيقة التي نعيش فيها، ولا بدّ لنا من تنمية مهارات تواصلنا مع الغير، ومحاولة السموِّ بمشاعرنا وأحاسيسنا إلى الدرجة التي تجعلنا نستطيع التعامل مع الأشخاص والأماكن والثقافات الأخرى غير المفهومة لدينا لعلنا نجدُ تفسيراً لها، وإن لم توافق عقيدتنا ولكن قد يسهل علينا فهم الآخرين"¹.

ولقد قامت الأستاذة إليما رث هاردر (Elma Ruth Harder) بترجمة الكتاب من اللغة الألمانية إلى اللغة الإنجليزية، وطُبعت الترجمة عام ٢٠٠٤م، ونُشرت بواسطة دار القلم في كندا^٢، مع العلم أنه لم يترجم إلى اللغة العربية حتى الآن رغم أهميته التاريخية، والفكرية، وهو ما أشار إليه كلٌّ من د. مراد هوفمان في محاضرة ألقاها في النمسا بعنوان: "محمد أسد هدية أوروبا إلى الإسلام" بتاريخ ١٥/٠٥/٢٠٠٠م^٣، والأستاذ إبراهيم البليهي^٤ عندما قال: "أما الكتاب الذي أدان فيه محمد أسد الصهيونية قبل قيام إسرائيل بربع قرنٍ فما زال العرب يجهلونه ولا يجدونه مترجماً إلى لغتهم"^٥.

وهذا هو حال العرب، وهو أغرب ما فيهم، أن يهملوا تراثهم، ويجهلوا ما يهملهم من تراث غيرهم، ويهتمُّ به الآخرون رغم كثرة الجامعات، ووزارات الثقافة، ودور النشر، ومراكز الترجمة والأبحاث، إلا أن الإهمال العربيّ يشمل بلادنا من الخليج إلى المحيط.

1 The Unromantic Orient, Op.cit, translators introduction, P. 3-4.

^٢ كندا: عاصمتها أوتاوا، ولغتها الرسمية الإنجليزية، والفرنسية، والديانة فيها المسيحية طائفة (الكاثوليكية) الرومانية، والإنجليكانية، وهي عضو في الأمم المتحدة، وحلف شمال الأطلسي.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٣٣٩-٣٤٢.

^٣ صفحات وثائقية من تاريخ الإعلام في الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ١٨٤.

^٤ إبراهيم البليهي: إبراهيم بن عبد الرحمن سليمان البليهي، ولد عام ١٣٦٣هـ في بريدة بالقصيم، وحصل على بكالوريوس في الشريعة الإسلامية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ويعمل حالياً عضو في مجلس الشورى، وله العديد من المؤلفات، منها: سيد قطب وتراثه الأدبي والفكري، حائل والخدمات البلدية. ينظر: الموقع الرسمي لمجلس الشورى، متوفر على شبكة المعلومات العالمية www.shura.gov.sa تاريخ الدخول: ١٠/١٢/١٤٣٠هـ.

^٥ محمد أسد مفكر لم ينل حقه من الدراسة، إبراهيم البليهي، جريدة الرياض، العدد ١٣٥٨٦، الأحد ٣٠/رجب/١٤٢٦هـ / ٠٤/سبتمبر/٢٠٠٥م.

المطلب الثاني

كتاب Islam at the Cross roads

(الإسلام على مفترق الطرق)

يعدُّ كتابُ (الإسلامُ على مفترقِ الطرقِ) من أعظم مؤلفات محمد أسد - رحمه الله - وأكثرها انتشاراً، صدر الأصلُ منه في إبريل عام ١٩٣٤م في دلهي^١ بالهند، وترجمه الأستاذ عمر فروخ^٢ إلى اللغة العربية، وطُبعت الترجمة في بيروت عن دار العلم للملايين عام ١٩٤٦م، وقدّم له الدكتور مصطفى الخالدي^٤.

وفي عام ٢٠٠٩م صدرت ترجمةٌ جديدةٌ للكتاب، قام بها الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين^٥، وطُبعت تحت إشراف مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض.

والكتاب يحتوي على مئة وتسع عشرة صفحةً من القطع المتوسطة، وأهداه مؤلفه إلى الشباب المسلم، ولقد نال هذا الكتاب شعبيةً واسعةً، وكان أول ما كتبه محمد أسد - رحمه الله - عن الإسلام، وتضمن نداءً خاصاً للمسلمين يحذرهم من التقليد الأعمى لمظاهر، وأشكال الحياة الاجتماعية الغربية ولاسيما في مجال التربية والتعليم، وسعى المؤلف في كتابه جاهداً إلى إيقاظ المسلمين، والدعوة إلى بعث الإسلام في نفوسهم من جديد، ومحاولة إعادة الثقة، والعزة بثقافتهم الإسلامية الأصيلة، مع تسليط الضوء على الحضارة الغربية، ومركزاتها، وسماتها، وأهدافها؛ ليرى المسلمون أنهم يختلفون عن المجتمع الغربيّ اختلافاً جذرياً في أصوله، وثقافته، وسائر أنماط الحياة الأخرى.

^١ دلهي: مدينة هندية كبرى بالبنجاب، وهي عاصمة الهند إبان الإمبراطورية المغولية الإسلامية، وفي عام ١٩١٢م أصبحت عاصمة جمهورية الهند الحديثة، وتقع على نهر الجومنا، وكانت مركزاً إسلامياً مهماً، وتحتوي قصر السلطان شاه جهان، ومسجد جاما. ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ٢٣٣.

^٢ محمد أسد هبة الإسلام لأوروبا، مرجع سابق، ص ٤٨.

^٣ عمر فروخ (١٩٠٦م/١٩٨٧م): ولد في بيروت في وسط أسرة متدينة تحب العلم، نال شهادة الكلية السورية الإنجليّة في اللغة العربية وآدابها، ساهم في تأسيس جمعيات إسلامية وثقافية، وهو عضو فعال في الجامع العلمية العربية، دافع عن الفصحى وعن تراثنا الإسلامي، له العديد من المقالات والمؤلفات التي تتجاوز عددها الخمسين، توفي إثر نوبة قلبية، وهو يكتب مقالا عن التراث الإسلامي. ينظر: تمة الأعلام، مرجع سابق، المجلد ٢، ص ٧٨-٨٠.

^٤ مصطفى الخالدي (١٨٩٥م/١٩٧٧): طبيب، وأديب، وكاتب إسلامي، ولد في بيروت، ودرس الطب في جامعاتها الأمريكية، عُرف بدفاعه عن القضايا القومية الإسلامية، ومن مؤلفاته: حاضر لبنان المسلم، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، توفي عام ١٩٧٧م. ينظر: تمة الأعلام، مرجع سابق، المجلد ٢، ص ٢٥٨.

^٥ صالح بن عبد الرحمن الحصين الناصري التميمي: ولد الشيخ صالح الحصين في بلدة شقراء عام ١٣٥١هـ، وأتم دراسته في كلية الشريعة بمكة عام ١٣٧٤هـ، ونال الماجستير من مصر في الدراسات القانونية عام ١٣٨٠هـ، عمل مستشاراً في وزارة المالية، وعين وزيراً للدولة وعضواً في مجلس الوزراء عام ١٣٩١هـ، وفي عام ١٤٢٢هـ كلف برئاسة الحرمين، ورئيساً للجنة العليا لمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني. ينظر: أعلام بلا إعلام، د. عبد الرحمن صالح الشيبلي، ط١، الرياض: مطبعة سفير، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج١، ص ٣٣٠-٣٣٧.

ويثني د. مصطفى الخالدي الكتاب بقوله: "لم يكن الذي دفعني إلى وضع هذا الكتاب بين أيدي الشباب المسلم، أن هذا الكتاب أوسع الكتب في موضوعه، ولا أجمعها في الناحية التي تناولها، ولكن لأن صاحبه صرح المسلمين بحقائق قل أن جرؤ غيره على التصريح بها: إنه درسٌ دقيقٌ لحال المسلمين من الناحية الثقافية، والروحية"^١.

وطُبع هذا الكتاب سبع مرات، فالطبعة الأولى كانت في عام ١٩٤٦م، وكانت الثانية في ١٩٤٨م، في حين الثالثة كانت في عام ١٩٥١م، وأما الطبعة الرابعة فكانت في عام ١٩٥٧م، والخامسة في عام ١٩٦٢م، والسادسة كانت في عام ١٩٦٥م، وكانت الطبعة السابعة والأخيرة منه في عام ١٩٨٤م^٢.

ولا شك أن تعدد طبعات هذا المؤلف الموجز تكشف عن قيمته الكبرى التي لاقت قبولاً، ورواجاً لدى القراء في كل مكان، ومن ثم فإنّه يظلّ جديداً دائماً طالما يعرض لفكرة تتجدد مع تجدد الأجيال الذين يواجههم نفس السؤال^٣.

أما عن موضوع البحث الأساسي، فقد أشار إلى ذلك المؤلف - رحمه الله - حيث قال: "إنّ البحث لن يتسع للحديث عن كلّ ما يتعلق بالإسلام، إلّا لتلك المشكلات التي تواجه المسلمين اليوم وهي: الموقف الذي يجب أن يتخذه المسلمون تجاه المدينة الأوروبية"^٤.

وبجانب موضوع البحث الأساسي، تطرّق الكاتب - رحمه الله - إلى قضية الدفاع عن السنة النبوية بدحض شبهات المستشرقين، وردّ مزاعمهم، وبيان منهجهم في البحث، والكتابة عن الإسلام، حتى انتهى - رحمه الله - إلى إيضاح فوائد التمسك بالسنة النبوية، واعتبارها العلاج الناجح لجميع أمراضنا الثقافية، والروحية، والاجتماعية، والسياسية.

ويخلص المؤلف - رحمه الله - في نهاية بحثه هذا إلى أن الإسلام دينٌ صالحٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ، ودينٌ تميز بالشمولية، والواقعية، والتوازن، كما أنّه الدين الذي استطاع في الماضي أن يخلق عظمة العرب، ويجعل منهم قوةً سياسيةً، واقتصاديةً، واجتماعيةً، وعلميةً لا مثيل لها، لذا فهو قادرٌ على أن يقدم للمسلمين اليوم ما قدمه بالأمس، إن هم تمسكوا بتعاليمه، وساروا على نهجه في حياتهم.

ولقد تأثر خلقٌ كثيرٌ بهذا الكتاب، وكان سبباً بعد الله عزّ وجلّ لإنارة طريق الهدى، والخير أمامهم، كما أن آراء محمد أسد - رحمه الله - وأفكاره التي عرضها في كتابه، وتحليلاته وجدت طريقها إلى

^١ الإسلام على مفترق الطرق، مرجع سابق، ص ٥.

^٢ الفكر الإسلامي محمد أسد (ليوبولد فايس) وجهوده في الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٩٨.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، تعليق طه مصطفى أبو كريشة، مجلة الأزهر، السنة ٥٦، محرم ١٤٠٤هـ/ أكتوبر ١٩٨٣م، ج ١، ص ١٠١٣.

^٤ الإسلام على مفترق الطرق، مرجع سابق، ص ١١-١٢.

عقول الكثير من الكتاب والمفكرين، فأخذت مجراها في التأثير عليهم، وظهرت ثمارها بواسطة أقلامهم، نذكر على سبيل المثال المفكر مالك بن نبي^١ في كتابه (الصراع الفكري في البلاد المستعمرة)، والشيخ أبا الحسن الندوي^٢ في كتابيه (بحوث ومقالات والصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية)، و(ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين)، والدكتور محمود حمدي زقزوق^٣ في كتابه (الإسلام في الفكر الغربي)، والمفكر محمد قطب^٤ في كتابه (الإنسان بين المادية والإسلام)، والشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين في كتابه (التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب)، والدكتور يوسف القرضاوي^٥ في كتابيه (الإسلام حضارة الغد)، و(خصائص العبادة في الإسلام)، وغيرهم الكثير، إضافة إلى اقتباسات الكتاب، والصحفيين في العديد من المقالات الصحفية.

ويعود سبب تأثر الكتاب، والمفكرين بهذا الكتاب إلى نقطتين رئيسيتين هما:

^١ مالك بن عمر بن حضير بن مصطفى بن نبي (١٩٠٥م - ١٩٧٣م): ولقد اشتهر باسم (مالك بن نبي)، وكان يلقب بالصادق، ولد في مدينة قسنطينة عام ١٩٠٥م، وهو الابن الوحيد في أسرته الفقيرة المتدينة، كانت أسرته هي مدرسته الأولى، ثم تلقى تعليماً أولياً في الكتاب، ثم دخل المدرسة، وبعد أن تخرج من الثانوية سافر إلى فرنسا، وتزوج هناك من زوجته الأولى وهي خديجة، ثم استقر في مصر عام ١٩٥٦م، وبقي محاضراً، وناقش، ويؤلف فيها حتى عام ١٩٦٣م، بعدها عاد إلى الجزائر، وبقي نشيطاً في العمل الفكري، وله العديد من المؤلفات بعضها تُرجم إلى العربية، توفي عام ١٩٧٣م في الجزائر بعد أن اشتد عليه المرض. ينظر: الأعلام، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٦٦.

^٢ علي أبو الحسن الندوي (١٩٢٣م / ١٩٩٩م): ولد في قرية (تكية) شمال الهند عام ١٩٢٣م، من أسرة ذات أصل عربي عريق تعيش في الهند منذ قرون، وهو ابن العلامة الشريف عبد الحي الحسيني أحد كبار مؤلفي عصره، عُرفت أسرته بالتدين، والالتزام، والحفاظ على السنن، ومخاربة البدع، تلقى دراسته الأولية على يد الشيخ خليل محمد اليماني، وتعلم في دار العلوم ندوة العلماء، وجامعة لكهنؤو بتفوق ممتاز، والتحق بمدرسة الشيخ أحمد علي في لاهور للتفسير، نال الإجازة في علم الحديث على يد الشيخ عبد الرحمن المباركفوري، وله نشاط واسع في خدمة الدعوة الإسلامية، والدفاع عن الإسلام، كتب العديد من المؤلفات منها: (القراءة الراشدة)، و(مختارات في الأدب العربي)، و(روائع إقبال)، و(ربانية لا رهبانية)، و(حديث مع الغرب)، و(المسلمون في الهند)، و(النبي الخاتم)، ونشرت معظم كتبه بالعربية، وترجمت إلى العديد من اللغات، وبقي الكثير منها بالأردية، توفي يوم الجمعة في رمضان عام ١٩٩٩م. ينظر: علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المخدوب، ط ٤، الرياض: دار الشواف، ١٩٩٢م، ج ١، ص ١٣٥-١٥٤.

^٣ محمود حمدي زقزوق: ولد في عام ١٩٣٣م، وحصل على الإجازة العالمية من كلية اللغة العربية بالأزهر عام ١٩٥٩م، وحصل على الدكتوراة في الفلسفة جامعة ميونخ الألمانية عام ١٩٦٨م، وشغل منصب وزير الأوقاف الأسبق بمصر، وهو داعي إسلامي كبير، وله العديد من المؤلفات. ينظر: شبكة المعلومات العالمية، www.goodreads.com تاريخ الدخول ١٢/١٠/١٤٣٠هـ.

^٤ محمد قطب إبراهيم (١٩١٩م): ولد في ٢٦/٤/١٩١٩م في بلدة موشا من محافظة أسيوط بمصر، ونشأ في أسرة مثقفة محبة للعلم، بعثته والدته إلى القاهرة ليتلقى تعليمه هو وأخوه سيد قطب الذي كان يكبره بأكثر من اثني عشر عاماً، درس في القاهرة المرحلة الابتدائية والثانوية، ثم التحق بجامعة القاهرة حيث درس اللغة الإنجليزية، وتخرج منها عام ١٩٤٠م، ثم حصل على دبلوم التربية وعلم النفس من معهد التربية العالمي للمعلمين، له نشاط واسع في مجال الدعوة إلى الإسلام، وقد أصدر عدة مؤلفات من أهمها: (الإنسان بين المادية والإسلام)، و(جاهلية القرن العشرين)، و(منهج التربية الإسلامية)، و(المذاهب الفكرية المعاصرة)، و(التطور والنبات في حياة البشرية)، أكرمه الله تعالى بعد الخروج من المعتقل بالتدريس في جامعة أم القرى، توفي إثر جلطة دماغية رحمه الله. ينظر: علماء ومفكرون عرفتهم، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٧٥-٢٩٣.

^٥ يوسف القرضاوي: ولد يوسف القرضاوي عام ١٩٢٦م في قرية (حنظ تراب) إحدى قرى الغربية بشمال مصر، حفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة، والتحق بالجامع الأزهر فكان من المتفوقين باستمرار، تخرج من كلية أصول الدين عام ١٩٥٢م، وحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه، اشتغل بالدعوة الإسلامية، والتحق بجامعة الإخوان المسلمين، وأودع السجن عدة مرات، عمل بالتدريس في مصر، وعمل مديراً للمعهد الديني بقطر لعدة سنوات، له العديد من المؤلفات، والبرامج الإذاعية، والتلفزيونية، بالإضافة إلى عضويته في الرقابة الشرعية لعدد من المصارف الإسلامية، تُرجمت بعض كتبه إلى لغات أخرى منها: (الحلال والحرام)، و(فقه الزكاة)، و(فتاوى معاصرة).

ينظر: علماء ومفكرون عرفتهم، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٦١-٤٦٩.

أ. العاطفةُ القويَّةُ: كانت عاطفة المؤلف - رحمه الله - قويَّةً جداً، وظاهرةً، وواضحةً في كلماته الرنانة، ومشاعره الصادقة تجاه الإسلام والمسلمين، وحبِّه للرسول ﷺ، ودفاعه عن سنته الشريفة، والأهمُّ هو إحساسه بعمق واجبه، ومسؤوليته تجاه الإسلام بالدعوة إليه، والدفاع عنه، وإصلاح حال المسلمين.

ب. الموضوعية: لقد قدم لنا محمد أسد - رحمه الله - في كتابه (الإسلامُ على مفترقِ الطرقِ) رؤيته عن الحضارة الغربية، والفكر الغربيِّ بطريقةً علميةً موضوعيةً تناسب إنسان العصر الذي أصبح يملُّ من الأسلوب الوعظيِّ العاطفيِّ، ويميلُ إلى الفهم، والإدراك، والاعتناع، وبهذا استطاع - رحمه الله - أن يعرض الإسلام بصورةً جديدةً لم نعتد عليها من قبل، يمكن أن نطلق عليها (فلسفةٌ عصريةٌ للدعوة إلى الإسلام)، الأمر الذي جعل لأفكاره تأثيراً دائماً وليس وقتياً، وقد لا يصدق من يقرأ كتابه المشار إليه بأنَّ الكاتب أوروبيُّ الأصل والمنشأ، ويهوديُّ المعتقد، وهو يكتب بمنتهى الصدق، والموضوعية عن حضارة الغرب، وآفاتهما، وكأنَّه لم يكن يوماً ذلك الفتى الذي وُلِدَ في أسرةٍ يهوديةٍ، ونشأ في أحضان الثقافة الغربية، وتعلم العلوم الدينية اليهودية، ثم أسلم، وأدار ظهره لدينه، وثقافته، وموطنه، واتخذ من الإسلام ديناً، ومن الثقافة الإسلامية ثقافةً، ومن بلاد المسلمين موطناً.

المطلب الثالث

كتاب Sahih AL-Bukhari The Early Years of Islam

(صحيح البخاري، السنوات المبكرة للإسلام):

يعدُّ هذا الكتاب من أضخم المشاريع التي قام بها محمد أسد - رحمه الله - ولقد عكف على العمل به، وكتابته مدة عشر سنوات، وصدر الأصل منه عام ١٩٣٨م في لاهور^١ بالهند عن دار عرفات للطباعة والنشر.

وكان من المفترض أن ينهي محمد أسد - رحمه الله - ترجمة الصحيح كاملاً، ولكن مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، واعتقاله - رحمه الله - ما بين عام ١٩٣٩م إلى ١٩٤٥م تحت الوصاية البريطانية في الهند، تسبب ذلك في توقُّف الإصدار، وفي صيف ١٩٤٧م عندما حاول - رحمه الله - استئناف العمل حال دونه ودون ذلك الاضطرابات، والفوضى، ومظاهر التسلح، والإبادة الجماعية التي كانت في الهند، ودُمرت مكتبته الشخصية، وفقد على إثرها ثلاثة أرباع مشروعه، والكثير من الكتب العربية، والإسلامية التي طالما احتفظ بها، وهذه الطبعة ما هي إلا أجزاء لما تبقى من مشروعه، يقول - رحمه الله -: "لقد شهدت أجزاء من الترجمة تطفو على مياه نهر رافي بالإضافة إلى بعض الكتب العربية التي كانت في مكتبي"^٢.

ويقع الكتاب في ست^٣ وثلاثمئة صفحة من القطع الكبيرة، وبحسب علمي مازال الكتاب باللغة الإنجليزية، ولم يُترجم إلى أية لغة أخرى، كما أنه لا يوجد دراسات بحثية علمية على الترجمة، رغم أنها من أقدم، وأندر الترجمات الإنجليزية لصحيح البخاري.

وفي عام ١٩٨١م، وعام ١٩٩٣م تمَّ إعادة طبع الكتاب عن دار الأندلس بجبل طارق، وكانت حقوق النشر محفوظة باسم السيدة بولا حميدة أسد، ثم في عام ٢٠٠٢م ظهرت طبعة فاخرة للكتاب عن دار الكتب الإسلامية بماليزيا^٣، وهي الطبعة التي حصلت عليها بتوفيق من الله، حيث أن الكتاب نادرٌ جداً، وغير متوفر في مكتباتنا العربية الوطنية، والحكومية، كما لا يمكن شراؤه عن طريق مواقع بيع الكتب على شبكة الإنترنت.

^١ لاهور: مدينة باكستانية مشهورة في شمال شرق باكستان، وتربطها بالمدن الباكستانية الأخرى خطوط اتصال حديدية، وبرية عديدة، تشتهر المدينة بالنهب، والحرير، والفضة، وصناعة المعادن، وهي مركز هام لسكك الحديدية، وفيها العديد من المباني الفاخرة، وفيها قلعة مغولية مشهورة، وفيها العديد من المساجد، وجامعة معروفة دخلها الإسلام نهاية القرن الرابع الهجري على يد الدولة الغزنوية، وأصبحت عاصمة إمبراطورية الهند الإسلامية.
ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ٤٢٧.

2.Sahih AL-Bukhari – The Early Years of Islam, Muhammad Asad, Islamic Book Trust, Malaysian, 2002, P. Viii.

^٣ ماليزيا: عاصمتها كوالالمبور، واللغة الرسمية هي الملاوية، والإنجليزية، والديانة الرسمية للدولة الإسلام، وبها بوذيون، وهندوس، وهي عضو في الأمم المتحدة.
ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٣٩٩-٤٠١.

أما عن موضوع الكتاب فهو عبارة عن ترجمة لأحاديث الرسول ﷺ الواردة في كتاب صحيح البخاري إلى اللغة الإنجليزية، مع ما تضمنه من نبذة تاريخية عن الرسالة النبوية، والأعوام الأولى لظهور الإسلام، حتى معركة بدر الكبرى، ولعل هذه النبذة التاريخية تفسيراً لعبارة (السنوات المبكرة للإسلام)، والتي ذكرها المؤلف - رحمه الله - ضمن عنوان الكتاب.

ويظهر أن السبب الرئيسي في ترجمة محمد أسد - رحمه الله - لكتاب صحيح البخاري هو دراسته للسنة النبوية، وعلم الحديث في المسجد النبوي، وبالتالي أدرك أسرار السنة النبوية، وأهميتها، وأنها منهج شامل للحياة في كل صغيرة وكبيرة لا يمكن الاستغناء عنها، وأنا من خلالها نستطيع الاتصال بجوهر الإسلام مباشرة، فتبلورت فكرة ترجمة صحيح البخاري في ذهنه كما وضح ذلك في قوله: "فكرة ترجمة الصحيح إلى الإنجليزية والتي لم تتم من قبل طرأت لي أثناء إقامتي في المدينة المنورة عندما كنت أدرس الحديث في مسجد رسول الله ﷺ، في هذا الجو الإيماني سيطرت علي بقوة فكرة ضرورة البحث مرة أخرى عن اتصال مباشر مع جوهر الإسلام، وأدركت أن معرفة آراء السلف ليست كافية؛ حيث أنهم عاشوا في زمن ليس له علاقة مباشرة بأمور الحياة العصرية، ونحن بحاجة إلى فهم تعاليم الإسلام فهماً صحيحاً ولا يكون ذلك إلا بدراسة الأحاديث النبوية الشريفة، على أكمل وجه وكأن رسول الله ﷺ يخاطبنا مباشرة"¹.

وعن منهج المؤلف - رحمه الله - في كتابه فقد حاول بقدر الإمكان الالتزام بالمعنى الأصلي للنص متجنباً الوقوع في تقصير اللغة الإنجليزية، ثم دوّن تعليقاته في الملاحظات، ووضع كل إضافة له لإيضاح المعنى بين أقواس إشارة إلى أن هناك إضافة خارجية من نص الحديث، وقسم كل حديث إلى قسمين: القسم الأول السند، والقسم الثاني المتن، واستخدم الأحرف المائلة لكتابة تراجم الأبواب كما ترجم لها الإمام البخاري - رحمه الله - ، ووضع حرف (I) إشارة إلى الحديث المعلق، وحرف (h) إشارة إلى التحويل لرواة آخرين، كما أنه أدرج سند كل حديث كاملاً رغم أن البعض أشار عليه أن في ذلك إطالة ليس لها أهمية للقارئ، ولكنه رأى أن ذلك هو الصواب معللاً بقوله: "لابد أن يكتب السند كاملاً فهو جزء ضروري لكل حديث؛ لأنه بمثابة العمود الفقري للجسم، ولأن الإسناد هو الذي يجعله صحيحاً أو ضعيفاً، وبدون الإسناد يصبح الحديث مجرد مقولة يمكن قبولها أو رفضها، كما أن كتابة السند تجعل القارئ يدرك بنفسه مدى الدقة والحيطه في تدوين الحديث، وبالتالي يتقبل القارئ الحديث وهو على يقين أنه صحيح"².

1. Sahih AL-Bukhari – The Early Years of Islam, Op. cit., P.V.

2. Ibid. P. v-viii

ولقد قام - رحمه الله - بطباعة النصّ العربيّ للحديث بجانب الترجمة، رغم اعتراض بعض أصدقائه على ذلك؛ لأنّ طباعة النصّ العربيّ ستزيد من حجم الكتاب وبالتالي التكاليف، والقارئ يستطيع الرجوع إلى آية نسخة من نسخ الصحيح عندما يحتاج مراجعة النصّ، ولكنّ محمد أسد - رحمه الله - لم يوافقهم الرأي، بل كان يرى أنّ طباعة النصّ العربيّ هو الطريقة الصحيحة لإخراج الكتاب؛ لأنّ القارئ يستطيع أن يقارن في كلّ خطوة من الترجمة مع أصل النصّ، وبالتالي يزداد فهمه، ويحدد العبارات التي لا وجود لها في النصّ الأصليّ، كأراء الأشخاص، والتعليقات المضافة من قبل المترجم، وأعتد الكاتب - رحمه الله - على نسخة صحيح البخاريّ التي أمر السلطان عبد الحميد¹ بطباعتها في مطبعة الأميرية بالقاهرة عام ١٣١٣هـ².

إنّ ترجمة محمد أسد - رحمه الله - لصحيح البخاريّ باللغة الإنجليزية قدمت لنا الصحيح بأسلوب واضح، وسهل، ومقروء، ومقرون بالتعليقات، والفوائد، وينبغي أن يتناول الباحثون هذه الترجمة بالدراسة، والنقد، والتمحيص، والتنقيح، ليصل هذا المشروع إلى كلّ مسلم وفق منهج سليم يُستفاد منه.

¹ السلطان عبد الحميد (١٨٤٣م / ١٢٦٠هـ): السلطان عبد الحميد الثاني بن السلطان عبد المجيد، أحد سلاطين الدولة العثمانية، ولد بإسلامبول (إسطنبول)، وتولى السلطة بعد عزل أخيه السلطان مراد الخامس عام ١٨٧٦م، وكانت الدولة حينذاك على الهاوية، وعلى الرغم من ضعف الدولة إلا أنه استطاع أن يقدم العديد من الخدمات الجليّة لبلاده، منها: حفظه للدولة بعد الحرب الروسية التركية أن تفقد المزيد من أراضيها في أوروبا طوال حكمه، وأحمد تمرد كريت، وهزم اليونان، وغيرها العديد من الخدمات مثل إنشاء سكة حديد الحجاز، نفي إلى سلافيك عام ١٩١٠م، ثم أعيد إلى إسطنبول ليقبى سجيناً في قصره إلى أن توفي عام ١٩٠٩م. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ١٦، ص ٨٩-٩٠.

2 Sahih AL-Bukhari – The Early Years of Islam, Op. cit., P.V-Viii

المطلب الرابع Magazine Arafat (مجلة عرفات)

في عام ١٩٤٩م بدأ محمد أسد - رحمه الله - بتحرير مجلة عرفات^١، وهي مجلة إسلامية ثقافية، الهدف منها الدفاع عن الإسلام بدحض شبهات المستشرقين، وردّ أباطيلهم.

وفي عام ١٩٤٧م بدأ إصدار المجلة، فنشر - رحمه الله - عشرة أعداد منها في لاهور بجهود فردية منه^٢، وبالتعاون مع صديقه (وليم بكتول)^٣ الذي أسلم هو الآخر^٤.

وبحسب د. عبد الرحمن الشبيلي^٥ فإن مجلة عرفات تتضمن أبحاثاً قيّمة في الدستور الإسلامي لمحمد أسد - رحمه الله - كان قد ركز على إعدادها أثناء إقامته في الهند، كما يتوقع الشبيلي بأن المجلة تعدّ منجماً من المعلومات عن محمد أسد - رحمه الله - مدة إقامته في شبه القارة الهندية^٦.

في حين ذكر محمد أسد - رحمه الله - في ملحوظة أوردها في مقدمة كتابه **This Law of Ours and Other Essay** (شريعتنا ومقالات أخرى) بأن كتابه آنف الذكر يتضمن العديد من المقالات التي نُشرت في لاهور بين سبتمبر ١٩٤٦م، وفبراير ١٩٤٧م في مجلة شهرية يُطلق عليها (عرفات)، والتي كتبها، وحررها في جريدة الرجل الواحد، وهي جريدة دورية شهرية، وهو ما أشار إليه د. جونتر ويند

1.The Unromantic Orient, Muhammad Asad, Op.cit. P. 136.

2.This Law of Ours and Other Essay, by Muhammad Asad, Islamic Book Trust, Kuala Lumpur, 2001,P 1.

٣ ولیم بکتول (١٨٧٥م/ ١٩٣٠م): هو مستشرق بريطاني ولد عام ١٨٧٥م في لندن، وينتمي إلى أسرة من الطبقة الوسطى الإنجليزية، درس في مدرسة هارو ستة فصول دراسية، حيث كان يعاني في صغره من التهاب الشعب الهوائية، ثم سافر عبر بلدان الشرق الأوسط، وفي عام ١٩١٧م، أعلن إسلامه بعد إلقاء محاضرة " On Islam" في جمعية الأدب الإسلامي بلندن، ونشر ثلثي روايات مجموعة عن سوريا وفلسطين ومصر واليمن وتركيا، وفي عام ١٩٥٠م سافر إلى الهند للعمل كمحرر لوقائع بومباي، وفي عام ١٩٢٧م تولى منصب رئيس تحرير مجلة الثقافة الإسلامية، وفي عام ١٩٣٠م نشر ترجمة لمعاني القرآن الكريم، وتوفي عام ١٩٣٦م ودفن في مقبرة المسلمين في بروكورد ساري في لندن.

ينظر: شبكة المعلومات العالمية : http://www.masud.co.uk/ISLAM/bmh/BMM-AHM-pickthall_bio.html

http://en.wikipedia.org/wiki/Marmaduke_Pickthall

^٤ من بولنيا إلى بيت الله الحرام، محمد أسد يلي نداء الإسلام، عرفه عبده علي، مجلة الحج والعمرة، العدد ١١، السنة ٦١، ذو القعدة ١٤٢٧هـ، ص ٢٧.

^٥ عبد الرحمن الشبيلي: ولد في عنيزة بمنطقة القصيم في عام ١٩٤٤م، وحصل على بكالوريوس في الجغرافيا من جامعة الملك سعود عام ١٩٦٥م، ثم حصل على الماجستير في الإعلام من جامعة كانساس بأمريكا عام ١٩٦٩م، وحصل على الدكتوراه في الإعلام من جامعة ولاية أوهايو الأمريكية عام ١٩٧١م، تقلد العديد من المناصب، منها: مدير عام التلفزيون عام ١٩٧١م، وعضو في مجلس الشورى عام ١٩٩٤م، له العديد من المؤلفات منها: (نحو إلام أفضل)، و(الإعلام في المملكة العربية السعودية دراسة وثائقية وصفية تحليلية، وله عدد من الرسائل القصيرة، وهو أحد المهتمين بتراث وفكر محمد أسد رحمه الله.

ينظر: صفحات وثائقية من تاريخ الإعلام في الجزيرة العربية، مرجع سابق، الغلاف.

^٦ محمد أسد هبة الإسلام لأوروبا، مرجع سابق، ص ٢٨، ٤٩-٥٠.

هاجر^١ وأكد عليه، حيث ذكر أن كتاب (شريعتنا ومقالات أخرى) تضمن مقالات محمد أسد التي نُشرت في مجلة عرفات^٢.

وبتوفيق من الله عزَّ وجلَّ قُمتُ بجهدٍ علميٍّ، واستطعت الاطلاع على الكتاب المشار إليه كاملاً، فوجدته يتضمن مقالات مطوّلة ناقش فيها محمد أسد - رحمه الله - قضية إنشاء دولة باكستان، والدستور الإسلامي الذي سينظم تلك الدولة، حتى أن د. إكرام شجاني^٣ اعتبر أن هذه المقالات هي الخطوة الأولى في تطور الفكر السياسي في العالم الإسلامي المعاصر^٤.

كما احتوى الكتاب على مجموعة من المحاضرات التي أعدّها محمد أسد - رحمه الله - والتي أُذيعت عبر محطات إذاعية سويسرية، وكذلك تضمن الكتاب عدداً من الخطابات التي ألقاها - رحمه الله - في بعض المؤتمرات الإسلامية، كما ناقش الكتاب العديد من القضايا المتعلقة بالحضارة الإسلامية، وقضية ضرورة الاجتهاد، وإعمال العقل، وعدم التوقف عند ما وصل إليه الأسلاف، وغيرها من الموضوعات، ولم ألحظُ أبداً أن الكتاب كان مصدراً لحياة محمد أسد - رحمه الله - في الهند.

وعليه فمن المستبعد جداً أن تكون المجلة مصدراً لحياة محمد أسد - رحمه الله - في الهند، والذي يبدو والله أعلم أن أعداد هذه المجلة تمَّ جمعها، وطباعتها في مجلدٍ بعنوان (مجلة الثقافة الإسلامية)، تحرير محمد أسد.

^١ جونتر ويند هاجر: حاصل على درجة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية من جامعة فيينا، وهو أحد المهتمين بتراث محمد أسد.

ينظر: Participants S.V.s " Muhammad Asad A life for Dialogue", Op. cit,

2.This Law of Ours and Other Essay, Op.cit, P.1.

^٣ إكرام شجاني: ولد عام ١٩٤١م، حصل على الماجستير من جامعة البنجاب في لاهور، ويجيد اللغتين الألمانية والفرنسية، وهو باحث متخصص في علوم التاريخ، وهو أحد المهتمين بتراث محمد أسد.

ينظر: Participants S.V.s " Muhammad Asad A life for Dialogue", Op. cit,

^٤ علاقة محمد أسد بالباكستان، د. محمد إكرام شجاني، ورقة عمل مقدمة لندوة محمد أسد حياة للحوار، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، ١١-١٢ إبريل

المطلب الخامس

كتاب Making Islamic Constitution

(مقترحات في بناء الدستور الإسلامي)

يعدُّ هذا الكتاب رسالةً صغيرةً دوَّنها محمد أسد - رحمه الله - عام ١٩٤٨م عندما كان في باكستان، والهدف منها هو وضع دستورٍ مستمدٍّ من الشريعة الإسلامية لتنظيم أمور الدولة الجديدة باكستان.

والكتاب من الحجم المتوسط، ويقعُ في اثنتي عشرة صفحةً، وتمت طباعتها عام ١٩٤٨م في لاهور بإشرافٍ من الحكومة الباكستانية باللغتين الإنجليزية، والأردية^١.

ولقد أشار محمد أسد - رحمه الله - أنه تمَّ الاستفادة من بعض مقترحاته التي عرضها في الكتاب آنف الذكر، وجاء صدى تلك المقترحات في دستور باكستان الذي صدر عام ١٩٤٩م^٢.

كما أنَّ هذه الرسالة المبسطة كانت سبباً في تطور الفكر السياسي لدى محمد أسد - رحمه الله - مما جعله يصدر على إثرها كتابه (منهاج الإسلام في الحكم)، والذي يظهر لي والله أعلم أنَّ الكتاب مترجمٌ، ومطبوعٌ بعنوان (مقترحات في الدستور الإسلامي) لمحمد أسد، وأبي الأعلى المودودي^٣، كراتشي^٤، باكستان، الجماعة الإسلامية، ١٩٥٠م^٥.

والواضح أنَّ الكتاب نادرٌ جداً، وغير متوفِّر في المكتبات العربية الوطنية، ومراكز الأبحاث، حيث لم يشر الفهرس العربي الموحد إلى وجوده سوى في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، وقد أرسلت بطلبه إلَّا أنَّ المسؤول أفادني أكثر من مرة بأنَّ الكتاب موجودٌ لديهم على الفهارس الإلكترونية فقط، ولا وجود له على أرفف المكتبة، فربما يكون مفقوداً؛ لقدمه، وصغر حجمه، والله أعلم.

^١ منهاج الإسلام في الحكم، محمد أسد، ترجمة منصور محمد ماضي، ط٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٤٦م، ص ٧.

^٢ المرجع السابق، ص ١١.

^٣ أبو الأعلى المودودي (١٩٠٣م / ١٩٧٩م) هو الإمام الداعية العلامة أبو الأعلى المودودي، ولد في مدينة (أورنج آباد) في جنوبي الهند سنة ١٩٠٣م في بيت معروف بالعلم والورع، حيث تعلم اللغة العربية، وعلوم القرآن والحديث، عمل في الصحافة في سن السابعة عشر، وفي عام ١٩٢٤م تولى تحرير جريدة (الجمعية)، وفي عام ١٩٢٦م بدأ بكتابة سلسلة مقالات بعنوان: (الجهاد في الإسلام) كان لها دور كبير في إعادة الأمة إلى شيء من وعيها، وفي سنة ١٩٣٢م بدأ بإصدار مجلة (ترجمان القرآن) الشهيرة التي كان همه فيها عرض الإسلام من مصدريه الكتاب والسنة، وفي عام ١٩٤١م أنشأ (الجماعة الإسلامية) في لاهور، وكان رئيساً لها، وتعرضت الجماعة للهجوم من قبل القوى البريطانية، والهندوس، وفي سنة ١٩٤٣م بدأ المودودي بتفسير القرآن الكريم، ونشره في مجلة (ترجمان القرآن)، وله العديد من المؤلفات، منها: (نظرية الإسلام السياسية)، و(نظرية الإسلام الاقتصادية)، و(منهاج التغيير الإسلامي)، و(موقف الدين من الجاهلية)، و(تحديد النسل)، و(الرياسة)، و(الحجاب)، و(فرعون في القرآن الكريم)، و(تحديات العصر الحاضر والشباب)، و(احذروا مخطط اليهود)، توفي سنة ١٩٧٩م في نيويورك، ودفن في باكستان. ينظر: تمة الأعلام، مرجع سابق، المجلد الأول ص ٧٣-٧٤.

^٤ كراتشي: مدينة باكستانية كبرى في جنوب غرب باكستان، وهي تطل على بحر العرب، انتشر الإسلام فيها انتشاراً واسعاً في القرن الخامس الهجري في عهد الدولة الغزنوية ببلاد ما وراء النهر.

ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ٣٩٢.

^٥ الفهرس العربي الموحد، متوفر على شبكة المعلومات العالمية <http://www.aruc.org/>

المطلبُ السادسُ

كتاب The Road to Mecca

(الطريقُ إلى مكة)

يعدُّ هذا الكتاب من أعظم مؤلفات محمد أسد - رحمه الله - وأكثرها انتشاراً، فهو تعريفٌ، ووصفٌ شيقٌ لمعالم رحلته إلى الإسلام، والديار المقدسة في الجزيرة العربية، سجل فيه سيرته الذاتية حتى عام ١٩٥٢م، وتجاربه، ومغامراته، وجولاته عبر مختلف بلدان العالم.

ويعتبر الكتاب ذو قيمةٍ أدبيةٍ، وفكريةٍ، وثقافيةٍ مهمةٍ؛ فقد احتوى على تعليقاتٍ للمؤلف، مواقف تركز روح الإسلام، وسموَّ تعاليمه القائمة على الحقِّ، والمساواة، والعالمية، وقد أثنى عليه عددٌ كثيرٌ من المفكرين والعلماء، فهذا الشيخ أبو الحسن الندوي - رحمه الله - يقول: "التقيت به أول مرة في مكة المكرمة ثم في دمشق، ولبنان، في حين كان يشرف على نقل كتابه الشهير (الطريقُ إلى مكة) إلى العربية، فلما صدر كتابه بالعربية أرسل نسخةً منه إليّ، فتأثرت جداً بقراءة كتابه، فقد حكى في هذا الكتاب قصة رحلته وهجرته من اليهودية إلى الإسلام، بأسلوبٍ ممتعٍ جذابٍ، ومثيرٍ يؤثّر على نفس القارئ، ومن خلال هذه الحكاية الممتعة وصف رحلته التي قام بها في صحراء العرب، وما شاهده من حياة العرب وما حصلت له من تجارب ... فحول بأسلوبه الممتع موضوعاً شائكاً خشيباً إلى موضوعٍ عذبٍ قشيبٍ وجدانيٍّ، ... ولا يسعني إلا أن أعترف بقدرة المؤلف على التصور النفسي، ودقة رؤيته وحكمته، وأسلوبه الدعويِّ، فقد عرض دعوة الإسلام بأسلوبٍ حكيمٍ بطريقةٍ أصبح هذا الكتاب وسيلةً لشرح الإسلام، ومنهجه للحياة والثقافة الإسلامية، ليعتبر المسلمين في الهند، وللغربيين ...، ولذلك نال الكتاب قبولاً عاماً في أمريكا، وأوروبا، وصدرت طبعاته في أربع لغاتٍ أوروبيةٍ، (الألمانية، السويدية، الفرنسية، والإنجليزية)، ثم نقل هذا الكتاب ابن أخي الأستاذ محمد الحسيني المرحوم بأمرٍ مني إلى الأردنية وطلبت الإذن من المؤلف لترجمته فسمح بذلك".^١

وقيل في الثناء عليه: "تناول هذه الزاوية كتاباً، حقَّ علينا أن نترجمه بعدة لغاتٍ، ونوزعه في أصقاع المعمورة، ليعرف كلُّ خلقِ الله ما هو الإسلام؟ كتبه رجلٌ ساقه الله إلى الإسلام فشعر بجلاوته وصفائه ونقائه ليعلمن إسلامه عن قناعةٍ كاملةٍ".^٢

وقيل: "... لقد استدعى أنظار غير المسلمين إلى الإسلام، وكان سبباً في جذبهم إليه".^٣

^١ المفكر الإسلامي المهتدي البارز محمد أسد، الشيخ أبو الحسن الندوي، مجلة البعث الإسلامي، العدد ٤، المجلد ٣٧، ذو الحجة ١٤١٢هـ / يونيو ١٩٩٢م، مؤسسة الصحافة للنشر، الهند، ص ٩٤-٩٥.

^٢ الطريق إلى مكة قصة اكتشاف رجل أوروبي الإسلام، جريدة اليوم، العدد ١٢٩٢٨، ٠٦/نوفمبر/٢٠٠٨م، ص ٢١.

^٣ محمد أسد هبة الإسلام لأوروبا، مرجع سابق، ص ٤٨.

وجاء على لسان مارتن كرايمر^١ وهو يهوديُّ المعتقد: "أنَّ الكتاب غايةً في الروعة والجمال وهو عبارةٌ عن مجموعة مذكراتٍ ورحلات، يخبرنا فيها الكاتب عن قصة إسلامه، ولقد ربح الكتاب مديحاً واسعاً في الصحافة الغربية ولاسيما صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية"^٢.

ولقد صدر الأصل منه في عام ١٩٥٤م بنيويورك، ويقع الكتاب في أربعٍ وأربعمئةٍ صفحةٍ من الحجم الكبير، ونُشر باللغة الإنجليزية في نيويورك، وبالألمانية في فرانكفورت، وبالهلندية في أمستردام، وبالسويدية في ستوكهلم^٣، والأردية في الهند، والتركية في تركيا، والعربية في طبعتها الأولى ببيروت عن دار العلم للملايين عام ١٩٥٦م، وترجمه الأستاذ عفيف البعلبكي، وتقدم السفير عبد الوهاب عزام سفير جمهورية مصر العربية في المملكة العربية السعودية.

وفي عام ١٩٩٧م صدرت الطبعة التاسعة للكتاب بعنوان: (الطريقُ إلى الإسلام) عن مكتبة العبيكان بالرياض، ولم يكن بها أية إضافة ملحوظة عن سابقتها.

ولقد أهدى المؤلف - رحمه الله - الكتاب إلى الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - تقديراً للآمال العظيمة التي يؤملها المسلمون من جلالته، وذكرى للأيام السعيدة التي قضاهها المؤلف في رعاية والده الملك عبد العزيز غفر الله له، ولهم أجمعين^٤.

وفي عام ١٩٩٩م أُعيدت طباعة الكتاب باللغة الإنجليزية عن دار الكتب الإسلامية بماليزيا، وكانت حقوق الطبع محفوظةً باسم السيدة بولا حميدة.

ثمَّ في عام ٢٠٠١م صدرت طبعةٌ جديدةٌ للكتاب بعد وفاة المؤلف - رحمه الله - باللغة الإنجليزية، وهي بعنوان: **My Discovery of Islam** (معرفتي للإسلام)، عن دار **Good Word Books** في نيودلهي بالهند، وكان الإهداء في هذه الطبعة إلى أرملة السيدة بولا حميدة، كما أُضيفت إلى هذه الطبعة فهرس للبلدان، والأماكن، وأسماء الشخصيات الواردة في الكتاب.

أما في عام ٢٠٠٤م فقد صدرت ترجمةٌ جديدةٌ للكتاب باللغة العربية قام بها الأستاذ الدكتور رفعت السيد علي، وطُبعت بعنوان: (الطريقُ إلى مكة)، تحت إشراف مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض،

^١ مارتن كرايمر: رئيس كلية شاليم، وكلية الفنون الليبرالية في القدس، حصل على درجة الدكتوراه في دراسات الشرق الأوسط من جامعة برنستون، وعمل في جامعة تل أبيب، وأدار مركز موشي دايان لدراسات الشرق الأوسط وأفريقيا.
ينظر: الموقع الرسمي لمارتن كرايمر، متوفر على شبكة المعلومات العالمية www.martenkramer.org تاريخ الدخول: ١٢/١٠/١٤٣٠هـ.

2.The Road from Mecca Mohammad Asad, Op. Cit., P. 47-225.

^٢ ستوكهلم: عاصمة السويد، وأكبر مدنها، وهي قلب الحياة التجارية، والثقافية في السويد، وتعد مركز رئيسي للتجارة، والاتصالات العالمية، تقع على ساحل السويد الشرقي بين بحيرة مالارين، وبحر البلطيق.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ١٢، ص ١٦٩.

^٤ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٥.

وقدّم لها الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين، وتميزت هذه الترجمة عن ترجمة الأستاذ البعلبكي بأنها مزيدة، ومنقحة؛ حيث أُضيف لها فصلٌ جديدٌ بعنوان: (رسالةٌ فارسيةٌ) لم يكن موجوداً سابقاً.

وعن الطبعة الأخيرة للكتاب، فقد صدرت في عام ٢٠١٠م باللغة العربية عن منشورات الجمل^١، ويقال إن مؤسسة الجمل سرقت طبعة المركز القومي للترجمة الصادرة عام ٢٠٠٦م، كما يذكرُ أنّ هناك مجهوداتٍ من بعض المهتمين بالأمر للتواصل مع مؤسسة الجمل في محاولة إعادة طباعة الكتاب بإذنٍ من المترجم؛ لتعسرُ إذن المؤلف وورثته^٢.

وتبقى طباعة الكتاب أمراً مطلوباً ومتجدداً من قبل دور النشر العربية والأجنبية؛ لأهمية موضوعه، ومكانة مؤلفه - رحمه الله -، ولاختلاف وجهات النظر في الغاية التي يجب من أجلها إعادة طباعة الكتاب.

^١ أوروبي يكتشف الإسلام، عبد الله أحمد، بيروت، متوفر على شبكة المعلومات العالمية على الرابط: www.hekmah.org تاريخ الدخول: ١٤٣٠/١٠/١٢هـ.

^٢ الطريق إلى الإسلام، عبد الله أبو ذكري، فبراير، ٢٠١١م، متوفر على شبكة المعلومات العالمية: <http://www.goodreads.com>، تاريخ الدخول: ١٤٣٠/١٠/١٢هـ.

المطلب السابع

كتاب "Is Religion a Thing of Past?"

(هل الدين شيء من الماضي)^١

يعدُّ كتاب "Is Religion a Thing of Past?" من أندر مؤلفات محمد أسد - رحمه الله - ، وهو غير متوفّر في المكتبات التجارية، ويندرُ وجوده في المكتبات الوطنية، والحكومية، ومراكز الأبحاث العلمية للعديد من الدول العربية والإسلامية، ولا يمكن الحصول عليه عن طريق المواقع المخصصة لبيع الكتب على شبكة المعلومات العالمية^٢.

ويبدو أن الكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات للمؤلف نُشرت في المجلة الشهرية "Muslim Thought"، في أكتوبر لعام ١٩٤٦م؛ ولأنها حازت على تقدير، وإعجاب القراء، والمفكرين، والكتّاب، فقد قام الأستاذ خورشيد أحمد^٣ بإعادة نشرها، وتحريرها في كتابٍ مستقلٍّ بعد أن حصل على موافقة المؤلف - رحمه الله - .

ويقع الكتاب في أربع وعشرين صفحة من القطع المتوسطة، وصدرت الطبعة الأولى منه في أكتوبر عام ١٩٦٠م، عن دار النشر التعليمية بكراتشي.

ولقد ناقش الكتاب بطريقة منطقية داءً أصاب الكثير من عوام المسلمين، وخاصتهم ممن يتصدرون للبحث، والتأليف، والإعلام بصفاتهم الثقافية، أو الفكرية، أو السياسية، وهو أن الشريعة الإسلامية جامدة، وصارمة قديمة، لا يتسع صدرها لمسيرة التطورات، ومواجهة المستجدات بروح العصر، ومشيراً إلى أن الميراث الثقيل الذي خلّفته أنظمة الظلم، والفساد هو من شوّه القيم، وحرّف الفكر، وأثار الشبهات، مؤكداً حقيقة واحدة وهي أن الإسلام وحده هو الكفيل بالنجاح، والضامن للتقدم في كافة المجالات، وعلى جميع الأصعدة.

والكتاب لم يُترجم إلى العربية حتى الآن، الأمر الذي جعله مجهولاً لدى العديد من القراء، والباحثين العرب، هذا علاوة على أنه لم يتم إعادة طباعته، ونشره طبعةً أخرى، والله تعالى أعلم.

1. Is Religion a Thing of Past?, Muhammad Asad, Educational Press, Karachi, 1960, P. 3-6.

^٢ تم الحصول على الكتاب عن طريق ذوي الباعثة في أستراليا، وذلك عن طريق التواصل مع المكتبة الوطنية العامة بالدولة.

^٣ خورشيد أحمد: مؤلف وباحث إسلامي، باكستاني الجنسية، حصل على شهادة الليسانس في الحقوق، وعلى الماجستير في الدراسات الإسلامية وفي الاقتصاد، وعلى درجة الدكتوراه في التربية، احتل مناصب عديدة منها مدير وأمين عام لجمع البحوث الإسلامية في كراتشي من عام ١٩٦٠م، وحتى ١٩٦٨م، وتقلد منصب وزير اتحادي للتخطيط والتنمية والإحصاء في حكومة باكستان، حصل على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإنسان عام ١٩٩٠م. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ١، ص ٢٩٧-٢٩٨.

المطلبُ الثامنُ

كتاب The Principles of Stat and Government in Islam

(منهاجُ الإسلامِ في الحكم)

يعدُّ هذا الكتاب تطوراً لأفكار محمد أسد - رحمه الله - التي عرضها في كتابه (مقترحاتٌ في الدستور الإسلامي)، كما يمثل نقلةً نوعيةً في الفكر الثقافي الإسلامي للمؤلف؛ حيث تناول فيه كتابه أصول الدولة الإسلامية، وقواعد الدستور الإسلامي، ومقومات نظام الحكم كالعدل، والشورى بأسلوبٍ علميٍّ وضَّح فيه أصالة المنهج الإسلامي، وتميزه، وتفوقه على كلِّ النظم التي عرفها الإنسان في تاريخه الطويل^١.

ومما يميز من أهمية الكتاب، وسموِّ قيمته الفكرية ما ذكره مؤلفه - رحمه الله - من أن هدفه من البحث، والدراسة في موضوع النظام السياسي في الإسلام إثبات أمرين^٢، الأول: أن البحث في المبادئ التي يجب أن يقوم عليها كيان الدولة الإسلامية لم يستنفذ أغراضه، ولذلك فإن استمرار البحث، والدراسة في هذا الموضوع يعدُّ أمراً حيويّاً لا غنى عنه للمسلمين.

أما الأمر الثاني: إقراره - رحمه الله - من أنه لم يكن يهدف من بحثه هذا تقديم مشروعٍ لدستورٍ إسلاميٍّ، وإنما أراد أن يثبت أن الشريعة الإسلامية قدمت لنا مبادئ واضحةً، ومحددةً لنظام الحكم في الإسلام، وتركت لنا الاجتهاد في وضع التفاصيل، والآليات التي تحقق لنا حاجات العصر.

ولقد صدر الكتاب باللغة العربية في شباط ١٩٥٧م، وبإشرافٍ منه - رحمه الله - ، وقام الأستاذ منصور محمد ماضي بترجمته إلى اللغة العربية، فطُبِع في بيروت عن دار العلم للملايين، ويقع الكتاب في مئة واثنين وتسعين صفحة من القطع المتوسطة، ويحتوي على مقدمة، وخاتمة، وخمسة فصولٍ تضم بين طياتها نقاشاً جيداً، ومهماً يكثر الحديث عنه في هذه الأيام.

ويرى بعض الكتاب، والمفكرين أن هذا الكتاب يعتبر مرجعاً أساسياً لدراسة الفكر السياسي لمحمد أسد - رحمه الله -^٣، ومنهم الباحثة **Pipi Ahmad Rifat Hassan** (بيبي أحمد رفعت حسن)، حيث قامت بدراسة الفكر السياسي لمحمد أسد في بحثها **The Political Thought of**

^١ محمد أسد والهدف السامي للحياة، محمد حسن بدر الدين، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٤٣، سنة ١٤١٥هـ / يوليو ١٩٩٤م، الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ص ٤٩-٥٠.

^٢ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ١١-١٢.

^٣ رجل فقدها المفكر النمساوي محمد أسد، مجلة النور، العدد ٩٤-٩٥، السنة ٧، ذو الحجة ١٤١٢هـ / يونيو (حزيران) ١٩٩١م، ص ٦٦.

Muhammad Asad (الفكر السياسي لمحمد أسد) الصادر عن جامعة Concordia University

بكندا عام ١٩٩٨ م من خلال كتابه آنف الذكر.

كما يرى البعض الآخر أن محمد أسد - رحمه الله - في كتابه هذا قدم للمسلمين فتحاً مبيناً في ميدان الفكر السياسي الذي لم يسبقه إليه أحدٌ برؤية إسلامية خالصة^١.

ولقد جعل البعض من الكتاب مرجعاً لهم في النظام السياسي في الإسلام، واقتبسوا العديد من آراء مؤلفه، وأفكاره حول القضية، منهم على سبيل المثال: محمد يوسف موسى في كتابه (نظام الحكم في الإسلام)، ومحمد العربي في كتابه (دولة الرسول في المدينة)، و(موسوعة الفقه السياسي ونظام الحكم في الإسلام) الصادرة عن دار الكتاب الجامعي^٢ ١٩٨٠ م، وغيرهم الكثير.

ولأهمية موضوع الكتاب، وأسلوبه العلمي في عرض المشكلة وتبسيطها، فقد طُبِعَ ستُّ مراتٍ^٢:

أ. الطبعة الأولى في شباط ١٩٥٧ م.

ب. الطبعة الثانية في كانون الثاني ١٩٦٤ م.

ج. الطبعة الثالثة في أيلول ١٩٦٧ م.

د. الطبعة الرابعة في كانون الثاني ١٩٧٥ م.

هـ. الطبعة الخامسة في عام ١٩٨٠ م.

و. الطبعة السادسة في مارس - آذار ١٩٨٣ م.

^١ محمد أسد والهدف السامي للحياة، مرجع سابق، ص ٤٩.

^٢ المفكر الإسلامي محمد أسد (ليبولد فايس) وجهوده في الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٩٨-٩٩.

المطلبُ التاسعُ

كتاب **The Spirit of Islam**

(روحُ الإسلام)

لا يختلف هذا الكتاب عن كتاب **Is Religion a Thing of Past?**، من حيث عدم توفره، واستحالة وجوده في المكتبات العامة، والتجارية، وندرة الحصول عليه من المكتبات الوطنية، والحكومية، ومراكز الأبحاث العلمية، ومواقع بيع الكتب على شبكة المعلومات العالمية.

والكتاب عبارة عن مقال طويل تحدث فيه مؤلفه - رحمه الله - عن معاني الإسلام الروحية، ورسالته الخالدة إلى جميع البشرية، وروحه التي افتقدتها في الأديان الأخرى.

ولقد ورد هذا المقال في كتاب **"Islam: Its Meaning and Message"**، ونظراً لأهميته فقد قام المجلس الإسلامي الأوروبي بلندن بإعادة طباعته، وتحريره في كتابٍ مستقلٍّ من القطع المتوسطة ضمن خمسَ عشرةَ صفحةً، وبإشرافٍ من الأستاذ خورشيد أحمد رئيس المؤسسة الإسلامية بلندن، وصدر الكتاب عام ١٩٧٩م عن دار **"The Islamic Foundation"** بلندن.

1.The Spirit of Islam, Muhammad Asad, The Islamic Foundation London, 1979, P. 3.

المطلبُ العاشرُ

كتاب The Massage of The Quran

(رسالةُ القرآن)

يعدُّ هذا المشروع من أعظم إنجازات محمد أسد - رحمه الله -، ومؤلفاته، ويذكر محمد أسد - رحمه الله - أنَّه مشروع حياته، وحلمه الذي طالما حلم بتحقيقه، وهو ثمرة جهوده، وعمله في كتابه (صحيحُ البخاريِّ السنواتُ المبكرةُ للإسلام)^١

وكان - رحمه الله - يظنُّ أنه سينجزه في سنتين، ولكنَّه انفق من عمره سبعة عشر عاماً لإتمام هذه المهمة بالصورة التي كان يطمح إليها، وبالهدف الذي وضعه لنفسه^٢، ولقد صدرت الطبعة الأولى للكتاب عام ١٩٨٠م عن دار الأندلس بجبل طارق، وحقوق الطبع محفوظةٌ لسيدة بولا حميدة أسد، كما أشار الناشر إلى أنه سبق نشر جزءٍ من الترجمة عام ١٩٦٤م احتوت على السور التسع الأولى من القرآن^٣.

وللكتاب قصةٌ يحسنُ ذكرها، فقد بدأ دعم المشروع بمبادرةٍ كريمةٍ من سماحة الشيخ محمد سرور الصبان^٤ الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي^٥ آنذاك، وبدعمٍ من عائلة الشيخ (الشايخ) بالكويت، فظهر القسم الأول من الترجمة عام ١٩٦٤م من أول المصحف إلى سورة التوبة، وبرعاية رابطة العالم الإسلامي^٦، ووُزعت من نسخته بضعة آلاف، فتعرف عليه العلماء، والدارسون لأول مرة، لكن ما لبث أن توقف الأمر على إثر ملاحظاتٍ لمجموعةٍ من العلماء على قضايا خلافيةٍ تضمنها الكتاب، وتوقفت الرابطة عن توزيع الكتاب، ولم يتوقف محمد أسد - رحمه الله - عن إتمام الترجمة، وعند إتمامها سنة

1.Sahih AL-Bukhari – The Early Years of Islam, Op.cit, P.V-Viii.

^٢ محمد أسد سيرة عقل يبحث عن الإيمان، مرجع سابق، ص ١٦.

^٣ دراسة نقدية لترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، مرجع سابق، ص ٩٤.

^٤ محمد سرور الصبان (١٣١٦هـ - ١٣٩٢هـ) من رواد الحركة الفكرية، والأدبية في المملكة العربية السعودية، وهو أول أمين لرابطة العالم الإسلامي عند تأسيسها، ووزير سابق للمالية السعودية، ولد في القنفذة، وانتقل مع أسرته إلى مكة، ثم إلى جدة عام ١٣٢٠هـ، وأخيراً عاد إلى مكة حيث درس في مدرسة الخياط، عمل مع والده في التجارة، ثم معاوناً لبلدية مكة، وتدرج بعد ذلك في الوظائف الحكومية حتى نال أرقى المناصب فيها، وأصدر أول كتاب مع بدء توحيد المملكة وهو كتاب (أدب الحجاز)، كما أنشأ أول مكتبة للطبع والنشر في المملكة العربية السعودية وهي المكتبة الحجازية.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ١٥، ص ٣٧-٣٨.

^٥ رابطة العالم الإسلامي: منظمة إسلامية دولية غير حكومية تأسست عام ١٣٨١هـ، وهدفها تبليغ دعوة الإسلام، وشرح مبادئه وتعاليمه، ودحض الشبهات عنه، والتصدي للتيارات والأفكار الهدامة، ويتكون هيكلها التنظيمي من المؤتمر الإسلامي العام، والمجلس التأسيسي، والمجلس الأعلى للمساجد، والأمانة العامة للرابطة.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ٢٤، ص ٢٧٢.

١٩٨٠م دعمها الشيخ أحمد زكي يماني^١، فاشترى عشرين ألف نسخة، ولم يسلم الكتاب من الهجوم، والنقد^٢.

ويقع الكتاب في ألف ومئة وخمسة وسبعين صفحة من القطع الكبيرة، ويشغل الجزء العلوي من كل صفحة النص القرآني العربي من الناحية اليمنى، وترجمته الإنجليزية على الناحية اليسرى، أما الجزء السفلي فيضم الهوامش التفسيرية، والتعليقات الخاصة بالترجمة، وفي بداية كل سورة يبدأ المؤلف - رحمه الله - بتمهيد يتحدث فيه عن السورة، وتاريخ نزولها، والموضوعات التي ناقشتها، وما إلى ذلك.

وقد احتوت مقدمة الترجمة على الأسباب التي حملته - رحمه الله - للقيام بهذا المشروع الضخم، وعلى منهجه الذي اتبعه في ترجمته، وكان مما ذكره - رحمه الله - عن أسباب ترجمته لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية هو إيمانه بأن القرآن الكريم كتاب نور وهداية للناس كافة، فهو كتاب عجيب لا مثيل له، لا في جوهره، ولا في كثرة عدد قرائه، ففيه الجواب الشافي عن كل سؤال لحياتنا، كما أن القرآن الكريم أسوأ فهمه من قبل الأوروبيين لأسباب تاريخية عداوية قديمة، فأراد - رحمه الله - أن يجعل رسالة القرآن رسالة واضحة مفهومة، وقرينة إلى عقول الناس، وقلوبهم سواء كانوا مسلمين أم غير ذلك، إذ يعتقد - رحمه الله - أن الترجمات السابقة لم تستطع أن تُظهر العمق الحقيقي للقرآن الكريم، وحكمته؛ لعدم تمكن المترجمين من اللغة العربية، فأراد - رحمه الله - أن يقدم الترجمة للقارئ الأوروبي حتى يفهم القرآن بدقة عالية^٣.

كما احتوت الترجمة على أربعة ملاحق، تحدث في الملحق الأول عن الرمزية، والاستعارة في القرآن الكريم، وجاء الملحق الثاني عن الأحرف المقطعة، في حين شمل الملحق الثالث مفهوم مصطلح الجن، والملحق الرابع ذكر فيه معجزة الإسراء والمعراج^٤.

ولقد أهدى المؤلف - رحمه الله - هذا الكتاب الضخم إلى **To People who Think** (لقوم يتفكرون)، ولعلّه أراد بذلك أن يلفت نظر القراء إلى أهمية التفكير، وإعمال العقل، وضرورة البعد عن

^١ أحمد زكي يماني: ولد في الدمام سنة ١٩٣٨م، وأتم تحصيله الابتدائي، والثانوي في المملكة العربية السعودية، نال رتبة (ب.ق) بكالوريوس في القانون من جامعة هارفارد، وأشار في كتابه (القانون الإسلامي والقضايا المعاصرة) كراتشي ١٩٥٨م إلى أن ليس من معارضة بين الشريعة والأوضاع الحديثة، وأكد أن التقدم، والنمو إنما ينمان عن طريق تطبيق الشريعة الإسلامية لا غير، عمل وزيراً للثروة النفطية والمعدنية في حكومة الملك خالد - رحمه الله - وهو من أبرز وزراء النفط في الأوابك والأوبك.

ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ج١٢، ص ٣٨٧.

^٢ محمد أسد الطريق إلى مكة (٢-٢)، مرجع سابق، ص ١١٠.

3.The Massage of Quran, Muhammad Asad, Printed by Oriental Press Dubai, 2008, P. vi-xiii.

^٤ دراسة نقدية لترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، مرجع سابق، ص ١٠٧.

الجمود، والتوقع داخل أفكار الغير، حتى يستطيع العقل الفوز بالحلّ الصحيح والنهائيّ، ويصل الإنسان إلى أعلى المراتب، وأسمائها.

والكتاب مازال مطبوعاً باللغة الإنجليزية، فلم يترجم إلى العربية، ولا إلى غيرها (بحسب علمي)، ومن الدراسات العلمية التي بحث حول الكتاب:

أ. دراسة الدكتور عبد الله الخطيب^١، وهي بعنوان: (دراسة نقدية لترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية)، نُشرت في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد ٦٦، السنة ٢١، شعبان ١٤٢٧هـ.

ب. دراسة للباحث جوهانس كلومتك، وهي بعنوان: (محمد أسد وترجمته الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم) دراسة عقدية نقدية، وهي مقدمة للحصول على درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، للعام ١٤٣٠/١٤٣١هـ، ومازال الباحث بصدد كتابتها.

^١ عبد الله عبد الرحمن الخطيب: حصل على درجة الماجستير في الحديث وعلومه من جامعة لندن عام ١٩٨٩م، وحصل على الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من جامعة مانشيستر عام ١٩٩٣م، وهو يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً في التفسير وعلوم القرآن بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة في الإمارات العربية المتحدة.

ينظر: الموقع الرسمي لجامعة الشارقة على شبكة المعلومات العالمية www.sharjah.ac.ae تاريخ الدخول ١٠/١٢/١٤٣٠هـ.

المطلبُ الحادي عشر

كتاب This Low of Ours and Other Essays

(شريعتنا ومقالاتٌ أخرى)

اشتمل هذا الكتاب على مجموعةٍ من المقالات التي دوّنها محمد أسد - رحمه الله -، وعلى العديد من المحاضرات، والمواضيع التي شارك بإلقائها عبر محطاتٍ إذاعيةٍ متعددةٍ، وفي مؤتمراتٍ عالميةٍ إسلاميةٍ مختلفةٍ. وكانت السيدة بولا حميدة - رحمها الله - هي التي اكتشفت وجود هذه المدونات، والمحاضرات بين أوراق زوجها القديمة، وعندما قرأتها، وأدركت مدى أهميتها قامت بجمع، وإنقاذ ما استطاعت أن تنقذه من تلك المدونات، والمحاضرات؛ حيث لم يكن زوجها - رحمه الله - يحتفظ بما يكتبه من محاضراتٍ، أو أوراق عملٍ، فنشرتها في هذا الكتاب الصادر عام ١٩٨٧م^١، وهي تدرك مدى أهميته، حيث قالت في تقديمها للكتاب: "أعتقد أن كل من سيقراً هذه المقالات سوف يُصدّم ليس لسبق محمد أسد الفكريّ للزمن والتوقعات، ولكن لمدى ثبات، وعمق أفكاره وتوقعاته وموافقته لمستجدات العصر، وأودُّ أن أشاطرها مع الأشقاء المسلمين أينما كانوا"^٢.

ويقع الكتاب في مئة وخمسٍ وتسعينَ صفحةٍ من القطع المتوسط، وقدمت له السيدة بولا حميدة - رحمها الله -، واحتوت الصفحة الأولى منه على ملاحظاتٍ دوّنها المؤلف - رحمه الله - ذكر فيها أن الكتاب اعتمد على مجموعةٍ من المقالات التي نُشرت في مجلة عرفات في لاهور، بين سبتمبر ١٩٤٦م وفبراير ١٩٤٧م، ولقد ناقش الكتاب مجموعةً مختلفةً من القضايا الفكرية، والثقافية في الإسلام، كقضية منشأ الحضارات، وتمييز الحضارة الإسلامية، ومقوماتها، وأسباب نهضتها، وقضية أهمية تطبيق الشريعة الإسلامية في حياتنا العملية؛ إذ هي الخلاص من كل ما يعانیه المسلمون من مشكلاتٍ ثقافيةٍ، وسياسيةٍ، واجتماعيةٍ، واقتصاديةٍ، كما تناول قضية الاجتهاد، وضرورة أعمال العقل إذ تتسمُ شريعتنا بالثبات، والمرونة، والسعة، وناقش أيضاً علاقة الإسلام بالغرب، وقضايا أخرى متعلقةً بالأديان.

وكما احتوى الكتاب على بعض المحاضرات للمؤلف - رحمه الله - التي أُذيعت عبر (راديو بيرو مينستر، في سويسرا)، وبعض من خطابه التي ألقاها في المؤتمرات الإسلامية، كخطاب (القدس مدينة مفتوحة) الذي قدمه في مؤتمر جمعية الطلاب المسلمين أواخر السبعينيات^٣، وخطاب (رسالة القرآن) الذي قدمه في مؤتمر المجلس الإسلامي بلندن عام ١٩٨٠م^٤.

1. This Low of Ours and Other Essays, Op. Cit, P. ix-xi.

2. Ibid, P. xi.

3. Ibid, P, P. 169-173.

4. Ibid, P. 187-195.

والذي يظهر أن الكتاب يحمل العديد من أفكار محمد أسد - رحمه الله - الثقافية، والسياسية، فهو الكتاب الثاني في الأهمية لمعرفة فكره السياسي - رحمه الله - ، ومازال الكتاب على حدّ علمي منشوراً باللغة الإنجليزية، فلم يُترجم إلى لغة الضاد، ولا إلى غيرها رغم أهميته.

وللكتاب طبعاتٌ عديدةٌ، كان أولها عام ١٩٨٦م، وحقوق الطبع محفوظة باسم السيدة بولا حميدة أسد، ثم طُبع عام ٢٠٠٠م عن دار (Malaysian Edition)، وفي عام ٢٠٠٦م طُبع للمرة الثالثة، ثم في عام ٢٠٠٨م طُبع للمرة الرابعة عن دار (Islamic Book Trust) في ماليزيا.

المطلب الثاني عشر

كتاب Home – Coming of the Hart

(عودة القلب إلى موطنه)

ما يزال هذا المشروع مخطوطاً في مكتبة الراحل محمد أسد - رحمه الله -، ويبدو أنه يتضمن الجزء الثاني من سيرته الذاتية، وكان - رحمه الله - منهمكاً بكتابته إلا أن المنية عاجلته قبل أن يتمه^١.

وقد قامت السيدة بولا حميدة بعد أشهر قليلة من وفاة زوجها بإتمام كتابة هذا الجزء من حياة زوجها، وهي الفترة التي أمضاها معاً ما بين عام ١٩٥٢م وعام ١٩٩٢م.

وكما أُضيف مع الكتاب مجموعة مقالات بعنوان: **Mediation** (التفكير)^٢، ونأمل أن يجد هذا المخطوط طريقه إلى الطبع، فلا بدّ أنه يحمل الكثير من أسرار حياة محمد أسد - رحمه الله -، ومن أفكاره، وآرائه التي مازالت تشع حيويةً إلى اليوم.

يقول د. عبد العزيز الرفاعي: "وكنت أعلم مما ذكره لي يرحمه الله، أن لديه مكتبة ضخمة، كان يشغله أمرها كلما انتقل من بلد إلى بلد، أو من دارٍ إلى دارٍ، وكان يهتم بالدرجة الأولى بتأمين مكانٍ فسيح لها، وكان قد تنقل في أحرّيات أعوامه بين طنجة والبرتغال، ثم مينخاس حيث استقرّ بها مقامه وتوفي بها، ولم يقدر لي أن أرى هذه المكتبة، فقد كان يحتفظ بها في مكانٍ بعيدٍ عن أعين الفضوليين، ولكنني أضمن أنها مكتبة حافلة بكتبٍ من شتى اللغات التي كان يتقنها، وإني لأرجو لهذه المكتبة أن تُصان، وأن يُحافظ عليها، وأن تحمل اسمه، لتظل بصماته عليها باقية، فلا شك أنها تحمل الكثير من تعليقاته وتصحيحاته"^٣.

ولقد تولت أرملته السيدة بولا حميدة - رحمها الله - العناية بترائه بعد وفاته، وقامت بطباعة ما استطاعت طباعته، ثم بعد وفاتها انتقلت ممتلكات محمد أسد - رحمه الله - بما في ذلك مكتبته بجميع محتوياتها إلى رجلٍ يدعى (خوسيه)، وهو خادمٌ عاش مع محمد أسد - رحمه الله - طوال فترة إقامته في إسبانيا وحتى وفاته، وقد حاول العديد من المهتمين بتراث محمد أسد - رحمه الله - الاطلاع على مخطوطاته من خلال (خوسيه) إلا أنه رفض رفضاً شديداً، ويبدو أنه ينتظر جهةً حكوميةً، أو مؤسسةً ما لشراء المكتبة، وإعادة تنظيمها، وطباعة مخطوطاتها^٤.

^١ رجل فقدناه، الفكر الإسلامي النمساوي محمد أسد، مرجع سابق، ص ٦٦.

^٢ محمد أسد - ليولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١٥.

^٣ أيام حزنه النمساوي المسلم محمد أسد، مرجع سابق، ص ٥٩.

^٤ هذا ما أخبرني به الأستاذ نعمان قنوة المبتعث السعودي إلى النمسا، والذي عمل مساعداً لمخرج فلم الطريق إلى مكة.

الفصل الثاني

جهود محمد أسد وآراؤه الثقافية

وفيه أربعة مباحث مباحث:

المبحث الأول: جهوده وآراؤه في الدفاع عن قضايا العالم الإسلامي

المبحث الثاني: جهوده وآراؤه في الرد على المستشرقين

المبحث الثالث: جهوده وآراؤه حول الحضارة الغربية

المبحث الرابع: آراؤه حول منهج الحكم في الإسلام

المبحث الأول

جهوده وآراؤه في الدفاع عن قضايا العالم الإسلامي

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: موقف محمد أسد من القضية الفلسطينية

المطلب الثاني: دوره الجهادي السياسي في ليبيا ضد

الاحتلال الإيطالي

المطلب الأول

موقف محمد أسد من القضية الفلسطينية

تمتع فلسطين منذ القدم بأهمية كبرى وذلك لدواعٍ وأسبابٍ دينية، وإستراتيجية، واقتصادية، ولهذا غدت محط أنظار الدول الاستعمارية الكبرى على مدار العصور، ولاسيما في العصر الحديث.

ولقد مرت على القضية الفلسطينية تجارب فكرية، وشخصيات عديدة ومتنوعة، كما أن الحديث عن الصهيونية وما ترتب عليها من آثار ونتائج استحوذ على اهتمام كثير من الكتاب، والمفكرين، والباحثين، باعتبار أن الصراع العربي الصهيوني هو التحدي الأكبر الذي يؤثر على الأمة الإسلامية والدول الغربية كافة على مدى قرن من الزمان.

ويعدُّ محمد أسد -رحمه الله- من أبرز شخصيات وكتاب ومفكري القرن العشرين الميلادي، الذين سعوا جاهدين للدفاع عن القضية الفلسطينية، وبيان الحق والذب عنه، ومواجهة الأعداء وكشف مخططاتهم.

حيث وقف - رحمه الله - موقفاً مشرفاً ومحيداً وموضوعياً من القضية الفلسطينية، ولم تمنعه ديانته اليهودية وتعصب أسرته لتراثها اليهودي، من الدفاع عن حق العرب في فلسطين، وبيان ظلم، وجرائم الصهيونية في حق الشعب الفلسطيني، وهذا ما سنناقشه وفقاً للنقاط التالية:

أولاً - قراءة لموقف محمد أسد - رحمه الله - من القضية الفلسطينية قبل أن يسلم:

وسياتي ذلك من خلال:

أ. مقالات محمد أسد - رحمه الله - وكتابه، وتتضمن:

١. انطباعات فايس حول مدينة القدس وسكانها.

٢. معاداته للصهيونية .

٣. موقفه من وعد بلفور (١٩١٧م/١٣٣٥)، ودور بريطانيا في إنشاء وطن قومي

لليهود في إسرائيل.

٤. دفاعه عن حق العرب في فلسطين.

ب. حواراته ولقاءاته مع قيادات حركة المقاومة الفلسطينية، وبعض زعماء الصهيونية، وتتضمن:

١. حوارته مع السيد موسى قاسم باشا قائد حركة المقاومة العربية في فلسطين.

٢. حوارته مع السيد مناحم أوسيشكين.

٣. حوارته مع د. حاييم وايزمن زعيم الحركة الصهيونية.

ثانياً - قراءة لموقفه من اليهود والصهيونية بعد إسلامه، وهو ما سنوضحه من خلال:

أ. بيان رأيه في اليهود

ب. رفضه بأن يكون عميلاً للصهيونية ضد المسلمين في فلسطين.

أولاً - قراءة لموقف محمد أسد - رحمه الله - من القضية الفلسطينية قبل أن يسلم:

أ. مقالات محمد أسد - رحمه الله - وكتابه:

١. انطباعات فايس حول مدينة القدس وسكانها:

في عام ١٩٢٢م تلقى ليبولد فايس دعوى من خاله دوريان فايفن باوم^١، لزيارة فلسطين والعيش معه في مدينة القدس، وسرعان ما قبل فايس الدعوة وقدم استقالته من عمله في وكالة أبناء اليونانيد تلغراف، وشد الرحال في زيارته الأولى لبلاد الشرق الأوسط، ومدينة القدس تحديداً، وكان فايس كغيره من الأوروبيين لا يحمل في ذاكرته وانطباعاته النفسية والثقافية شيئاً عن الإسلام والعرب سوى ما أفرزه له تراثه اليهودي وثقافته الغربية من انحرافات غامضة وصورة مشوهة كاذبة بعيدة كل البعد عن الحقيقة والواقع.

ولم يكن يعلم فايس أن زيارته لمدينة القدس ستكون نقطة تحول مهمة في حياته؛ حيث عاش بالقرب من العرب وأعجب بثقافتهم وعاداتهم وانجذب إلى حياتهم المليئة بالطمأنينة والرضا النفسي والأمن العاطفي، فكانت بداية تحريره عن الرشد، تلبية لرغبته الملحة في فهم مكنون الشخصية العربية ودوافعها العقلية والروحية تجاه الحياة، فانطلق مستميتاً في البحث عن سر الطمأنينة في حياة العرب باذلاً أقصى جهوده العقلية والروحية ومتوجهاً إلى مختلف الشخصيات العربية المسلمة بالمناقشات المنطقية العديدة والمتواصلة.

وأثناء زيارته للقدس بدأ يكتب مقالات صحفية سجل فيها انطباعاته وارتسماته عن مدينة القدس وسكانها، بوصف شيقٍ ومعبرٍ ودقيقٍ، مظهرًا سمات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية لسكان المدينة على اختلاف أديانهم وجنسياتهم وثقافتهم، وملتمزاً بالأخلاقيات المهنية للصحافة، فأصبح بذلك مندوباً لصحيفة "فرانكفورت تزايتوخ" الألمانية في الشرق الأوسط.

١. دوريان فايفن باوم Dorian Feigenbaum (١٨٨٧-١٩٣٧م): هو خال محمد أسد، والشقيق الأصغر لأمه، عاش في فلسطين وعمل محققاً نفسياً ومديراً لمستشفى الأمراض النفسية في القدس مع أخيه (د. آريه فايفن باوم) Aryeh Feigenbaum (١٨٨٥-١٩٨١م)، ولم يكن يؤمن بالصهيونية كما لم يجد في نفسه ميلاً تجاه عرب فلسطين، وكان غير متزوج ويعيش في بيت عربي قديم بمدينة القدس، جمعه علاقة صداقة حميمة بليوبولد فايس.

ينظر: محمد أسد - ليوبولد فايس - رحلاته إلى العالم العربي، مرجع سابق، ص ١١.

ومن خلال مقالاته سننقل لقطاتٍ من وصفه لمدينة القدس وسكانها، وهو وصفٌ يوضح مكانة القدس التاريخية والحضارية والدينية، ومدى تجاوبه مع حقوق الشعب العربيّ في فلسطين وإيمانه بحقّ العرب في الأرض المسلوبة منهم، ومعاداته للصهيونية وعدم اغتراره بدعاياتها الزائفة المبنية على أوهمٍ دينية باطلة، فيقول وهو على سطح منزل نخاله في مدينة القدس القديمة متأملاً مكانتها الدينية وذكرياتها التاريخية: "ومن السطح كنت أنظر إلى المدينة القديمة وشوارعها المتلوية وأزقتها كأنها منحوتةٌ من الصخر، أما المسجد الأقصى أكثر المساجد قدسيةً بعد مسجد مكة المكرمة ومسجد المدينة المنورة فقد كان يقوم على حافتها القصوى وقبة الصخرة في الوسط. كانت القدس عالماً جديداً بالكلية بالنسبة إليّ، كانت هناك ذكرياتٌ تاريخيةٌ تنبعث من كلّ زاويةٍ من زوايا المدينة القديمة: الشوارع التي أضفت إلى موعظة النبيّ أشعيا، والأحجار التي مشى عليها المسيح والجدران التي كانت قديماً عندما راجع خطّ الجيوش الرومانية والأقواس فوق المداخل التي كانت تحمل نقوش صلاح الدين... الخ"^١.

وفي موضعٍ آخرٍ يصفها بقوله: "... القدس هي أرض التّراع الصعب، فقد أقحمت الصهيونية نفسها داخل شؤون هذه الدولة لدرجةٍ أصبحت بمثابة طعنةٍ في جسم الشرق الأوسط"^٢.

وينتقل فايس إلى مشهدٍ آخر ليكشف لنا فيه عن انطباعاته الأولى عن عرب فلسطين في القدس فيقول: "كان العرب ممتلئين حركةً تلقائيةً ونبلاً، وقد أوحوا إليّ منذ البداية أنهم أصحاب الأرض، أصحابها الذين نشأوا من ترابها وتاريخها وكانوا جزءاً لا يتجزأ من الهواء الذي يحيط بها"^٣.

وفي هذا يقول أيضاً: "رأيت بدوياً يزور قلعة داود ثم حضر يهوديٌّ وانصرف وقارنت بينهما فالتمع في خاطري أن البدويّ بسمته ومسلكه أقرب إلى النبيّ داود من العبرانيين^٤ فقد كان دواود من أصلٍ عربيٍّ وكذلك كان إبراهيم ومن ثمّ كان بدويٌّ اليوم أقرب إلى إبراهيم ودواود من كلّ يهود العالم الذين يزعمون أنهم ينتمون إليهما"^٥.

ويتابع فايس انطباعاته عن سكان مدينة القدس، في مقارنةٍ عقدها بين عرب فلسطين واليهود، فوصف العرب رجالاً ونساءً الفلاحين منهم بكوفياتهم البيضاء وعماماتهم البرتقالية، والفلاحات اللاتي مازلن يظهرن في سنّ الشباب رغم تجاوزهنّ الستين، والبدو بعباءاتهم الثقيلة، بأنهم يوحون بالثقة

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٢٣-١٢٤.

2. The Unromantic Orient, Op. cit., P.7.

^٢ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٢٤.

^٤ العبرانيين: كلمة مرادفة لبني إسرائيل أو اليهود لأن لغتهم العبرية أو العبرانية وجاءت هذه التسمية نسبة إلى (عابر) أو (عبر) وهو الجد الخامس في نسب إبراهيم عليه السلام كما تذكر التوراة وبعض المؤرخين أن نسبة التسمية إلى إبراهيم، كما تذكر التوراة (إبرام العبراني) لعبوره نهر الفرات أو نهر الأردن.

أما الدلالة الحالية للمصطلح بعد ظهور دولة إسرائيل، فأصبحت علماً على الثقافة واللغة لا غير فظهرت مصطلحات اللغة العبرية والأدب العبري والجامعة العبرية.

ينظر: اليهود الموسوعة المصورة، مرجع سابق، ص ٣٦.

5. The Unromantic Orient, Op. cit., P. 35-36

ومنسجمون مع بيئتهم ومحيطهم. أما اليهود البولنديون والروس وغيرهم فهم يحملون معهم كثيراً من تفاعلات حياتهم الأوروبية وضيقتها ويبدون في ملابسهم وحركاتهم نشاطاً في جوهر المدينة العربية العريقة، وهؤلاء هم الذين يقفون وراء الاضطرابات بين العرب واليهود ويرسمون الحياة والسياسة اليهوديتين^١.

لقد أوحى تلك المدينة العربية القديمة لكاتبنا بتراثها وتاريخها وشعبها بأن العرب هم الأقرب إلى أرضها من غيرهم، رغم أنها مدينة عالمية اختلط فيها الناس من خلفيات دينية وقومية مختلفة وكتب عليهم العيش معاً منذ زمن بعيد، إلا أن كاتبنا وصفها بعين شاهد يهودي بأن هواها وأرضها وعربها بلباسهم وسماتهم هم أهلها وأصحاب الحق فيها ولا أحد غيرهم.

٢. معاداته للصهيونية:

استنكر فائس منذ أن وطأت قدماه أرض فلسطين وجود الكيان الصهيوني عليها واعتبره كياناً قائماً على الظلم والعدوان وعلى أسس عنصرية ودينية، وليس له دستور مكتوب كما أنه يخالف أهم سمات الدولة الحضارية الحديثة، يقول: "وبرغم من أنني من أصل يهودي، فقد كنت أحمل منذ البداية مقاومة شديدة للصهيونية، ففيما عدا عطفي الشخصي على العرب، كنت أعتبر أن من المخالف للأخلاق والمروءة أن يأتي الأعراب، تسند لهم دولة أجنبية كبرى من الخارج وهم يصرحون علناً بعزمهم على أن يصبحوا أكثرية في البلاد وينتزعوا بالتالي ملكيتها من الشعب الذي كانت ملكاً له منذ عهد مغربي في القدم"^٢.

ويؤكد د. طلال أسد على الموقف السابق لوالده فيقول: "نعم كان والدي معارضاً تماماً للصهيونية، وكان يؤمن أن إقامة دولة إسرائيل ظلم فادح، لكنّه لم يكره يوماً الديانة اليهودية أو الأشخاص اليهود، نعم كان يؤمن بالإسلام دين متفتح، ولم أسمع قط يحط من قدر الديانة اليهودية بل إن من دواعي الافتخار بوالدي وعيه العميق بضرورة أن يتفهم أصحاب كل ديانة مواقف الآخرين"^٣ ويبدو واضحاً أن فائس كان مدركاً للفرق بين اليهودية والصهيونية ولاسيما أنه كان ملماً بالتراث اليهودي، فاليهودية عبارة عن ديانة سماوية، أما الصهيونية فهي حركة عنصرية قومية متطرفة.

^١ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٢٥-١٢٦.

-The Unromantic Orient, Op. cit., P. 24.

^٢ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٢٨.

-الطريق إلى مكة، بيني وبين وايزمان، للأستاذ محمد أسد، مجلة المسلمون، القاهرة، ٥ رجب ١٣٧٣هـ/ مارس ١٩٥٤م، ص ٤٣-٤٤.

^٣ محمد أسد الطريق إلى مكة (١-٢)، محمد الصاوي، مجلة المعرفة، العدد ١٠٢، رمضان ١٤٢٤هـ/ نوفمبر ٢٠٠٣م، ص ١٠٢.

ويشير فايس إلى الحالة التي يعيشها العقل الغربي من تبعات الفكر الصهيوني بأنها حالة من الكذب الممنهج يعرضها الساسة والمنظرون الصهاينة ورجال الدين لترسيخ وخلق مبررات دينية وتاريخية تغفر لهم إقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين، وتغرقهم في أوهام وأكاذيب تتناقلها جميع وسائل الإعلام الغربي عن العرب في فلسطين، وعن جذور الفكرة الصهيونية كما وردت في الكتاب المقدس "التوراة" حيث تعتبر فلسطين مسكناً لبني إسرائيل وأنها أرضهم الموعودة ومرقد أنبيائهم ومحور تاريخهم، لذا من حقهم أن يعودوا إليها وأن يعاد تقسيم خريطة العالم وفقاً لما جاء في التوراة، وتلقى هذه الفكرة قبولاً ورواجاً بين اليهود، فيقول: " وكلهم كان يتقبل الفكرة التي تزعم أن فلسطين تراث شرعي لليهود دون مناقشة"^١.

ويقول أيضاً: " إن روايات العهد القديم ... تمثل لليهود تاريخاً يكاد يقتصر على الشعب اليهودي وهذه النقطة هي التي توضح تعلقهم العاطفي والتميز بالقدس كحق موروث لأبناء إسرائيل"^٢.

والمتبع لنصوص الكتاب المقدس، وتحديدًا نصوص العهد القديم، وهو كتاب اليهود الذي يشتمل على الشرائع والقوانين والشعائر والوصايا العشر التي أوصى الإله بها موسى عليه السلام كما يشتمل على الأخبار التاريخية التي تخص اليهود، يجد أن عبارات " شعب الله المختار " و " أرض الميعاد " التي ارتكزت عليها الصهيونية، جاءت في مواطن عديدة بقصد الدلالة على أن اليهود هم شعبٌ موحدٌ له شخصيته القومية التي لا تقبل الذوبان، لأن الله اختاره من بين كل الشعوب، وأضفى عليه قدرًا من قداسته، وكتب له أن يستمر كـشعبٍ موحدٍ رغم كل ظروف الشتات، وأن الله عهد إلى هذا الشعب بحمل الأمانة التي عجز الآخرون عن حملها وأن العهد سيستمر في بني إسرائيل إلى يوم القيامة (بني إسحاق) وليس بني إسماعيل (أبو العرب) وأن أرض الميعاد تحمل الأوصاف التي تليق بمقام الشعب المختار المقدس، وكأن الشعب والأرض خلقا ليكون كل منهما للآخر، كما توضح النصوص صراحة أن ملكية هذه الأرض هي حق اليهود، وأن هذا الحق يجب أن يمارسه اليهود مستخدمين أقصى درجات العنف والدموية حتى يستأصلوا من هذه الأرض كل ساكنيها من غير الشعب المقدس، حسب رؤيتهم الدينية^٣.

وعليه فإنه يمكن للمرء أن يتصور مدى تأثير هذه المفاهيم الدينية في أذهان اليهود والمؤمنين بالكتاب المقدس.

^١ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ١٢٨.

- الطريق إلى مكة، بيتي وين وايزمان، مرجع سابق، ص ٤٤.

^٢ ينظر: القدس رؤية دينية مقارنة، محمد أسد الوعد الحق، إسبانيا: شركة الزاد، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص ٢٨.

- The Unromantic Oriet, Op. cit., P. 31.

^٣ دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني، نهاد محمد خليل، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٣/١٤٢٤، ص ٧١-٨٤.

ثم يطرح فايس تساؤلاً على العقل الغربيّ لعلّه يريد استفزازه أو إخراجه من سباته العميق فيقول: ترى ماذا كان مبلغ علم الرجل من أوساط الأوربيين عن العرب في تلك الأيام؟؟ لا شيء في الواقع!! لقد كان أحدهم إذا زار الشرق الأوسط حمل معه جملةً من الأوهام الخالية الخاطئة التي اعتادها عن هذه البلاد، فإذا اتفق أن كان أميناً وسليم القصد نزيه التفكير فلا بدّ وأن يعترف بأنه لم تكن لديه أية فكرةٍ صحيحةٍ عن العرب في تلك البلاد، وكنت واحداً منهم، بل كنت أحسب أن العرب هم مجموعةٌ من البدو الرحل في الصحراء وحول الواحات¹.

تلك هي الصورة الذهنية للعربيّ المسلم في مخيلة الغربيين وثقافتهم في ذلك الوقت، وهي صورةٌ رسمتها الخلفيات الأيديولوجية والثقافية والسياسية الغربية الممتدة من إرثٍ قديمٍ بجذوره العميقة المعادية للإسلام منذ زمن الحروب الصليبية، وهذا التصور النمطيّ للشخصية العربية والمسلمة ظلّ إلى اليوم يصنع الأحكام الجاهزة ويغذي الثقافة الغربية، وإن اختلفت صورة الأمس عن اليوم، ففي الأمس القريب كانت صورة المسلم أو العربيّ تعني البدويّ الهمجيّ الذي يعيش في الصحراء، واليوم أصبحت صورته تعني الإرهابيّ الدمويّ المعادي للسلام والإنسانية.

لقد أدرك فايس منذ البداية أنّ الكيان الصهيونيّ فكرةٌ مصنّعةٌ أنشئت عن طريق الأسلحة البريطانية، ومن ثمّ لن تكون سوى إضافة جديدة لمستعمرات الرجل الأبيض في بلاد المسلمين، وقاعدة لحماية مصالحه الاستعمارية، كما تنبه بأنّ كلّ ما يجري في فلسطين لا علاقة له بأية منظومة أخلاقية أو سياسية وأنّ إقامة وطنٍ قوميّ لليهود في فلسطين يعدّ حلاً لمشاكل الجماعات اليهودية في أوروبا²، ويهدد بنقل تلك المشاكل إلى بلدٍ يمكن أن ينعم بقدرٍ كبيرٍ من السعادة دونها³.

وهذا ما يقره نقاد الحركة الصهيونية من اليهوديين بأنّ نقل اليهود إلى مكانٍ واحدٍ قد يؤدي لأنّ تتحول الكراهية لليهود جميعاً، أي أنّها أكثر خطورةً من بقائهم في بلدانٍ مختلفة، وهم ينتقدون الفكر الصهيونيّ كذلك لأنّ ممارسات إسرائيل القمعية، واستخدامها للقوة، وقوانينها العنصرية جميعها تؤدي لزيادة كراهية الشعوب المختلفة لليهود، فاليهودية مثل باقي الأديان لها قيمها الروحية وخصوصاً نصوص الأنبياء المتأخرين التي تنتقد الترععات المادية وتحثّ على الثراء الروحيّ للأفراد وأورشليم في

¹ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٢٦.

-The Unromantic Oriet, Op. cit., P. 34.

² من المعروف أن اليهود عانوا الاضطهاد على يد النصارى والأوروبيين، ففي عام ١٢٩٨م أمر الملك إدوارد الأول بطردهم من بريطانيا بسبب حياتهم وغدرهم، وفي عام ١٣٠٦م اضطهدهم الملك لويس التاسع في فرنسا وطردهم من أرضه، وفي عام ١٥٠٤م هاجمهم باباوات الكنيسة الكاثوليكية في إيطاليا هجوماً عنيفاً ثم طردوا لأذاهم وسوء طباعهم، وكذلك لاقوا في ألمانيا نفس المعاملة.

ينظر: اليهود الموسوعة المصورة، مرجع سابق، ص ٦٢-٦٣.

³ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٢٦-١٢٧.

-الطريق إلى مكة، بيني وبين وايزمان، مرجع سابق، ص ٤٣.

الكتاب المقدس ليست مساحةً جغرافيةً بقدر ما هي موقعٌ رمزيٌّ تقترب فيه روح العبد من الربِّ، ولكن الصهيونية تتجاهل هذه القضايا جمعاء وتفسر الديانة اليهودية بمعيارٍ حربيٍّ مؤكدةً على أهمية عودة اليهود إلى أرضٍ يعينها وتحويلها إلى جيتو يهوديٍّ عن طريق طرد سكانها منها^١.

ومن هذا المنطلق يؤكد فايس أن الفكرة الصهيونية كانت تبدو في نظر بعض الساسة واليهوديين على أنها خداعٌ وكذبٌ لا يستحقُّ أن يؤمنوا به، وأنها تعارض مبادئ الدين اليهوديِّ، ففي الوقت الذي تدعي فيه الصهيونية أصولها الدينية والتاريخية القديمة على أرض فلسطين نجد أنها بعيدةٌ كلَّ البعد عن مبادئ الدين اليهوديِّ وأخلاقه وحقائقه^٢.

بل إنَّ بعض اليهود الذين كانوا يعيشون في فلسطين في ذلك الوقت، لم يأتوا إليها سعياً وراء تحقيق هدفٍ سياسيٍّ صهيونيٍّ، ولكن دفعهم الحنين الدينيُّ إلى الأرض المقدسة وذكرياتها التوراتية^٣.

وهو ما يفسر طبيعة الحياة الحضارية السليمة التي عاشها اليهود في كنف المسلمين ورعايتهم بفضل تسامحهم وكرمهم، وتمتعين بكافة الحقوق المدنية والدينية.

وعليه فقد أشار فايس أن التوتر والاضطرابات في العلاقة بين اليهود والعرب لم تظهر إلَّا بعد وعد بلفور، ويؤكد أنه في العقد الأولين من القرن المنصرم، وعندما تبدلت الظروف والأحوال كان العرب يفرقون جيداً بين الصهاينة واليهود الذين يظهرون احترامهم للعرب، أمثال صديقه يعقوب دي هان الذي لم يؤمن بمبادئ الصهيونية، وكان متديناً متمسكاً بمعتقداته، مؤمناً بأن دعوة قومه إلى أرض الميعاد لن تكون إلَّا بعد مجيء المهديِّ الموعود في الكتاب المقدس، وأنَّ الله تعالى أخرج اليهود من الأرض المقدسة وشردهم بسبب تقصيرهم في أداء رسالتهم، وإمعانهم في التكبر، مما جعله هدفاً مشروعاً للصهاينة الذين لم يتوانوا عن اغتياله برصاصهم الغادر^٤.

وليس بغريب أن تمتدَّ يد الإرهاب الصهيونيِّ لتقتل وتغتال وتدمر وتحرق، كلُّ من يخالفها أو يقف أمام مصالحتها فكم من شخصياتٍ مرموقةٍ على المستوى العالميِّ اغتيلت وكم من مؤامراتٍ وفتنٍ حيك، وكم من حروبٍ ومنازعاتٍ اشتعلت، وكم من عهودٍ ومواثيقٍ نُقضت، فلم يعرف العالم عبر تاريخه الطويل شعباً اتصف بالخسة والخيانة والنفاق والإرهاب كاليهود الذين غَضِبَ اللهُ عليهم ولعنهم لكفرهم وعنادهم وعصيانهم.

^١ القلم الجريء مفكرون غربيون ويهود انتقدوا الصهيونية، إسرائيل شاحق وآخرون، ترجمة وتقديم البراق عبد الهادي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م، ص ١٤.

2. The Unromantic Orient, Op. cit., P. 36.

^٣ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٣٤.

^٤ المرجع السابق، ص ١٣٤-١٣٥.

٢. موقفه من وعد بلفور (١٩١٧م/١٣٣٥)، ودور بريطانيا في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين:

يرى فايس أنّ وعد بلفور عبارة عن مناورةٍ سياسيةٍ ظالمةٍ القصد منها تنفيذ مبدأ (فرق تسد)، والذي يعتبره مبدأً مشتركاً بين الدول الاستعمارية جميعها؛ حيث أنّ نجاح مشروع الصهيونية وظهوره كان بسبب السياسة البريطانية الماكرة الخادعة التي كانت تساوم الشريف حسين بن علي^١ (شريف مكة) وتجري معه المباحثات من خلال المندوب السامي البريطاني لإقناعه وتشجيعه للقيام بثورةٍ عربيةٍ ضدّ الإمبراطورية العثمانية، مقابل أن ينال العرب استقلالهم، ونجحت بريطانيا في مباحثاتها مع الشريف حسين وإقناعه بمساندتها وحلفائها ضدّ تركيا وألمانيا، دون أن يأخذ منها موثقاً صريحاً مكثفاً بالخطابات والمراسلات السرية، ودون أن يشعر بخطورة الاستعمار أو الصهيونية، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى ومع توقعات انهيار الدولة العثمانية، سقط القناع عن وجه إنجلترا التي لم تكن تنوي غير الغدر بالعرب واستغلال قواهم وجهودهم للوصول إلى أهدافها؛ حيث بدأت تتآمر مع الدول الكبرى من خلال عقد اتفاقياتٍ سريةٍ لاقتسام أملاك الدولة العثمانية وكانت أوضح مظاهر التآمر هي اتفاقية سايكس بيكو السرية.

يقول فايس: "تلك الاتفاقية ثبتت سيطرة فرنسا على سوريا ولبنان^٢ واستثناء فلسطين من الالتزامات والمواثيق التي كانوا أخذوها على عاتقهم نحو العرب"^٣.

وعليه تمّ إصدار وعد بلفور عام ١٩١٧م الذي كان دليلاً واضحاً على تآمر بريطانيا وحلفائها على العرب، وظفراً للصهيونية بإنشاء وطنٍ قوميٍّ لليهود في فلسطين واحتضانها من قبل إنجلترا حتى تصل إلى أهدافها^٤.

^١ الشريف حسين بن علي (١٨٥٤م/١٩٣١م): هو الحسين بن علي بن محمد بن عون القرشي الهاشمي، يتصل نسبه بالحسين بن علي، آخر من حكم مكة من الأشراف الهاشميين، وهو جد الملك حسين ملك الأردن، ووالد الملك فيصل الأول ملك العراق، اشتهر بقيادته بالثورة العربية ضد الأتراك؛ لمساعد الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، لقب بالملك المنقذ، مات في الأردن، ودفن في المسجد الأقصى.
ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ١٤، ص ١٢٣-١٢٤.

^٢ لبنان: الجمهورية اللبنانية، عاصمتها بيروت، واللغة الرسمية فيها هي اللغة العربية، والديانة فيها الإسلام بنسبة ٧٠% ومسيحية بنسبة ٣٠%، وهي عضو في الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٣٥٥-٢٥٧.

^٣ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٢٨.

^٤ ينظر: المرجع السابق، ص ١٢٧-١٢٨.

-الطريق إلى مكة، بيتي وين وايزمان، مرجع سابق، ص ٤٣.

ولمتابعة دور بريطانيا في إنشاء وطن قومي لليهود في إسرائيل، تحدّث فايس عن الصعوبات المالية التي كانت تعترض ذلك الحلم بالوطن القومي اليهودي في فلسطين، فمنذ أن تبلورت عقيدة الصهيونية وظهرت فكرة الرجوع إلى "صهيون" أرض الميعاد واليهود يعملون على تأسيس الجمعيات وجمع التبرعات وفتح المصارف لتمويل الحركة الصهيونية، وذكر أنّ إنجلترا أخذت على نفسها عهداً بتقلّم المساعدات المالية لليهود ودعم الحركة الصهيونية، وليس هذا فحسب بل إنّ إنجلترا بادرت بإنشاء مستعمرات واسعة النطاق في فلسطين وكانت كلّما هبّ الشعب الفلسطيني للدفاع عن حقوقه وكيان دولته تقابله بمتنهى العنف والقسوة بل بالحديد والنار¹.

وما أشبه الليلة بالبارحة، فالقضاء على الإسلام، وقتل المسلمين وإبادتهم، والسيطرة على مقدراتهم وثرواتهم، وإثارة التزايدات العرقية والقومية، وتأجيج الطائفية لتمزيق شملهم، هو دأب هذه الدول الاستعمارية الامبريالية وديدنها ومحور تقائها مع الصهاينة في كلّ مؤامراتهم وحروبهم ضدّ الإسلام، لإرضاء ما استقرّ في نفوسهم من حقدٍ وكرهيةٍ على الإسلام وأهله الناتجة عن التعصب المقيت والروح الصليبية الموروثة.

ويشهد على أهدافهم الخبيثة عمليات القتل المنظم لسفك دماء المسلمين الطاهرة، وإقامة مستعمراتهم الصهيونية والصليبية على الأرض المسلمة النقية، والاستيلاء على الذهب الأسود في آخر ما شهدناه من حروبهم على العالم الإسلامي في كلّ من أفغانستان (٢٠٠١م)، والعراق (٢٠٠٣)، وغزة (٢٠٠٩م)، واليوم يتكرر المشهد نفسه فيما يسمى بالثورات العربية، إذ لا يمكن لأيّ منصفٍ عاقلٍ أن يفصل المشهد السياسي الذي يعيشه الشرق الأوسط عن قضية الصراع العربيّ الصهيونيّ.

٤. دفاعه عن حقّ العرب في فلسطين:

استطاع فايس أن يفطن إلى حقيقة اغتصاب فلسطين والتآمر بين الحركة الصهيونية كحركة عنصرية استيطانية، وقوى الاستعمار البريطانيّ ضدّ الأرض والشعب الفلسطينيّ، لسلبه أرضه وتشريده منها، ومحاولة طمس هويته خدمةً للأهداف الامبريالية.

من هذا المنطلق وقف مدافعاً عن أرض فلسطين وحقّ العرب فيها، فيقول: "ليس صحيحاً إطلاقاً أنّ الفلسطينيين جاءوا إلى فلسطين على يد العرب بعد الإسلام، فالفلسطينيون العرب عاشوا في فلسطين قبل مجيء موسى إلى فلسطين، وبالتالي فهناك الآن عرب فلسطين، وفلسطين هي أرض الفلسطينيين حتى

1 The Unromantic Orient, Op. cit., P. 23-27.

قبل مجيء اليهود وهي أرضهم ولم يخرجوا منها إلى يومنا هذا ولم يغادروها أبداً على مدى التاريخ، الفرق الوحيد أنهم كانوا سادةً في أرضهم قبل الاحتلال الصهيوني ولكنهم الآن في المعتقالات".^١

كما شهد فايس تدفق موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين، حيث لم يمض على وعد بلفور خمس سنوات من وجوده في القدس القديمة، وبذكائه وقدرته على تقصي الحقائق واحتقاره تضليل عقول الناس، كشف لنا أن الجالية اليهودية في تلك الحقبة الزمنية على أرض فلسطين لم تكن سوى أقلية عديدة بالنسبة لعرب فلسطين، وراح يفند ما أشاعه الصهاينة في أوروبا من أن اليهود يمثلون أكثرية سكان فلسطين وأن الوطن اليهودي قائم عملياً كوطن لليهود، واستطاع أن يبين للقارئ الأوروبي أن سكان فلسطين هم من العرب وأن اليهود رغم الهجرة الكثيفة لا يمثلون سوى سدس السكان أي أنهم كانوا أقلية.^٢

وفي هذا يقول فايس: "إنّ المدن مليئةً بالعرب وإته في الحقّ كان في فلسطين في ذلك العام ١٩٢٢ م خمسة من العرب مقابل كلّ يهودي، وأنّ فلسطين كانت بلداً عربياً أكثر منه يهودياً إلى درجة بعيدة جداً".^٣

وعقب د. محمد عدس^٤ على هذا الحكم الشجاع في ذلك الوقت، بأنه شهادة مهمة جداً، لأنها صدرت في وقت لم يكن اليهود قد غيروا معالم الأرض الجغرافية والسكانية، كما أنّ الشاهد هنا كان لا يزال يهودياً وكان ينقل الحدث من قلب فلسطين^٥، وهو ما وافق حكم الأستاذ البليهي في مقاله آنف الذكر.

وتحدث فايس عن مقاومة الشعب الفلسطيني ضدّ الحركة الصهيونية المحتلة، ورأى أنها حركة مشروعة، ولا يمكن إلقاء اللوم عليهم فقد تأمر اليهود الصهاينة مع البريطانيين لاحتلال بلادهم وتشريدهم، ويقول: "لم أجد أيّ خطأ أو جورٍ في عزم العرب على مقاومة فكرة الوطن اليهودي في

1 The Unromantic Oriet, Op. cit., P. 29-30.

^٢ محمد أسد مفكر لم ينل حقه من الدراسة، مرجع سابق.

^٣ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٢٦-١٢٧.

-الطريق إلى مكة، بين وبين وايزمان، مرجع سابق.

-The Unromantic Oriet, Op. cit., P. 23.

^٤ في عام ١٩٢٢ م [عندما كان فايس في فلسطين] كان عدد السكان ٧٥٧ ألف مواطن في فلسطين ومازال العرب يشكلون أغلبية ساحقة بنسبة ٧٨% بينما لم تتجاوز نسبة اليهود ١١%، وشكل النصارى ١٠% وهكذا كانت الأغلبية الساحقة للمسلمين الفلسطينيين.

ينظر: فلسطين التاريخ المصور، طارق السويدان، ط ٨، الكويت: الإبداع الفكري، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٢٣٣.

^٥ محمد عدس: محمد يوسف عدس، المستشار، والمفكر، والفيلسوف، ولد في عام ١٩٣٤م بمحافظة الدقهلية، التحق بدراسة للماجستير في الفلسفة بجامعة القاهرة، وتمحور دراساته حول الكشف عن مشكلات الأقليات المسلمة في العالم، وهو أحد المهتمين بفكر محمد أسد وتراثه.

ينظر: الموقع الرسمي للمستشار محمد يوسف عدس، www.yusuf-adas.com تاريخ الدخول: ١٤٣١/٠٣/٠٥هـ

^٦ محمد أسد سيرة عقل يبحث عن الإيمان، مرجع سابق، ص ٦٦.

صميم بلادهم بل على العكس، أدركت أن العرب هم الذين يخدمون وأنهم كانوا على حقّ بدفاعهم عن أنفسهم ضدّ هذه الخديعة^١.

وكانت رؤية فايس للكيان الصهيونيّ وانقلابه على السياسات الصهيونية وممارستها غير المشروعة، ودفاعه عن حقّ العرب في فلسطين، على مرأى ومسمع من الجميع، مدعاةً إلى إثارة الشكوك حوله فأصبح الصهاينة ينظرون إليه برؤية وذنّ البعض أنه عميلٌ للعرب فاستبعدوه من حساباتهم السياسية، ولم يعد مقبولاً لديهم في مختلف أوساطهم الاجتماعية والثقافية، ولكنّه بموقفه العادل استطاع أن يكسب احترام وصدقة العرب على أوسع نطاق، واليهود أمثال صديقه يعقوب دي هان^٢.

ب. حوارهِ ولقاؤه مع قيادة حركة المقاومة العربية وبعض زعماء الصهاينة:

١. حوارهِ مع السيد موسى قاسم باشا:

في مدينة القدس التقى فايس بأحد قيادات حركة المقاومة المحلية العربية ويدعى (موسى قاسم باشا) والذي أعرب له عن رأيه في القضية الفلسطينية متبنياً قرارات تاريخية حاسمة، فذكر أن فلسطين أرضٌ عربيةٌ ودولةٌ عربيةٌ، وأن أهلها لن يتنازلوا عن حقّهم في الدفاع عن سيادة أرضهم، ولن يقبلوا بأيّ اتفاق يفيد تقسيمها مع شعوبٍ أخرى، وجميع هذه الأمور مرفوضة كلياً ولا تقبل مناقشتها، فكلّ طفلٍ فلسطينيّ يولد وهو مؤمنٌ بفكرة الحرية والدفاع عن وطنه، وأن الفلسطينيين يرفضون أن تكون بلادهم مستعمرةً إنجليزيةً أو وطناً يهودياً.

ثم تحدث عن المقاومة العربية وحركة الجهاد ضدّ الكيان الصهيونيّ، مؤكداً بأنه قبل الصهيونية لم يكن هناك أيّ احتكاكٍ في فلسطين بين العناصر العربية واليهودية، وأن المقاومة والجهاد حقّ للشعب الفلسطيني بل واجبٌ عليه لإخراج المحتلّ، وحمل الصهاينة خطأً توتر العلاقات بين العرب واليهود.

كما أشار إلى أهداف حركة المقاومة العربية مؤكداً أن أهمّ هدفٍ هو الحصول على استقلال فلسطين وحريتها وتمكين أصحاب الديانات المختلفة من العيش فيها بسلامٍ والتمتع بكافة حقوقهم الإنسانية والدينية، والسماح للهجرة اليهودية إلى فلسطين في حدود عدم تأثيرها اقتصادياً على البلاد، واختتم حديثه بأن الشعب الفلسطينيّ اليوم عليه أن يدرك أنه يواجه الكيان الصهيونيّ المغتصب بالإضافة

^١ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٢٧.

- الطريق إلى مكة، بيني وبين وايزمان، مرجع سابق، ص ٤٤.

^٢ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٢٨.

إلى الاستعمار الامبريالي الإنجليزي، مما يجعل الأمور أكثر تعقيداً وأشدَّ صعوبةً، ولكن على شعبنا أن يؤمن بعدل قضيته^١.

هكذا نقل لنا فايس هذه المناقشة الممتعة والمفيدة، نقلاً موضوعياً عبر فيه بدقة عن آراء القائد موسى باشا وتصوراتهِ وعواطفهِ تجاه القضية الفلسطينية، فالشكر كلُّ الشكر لهذا المراسل الأمين في كتاباته ونقله فقد أتْلج صدورنا بصدقهِ وإصراره على إظهار حقيقة الواقع الذي عاشه في فلسطين بالرغم من كونه يهودياً.

٢. حوارهِ مع السيد مناخم أوسيشكين:

وقد واجه فايس بعض زعماء الصهاينة وحاوَرهم بجرأةٍ وشجاعةٍ، معلناً رأيه بحقِّ العرب في فلسطين ومستنكراً مواقف الصهيونية الإجرامية، ففي عام ١٩٢٢م قابل مناخم أوسيشكين^٢ (Menachem Ussishkin) رئيس اللجنة الصهيونية التنفيذية، وأعرب له عن إحساسه بأنَّ الصهيونية هي نواة الدولة الإسرائيلية والتي يحاول أتباعها إنشاء دولةٍ تقوم على القوة والعنف غير مهتمين بحقِّ العرب في المقاومة، ولكنَّ السيد أوسيشكين أجابه بازدرأٍ شديدٍ للعرب نافياً وجود أية حركة مقاومةٍ عربيةٍ حقيقيةٍ ضدَّ الصهيونية، وأنها ليست إلَّا حركاتٍ شغبٍ من عددٍ بسيطٍ من الناس، وصيحاتٍ لبعض المحرضين وستنتهي خلال بضعة أشهرٍ أو على أكثر تقديرٍ في بضع سنين، ولكنَّ فايس لم يقتنع بهذه الإجابة حيث لاحظ منذ البداية أنَّ قدوم اليهود إلى أرض فلسطين لم يكن كعودة الغريب إلى وطنه، وإنما عودة من يرغب في أن يجعلها أرضه عنوةً مقتنعاً بالفكرة الصهيونية وأهدافها، فلم يكن اليهود إلا غرباء ضجت بهم أسوار المدينة، ولم يرى أية غضاضةٍ في مقاومة العرب للصهيونية^٣، ولكنَّ واجبه المهني والتزامه بميثاق الصحافة الحرة يحتم عليه نقل رؤية السيد أوسيشكين كما ذكرها.

1. The Unromantic Oriet, Op. cit., P. 44-46.

^٢ أبراهام مناخم أوسيشكين (١٨١٦-١٩٤١) Abraham Menachem Ussishkin، زعيم صهيوني، ولد في روسيا، ونشأ نشأة تقليدية، وفي عام ١٨٨١م أسس في جامعة موسكو جماعة صهيونية للهجرة إلى فلسطين مع صديقه ياهيل تشيلينوف، زار فلسطين ووقف ضد آراء أحاد همام المعارضة للمستوطنات التي تقيمها حركة أحباء صهيون، والتي كان أوسيشكين عضواً في لجنتها التنفيذية منذ ١٨٨٥م، واتصل برعماء اليهود الأتراك عقب ثورة تركيا الفتاة، وأثناء الحرب العالمية الأولى تبني أوسيشكين فكرة حياض الصهيونية على أساس التعاون مع المنتصر، ومع وعد بلفور تخمس للبريطانيين بشده، وكان من أعضاء الوفد اليهودي في مؤتمر السلام ببارسي واستقر في فلسطين بعدئذ حيث ترأس اللجنة الصهيونية ولم يجدد انتخابه عام ١٩٢٣م في اللجنة التنفيذية بسبب معارضة حايم وايزمان، ولكن انتخب في العام نفسه رئيساً للصندوق القومي اليهودي، وقد عارض أوسيشكين المشروع البريطاني لتقسيم فلسطين عام ١٩٣٧م، وتوفي في القدس عام ١٩٤١م. ينظر: <http://www.boelien.com/content/1978/240.html> تاريخ الدخول: ١٤٣١/٠٥/٠٥هـ.

^٣ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٢٧.

-The Unromantic Oriet, Op. cit., P. 46.

٣. حوار مع د. حاييم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية:

كما توجه فايس بوجهة نظره السابقة خلال مناقشة جادة وقوية مع د. حاييم وايزمان^١ (Chaim Weizmann) زعيم الحركة الصهيونية بلا منازع، محاولاً توضيح قناعاته في مسألة الاستيلاء على فلسطين، فبدأ حواراً بسؤاله: ماذا عن العرب؟؟ فتحول وايزمان إليه بوجهه ووضع الإناء الذي كان يحتسي منه الشراب على المائدة أمامه ثم ردد السؤال ببطء وماذا عن العرب؟؟! فتابعه فايس بلفتة سريعة قائلاً: كيف تتصور أن تجعل من فلسطين دولة لليهود رغم هذه المعارضة العارمة للأغلبية العربية في البلاد؟؟! هز وايزمان رأسه باستخفاف وسخرية وقال: إنني أتوقع أنهم لن يكونوا أغلبية في سنوات قليلة!..

فسأله فايس مستنكراً: أنت أعلم بمخططكم، ولكن بصرف النظر عن المقاومة العربية أو عدمها ألا يزعجك الجانب الأخلاقي والإنساني في القضية؟ ألا ترى أن طرد شعب من بلاده التي طالما سكنها وعاش فيها منذ القدم أمرٌ خاطئٌ يتجاوز الأخلاق والقيم؟؟.

أجاب وايزمان وهو في دهشة من أمره رافعاً حاجبيه: ولكننا بلادنا وإن ما نفعله ليس إلّا مجرد استرداد ملكاً لنا في الماضي حرماناً منه مئات السنين. ثم ردّ فايس بقوة مستعيناً بذاكرته التاريخية: ولكنكم كنتم بعيدين عن فلسطين ما يقرب ألفي سنة ولم يحكم اليهود إلّا جزءاً من هذه الأرض لفترة من الزمن لا تزيد عن خمسمائة سنة، ألا ترى أنه من حقّ العرب استناداً إلى ذات المنطق أن يطالبوا بحقهم في إسبانيا حيث أنهم حكموها أكثر من سبعمائة سنة، ولم يفقدوها إلّا منذ خمسمائة سنة فقط، لا منذ ألفي سنة؟^٢.

^١ د. حاييم وايزمان: ولد في روسيا عام ١٨٧٤م، ودرس في جامعات ألمانيا، وسويسرا، وعمل مدرسا للكيمياء في جامعة مانشستر ببريطانيا، وطور صناعة الأستون الذي استخدم لإنتاج المنفجرات، كان مولعا بالصهيونية منذ صغره، وفي عام ١٩٠٧م طالب اليهود بتوحيد العمل السياسي للحصول على وطن يهودي في فلسطين، ثم في عام ١٩٤٩م انتخب كأول رئيس لدولة إسرائيل حتى مات ١٩٥٢م.
ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٦٠.

^٢ يعتبر فتح الأندلس امتداداً لحركة الفتوحات الإسلامية العامة التي كان باعثها الأول نشر الإسلام وتبليغه للناس، وقد كانت الظروف في عهد الوليد بن عبد الملك مستقرة ومواتية لنشاط الفتح، كما كانت بلاد الأندلس محكومة من قبل القوط الغربيين وملكهم (لذريق) وقد عان أهل الأندلس ظلماً شديداً من ذلك الحكم، وسمّوا بما قام به المسلمون من حسن المعاملة، والعدل بين الناس، لذلك تطلّعوا إلى الدخول تحت حكم الإسلام وأحسوا أن في ذلك إنقاذاً لهم من الظلم الذي كانوا يعيشونه، بل أن المسلمين كانوا يجدون التعاون والتشجيع من أهل البلاد الأصليين الأسبان ضد حكامهم، لما يعلمونه من عدل الإسلام وسماحة للمسلمين. لهذا يرى المؤرخون المسلمون وهو ما أشار إليه الكتاب الأسبان، أن فتح الأندلس من طرف المسلمين لم يكن غزواً أو استعماراً لشعب أزاح شعبا آخر كما يقع اليوم في فلسطين، ولكن الفتح الإسلامي للأندلس كان تحولا حضارياً لأمة قبلت الإسلام كمحرر لها من الاضطهاد التي عانتها من طرف القوط والحكومات الأخرى، تلك الأمة التي قبلت الإسلام طواعية، وتعلمت اللغة العربية فأصبح سكان البلاد الأصليين مسلمين. ومعلوم أن المسلمين فتحوا الأندلس عام ٩٢ هـ أيام الدولة الأموية في خلافة الوليد بن عبد الملك، بقيادة طارق بن زياد، وانتهى حكم المسلمين في الأندلس عام ٨٧٩ هـ، أي أنهم حكموا أكثر من ثمانية قرون.

ينظر: الفتح الإسلامي عبر العصور، د. عبد العزيز إبراهيم العمري، ط ١، الرياض: دار إشبيلية، الرياض، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧م، ص ١٧٩-١٨٣.
-مضاهي الإسلام في الأندلس، د. علي المنتصر الكتاني، نوفمبر ٢٠١٠م، متوفر على شبكة المعلومات العالمية

<http://bouyesfy.maktoobblog.com> تاريخ الدخول: ١٤٣٢/٠١/٣٠ هـ

هنا نفذ صبر وايزمان وبدأت علامات التضجر تظهر عليه وقال غاضباً متأففاً: هذا هراءٌ لقد كان العرب في إسبانيا مجرد غزاةٍ ولم تكن بلادهم الأصلية وكان من الطبيعي أن يطردهم الأسباب منها في النهاية.

وببديهةٍ سريعةٍ أسقط فائس هذا الزعم بقوله: عفواً يا دكتور، ولكن هناك حقيقة تاريخية أخرى أغفلتها وهي أن العبرانيين أيضاً جاؤوا إلى فلسطين كغزاةٍ وكان يسكن فلسطين في ذلك الزمن قبائل ساميةٍ وغير ساميةٍ من العموريين والقسطنطينيين والمؤابيين والحيشيين وكانت هذه القبائل كلها هنا في عهد مملكة إسرائيل ويهوذا ، وظلوا قاطنين هنا بعد أن طرد الرومانيون أجدادنا اليهود، إنهم العرب الذين استقروا في فلسطين وسوريا إلى يومنا هذا، لقد كانوا هنا قبل أن يأتي المسلمون إليها وكانوا أقليةً أما العرب القدامى فكانوا هم الأكثرية وأسلم منهم بعد الفتح الإسلامي عددٌ كبيرٌ وبقي البعض على مسيحياتهم، فهل تستطيع أن تنكر أن العرب الذين يتحدثون اللغة العربية إلى اليوم، مسلمين كانوا أو مسيحيين هم أنفسهم أحفاد أولئك العرب الأقدمين الذين عاشوا في فلسطين، بمعنى أنهم كانوا هنا قبل دخول العبرانيين إلى فلسطين؟؟!

لم يجد د. وايزمان بعد هذا العرض التاريخي إلا أن يتسم ويدير بلباقةٍ دفة الحديث إلى موضوعاتٍ أخرى، ولكن فائس تابع التعقيب على حوارهِ مع د. وايزمان قائلاً: لم يكن لديّ هدفٌ سوى أن أسبب نوعاً من القلق والتوتر في القيادة الصهيونية لعلها تعيد النظر في موقفها الأخلاقي تجاه القضية الفلسطينية، وكنت أتصور أن اليهود قد تعلموا درس السلام مع العالم نتيجة الظلم الذي وقع عليهم ولكن الواقع أثبت لي العكس، وكم كان اليهود عمياناً عندما لم يدركوا خطورة موقفهم والكوارث التي ستقع عليهم في المستقبل إذا ما اتخذوا العنف طريقهم لإنشاء دولةٍ على أنقاض عرب فلسطين؟! فإن مستقبلاً مؤلماً مملوءاً بالمنازعات والأحقاد سينتج عن سياسته تلك، وستغرق الجزيرة اليهودية وسط خصمٍ من البحر العربي المعادي^٢.

^١ من المعلوم أن فلسطين كانت تسمى بأرض كنعان نسبة إلى بعض القبائل العربية التي هاجرت إليها واستقرت فيها قبل إبراهيم عليه السلام وهم أبناء كنعان ابن حام بن نوح ، ويقال لهم أول من سكن فلسطين على الأرجح بعد وصولوا إلى فلسطين في الألف الثالث ق.م، وهكذا كانت فلسطين مقصد جميع القبائل المهاجرة من الجزيرة العربية نظراً لصعوبة مناخ جزيرة العرب وملائمة مناخ فلسطين للعيش والزراعة، أما العبرانيون فقد دخلوا فلسطين ضيوفاً مع إبراهيم على العرب الكنعانيين، ثم اتجهوا إلى مصر مرة مع إبراهيم ومرة مع إسحاق وظلوا غرباء على فلسطين حتى دخلوها مع يشع بن نون واغتصبوها من أيدي العرب الكنعانيين إلا أنهم عجزوا عن السيطرة عليها تماماً واستمرت المعارك الطاحنة بينهم وبين العرب على أن أقام داود وسليمان دولة لم يزد عمرها على ٧٠ عاماً ثم دمرت فلسطين وشرد اليهود منها على يد ملك بابل فلم عادوا إليها بواسطة الفرس لم يعودوا إلا أفراداً لا قيمة لهم ثم أتى عليهم النشأت اليوناني ثم الروماني الذي قطع صلتهم بفلسطين تماماً وأصبحت خالصة للعرب الذين عاشوا في ظل الحكم الروماني حتى فتحها عمر بن الخطاب فأصبحت دولة إسلامية وبعد ١٩ قرناً حاول اليهود العودة إلى فلسطين فعادوا سنة ١٩٤٨م وأقاموا دولة وطردوا العرب أصحاب الحق التاريخي في ملكية الأرض.

ينظر: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، د سعد الدين السيد، ط٢، القاهرة: دار الصفا، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٤٥ و ص ١٠٩

-أطماع اليهود وأسفارهم، فؤاد حسين مزنر، لبنان: دار الكتب الثقافية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢٩-٣٢

^٢ ينظر: الطريق إلى مكة ، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٢٨-١٣١.

-الطريق إلى مكة (١-٢) بيني وبين وايزمان، مرجع سابق، ص ٤٤-٤٦.

يا لها من رؤية مشرقة وعادلة تدل على قدرة فائقة على القراءة المتأملة والهادئة للواقع والأحداث التي عاشها، ونظرتها الاستشرافية المميزة لمستقبل الصراع الصهيوني العربي، باعتباره أن المشروع الصهيوني مشروع فاشل وغير قابل للاستدامة لأنه قام على أسس سياسية وثقافية وبيئية خاطئة ووهمية، فلا يمكن التعايش معه ولا يمكن إلا أن يكون كيانا عدوانياً وسينتهي غارقاً في وسط خضم المحيط العربي.

ثانياً - قراءة لموقفه من اليهود والصهيونية بعد إسلامه:

أ. بيان رأيه في اليهود:

يرى محمد أسد - رحمه الله - أن العبرانيين عربٌ هاجروا كما هاجر سائر الساميين من جنوب الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين.

وعلق - رحمه الله - على قول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾^١، بأن المقصود هم المنافقون وخاصة منافقو أهل الكتاب من اليهود وغيرهم لأنهم أهل كتابٍ قد جعلهم أعرف بالحق من سواهم وكان المظنون إذاً أن يتبعوه ويكونوا أظهر سلوكاً.

ويكرر القول مراراً في اليهود بأنهم حرفوا التوراة وتجاهلوا ما فيها من نبوءاتٍ عن رسالة محمد ﷺ، كما أنه يبرز في مواضع مختلفة من ترجمته لمعاني القرآن الكريم طبيعة اليهود في التمرد على الله وكفرهم بآياته واعتقادهم بأنهم شعب الله المختار؛ لأنهم من ذرية إبراهيم بالجسد رغم انحرافهم عن دين إبراهيم الحق، وهو اعتقادٌ مناقضٌ لأي مبدأ ديني، ويلج على معاقبة الله لهم على هذا الغرور والكبر بالتحريمات والتشريعات القاسية، مثل تحريم العمل عليهم يوم السبت، ويشير إلى إجمالي القرآن الكريم والكتاب المقدس على دينونة عصيائهم المتكرر وتمردهم المستمر على ربهم، كما يهاجمهم قائلاً: إن الله إذا كان قد اختارهم على العالمين فإنهم لم يصمدوا لهذا الاختيار كما يشهد بذلك تاريخهم المذكور في الكتاب المقدس نفسه، وإن أغلبية بني إسرائيل، وعلى رأسهم الصديقيون الذين يمثلون الارستقراطية الكهنوتية، صاروا ينكرون البعث والحساب الأخرى ويتمسكون بالنظرة المادية للحياة^٦.

^١ سورة المائدة، آية: ٦٠.

2. The Message of Quran, Op. cit., P. 181.

3. Ipid., P. 466.

4. Ipid., P. 462.

5. Ipid., P. 466.

6. Ipid., P. 863.

وفي شرحه لقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^١، يقول: إن ما يسود بين الشعب اليهودي من اعتقاد بأن المذنبين من بني إسرائيل لن يمكثوا في النار إلا فترة محدودة وسرعان ما يخرجون بعدها لأنهم شعب الله المختار، وهو أمر ينكره عليهم القرآن الكريم^٢.

كما تحدث عن يهود بني النضير وقريظة وخيانتهم للعهد الذي كان بينهم وبين المسلمين وتآمرهم مع المنافقين ضد الإسلام ورسوله ﷺ، واستحقاقهم للنفي عقب الحصار الذي دام عليهم واحداً وعشرين يوماً، وقتل يهود بني قريظة وأسره بعد أن وضعوا أيديهم في أيدي المشركين أثناء غزوة الأحزاب للتآمر على المسلمين وطعنهم في مقتل^٣.

والحمد لله، حمداً طيباً كثيراً مباركاً، الذي من علينا وجعل من كتابه العزيز الحكيم تبياناً لكل شيء كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۗ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۗ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾^٤، فوضح لنا صفات اليهود ونفسياتهم وأخلاقهم، ودورهم عبر التاريخ في الإفساد والإضلال وحذرنا من قبائحهم وشرورهم وخياناتهم وكذبهم، فهم كذبوا على الله فكيف لا يكذبون على أنبيائهم؟ يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ۗ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ۗ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ ۗ أَنِي يُؤَفِّكُونَ ﴾^٥، ثم الحمد لله رب العالمين الذي جعل من بيننا من كان منهم فيحذرنا من فسادهم وطغيانهم فاليهود قوم لم يوفوا بعهدهم مع الله فكيف يكونون أوفياء مع أنبيائهم؟ أو مع الناس؟؟ يقول الله تعالى: ﴿ فِيمَا نَقُصُّهُمْ مَيْشَقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^٦.

^١ سورة البقرة، آية: ٨٠.

^٢ The Message of Quran, Op. cit., P. 25.

^٣ Ibid., P. 966.

^٤ سورة النحل، آية: ٨٩.

^٥ سورة التوبة، آية: ٣٠.

^٦ سورة النساء، آية: ١٥٥.

وعليه فإن الواجب علينا أن ندرس صفتهم وأخبارهم كما جاءت في القرآن الكريم، ونتعلم كيف نتعامل معهم من خلال سيرة الرسول ﷺ لنكون في مأمن من مكرهم وخداعهم.

وكما كان محمد أسد - رحمه الله - قبل إسلامه يدافع عن القضية الفلسطينية ويندد ويشجب الأعمال الصهيونية، بدافع من ضميره وأخلاقه وإنسانيته، فإنه بعد إسلامه أصبح موقفه الدفاعي ينطلق من ارتباطه الديني بالقضية الفلسطينية، فهي قضية الأمة الإسلامية بلا منازع، ومن ذلك ما رواه الأستاذ (أحمد زكي يماني) أنه حضر ندوةً عالميةً لمناقشة قضية القدس، اشترك فيها مندوبون عن الأديان الثلاثة، وتحدث المتحدثون والخطباء، وكان الشيخ اليماني أحد شهود هذه الندوة، فقال في روايته: إن أحد المتحدثين اليهود زعم في خطابه أن اليهودية أول الأديان، وأنها بذلك أولى بيت المقدس من سائر الأديان، فانبهر له الأستاذ محمد أسد - رحمه الله - غاضباً متحمساً وأخذ يناقشه فقال: إنكم معشر اليهود لا تؤمنون برسالة عيسى، بل لقد آذيتموه وحاربتموه وطعنتم في شرف أمه فأنتم لديانته خصوم، كما أنكم لا تعترفون برسالة محمد ﷺ وأنتم لديانته خصوم إذا فأنتم لا تؤمنون على بيت المقدس.

وما يقال عنكم يقال عن النصارى الذين لا يعترفون بالرسالة المحمدية وهم لها خصوم فهم أيضاً لا يؤمنون على بيت المقدس!!

أما الرسالة المحمدية، فهي تعترف بموسى رسولاً كليماً، كما تعترف بعيسى رسولاً وبأمه البتول العذراء التي طعن اليهود في تبطلها، والقرآن الكريم يثني على الإنجيل والتوراة قبل أن يُحرّفاً، ويهادن أهل الكتاب، فمن أحقُّ برعاية بيت المقدس من المسلمين الذين دلَّ التاريخ الطويل أنهم يتيحون لأهل الديانتين اليهودية والنصرانية، أن يؤدوا طقوسهم في بيت المقدس؟^١

بهذا المنطق المعقول القاطع قويّ الحجة كان - رحمه الله - يناقش أهل الأديان ويدافع عن قضايا الإسلام.

بل ويذهب إلى أبعد من ذلك حين يصف حروبهم، واعتداءاتهم المتكررة والظالمة على شعوب بيت المقدس، باعتبار أنهم شعب الله المختار، فيقول: "وخلال الجزء الأغلب من فترة استقلال اليهود ... كانوا يشنون الحرب بشكل متواصل ضدّ الشعوب والقبائل المحيطة بهم، وعندما كانوا يجرزون النصر ... يقومون بتدمير العدو بالسيف والنار ... ويقتلون الرجال والنساء والأطفال ...، وحتى أبقار وأغنام وحمير أعدائهم"^٢.

^١ نقلاً عن: أيام حزينة، محمد أسد النمساوي المسلم، مرجع سابق، ص ٥٦-٦١.

^٢ القدس رؤية دينية مقارنة، مرجع سابق، ص ٢٨.

فمن الأحقُّ بقيادة بيت المقدس بعد هذا البيان؟! ومن الأجدر بأن يكون هو المظلة التي يعيش في كنفها اليهود والمسيحيون والمسلمون بسلام!!؟ يقول الله تعالى جواباً على ذلك: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^١، ويقول عز وجل: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾^٢.

ب. رفضه بأن يكون عميلاً للصهيونية ضدَّ المسلمين في فلسطين:

ولقد حاولت الصهيونية، والدوائر الحكومية في الولايات المتحدة الأمريكية أن تجند محمد أسد - رحمه الله - لصالحها وتتخذة عميلاً للصهيونية ضدَّ المسلمين والعرب مقابل حفنة من الدولارات مستغلين وجود صلة قرابة بينه وبين مذيعة في راديو إسرائيل، ولكنه رفض رفضاً قاطعاً وبتر صلته بالشخص الذي كان يحاول تجنيده^٣، وأبى أن يخون دينه ووطنه وأهله ويجعل من نفسه مطيةً لأعداء الله في تنفيذ مخططاتهم وتدمير البلاد والعباد، كما أبى أن يكون عبداً للدولار مقابل عقد صفقة خاسرة مع الصهيونية لبيع دينه ووطنه، وهذا موقف الأشراف الأحرار المخلصين الذين يرفضون الذلَّ والمهانة، ويأبون العيش إلا بكرامة وعزة، متمسكين بدينهم محافظين على أرضهم ووطنهم.

وحاولت أقلام بعض الأكاديميين اليهود أن تؤكد على الجذور اليهودية لمحمد أسد، وحاول بعضهم أن يثير الشبهات حول مدى تقبل أفكاره بين المسلمين، بل إن أحدهم كتب أن محمد أسد استقى فكره التوفيقى بين الإسلام والمدنية الحديثة من أصوله اليهودية، ووجدت هذه الادعاءات والشبهات من يستمع إليها ويروج لها، بسبب تقصير المسلمين أنفسهم في التعريف بهذا الرجل وميراثه العلمي ونشاطه الثقافي في دفاعه عن الإسلام^٤، فلم تترك له المساحة التي يستحقها في الإعلام الغربي والإسلامي، ولم تقدر جهوده حقَّ قدرها ولم تزل منزلتها التي تستحقها، وبخاصة حين نقارن ذلك بما يحتفي به هذا الإعلام بأصحاب التخصصات والاهتمامات من فنِّ ورياضة وسياسة^٥.

^١ سورة الأنبياء، آية: ١٠٥.

^٢ سورة الزمر، آية: ٧٤.

^٣ محمد أسد الطريق إلى مكة (٢-٢)، مرجع سابق، ص ١٠١.

^٤ المرجع السابق، نفسه.

^٥ محمد أسد هبة الإسلام إلى أوروبا، مرجع سابق، ص ١٦.

وهذا ما أكده د. مراد هوفمان في الذكرى المئوية لمحمد أسد عام ٢٠٠٠م التي أقيمت في النمسا بإشراف الجمعية النمساوية للاستشراق (هامير يورجستال)، وذكر هوفمان أن المحاضرين في هذا الاحتفال من الغرب وكان معظم الجمهور من غير المسلمين، ويستنكر هوفمان هذا من المسلمين فيقول: شخصٌ كتب مثل ما كتبه محمد أسد، وكتب حاسمةً مثل كتبه شملت القرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه، والتاريخ، لا يلقي قبولاً واهتماماً، بغض النظر عن اختلافنا معه في بعض آرائه التي وردت في رسالة القرآن إلا أن هذا لا يقلل من قيمة إسهاماته الضخمة في مسيرة النهضة الإسلامية في القرن العشرين، فهل شجع أحد الغريبيين على أن يفهموا الإسلام ويتبنوه كطريقة للحياة أكثر من محمد أسد؟^١.

وتتفق الباحثة مع د. هوفمان في غياب شخصية محمد أسد عن أقلام الكتاب والمفكرين والباحثين، رغم ما لها من المواقف العالمية المنصفة للإسلام والمسلمين، وعلى هذا يشهد د. عبد الوهاب عزام^٢ بقوله: "شهدته في باكستان في مجالس كثيرة، دائم الأهمية للتحدث عن الإسلام، والدفاع عنه نهازاً للفرص لبيان حكمة من حكمه، أو فضيلة من فضائله أو يرد مسلماً جاهلاً بدينه إلى الصواب، أو يهدي آخرًا ضالاً إلى سواء الصراط، أو يدعو المسلمين إلى الاستمسك بدينهم وجمع كلمتهم وقلوبهم وأيديهم على الصالح الذي يعود بهم إلى مجدهم الأول"^٣.

وبعد طول غياب شخصية محمد أسد عن الساحة الفكرية، والعلمية، والإعلامية في بلدي الحبيب، وبعد أن جفَّ حبر كتابه، ومفكره عنها، نظم مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بمشاركة سفارة جمهورية النمسا في المملكة العربية السعودية ندوة بعنوان: (محمد أسد حياة للحوار)، عقدت خلال الفترة ١١-١٢ إبريل ٢٠١١م^٤، وقد ألقى صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل افتتاحية الندوة، وشارك بالحضور معظم المهتمين بتراث المفكر محمد أسد، منهم: (د. مراد هوفمان، د. جنشر ويند هاجر، د. إكرام شجاتي، الشيخ صالح الحصين - رحمه الله -، الأستاذ نعمان قدوة^٥، د.

^١ الرحلة إلى الإسلام يوميات دبلوماسي ألماني، مرجع سابق، ص ٢٨٢-٢٨٣.

^٢ عبد الوهاب عزام (١٨٩٤م/ ١٩٥٩م): هو العلامة الأديب عبد الوهاب عزام بن محمد بك عزام بن حسن بن عزام بن سالم، ينتمي إلى قبيلة قضاة القحطانية، ولد بمصر ببلدة الشويك الغربي سنة ١٨٩٤م، ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم، ثم درس في الأزهر فارتوى من ثقافته الدينية، واللغوية، وأخذ العلم عن كبار شيوخه، تخرج من مدرسة القضاء الشرعي عام ١٩٢٠م، ثم حصل على شهادة الليسانس في الآداب والفلسفة سنة ١٩٢٣م، واختير مستشاراً دينياً للسفارة المصرية في لندن، ثم نال درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة سنة ١٩٣٢م، وكان يجيد اللغة الإنجليزية، والفرنسية، والفارسية، والأردية، والتركية، وعمل سفيراً لمصر في المملكة العربية السعودية حتى تقاعد سنة ١٩٥٤م، وعندئذ اختارته المملكة ليكون مديراً لجامعة الرياض التي أنشأت سنة ١٣٧٧هـ، توفي سنة ١٩٥٩م في الرياض، ودفن بمصر.

ينظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، عبد الله العقيل، ط٧، عمان: دار البشير، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج ١، ص ٥٠٦-٥١٣.

^٣ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٢.

^٤ حضرت الباحثة فعالية الندوة.

ينظر: ملحق رقم (٥).

^٥ نعمان قدوة: كاتب، وممثل مسرحي، ومنتج، ولد في مكة المكرمة عام ١٩٧٥م، وشارك في إنتاج فلم الطريق إلى مكة مع المخرج جورج جورش مش.

ينظر: "Participants S.V.s " Muhammad Asad A life for Dialogue", Op. cit.

عبد الرحمن الشيبلي، د. محمد السعيدى^١، وغيرهم)، وتنوع الحضور بين العرب، والأجانب، والمسلمين، وغير المسلمين، كما قدمت فيها العديد من أوراق العمل، كانت كلها باللغات الأجنبية، باستثناء ورقة الشيخ صالح رحمه الله.

وفي السياق نفسه أطلعني الكاتب الروائي الأستاذ فوزي القبوري، أنه بصدد كتابة رواية عن محمد أسد، ستعرض في مسلسلٍ دراميٍّ سعوديٍّ (الطريق إلى مكة)، مشيراً إلى أنه يقدم شهادة رجلٍ أوروبيٍّ، عايش تفاصيل حقبةٍ مهمةٍ تتناول تاريخ المملكة العربية السعودية، وموروثها الثقافي والحضاري، سجل شهادته بكل حيادية بعيداً عن أية أيديولوجية، إضافةً إلى تجربته الفكرية، ودفاعه عن الإسلام.

^١ محمد السعيدى: محمد إبراهيم السعيدى، ولد عام ١٣٨٨هـ في بلدة الشقراء بمنطقة الدوادمي، ويعمل حالياً أستاذاً أصول الفقه في جامعة أم القرى، وهو يمثل مدينة مكة المكرمة في الجمعية الفقهية السعودية، ومشارك في مشروع مفاهيم الحريات الذي تقيمه هيئة حقوق الإنسان، وله العديد من الأبحاث العلمية، وكان ضيفاً لحلقات برنامج الطريق إلى مكة (قصة محمد أسد) على القناة المستقلة للعام ٢٠٠٨م. ينظر: الصفحة الرسمية للشيخ د. محمد إبراهيم السعيدى على موقع الفيس بوك، <https://www.facebook.com> تاريخ الدخول ١٠/٢١/١٤٣٤هـ.

المطلب الثاني

دوره الجهادي السياسي في ليبيا ضد الاحتلال الإيطالي

لقد تفاعل محمد أسد - رحمه الله - مع قضايا الأمة العربية والإسلامية، تفاعلاً إيجابياً وإنسانياً وأخلاقياً منذ أن كان على دينه اليهودي، فقد كان حضوره واضحاً وجلياً من خلال مواقفه وآرائه، وكتاباته، وقلمه الذي سطر أصدق وأنبل المقالات التي ساهمت بدورٍ وافرٍ في وصف حالة الشرق الأوسط سياسياً وثقافياً واجتماعياً خلال السنوات - (١٩٢٢م - ١٩٢٦م) - التي قضاها مراسلاً متنقلاً بين دول الشرق الأوسط.

كما أظهرت تلك المقالات للرأي العام الأوروبي حقيقة السياسة البريطانية التي تميزت بالدهاء والمكر في تعاملها مع أطراف النزاع في المنطقة العربية، وتأجيحها للخلافات داخل تلك المنطقة حسب الاتجاه الذي يسير وفقاً لمصلحتها.

هذا ولم تُخفِ مقالاته تعاطفه الكبير مع الشعوب العربية في مقاومتها للاحتلال في كلٍّ من سوريا ومصر وفلسطين والعراق والأردن، مؤكداً في مختلف المواقف أن أصحاب الأرض هم الأحقُّ بها.

أما بعد إسلامه فقد كان - رحمه الله - أكثر تفاعلاً مع قضايا أمته الحيوية، حيث شعر بالأمها وحمل همومها وأدرك حقيقة المؤامرات التي تحاك ضدها آتاء الليل وأطراف النهار، واستطاع أن يساهم مساهمةً جادةً وفعلياً في تبني قضاياها ومحاولة حلِّ مشكلاتها وتخفيف معاناتها وتجاوز انكساراتها.

فها هو يحاول - رحمه الله - التعايش مع قضايا الأمة عن قرب من خلال مهمته الجهادية السياسية في ليبيا^١، فكم يعجز القلم أن يسطر بعض الكلمات لتخليد ذكرى هذا الرجل الطاهر، والبطل الخفي، الذي ترك لنا بصماتٍ عطرةً ونيرةً تشهد له أنه أقدم من حيث أحجم البعض.. وصبر والموت يرقص أمامه.. وثبت رغم اشتداد المحنة وعواصف الابتلاء.. فمن هذا العقد الفريد سنتناول دور محمد أسد - رحمه الله - الجهادي السياسي في ليبيا ضدَّ الاحتلال الإيطالي، مستندين على النقاط التالية:-

أ. اتصال محمد أسد - رحمه الله - بقيادة وزعماء حركة الجهاد الليبي ضدَّ الاحتلال الإيطالي وعلاقته بهم.

ب. تفاعله مع القضية الليبية.

ج. مهمته - رحمه الله - الجهادية السياسية في ليبيا، وتتضمن ما يلي:

^١ ليبيا: الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، عاصمتها طرابلس، اللغة الرسمية فيها هي اللغة العربية، والديانة فيها الإسلام، وهي عضو في الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الإفريقية ومنظمة الدول المصدرة للبترول (الأوبك).

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع ساق، ص ٣٦٦-٣٦٨.

- ١ . دراسة وضع المجاهدين في برقة.
- ٢ . جيش عمر المختار وعوامل تعزيزه.
- ٣ . الخطة البديلة.
- ٤ . بداية المهمة وتتضمن :
 - انتداب محمد أسد لتنفيذ المهمة.
 - ترتيبات ما قبل السفر.
- ٥ . نقطة الانطلاق.
- ٦ . محمد أسد - رحمه الله - تحت القصف الجوي.
- ٧ . محمد أسد - رحمه الله - في وادي الثعبان.
- ٨ . محمد أسد - رحمه الله - ولقاؤه بأسد الجبل الأخضر.
- ٩ . محمد أسد - رحمه الله - مع أسد برقه إلى الدور.
- ١٠ . عودة محمد أسد - رحمه الله - إلى المدينة المنورة.

أولاً - اتصاله - رحمه الله - بقيادة وزعماء الجهاد الليبيّ ضدّ الاحتلال الإيطاليّ وعلاقته بهم:

اتصل محمد - أسد رحمه الله - بقيادة حركة الجهاد الليبيّ، وهما السيد أحمد الشريف^١، والمجاهد محمد الزوي السنوسي، - رحمهما الله - أثناء وجوده في الجزيرة العربية وتحديدًا أثناء زيارته لمكة المكرمة وخلال المدة التي أقام فيها في المدينة المنورة، وكان لهما في قلب محمد أسد محبة شديدة واحترام عظيم، لاسيّما السيد أحمد الشريف، حيث كان يرى فيه رجلاً مناضلاً جهيداً ومقاتلاً جسوراً ومكافحاً شريفاً، يتمتع بروح الإيمان والشجاعة والإخلاص في سبيل الدفاع عن دينه ووطنه، ونيل الحرية والاستقلال.

وقد كان مؤمناً - رحمه الله - بأنّ الحركة السنوسية بقيادتها وجهادها ونهجها الذي سارت عليه، تمثل تياراً إسلامياً إصلاحياً من شأنه العودة بالعقيدة الإسلامية إلى جوهرها الأصيل.

^١ أحمد الشريف: ولد السيد أحمد الشريف بمقر الإخوانية في الجنوب عام ١٨٧٣م، وكان الابن الأكبر للسيد محمد الشريف النجل الأول للإمام المؤسس، والدة كريمة عمران الفيتوري من فضليات السيدات، حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وانكب منذ حداثة سنه على تعلم العلوم الدينية، قاد حركة الجهاد الليبي بعد وفاة عمه المهدي، وحقق انتصارات عديدة ضد الاستعمار الفرنسي في السودان، وضد الاستعمار الإيطالي في ليبيا، ذهب إلى تركيا فحذله أتاتورك، ثم غادر إلى دمشق، واستقر أخيراً في المدينة المنورة، وكان يقوم بالدور التعويبي الجهادي من مكانه في المدينة، ويعمل على جمع المال من المسلمين، والحجاج وإرساله إلى المقاومة في ليبيا، توفي في المدينة المنورة عام ١٩٣٣م، ودفن بالبقيع بعد أن خلف سبعة أبناء وست بنات.

ينظر: السنوسية، مفتاح السيد الشريف، ط١، القاهرة: دار الاستقلال، مكتبة وهبة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٢٨١.

-المجاهد السيد أحمد الشريف، للكاتب د. سالم فرج السويدي. جريدة الوطن الليبية. ١٥ سبتمبر ٢٠١١م، متوفر على شبكة المعلومات العالمية:

<http://www.alwatan-libya.com/more.asp?ThisID=8895&ThisCat=38>

لهذا جمعت بينه وبين زعمائها روابط أخوية قوية وعلاقة صداقة نبيلة مبنية على توافق الأفكار والأهداف وعلى الثقة المتبادلة، والنية الحسنة، والتعاون على البر والتقوى، يقول محمد أسد - رحمه الله - : " ليس في الجزيرة العربية كلها شخص أحبته كما أحببت السيد أحمد، ذلك أنه ما من رجل ضحى بنفسه تضحية كاملة مجردة عن كل غاية في سبيل مثل أعلى كما فعل هو، لقد وقف حياته كلها، عالماً محارباً، على بعث المجتمع الإسلاميّ بعنأ روحياً، وعلى نضاله في سبيل الاستقلال السياسيّ ذلك أنه كان يعرف جيداً أن الأول لا يمكن أن يتحقق من دون الآخر".¹

ويذكر محمد أسد - رحمه الله - أن أول لقاء له بالسيد أحمد الشريف - رحمه الله - كان عام ١٩٢٧م في مكة المكرمة، وقد تعرف عليه بواسطة صديقه المجاهد الحاجي آغوس سالم الإندونيسي، الذي كان يمثل مركز قيادة جهاد إندونيسيا ضد أعدائها، وكان محمد أسد حديث عهد بالإسلام وقاصداً مكة المكرمة مع صديقه الحاج آغوس لأداء فريضة الحج، وبكل احترام وتقدير رحب به السيد أحمد الشريف قائلاً: " مرحباً بك بين أخويك"، ومن ثم زار محمد أسد المقرّ المكّي للحركة السنوسية تحت جبل أبي قبيس^٢، حيث كان يقيم فيه السيد أحمد الشريف بعد أن نفي قسراً عن وطنه وسُدت في وجهه كل الطرق المؤدية إلى برقة^٣، وبعد ثلاثين عاماً من الجهاد المتواصل الذي أرق خلاله مضاجع الفرنسيين في شمال أفريقيا^٤.

وكما عودنا محمد أسد - رحمه الله - يتابع حديثه بكثير من الملامح الأدبية، والنواحي الجمالية، التي يبرز فيها اختياره للألفاظ، ودقة ملاحظاته ووصفه لمشاهداته، في رسم لنا في عجلة، مجموعة من انطباعاته وتصوراتهِ حول شخصية الإمام المجاهد السيد أحمد الشريف، مثنياً لنا جهوده في الدعوة إلى

^١ ينظر: الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ترجمة عفيف البعلبكي، ص ٣٣١-٣٣٢.

- الطريق إلى مكة جهاد السنوسية، محمد أسد، ترجمة منصور أبو ماضي، مجلة المسلمون، العدد الأول، شعبان ١٣٧٤هـ، آذار ١٩٥٥م، ص ٦٠.

^٢ جبل أبو قبيس: بلفظ التصغير كأنه تصغير قيس النار وهو اسم الجبل المشرف على مكة، ووجه إلى قيعقان ومكة بينهما، قيل سمي باسم رجل من مدحج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى فيه قبة.

ينظر: معجم البلدان، للإمام شهاب الدين البغدادي، بيروت: دار صادر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج ١، ص ٨٠.

* وأنشأت زاوية أبي قبيس في مكة المكرمة على يد مؤسس الدعوة السنوسية الإمام محمد علي السنوسي وكان إنشائها مؤذناً لبداية الدعوة السنوسية، وتعتبر أرض الحجاز المباركة الموطن الذي نبتت فيه تلك الدعوة وترعرعت، وقد أقام الإمام محمد السنوسي لفترات طويلة ومنوعة في الحجاز وأقام عدد من الزوايا في المدينة المنورة وحدة والطائف وينبع، وكان لطول بقائه أثر كبير في سطوع نجمه حتى انتفع بعلمه ودينه وأدبه أناس عديدين وتخرج على يديه علماء كثيرون من أهل الحجاز، ولقد ارتفع ذكر الدعوة السنوسية عند أهل الحجاز واحتلت مكانة عظيمة في قلوبهم وأصبح يحشاهم القاصي والداني، وبعد أن تأصلت جذورها في الحجاز انتقلت الدعوة إلى إقليم برقة في ليبيا لاستكمال أهدافها.

ينظر: السنوسية دين ودولة، محمد فواد شكري، مراجعة يوسف الجريسي، ط ١، بريطانيا: مركز الدراسات الليبية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص ٤٩-٥١.

- السنوسية، مرجع سابق، ص ٥٢.

^٣ برقة: اسم صقع كبير يشمل على مدن قرى بين الإسكندرية وأفريقيا.

ينظر: معجم البلدان، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٨٨.

^٤ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٣١-٣٣٣.

- الطريق إلى مكة جهاد السنوسية، مرجع سابق، ص ٦٠-٦١.

الإسلام، والجهاد في سبيل الله، من حرصٍ وصبرٍ وتحملٍ للشدائد، ومن إصرارٍ على المبدأ، وتمسكٍ بالثواب ورفض التهاون مع العدو، ومن قيادةٍ رشيدةٍ قدمت نموذجاً رائعاً في الإقدام والعطاء والإيثار من أجل قضيةٍ آمن بها وتصدّى لحملها والذود عنها فيقول: " كانت آثار الآلام والمعاناة تبدو واضحةً جليةً على وجه هذا المحارب الكبير... الذي سلخ أغلب سني عمره من أجل الإيمان والحرية...، تراه فتدرك أنه متعبٌ ... بلحيته الرمادية الصغيرة وتجاعيد وجهه الحزين... ورموشه الناعستين من شدة التعب ... وصوته الرقيق المفعم بالحزن والذي يتوهج أحياناً بالنشاط والحيوية، فتصبح العينان أكثر حدةً وإشراقاً ... وترتفع يده من بين ثنايا "برنوسه" الأبيض كجناح نسر...، هذا الشيخ المجاهد وريث فكرةٍ ورسالةٍ لو قُيِّضَ لهما أن تنجزا لساھم ذلك في نهضة الإسلام الحديث ... هذا البطل حتى في كبره ومرضه وتوقف مشاريعه وأعماله، لم يفقد يوماً الأمل ... ولم يعرف اليأس طريقاً إلى قلبه، وكان على يقينٍ بأن أشواق المسلمين إلى نهضةٍ روحيةٍ وسياسيةٍ تحت لواء الإسلام العظيم لن تنزلها قوارع الدهر ونوازل الزمن من قلوبهم أبداً^١.

في عام ١٩٣١م في المدينة المنورة، يتجدد اللقاء بين الأخوين المتحابين في الله، فبعد مغادرة محمد أسد - رحمه الله - المسجد النبوي الشريف التقى بالمجاهد محمد الزوي السنوسي^٢ وأخبره بأن السيد أحمد الشريف ملازمٌ فراشه وصحته ليست على ما يرام، وكان محمد أسد يستعدُّ للسفر بعد يومٍ واحدٍ من يومه هذا، ولكنه سارع بصحبة المجاهد محمد الزوي لزيارة السيد أحمد الشريف والاطمئنان على حاله، قائلاً: "... ولكنني بكل تأكيد سوف لن أغادر المدينة المنورة إلا بعد رؤية السيد أحمد لنذهب إليه الآن"^٣، هذا ولقد كان محمد أسد يقضي أوقاتاً عديدةً مع السيد أحمد الشريف لمناقشة أوضاع المجاهدين الليبيين في برقة ودراسة أفضل السبل لدعمهم وإمدادهم، وهو ما جعل السيد أحمد الشريف يكلفه فيما بعد بمهمة السفر إلى ليبيا والاطمئنان على المجاهدين في الجبل الأخضر.

^١ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٣١-٣٣٣.

- الطريق إلى مكة جهاد السنوسية، مرجع سابق، ص ٦٠-٦٢.

^٢ محمد السنوسي: هو المجاهد محمد بن عبد الله الميهور العكر الزوي، ولد بالكفرة عام ١٨٦٠م، وكان أحد قادة المجاهدين الذين حاربوا الإنجليز في مصر أقام بوحدة سيوة لبعض الوقت ثم هاجر بعد ذلك إلى الأردن ثم إلى سوريا ليستقر به المقام أخيراً في المدينة المنورة في ضيافة الملك عبد العزيز رحمه الله، ورزق ابنه عبد الله بـ "صاحبة" التي اقترنت بـ "عبد الملك الدرناوي" ولا تزال على قيد الحياة وتقيم حالياً في مكة المكرمة، هذا ما أفاد به ابن أخيه الحاج محمد هاشم عبد الله الميهور العكر الزوي الذي يقيم حالياً في أجدابيا ويبلغ من العمر ٧٠ عاماً.

ينظر: قصة المجاهد محمد الزوي يرويها محمد أسد (الطريق إلى مكة)، مدونة الكوز، ٢٠ مايو ٢٠٠٩. متوفر على شبكة المعلومات العالمية:

http://alkowz.blogspot.com/2009/05/blog-post_9337.html تاريخ الدخول: ١٤٣٢/٠١/٣٠هـ

- الطريق إلى عمر المختار حكاية شاهد عيان، محمد أسد، ترجمة سعيد العربي، تقدم المفكر مراد هوقمان، ط ١، الإسكندرية: دار الهدى، ٢٠١٠م، ص

٣١.

^٣ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٣١.

- الطريق إلى مكة جهاد السنوسية، مرجع سابق، ص ٦٠.

كما كان محمد أسد على صداقة حميمة بالمجاهد محمد الزوي السنوسي، ففيما يرويه لنا أنه ذات يوم بينما كان مغادراً المسجد النبوي الشريف، إذ يشعر بيد تمسك يده وتشدّها، فالتفت ووجد نفسه أمام صديقه القلم محمد الزوي وجهاً لوجه، فسرّ كلاهما بهذا اللقاء كثيراً، وتبادلا التحية، ثم سار جنباً إلى جنب على الطريق الذي يصل المسجد النبوي والشارع الرئيس في وسط المدينة حتى وصلا إلى منزل السيد أحمد الشريف^١.

ويحدثنا محمد أسد - رحمه الله - عن مكانة المجاهد الإمام محمد الزوي بين أهل المدينة المنورة فيقول: "كان سيدي محمد الزوي بفرنسه الأفريقي الشمالي الأبيض شخصية معروفة في المدينة، حيث كان ولا يزال يعيش منذ سنوات... وكان الناس يحبونه باحترام لا لسنه السبعين فحسب بل لشهرته كواحد من قادة نضال ليبيا الباسل في سبيل الاستقلال"^٢.

وقد شكر أحد الكتاب الليبيين محمد أسد ونسب إليه الفضل في توثيقه وتاريخه لهذا الجزء البسيط من حياة الشيخ محمد الزوي السنوسي، واعتبره جزءاً مهماً من مادة تاريخ الجهاد الليبي، مستنكراً على المصادر الوطنية الليبية كيف غفلت عن ذكر هذا الشيخ المجاهد!!؟؟، الذي يعتبر أحد أبرز قادة الجهاد الوطني الليبي، فقد حارب الإيطاليين في ليبيا وحارب الإنجليز في مصر بأمر من السيد أحمد الشريف، وقاد قوات المجاهدين هناك وحقق الكثير من الانتصارات ووصل بقواته إلى القاهرة، والذي ينتسب إلى قبيلة "أزوية"، إحدى أهم قبائل الجهاد في برقة، التي قدمت أثناء فترة الجهاد الوطني قوافل من الشهداء والقادة الأفاضل، ولم تغفل المصادر الإيطالية نفسها عن ذكر هذه القبيلة المجاهدة ورجالها البواسل، منها على سبيل المثال: برقه الهادئة لمؤلفه: الجنرال رودلفوا نمراتسياني، وبرقة الخضراء لمؤلفه: اثيليو توتسي^٣.

وقد تحدث محمد أسد - رحمه الله - في كتابه (الطريق إلى مكة) عن صمود قبيلة أزوية، وإصرارها على مواصلة الجهاد رغم محاصرة الأعداء للمجاهدين في ذلك الوقت فقال: "وفي عمق الجنوب كانت قبيلة أزوية تحت قيادة أبي كريم الذي يبلغ التسعين عاماً من عمره، وكان رجال هذه القبيلة ولا يزالون يقاومون، على الرغم من خسارتهم للمنطقة الوسطى المسمى بواحات جالوا"^٤.

^١ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٣١.

-الطريق إلى مكة جهاد السنوسية، مرجع سابق، ص ٦٠.

^٢ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٣١.

-الطريق إلى مكة جهاد السنوسية، مرجع سابق، ص ٥٩.

^٣ قصة المجاهد محمد الزوي يرويها محمد أسد (الطريق إلى مكة)، مرجع سابق.

^٤ جالوا: بسكون اللام، وفتح الواو وهي من مياه الضباب حمى ضرية، وربما قبل لها جلوى بالقصر والله أعلم، وهي مدينة أزلية لها حصن وعين سرة في وسطها، يمتاز بكثرة البساتين، والأشجار فيها غزيرة الفاكهة، والثمار، والأزهار، والياسمين.

ينظر: معجم البلدان، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٥٧.

^٥ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٤٥.

من هذا المنطلق نجد أنّ ما كتبه محمد أسد - رحمه الله - في كتابه (الطريق إلى مكة) تحت عنوان "الجهاد" يعدُّ وثيقةً تاريخيةً مهمةً في الجهاد الليبيّ، تصف بطولات المجاهدين الليبيين وشجاعتهم النادرة، وتقف على ما أحدثه الإيطاليون من جرائم وفظائع بحقّ الشعب الليبيّ، كما أنه يعتبر شاهد عيان على أحداث تلك الفترة التاريخية التي عاش ظروفها وقابل أثناءها شيخ المجاهدين عمر المختار^١ رحمه الله، لهذا ولأسبابٍ أخرى قام الأستاذ سعيد العربي^٢ في سنة ٢٠٠٧م بترجمة هذا الفصل ليأخذ مكانه اللائق في المكتبة الليبية ككتابٍ مستقلٍ عن آخر سنوات الجهاد الليبيّ المشرف^٣، كما اعتمد المؤرخ علي الصلابي^٤ في مؤلفاته على مادة كتاب (الطريق إلى مكة) معتبراً أنّها وثائق تاريخية مهمة عن تلك الحقبة الزمنية لحياة عمر المختار^٥.

وهذا ما أكدّ عليه بقوله: "إنّ هذا الكتاب يثبت بالحقائق التاريخية أنّ حياة عمر المختار مدرسة تستحق الدراسة والبحث في جوانب متعددة من شخصيته العلمية والدعوية والجهادية وصفاته الخلقية الرفيعة"^٦

ثانياً - تفاعله مع القضية الليبية:

كان محمد أسد - رحمه الله - من أكثر الدعاة إلى الوحدة الإسلامية حماساً، ومن أشدّهم إيماناً بأهميتها وضرورتها لمواجهة المهجمة الاستعمارية الشرسة على العالم الإسلاميّ، وللخروج بالأمة الإسلامية من حالة التفكك والتشرذم والضياع التي أرادها لها العدوّ الدخيل، وقد عني بقضية البعث الإسلاميّ والوحدة الإسلامية عنايةً شديدةً وأولاهها جلّ اهتمامه وأوقف عليها حياته كلّها منذ أن أسلم، وكانت مقالاته وكتاباته ومحاضراته دعوةً متجددةً إلى قيام تلك الوحدة الإسلامية الكبرى.

^١ عمر المختار (١٨٦٢م / ١٩٣١م): زعيم وطني ليبي، رمز لكل المناضلين خلال تلك الحقبة وما زال في سبيل الحرية والاستقلال، قائد حركة النضال الوطني ضد الاستعمار الإيطالي منذ عام ١٩١١م حتى ١٩٣١م، استشهد بعد محاصرته في الجبل الأخضر عام ١٩٣١م. ينظر: موسوعة مشاهير العالم، مرجع سابق، ج٣، ص ٨٢-٨٤.

^٢ سعيد العربي: سعيد مفتاح العربي، ولد في بنغازي ١٩٥٧م، حصل على ليسانس آداب تخصص لغة عربية من جامعة قار يونس عام ١٩٨٣م، وحصل على دبلوم دراسات عليا تخصص دراسات إسلامية من جامعة الفاتح عام ١٩٨٥م، وهو عضو في رابطة الأدباء والكتاب، يعمل حالياً في شركة رأس لانوف لتصنيع النفط والغاز. ينظر: الطريق إلى عمر المختار حكاية شاهد عيان، مرجع سابق، ص ٦٦.

^٣ المرجع السابق، ص ٥.

^٤ علي الصلابي: علي محمد الصلابي، ولد في مدينة بنغازي ١٩٦٣م، وحصل على درجة الإجازة العالمية من كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية عام ١٩٩٣م، ونال درجة الماجستير والدكتوراة من جامعة أم درمان الإسلامية، وله العديد من المؤلفات، منها: الوسطة في القرآن، فتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح.

ينظر: الموقع الرسمي للشيخ الدكتور علي محمد الصلابي، متوفر على شبكة المعلومات العالمية: www.alsallaby.com، تاريخ الدخول ١٤٣٤/١٠/٢١هـ.

^٥ ينظر: الشيخ الجليل عمر المختار، علي محمد الصلابي، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، ج١، ص ٩٣-١٠١.

-الحركة السنوسية، علي محمد الصلابي، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، ج٣، ص ١٧٥-٢٠٦.

^٦ الحركة السنوسية، مرجع سابق، ص ٥.

من هنا تفاعل محمد أسد مع القضية الليبية وناصر قادتها، وتابع أحوال المجاهدين الليبيين واهتمَّ بهم وهذا هو موقف المسلم المخلص تجاه قضايا أمته، فلا يمكن له إلا أن يهتمَّ بأمرها، فالأمة الإسلامية جسدٌ واحدٌ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وعليه فإنه ينبغي لنا استعراض الأسباب التي أدت إلى تفاعله - رحمه الله - مع القضية الليبية، وهي كالتالي:

١. إيمانه العميق وثقته بوعد الله تعالى ورسوله الكريم، بنصرة الإسلام وإظهاره على كل الأديان ولو كره المشركون. يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^١.

٢. طموحه الفكري، وآماله بضرورة اتجاه الأمة الإسلامية إلى التمسك بعقيدتها الصحيحة وبتربطها ووحدها الإسلامية، ودعوته المستمرة بضرورة تطبيق الإسلام كمنهج شامل للحياة، فهو الطريق الوحيد إلى استرداد قوة الأمة ومجدها وعودتها إلى موضع الريادة والسيادة.

وهذا ما قامت عليه الحركة السنوسية منذ تأسيسها، فقد حرص قادتها وأتباعها على هداية الناس وإرشادهم وفق تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية، واقتفاء أثر السلف الصالح، بغية إحياء العالم الإسلامي، وإرشاد المسلمين لما فيه سعادتهم في الدارين.

يقول محمد أسد - رحمه الله - : " إن إمام السنوسية لم يهدف مطلقاً إلى إقامة حكمٍ شخصيٍّ لنفسه أو لأولاده وأحفاده من بعده، بل إن ما أراده كان يعد أساساً نظامياً لبعث الإسلام بعثاً أدبياً واجتماعياً وسياسياً، وبمقتضى هذا الهدف فإنه لم يفعل شيئاً لهدم البناء القبلي التقليدي في المنطقة، ولم يهدد سيادة سلطان تركيا على ليبيا ... بل أوقف جهوده على تفقيه البدو في العقائد الإسلامية التي انحرفوا عنها، وعلى أن يقيم بينهم الشعور بالأخوة ... فأحدثوا تبادلاً كاد يكون معجزاً بين العرب والبربر، وزالت الفوضى بين القبائل ... وفي الزوايا تلقى أولادهم الثقافة لا في تعاليم الإسلام فحسب بل في كثير من الصناعات والفنون العملية ... فكانت الطريقة السنوسية دافعاً إلى المدنية والتقدم، في حين أن تمسكها بسيرة أهل السلف الصالح رفع المقاييس الأدبية في المجتمع الجديد ... وسهلت على السلطات العثمانية التعامل مع القبائل العربية إلى حدٍ كبيرٍ"^٢.

^١ سورة التوبة، آية: ٣٣.

^٢ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٣٤.

- الطريق إلى مكة جهاد السنوسية، مرجع سابق، ص ٦٢.

وبحسب المصادر الليبية فإن السنوسية كانت دعوةً إسلاميةً وإمارةً سياسيةً وهذا ما يؤكد الأستاذ محمد شكري فيقول: "وما كانت السنوسية في أدوار تاريخها الحافل طريقةً تقصر اهتمامها على شؤون العبادة من غير نظرٍ في أحوال الشعوب التي أخذ الإخوان السنوسيون على عاتقهم إرشادها حتى تتحرر من قيود الجهالة وتنعم بهدى المعرفة، آية ذلك نجاح السنوسية في إقامة نوعٍ من الحكومة المصلحة الرشيدة على أسسٍ عمليةٍ ظاهرةٍ في كلِّ مكانٍ أنشأوا فيه زواياهم في القطر الليبيّ وفي أفريقيا، ولقد ترك السنوسيون في تلك الأقطار أثراً واضحاً جعل الدولة العثمانية صاحبة الأمر في طرابلس تعتمد الاعتماد كلاً على جهود السنوسيين في حكومة البلاد الداخلية ثم مكافحة الاستعمار الأجنبي"^١. ويقول: "إن السيد محمد السنوسي مؤسس السنوسية ما كان يريد غير العبادة واقتفاء أثر السلف الصالح ودعوة إخوانه ومريديه إلى الدين الصحيح، ولم يكن من مقاصده مناوأة الخلافة العثمانية أو التعرض لها، لأنه كان يريد هداية العالم الإسلاميّ أجمع ولم تكن دولة الخلافة العثمانية إلّا قطراً من أقطار هذا العالم الواسع الذي يبغي إصلاحه"^٢.

٣. اعتقاده بأن انتصار الحركة السنوسية في ليبيا على الاحتلال الإيطاليّ هو الطريق الوحيد في ذلك الوقت لوحدة المسلمين والوطن العربيّ بأكمله.

يقول - رحمه الله - : "لم يكن اهتمامي البالغ بمصير السنوسيين ناشئاً من إعجابي ببطولتهم المتناهية في قضية عادلةٍ مقسطةٍ فحسب، بل إن ما كان يهمني أكثر من ذلك هو ما كان يمكن أن يحدثه انتصار السنوسيين من تأثيرٍ على العالم العربيّ بأكمله إذ أنني لم أستطع أن أرى في العالم الإسلاميّ كلاً إلا حركةً واحدةً كانت تسعى صادقةً إلى تحقيق المجتمع الإسلاميّ المثاليّ: الحركة السنوسية"^٣.

ونحن لا نختلف مع محمد أسد في أن الحركة السنوسية كان لها أثرٌ عظيمٌ في إصلاح المجتمع الإسلاميّ والعودة بالعقيدة الإسلامية إلى جوهرها الصحيح، ولكنها لم تكن الوحيدة على الساحة الدعوية، بل إن القرن التاسع عشر الميلاديّ شهد العديد من حركات الإصلاح، والتي استطاع بعضها بفضل من الله وتوفيقه ردّ الناس إلى جوهر الدين وإلى وحدتهم الإسلامية، والوقوف أمام الغزو الفكريّ، والأفكار الهدامة التي بُنت بين أبناء الأمة الإسلامية.

٤. اتصاله بزعماء وقادة الحركة السنوسية وعلاقته بهم وكثرة تردده على مجلس الإمام السنوسيّ السيد أحمد الشريف، وصديقه المجاهد محمد الزوي، لمناقشة أوضاع الجهاد الصعبة في برقة،

^١ السنوسية دين ودولة، مرجع سابق، ص ١٣-١٤.

^٢ المرجع السابق، ص ٢٤.

^٣ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٤٧.

سهل له المشاركة الفاعلة في الدور التعبوي للمجاهدين، حيث كان مطلعاً جيداً على وضع حركة الجهاد ولديه تقديرٌ دقيقٌ لموقف المجاهدين في برقة^١.

ثالثاً - مهمة محمد أسد - رحمه الله - الجهادية السياسية في ليبيا:

أ. دراسة وضع المجاهدين في برقة:

لقد أتاحت له - رحمه الله - فرصة إقامته في المدينة المنورة، وعلاقة الأخوة التي ربطته بقيادة الحركة السنوسية، الاطلاع على أحوال المجاهدين الليبيين عن كثب، فقد كان يمضي الساعات الطوال بصحبة المجاهد محمد الزوي والقائد أحمد الشريف - رحمهم الله - لبحث ودراسة أوضاع المجاهدين في برقة بقيادة الشيخ عمر المختار - رحمه الله - وكان من الواضح لديهم أن المجاهدين لن يستطيعوا الاستمرار في جهادهم البطولي إذا لم يتلقوا ضد الغزاة من الخارج مساعدات عاجلة وفاعلة، فالوضع في برقة آنذاك كما يصفه محمد أسد على الصورة التالية: بسط الإيطاليون سيطرتهم على كل المدن الساحلية، وأحكموا قبضتهم على مواقع عدة في الجزء الشمالي من الجبل الأخضر وبين هذه النقاط المحصنة بشكل جيد كانوا يُسيرون باستمرار دوريات عسكرية مزودة بسيارات مدرعة، وعدد كبير من المشاة أغلبهم من جنود أريتريا^٢ تدعمهم جواً أسراب من الطائرات الحربية، التي تقوم بمجمعات متكررة على بدو القبائل العربية في الصحراء، وكثيراً ما حدث أن طائرة استطلاعية تكتشف وجود مخيم من البدو فتطلق مدافع الطائرة الرشاشة باتجاههم، وفي نفس الوقت تظهر السيارات المصفحة التي تندفع جارفة في طريقها بيوت الشعر والجمال والناس فتقتل كل ما يعترض طريقها دون تمييز بين رجال ونساء وشيوخ وأطفال ومواش، وما يتبقى على قيد الحياة من الناس والمواشي كان يساق معاً إلى معسكرات الشمال المحاطة بالأسلاك الشائكة، وفي ذلك الوقت ومع نهاية ١٩٣٠م بلغ عدد الأسرى حوالي ٨٠ ألف بدوي حشروا جميعاً مع مئات الألوف من المواشي في ساحة ضيقة من أرض جرداء لا تنتج ربع ما تقتات به هذه الأعداد الكبيرة من البشر والدواب فكان أن ارتفع نتيجة لذلك معدل الوفيات من البدو ودواجم إلى حد كبير يبعث على الدهشة والفرع بالإضافة إلى ذلك كله، كان الإيطاليون قد باشروا في تنفيذ

^١ ينظر: اتفاق الأرواح رواية تاريخية واقعية عن المستشرق النمساوي محمد أسد ورفيقه زيد بن غام الشمري، سعد العفنان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ٤٣-٤٤.

-سيرة عمر المختار أسطورة الزمان، بقلم فرج أبو العشة، موقع ليبيا المستقبل، ٣١/يناير/٢٠١٠م، متوفر على شبكة المعلومات العالمية: http://archive.libyaalmostakbal.net/Articles2010/farag_buelesha_31012010.html تاريخ الدخول:

١٤٣٢/٠١/٣٠هـ

^٢ أريتريا: عاصمتها أسمرة، اللغة الرسمية فيها هي اللغة الأمهرية، ويدينون سكانها بالإسلام والمسيحية (أقباط)، وهي عضو في الأمم المتحدة، ومنظمة الوحدة الإفريقية. ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ١٥-١٦.

حاجز من الأسلاك الشائكة على طول الحدود المصرية حتى يقطعوا عن المجاهدين طريق الإمدادات الوحيد ويصبح من المستحيل عليهم الحصول على أية مساعدة^١.

ب. جيش عمر المختار - رحمه الله - وعوامل تعزيزه:

أما عن جيش عمر المختار فيخبرنا محمد أسد - رحمه الله - بأن الجيش سار على طريقة حرب العصابات، التي لا تستلزم عدداً كبيراً من المجاهدين بل تعتمد على السرعة والظهور المفاجئ في أي مكان لمهاجمة التجمعات والنقاط الإيطالية وأخذ أسلحتهم ثم الهروب والاختفاء داخل الغابات والأودية والهضاب في الجبل الأخضر، وكان من الواضح لدى قادة حركة الجهاد أنه رغم شجاعة رجال عمر المختار وإيمانهم المطلق بالجهاد في سبيل الله إلا أنه لا يمكنهم تحقيق النصر المؤزر على أعداء يملكون عدداً لا يحصى من الرجال والسلاح، لذلك كان لابد من زيادة قوة وكفاءة جيش عمر المختار وتعزيز قواته القتالية في الجبل الأخضر عن طريق عدة عوامل، وهي:

١. ضرورة استمرار الإمدادات والمساعدات القادمة إليهم من القبائل العربية في مصر.
٢. ضرورة وجود أسلحة ثقيلة مضادة للطيران والمدافع الرشاشة والدبابات.
٣. ضرورة وجود جنود مدربين على استخدام الأسلحة، وتدريب بقية المجاهدين.
٤. إنشاء مخازن سرية لتخزين الأسلحة داخل الأراضي المصرية.
٥. إنشاء شبكة اتصالات لا سلكية تربط بين المجاهدين في برقة^٢.

ج. الخطة البديلة:

بعد عدة اجتماعات دامت أسبوعاً كاملاً بين السيد أحمد الشريف من جهة، والإمام محمد الزوي ومحمد أسد - رحمهم الله - من جهة أخرى، توصل المجاهد محمد الزوي إلى خطة بديلة لتموين المجاهدين ودعمهم، فاقترح بأن تكون الكفرة^٣ الواقعة في أقصى الجنوب من الصحراء الليبية قاعدة للمجاهدين ونقطة الارتكاز في كل العمليات العسكرية المستقبلية، ولاسيما وأنها تقع على طريق

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٤٤-٣٤٥.

^٢ المرجع السابق، ص ٣٤٤-٣٤٥.

^٣ الكفرة: منطقة الواحات الصحراوية ببرقا، ما بين أفريقية وبلاد مصر، وهي كثيرة النخيل والتمر، وفيها مدن مسورة، وغير مسورة، ولكل مدينة منها اسم يعود إلى الواح.

ينظر: معجم معارك الجهاد في ليبيا، خليفة محمد التليسي، ط (بدون)، طرابلس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م، ص ٤٤١.

-الاستبصار في عجائب الأمصار، لكاتب مراكشي من القرن ٦هـ، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد، ط (بدون)، بغداد، دار الشؤون الثقافية،

تاريخ النشر (بدون)، ص ١٤٧.

القوافل المتجهة إلى واحتي بحرية^١، وفرافرة^٢ في مصر، لذا كان يمكن تموينها بصورة جادة أكثر من أيّ موقعٍ آخر، كما كان يمكن أن يتحول كثيرٌ من المهاجرين إلى مصر إليها لتكون مستودعاً دائماً لإمداد عمر المختار في الشمال^٣.

د. بداية المهمة:

١. انتداب محمد أسد لتنفيذ المهمة:

في أواخر شهر يناير من عام ١٩٣١م، وبناءً على الأوضاع المتردية للمجاهدين في برقة، ولترتيب أمر نجاح الخطة البديلة، كُلف محمد أسد - رحمه الله - من قبل السيد أحمد الشريف بمهمة حسيمة ذات طابع جهاديٍّ سياسيٍّ، لما علم شدة تعاطفه مع القضية الليبية، وصدق نواياه تجاه المقاومة الإسلامية ضدّ المحتلّ، إضافةً إلى سعة معرفته وخبرته كرحالة عبر الصحاري العربية، انتدبه السيد أحمد الشريف ليذهب إلى ليبيا وينقل رسالةً سريةً إلى شيخ المجاهدين عمر المختار - رحمه الله - في برقة تفيد بضرورة انسحاب قوات المجاهدين إلى الحدود المصرية لإعادة تنظيم صفوفهم قبل أن يتمّ إغلاق الحدود من قبل السلطات البريطانية، أو اتخاذ الكفّرة مقرأً لهم، وقد استغرقت هذه المهمة شهرين كاملين، تخللها الكثير من المغامرات والمشاقّ، وتعرض محمد أسد لأخطارٍ محدقةٍ وموتٍ محققٍ، واضطر خلالها إلى التنكر بأزياءٍ مختلفةٍ، واستخدام وسائل نقلٍ متعددةٍ، والتكتم على مهمته في كلّ مرحلةٍ من مراحل الطريق، ثم عاد وهو يحمل رسالةً أخرى من أسد برقة إلى الإمام المجاهد، أحمد الشريف في المدينة المنورة، تؤكد على إصرار وعزم قائد المجاهدين عمر المختار - رحمه الله - على قتال الأعداء حتى نيل إحدى الحسنين إما النصر أو الشهادة^٤.

ويصف محمد أسد - رحمه الله - هذه المهمة فيقول: "كانت مهمةً غريبةً تلك التي قمت بها إلى برقة في أواخر يناير من عام ١٩٣١"^٥.

^١ واحة بحرية: هي إحدى واحات الصحراء الغربية في مصر، وتتبع محافظة الجيزة، ويوجد بها نحو ٤٠٠ عين للمياه المعدنية، والكبريتية الدافئة، والباردة، مركزها مدينة الباويطي.

ينظر: جغرافية مصر، د. محمد فريد فتحي، ط٢، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠، ص ٥٦-٨٥.

^٢ واحة فرافرة: هي أحد الواحات الصغرى الواقعة جنوب واحة سيوه إلى الشرق، وفي غرب مدينة الفيوم، وبها وادي أبي حنيس فيه عيون، ونخيل، كما يوجد بها مباني أثرية عتيقة.

ينظر: جغرافية مصر، محمد أمين فكري، ط١، مصر: مطبعة وادي النيل المصرية، ١٣٩٦هـ، ص ٣٠٠-٣٠١.

^٣ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٤٦.

^٤ المرجع السابق، ص ٣٤٧-٣٤٨.

^٥ المرجع السابق، ص ٣٤٣.

ولعلنا نجد تفسيراً لغرابة هذه المهمة فيما سجله الكاتب محمد العطيفي فيقول: "وتكمن غرابة هذه المهمة بأنها تكليف داعيةٍ من الغرب بالاطمئنان على مجاهدين من الشرق"^١.

فعلاً إنه من الغريب أن تسير الأقدار بمحمد أسد رحمه الله لتنقله من رجلٍ أوروبيٍّ المولد والثقافة يهوديٍّ الديانة إلى مسلمٍ ومجاهدٍ على الأرض الليبية الطاهرة .

وقد اتسمت هذه المهمة بطابعٍ جهاديٍّ سياسيٍّ كما نرى لعدة أسباب^٢:

● اختار محمد أسد - رحمه الله - الوقوف إلى جانب إخوانه في الدين ونصرتهم وأظهر روح الإيثار والتسامي وحبَّ التضحية، فسرعان ما نسى نفسه ونوازعه الأنانية وأصبح جزءاً عضويّاً متماسكاً مع الجموع المجاهدة، حياتهم حياتته، وسعادتهم سعادته، وهلاكهم هلاكه، ولنترك الحديث لمحمد أسد فهو خير من يوضح لنا سبب إقدامه على هذه المهمة الجهادية. إذ يتساءل فيقول: "لماذا أقدمت على عملٍ كهذا؟ ولماذا يتوجب عليّ أن أعبر الصحراء الغربية منتقلاً من مكانٍ إلى آخر كي لا تكشفني طائرات الاستطلاع الإيطالية، أو دوريات السيارات العسكرية... هل حقاً أنّ مهمتي هذه يمكن لها أن تقلب الوضع لصالح المجاهدين؟ لقد كنت بالفعل أطمح إلى تحقيق ذلك، ولكنني وفي المقابل كنت أعرف أنني بصدد القيام بمهمةٍ خياليةٍ وغير مجديةٍ، فلماذا بحقّ الله أجازف بحياتي أكثر من أيّ وقتٍ مضى وبأقلّ فرصةٍ ممكنةٍ في النجاح؟... عندما قدر لي أن أعرف الإسلام وأن ارتضيه طريقي في الحياة، ... كان ذلك مرتبطاً برغبتني في تتبع تلك الطريقة بين أناسٍ يؤمنون بها أيضاً وذلك للعمل من أجل إنجاحها وقطف ثمارها داخل المجتمع الذي اخترته، كان الإسلام بالنسبة لي الطريق الذي لا نهاية له، وكان عمر المختر ووحده المستميتة على نفس الطريق يضحون بدمائهم من أجل الحرية تماماً كما كان صحابة رسول الله ﷺ منذ ثلاثة عشر قرناً، ومن هنا فإنّ

^١ الطريق إلى عمر المختار حكاية شاهد عيان ، مرجع سابق، ص ٩.

^٢ قلت ذلك: لأن الكاتب سعيد العربي الذي عرض لنا رحلة محمد أسد إلى عمر المختار بطريقة جديدة ومختلفة عن ما سبقها لا يعتبرها مهمة جهادية وإنما رحلة لإيصال رسالة من زعيم المجاهدين السيد أحمد الشريف إلى عمر المختار، ورد ذلك في ملاحظة أرسلها إليّ عبر البريد الإلكتروني، بينما يوافقني الرأي د أحمد عبد الرحمن في كتابه جاذبية الإسلام الروحية عندما عنون لهذه المهمة بقوله "الجهاد بالنفس: الرحلة للقاء عمر المختار" ص ٤٠، كما أنه وصفها بقوله الانجازات الجهادية البطولية للمهتدي الكبير محمد أسد رحمه الله ص ٤٢.

وكذلك د. مصطفى عندما قال: "وكان يكفينا منه جهاد الكلمة مع أهميتها لصدورها من شخصية مثله له معرفة عميقة بالأديان والتاريخ والحضارات ولكنه جاهد أيضاً بنفسه مشاركاً للحركة السنوسية ضد إيطاليا.

ينظر: صحبة مسلم قادم من الغرب، مصطفى حلمي، ط٢، الإسكندرية: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ص ٣٧.

تقدم العون والمساعدة لهم في صراعهم المرير مهما تكن النتائج ضرورةً بالنسبة لي كالصلاة
سواءً بسواء^١.

هذا ولم يكن - رحمه الله - مقبلاً على هذه المهمة من باب إحساسه بالواجب الديني والمسؤولية تجاه
دينه وإخوانه المجاهدين فحسب وإنما ابتهج كثيراً وسراً لها لأنه وكما صرح، سيكون بواسطته أن يسهم
في القضية التي قدم العديد من الناس أرواحهم من أجلها، وأقسم بالله بأنه سيكون أميناً على أسرار
المجاهدين وهو يشعر بأنه على يقين تامٍ بـير قسمه هذا وأنه سيلوذ بالكتمان^٢.

● كان - رحمه الله - يعلم أنه مقدمٌ على تجربة قاسية، فالقتل يترصد بهم في كل لحظة، وعند
كل خطوة يتقدم بها في الصحراء الليبية، والعدو يحيط بهم جواً وبراً، هذا فضلاً عن المكابدة
الجسدية ومشقة السفر في الصحراء وخطرها والخوف من نفاذ الماء والزاد فيها.

يقول الأستاذ إبراهيم البليهي: "لقد كانت مهمته مغموسةً بالخطر والمشقة واقتضت الكثير من
التخفي والتمويه ولكن كان مبتهجاً بأدائها وكان مهدداً كل لحظة بأن يقبض عليه الإيطاليون القساة،
فقد اقتحم أرضاً لا تتخاطب مع الآخر إلا بالسلاح، ولقد تعرض هو ومن معه للقصف من الطائرات
الإيطالية وفي إحدى المرات أُصيب جمل رفيقه بطلقة أزهرته، فالأخطار لم تكن مجرد احتمال وإنما كانت
أخطاراً حقيقية^٣".

● كان - رحمه الله - يعلم حق العلم أنه معرضٌ لخطر المطاردة والتعقب وربما الاعتقال
والحبس من قبل السلطات البريطانية في مصر، حيث أن مقالاته التي كتبها مؤخراً وتحدث
فيها عن مؤامرات ودسائس ثورة فيصل الدويش ضد الملك عبد العزيز - رحمه الله - لن
تلق ترحيباً ورضاً لدى السلطات البريطانية، لذا كان يعتبر نفسه في موضع المراقبة الشديدة
وربما الاتهام والاعتقال وهو على الأراضي المصرية^٤.

● تميزت هذه المهمة بأنها ذات طابعٍ سياسيٍ من حيث أن محتوى الرسالة التي حملها محمد أسد
- رحمه الله - إلى أسد برقة، ذو علاقة وثيقة بشؤون الدولة الليبية الداخلية المستقبلية، إذ

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٤٩-٣٥٠.

^٢ المرجع السابق، ص ٣٤٧.

^٣ محمد لم يتجاوز الثانوية (٢)، مرجع سابق.

^٤ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٤٨.

تقوم على تحقيق أهدافٍ ضمن خطط الحركة السنوسية، في محاولة رعاية مصالح المجاهدين للوصول إلى تحقيق مصلحة الجماعة.

وعليه فإن مهمته أخذت طابعاً جهادياً، وسياسياً في آنٍ واحدٍ.

٢- ترتيبات ما قبل السفر:

كان على محمد أسد أن يقوم بالعديد من الإجراءات اللازمة والترتيبات الضرورية قبل الانطلاق للسفر، لضمان سلامة نجاح مهمته، وهي:

- أن يكون سفره من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر إلى الأراضي المصرية بسرية تامة وكتمان، وأن لا يحمل معه أية أوراقٍ ثبوتيةٍ تدلُّ على هويته أو جواز سفره، أو تأشيرة دخول، حتى لا تتمكن السلطات البريطانية من التعرف عليه في حال لو تم القبض عليه^١.
- إجراء العديد من المراسلات مع المجاهد عمر المختار - رحمه الله - في برقة، ومع أتباع السنوسية في مصر وعلى الحدود المصرية الليبية وداخل الصحراء الليبية، حتى يتسنى له الحركة بسهولة تامة وأمان داخل مصر ومن ثم الانتقال إلى ليبيا^٢.

هـ. نقطة الانطلاق:

في سنة ١٩٣١م انطلق محمد أسد - رحمه الله - مع رفيقه زيد بن غانم الشمري^٣,

^١ الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٣٤٨.

^٢ المرجع السابق، نفسه.

^٣ زيد بن غانم الشمري: ولد عام ١٨٩٨م في حائل، وكان والده ضمن حاشية آل رشيد، التحق بخدمة أمراء حائل بعد أن شب عن الطوق، نال قسماً من العلم والمعرفة في حاضرة شمر، وكان يحمل ولاء عجبياً لشمر وحائل وآل رشيد، لذلك لم وجه لامتداد شمر في العراق، بعد أن سقطت حائل على يد الملك عبد العزيز - رحمه الله - ، في عام ١٩٢٤م جمعه الله بمحمد أسد في مدينة الزور ثم رافقه طوال مدة تجواله في الجزيرة العربية فيما بعد (١٩٢٤-١٩٣٣)، وتعرضا في رحلتهما تلك للهلاك مراراً، وزيد أحد الوجهة المشرقة لشمر طار ذكره في آفاق أوروبا حيثما حل فيها كتاب صاحبه محمد أسد، من خلاله عرفت قبيلته وخصائصها وعرفت عاصمة شمر وإماراتها وأمراتها.

وقد وثق الكاتب سعد بن عفنان صداقتهما في كتيب بعنوان اتفاق الأرواح، ومن الجدير بالذكر أن الباحث الدكتور جوتنر وينهاجر الذي كتب أطروحته العلمية عن محمد أسد عام (٢٠٠٢م) يعتقد أن قصة زيد بن غانم الشمري هي من نسج خيال محمد أسد، وقد خالفه الرأي بعض الباحثين والكتاب، مثل: د. عبد الرحمن الشيبلي، وعلف بن عفنان، وأشار كهما في هذه المخالفة لعدة أسباب: أ. أن محمد أسد - رحمه الله - كان بحاجة ماسة إلى دليل يرافقه خلال أسفاره بالجزيرة العربية، إذ من المستحيل عليه أن يرحل عبر صحاريها وهو غريب عنها بدون دليل.

ب. الصورة الدقيقة التي قدمها - رحمه الله - لزيد الشمري عن أخلاقه وأدبه وتقاليده البدو وعاداتهم المتأصلة فيه، والتي بسببها أحبه محمد أسد، وأحب العرب، وعن قصة مغادرته للجزيرة العربية والتحاقه بجيش العراق أو ما يسمى بقوات العقيل.

ج. رواية الكاتب سعد بن عفنان يمكن أن تكون أصدق دليل على حقيقة شخصية زيد بن غانم الشمري، وأنها ليست مجرد خيال. د. تم توثيق الصورة الشخصية لزيد بن غانم الشمري، وهو في رحلته مع محمد أسد، وظهرت هذه الصورة في كتاب: محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي).

ينظر: محمد أسد هبة الإسلام لأوروبا، مرجع سابق، ص ٢٥-٢٦.

-حاذية الإسلام الروحية لماذا أسلم هولاء، أحمد عبد الرحمن، ط ١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٣٠.

-زيد بن غانم الشمري من حائل إلى عمر المختار، ديوان حائل، موقع الطنانيا. متوفر على شبكة المعلومات العالمية:

<http://www.altanaya.net/vb/showthread.php?t=68424> تاريخ الدخول: ١٤٣٢/٠١/٣٠هـ

من ميناء ينبع^١ على ظهر سفينة عتيقة اعتادت أن تطوف سواحل الجزيرة العربية، وكان متخفياً باللباس الحجازي، حتى يتمكن من التنقل بسهولة عند الوصول إلى شاطئ الصعيد المصري، حيث أن الكثير من أبناء مكة والمدينة كانوا يذهبون عبر البحر الأحمر إلى شواطئ الصعيد المصري لنقل الحجيج أو المتاجرة، ولما كان - رحمه الله - يجيد اللهجة الحجازية فإنه كان باستطاعته أن يدعي بأنه من أهل الحجاز دون أن يثير أي شك أو ريب، وبعد أربع ليالٍ رست السفينة بالقرب من شاطئ الصعيد ثم أقلهما زورقاً صغيراً إلى الشمال من ميناء الصعيد، وكما توقع - رحمه الله - لم يسترع وجودهما أنظار أهل الصعيد الذين اعتادوا رؤية الرجال بالثياب الحجازية^٢.

وفي صباح اليوم التالي قطعاً تذكرتين، وركبا حافلة قديمة متهاكّة متجهين إلى أسبوط^٣، ومن أسبوط ركبا القطار متجهين إلى بلدة صغيرة تسمى "بني سويف"^٤ وهناك ذهباً مباشرة إلى منزل "إسماعيل الذبيبي السنوسي" الذي كان يتوجب عليهما اللقاء به وتسليمه رسالة السيد أحمد الشريف لترتيب ما تبقى لهما من الرحلة^٥.

وبعد أن استلم إسماعيل الذبيبي رسالة السيد أحمد الشريف، أسرع بالاتصال مباشرة بأحد رجالات العائلة الملكية المصرية الذي كان يتقد حماساً من أجل نصرة المجاهدين، فوفر لهما المال اللازم وزودهما بأربع مطايا ودليلين ماهرين يعرفان جيداً الدروب التي ستوصلهما إلى حدود برقة^٦.

ومن هنا بدأت المرحلة الأولى من رحلته - رحمه الله - إلى أفريقيا، فخلع هو ورفيقه زيد الثوب الحجازي وارتديا بدلاً منه سروالين من القصب وسترتين من الزي الشمال أفريقي و فوقهما بنوسين كتلك التي يرتديها الرجال في ليبيا وغرب مصر^٧.

^١ ينبع: مدينة سعودية، وميناء هام على البحر الأحمر، وتعد من المدن الصناعية الكبرى، تغذي خطوط النفط داخل السعودية، وهي مدينة مزدهرة تجارياً.

ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ٥٢٠.

^٢ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٥٠-٣٥١.

^٣ أسبوط: من أكبر مدن الوجه القبلي في مصر، وهي عاصمة محافظة أسبوط، فيها العديد من المساجد، وقد بنيت على أنقاض مدينة تاريخية تدعى لايبوبولس، وتشتهر بالسواقي، والكهوف، دخلها الإسلام عام ٦٤١م، وفي العصر الحديث ارتبطت المدينة بالقاهرة بشبكة سكة الحديد، وفيها جامعة كبيرة.

ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ٥٣-٥٤.

^٤ بني سويف: مدينة مصرية وعاصمة محافظة بني سويف، تقع على الضفة الغربية لنهر النيل، وكان الإسلام قد دخلها عام ٢٠هـ على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه.

ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ١٢٥.

^٥ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٥٢.

^٦ المرجع السابق، ص ٣٥٢.

^٧ المرجع السابق، ص ٣٥٢-٣٥٣.

وفي الليلة التالية غادرا القرية بصحبة مضيفهما الذي زودهما ببندقيتين إيطاليتين من بندق الفرسان، ثم عرفهما على الدليلين وكانا ينتميان إلى قبيلة "أولاد علي" التي تقطن غرب مصر ويناصر أغلب رجالها المجاهدين في برقة^٢.

وقبل منتصف الليل ودع - محمد أسد ورفيقه والدليلان - إسماعيل ثم أسرعوا في الخطى باتجاه الشمال الغربي محاولين قدر الإمكان تجنب ممثلي إدارة الحدود المصرية الذين كانوا يجوبون الصحراء بسياراتهم وعلى ظهور الجمال، كما حاولوا الابتعاد عن طريق القوافل الرئيسي، ولما كان يتوجب عليهم سرعة التحرك وعدم التوقف لفترات طويلة، فوصلوا قبيل فجر اليوم الرابع إلى مشارف الجرف العميق الذي تقع فيه واحة بحرية، وقرروا أن يأخذوا قسطاً من الراحة ويخلدوا إلى النوم بعد جهدٍ وبردٍ شديدين وسيرٍ متواصلٍ لياليٍ متتالية، إلا أن محمد أسد حُرِم من النوم بسبب الأفكار التي كانت تطارده، فقد طرأ على ذهنه وقتها خطةٌ لمساعدة المجاهدين في برقة وهي الإبقاء على خطِّ مواصلاتٍ دائم بين بني سويف وبحرية يسمح لمروء القوافل دون أن تُكتشف إذا ما أخذت حزرها اللازم، ولاسيما أن الحكومة كانت تشرف على الواحة إشرافاً جزئياً وأن معظم سكانها كانوا متحمسين جداً لنصرة المجاهدين في برقة^٣.

وهذا إن دلَّ على شيءٍ لا يدلُّ إلا على شدة اهتمامه بالمجاهدين وحمله لهمومهم ومشاكلهم، وانشغاله الدائم بالتفكير في خطةٍ قد تساعدهم على الانتصار وتحقيق أهدافهم.

وبعدما استمروا في السير لمدة خمس ليالٍ أخرى من السفر الشاق على ظهور الجمال حتى وصلوا إلى واحة "سيوة"^٤ التي تقع على الحدود الليبية تقريباً، ولعدم رغبتهم في التوقف على الحدود إلا للضرورة أسرع دليلهم للقاء الرجل الذي ائتمنه السيد أحمد الشريف لتسهيل مرورهم عبر الحدود، ثم عاد برفقة دليلين آخرين من قبيلة البراعصة، ومن رجال عمر المختار ومعهما أربعة جمالٍ قويةٍ قادرةٍ على اجتياز الصحراء ومسالكها الوعرة وكان على الدليلين أن يعبرا بهما الثغرة الموجودة بين واحتي "الجغبوب"^٥

^١ إن النسيج الاجتماعي القبلي في ولاية برقة هو ذاته في غرب مصر، فالقبائل العربية المنتشرة في برقة مثل: قبيلة أولاد علي والبراعصة، والعواقر، والعبيدات، والمنفة، والجوازي هي على امتداد قبائل العرب في غرب مصر، وعندما حملت السنوسية راية الجهاد المقدس ضد العدو الناصب، كان للقبائل العربية في مصر نصيب وافر في الجهاد إلى جانب الليبيين سواء أكانوا ذلك بالاشتراك مع المجاهدين في ميادين الحرب كما فعل محمد صالح حرب باشا وكثيرون أما بجمع الاكتسابات وإرسال التبرعات والقيام بأعباء الخدمة الطبية كما فعل أصحاب الأريحة المصرية وأطبائهم المهمل الأحرار المصري أو بالاندماج في القتال تبادل الرأي مع زعمائهم كما فعل المجاهد عبد الرحمن عزام باشا الذي له مكانة رفيعة في قلوب الليبيين.

ينظر: السنوسية دين ودولة، مرجع سابق، ص ١٤.

^٢ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٥٣.

^٣ المرجع السابق، ص ٣٥٣-٣٥٤.

^٤ سيوة: واحة عظيمة بالديار المصرية، تسمى قلباً واحة آمون باسن الإله الأكبر لقدماء المصريين؛ لوجود هيكل عظيم له بها، ولا تزال آثاره فيها.

ينظر: قاموس الجغرافيا القديمة، أحمد زكي بيك، ط ١، القاهرة: المطبعة الكبرية الأميرية، ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م، ص ٥٢.

^٥ جغبوب: مدينة ليبية مشهورة، تقع أقصى الشرق الليبي على مقربة من الحدود المصرية، ترجع شهرتها التاريخية إلى أنها المكان الذي استوطن فيه الشيخ السنوسي، واتخذها مركزاً لدعوته؛ لموقعها المنيع وحصب واحاتها، واتصالها بالمدن الشمالية، والغربية.

ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ١٨٩.

و"جالوا" اللتين يسيطر عليهما الطليان وصولاً إلى هضبة برقة حيث سيقابلان عمر المختار شهيد الإسلام رحمه الله^١.

و. محمد أسد - رحمه الله - تحت القصف الجوي:

التزم محمد أسد - رحمه الله - ومن معه مواصلة السير ليلاً والاختباء نهاراً مع ضرورة تجنب آبار المياه مما جعل رحلتهم شاقةً وصعبةً للغاية، فلم يتمكنوا من سقي مطاياهم وملء القرب بالماء سوى مرة واحدة من بئر مهجورة بوادي "المرأ" بسبب ذلك تعرضوا لخطرٍ كاد أن يودي بحياتهم جميعاً، حيث وصلوا إلى البئر في وقت متأخرٍ كثيراً عن الوقت الذي توقعوا الوصول فيه، وسحبوا الماء لسقي المطايا وكان الفجر قد اشرق بضياته وعليهم أن يسيروا قرابة ساعتين كاملتين حتى يصلوا إلى منخفضٍ صخريٍّ ليختبئوا فيه طوال النهار، وما أن شرعوا بالمسيرة حتى بدد هدير إحدى طائرات العدو سكون الصحراء واقتربت الطائرة منهم وحلقت فوق رؤوسهم تماماً ولما لم يكن بمقدورهم الاختباء فقد قفزوا من على ظهور المطايا إلى الأرض وتفرقوا، فبدأ الطيار بإطلاق نار كثيفةٍ من مدفعه الرشاش باتجاههم، عندها صرخ محمد أسد - رحمه الله - "انبطحوا على الأرض ولا تتحركوا تظاهروا بالموت"، ولكن خليلاً دليلهم البرعصي وأحد رجال عمر المختار كان معتاداً على التعامل مع مثل هذا القصف الجوي، فلم يتظاهر بالموت وإنما استلقى على ظهره وأسند رأسه إلى صخرةٍ ثم رفع إحدى ركبتيه ووضع بندقيته فوقها وتركيز تاماً بدأ إطلاق النار باتجاه الطائرة المهاجمة التي انخفضت فوقه تماماً، ثم أمطرت الرمال بوابلٍ من الرصاص الكثيف، ولكن إحدى رصاصات خليلٍ أصابت الطائرة مما اضطرها إلى الانحراف بشكلٍ مفاجئٍ ثم الهروب، ولعل الطيار أدرك أنه من غير المجدي تعريض نفسه للخطر مقابل أربعة من الرجال، ولم يُصَب أحدٌ منهم في تلك المواجهة غير أنهم فقدوا إحدى مطاياهم، وبعد أن اجتمعوا قال خليل: "هؤلاء الإيطاليون جبناء، يقتنصون الفرص لقتل الآخرين ولكنهم لا يرغبون في تعريض جلودهم للخطر"^٢.

وهذا ما قاله الله تعالى عنهم في كتابه العزيز ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^٣ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ خَسِيبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^٤.

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البليكي، مرجع سابق، ص ٣٥٤-٣٥٥.

^٢ المرجع السابق، ص ٣٥٦-٣٥٧.

^٣ سورة الحشر، آية: ١٣-١٤.

ز. محمد أسد - رحمه الله - في وادي الثعبان:

بعد مسيرة ثلاث ليالٍ يصل محمد أسد - رحمه الله - ومن معه إلى الجبل الأخضر وهناك استبدلوا الجمال التي أرهاقها السفر المتواصل بالخيول التي أمنها لهم مجموعة من المجاهدين.

ثم بدأوا بشقّ طريقهم عبر الهضاب والجبال والوديان إلى أن وصلوا إلى وادي "الثعبان" وهو المكان المتفق عليه للقائهم بالمجاهد عمر المختار - رحمه الله - .

كان عليهم الانتظار لبضع ساعات قبل أن يحضر عمر المختار، فاختبأوا بالوادي بين الأشجار الجبلية المتشابكة والكثيفة، وربطوا خيولهم خلف الصخور، وتجنبوا إشعال النار رغم شدة البرودة ليلاً حتى يبعدوا نظر العدو عنهم، كما اضطروا إلى لفّ حوافر الخيول بقطع من القماش كي لا تحدث أصواتاً عند ارتطامها بالصخور .. وانتظروا في مكائهم بضع ساعات حتى ظهر رجال عمر المختار من بين الأشجار وكانوا مسلحين وبنادقهم مصوبةً باتجاه محمد أسد ورفاقه، إلى أن تأكدوا أنهم من كانوا فعلاً بانتظارهم، فعادوا أدراجهم واختفوا بين الأشجار في اتجاهاتٍ مختلفة، ويبدو أنهم كانوا حريصين جداً على سلامة زعيمهم المجاهد عمر المختار رحمه الله^١.

ط. محمد أسد - رحمه الله - ولقاؤه بأسد الجبل الأخضر:

وأخيراً وعلى جوادٍ صغيرٍ لُفت حوافره بالقماش جاء عمر المختار في حراسةٍ مشددةٍ من أتباعه، وكان يتحرك بصعوبةٍ بالغةٍ نتيجة إصابته في إحدى المعارك، ثم اقترب منه محمد أسد - رحمه الله - وسلم عليه فردّ عمر المختار السلام وهو يضغط على يد محمد أسد بشدة ويقول: مرحباً بك يا بني^٢.

وما أن جلس على الأرض بعد أن فرش له أحد المجاهدين بطانيةً وأضاء له نوراً خافتاً حتى سلمه محمد أسد - رحمه الله - رسالة السيد أحمد الشريف، فقرأها بعنايةٍ شديدةٍ ثم طواها ووضعها فوق رأسه، دليلاً على شدة ولائه واحترامه لقائده الأعلى، ثم التفت إلى محمد أسد وهو يتسم وقال له: أشاد بك السيد أحمد وامتدحك في رسالته بكلامٍ طيبٍ أنت إذاً مستعدٌّ لمساعدتنا، ولكنني لا أعلم من أين ستأتي المساعدة إلّا من الله العليّ القدير، فلا شكّ أننا اقتربنا من أجلنا المقدر لنا، فأجابه محمد أسد -

^١ كان عمر المختار - رحمه الله - حذراً في تحركاته، حيث أنه كان معرضاً للاغتيال من قبل العدو، ففي رحلته التي عاد منها من مصر بعد لقائه بالسيد أدريس أبلغ حواسيس الظليان رؤسائهم بأن عمر المختار احتاز الحدود الشرقية فأعدوا له كمينا وكان مكوناً من ثلاثة سيارات وكان الهدف القبض على عمر المختار وأسرته، وبمجرد أن ظهر عمر المختار ورفاقه أطلق العدو عليهم مدافعهم الرشاشة ولكن المجاهدين صمدوا لهم وأصابوا محلات السيارات وأفترقوا عن آخرهم واستطاع عمر المختار ورفاقه أن يتابعوا سيرهم حتى وصلوا إلى الجبل الأخضر، ولم يجرؤ أحد من الظليان على تعقبهم مرة أخرى.

ينظر: عمر المختار شهيد الإسلام وأسد الصحراء، محمد محمود إسماعيل، القاهرة: مكتبة القرآن، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٢٦.

^٢ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف العليكي، مرجع سابق، ص ٣٥٨-٣٥٩.

^٣ المرجع السابق، ص ٣٥٩.

رحمه الله -: أيمن أن تكون الخطة التي اقترحها السيد أحمد الشريف بجعل الكفرة مقراً للمجاهدين وقاعدةً للعمليات العسكرية حلاً للتغلب على الطليان؟^١

ردّ عليه عمر المختار - رحمه الله -: الكفرة ... لقد سقطت بأيدي الطليان منذ أسبوعين تقريباً^٢. وبخسارة الكفرة لم يبق أمام المجاهدين سوى التحصن في الجبل الأخضر حتى يقضي الله أمراً كان مكتوباً.

دهش محمد أسد - رحمه الله - بنبأ سقوط الكفرة فقد كان هو والسيد أحمد الشريف وأتباع السنوسية خلال الأشهر الماضية يخططون لتكون الكفرة نقطة تجمع وقوة للمقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالي.

وبعزيمة وإصرار يكمل المجاهد عمر المختار - رحمه الله - حديثه مع محمد أسد قائلاً: "نحن نقاتل لأن القتال واجب علينا من أجل ديننا وحررتنا.. نقاتل حتى نطرد الغزاة أو نموت وليس لنا ثمة خيار آخر، إن لله وإنا إليه راجعون، بعثنا بنسائنا وأولادنا إلى مصر كي نطمئن على سلامتهم متى شاء الله لنا أن نموت"^٣.

ثم طرح عليه محمد أسد - رحمه الله - مبادرة السيد أحمد الشريف بأن ينسحب هو والمجاهدون إلى مصر حيث لا يزال الطريق مفتوحاً وحتى يتمكنوا من تجميع المجاهدين وإعادة تنظيم صفوفهم وقوتهم

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٥٩-٣٦٠.

^٢ في ٢٤ من يناير عام ١٩٣١م وصل إلى الكفرة المارشال "بادوليو" ورفع الطليان علمهم على زاوية التاج، ثم أخذت قواتهم تطار المجاهدين، ورجع الطليان من هذه المطاردة بمخمسين أسيراً قتلوا منهم اثني عشر رجلاً فوراً وبسقوط الكفرة انتهت في الحقيقة كل مقاومة جديّة ضد الطليان في برقة خصوصاً بعد أن أحلوا العرب النازلين حول الجبل الأخضر، وكان لسقوط الكفرة أعظم الأثر في موقف عمر المختار في الجبل الأخضر وهو الذي دوخ الإيطاليين وأحبط مخططاتهم ولكن "جارزباني" قائد العدو بعد سقوط الكفرة ضيق الحناق على عمر المختار وأغلق الحدود المصرية إغلاقاً تاماً بالأسلاك الشائكة وحال بين عمر المختار ووصول أي مدد إليه في الجبل الأخضر، لكنه - رحمه الله - ظل يقاوم الطليان مسلحاً بالإيمان، واتقا بنصر الله.

ينظر: السنوسية دين ودولة، مرجع سابق، ص ٤٥٨-٤٦٣.

-عمر المختار شهيد الإسلام وأسد الصحراء، مرجع سابق، ص ٤٤-٤٥.

والجدير بالذكر أن محمد أسد وثق معركة سقوط الفكرة على لسان أحد الكفرين الناجحين فقال: "لقد خرجوا علينا في ثلاث فرق من ثلاث جهات، وكان معهم سيارات مصفحة ومدافع ثقيلة كثيرة أما طائرهم فقد حلق على علو منخفض ورمت بالقنابل البيوت والمساجد والنخيل ولم يكن لدينا سوى بضع مئات من الرجال يستطيعون حمل السلاح أما الباقون فقد كانوا نساء وأطفالاً وشيوخاً، ولقد دافعنا عن أنفسنا بيّنا وكنههم كانوا أقوى منا وفي النهاية لم يبق لنا إلا قرية الهواري وتمكن عدد قليل جداً من الهرب، أما أنا فقد اختبأت في حدائق النخيل وكنت طوال الليل أسمع صيحات النساء الواهي كان الجنود الإيطاليون والارتويون يقتصبونهم، وفي اليوم التالي أخبرتني امرأة عجوز بأن الجنرال الإيطالي قد حشد ما تبقى على قيد الحياة أمام قبر السيد محمد المهدي ومزق القرآن الكريم، ثم رماه على الأرض وداس عليه بخذاته صائحاً: "دعو تبيكم البدوي يساعدكم الآن، إذا استطاع!"، ثم أمر بقطع الأشجار والنخيل وهدم الآبار وإحراق كل ما كان في مكتبة السيد أحمد البدوي من كتب، وفي اليوم التالي أصدر أمره بوضع بعض شيوخنا وعلمائنا في طائرة حلق بهم ورمتهم من علو شاهق،...".

ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٦١.

- الطريق إلى عمر المختار حكاية شاهد عيان، مرجع سابق، ص ٥٦.

^٣ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٦١-٣٦٢.

القتالية، ولاسيما أن الإنجليز في مصر غير راضين عن الوجود الإيطالي على الحدود الغربية، وقد يتفاوضون عن تحركات المجاهدين فيم لو اقتنعوا أن المجاهدين لا يشكلون خطراً عليهم^١.

فأجاب عليه عمر المختار - رحمه الله - بأن الوقت متأخراً جداً لتنفيذ هذه المبادرة، وكان يمكن أن تكون مجدية قبل ست عشرة سنة وقبل أن يهاجم السيد أحمد الشريف الإنجليز لمساعدة الأتراك^٢، كما أنّ الإيطاليين قد عقدوا العزم على قتال المجاهدين الليبيين حتى النهاية، وهم مصممون على تدمير كامل قدراتهم القتالية، ولو انسحب المجاهدون مع زعيمهم إلى مصر فلن يكون بمقدورهم العودة مرة أخرى ومواصلة الجهاد، كما أنه لا يمكن لهم ترك قبائلهم تواجه الأعداء ولا زعيم لهم^٣.

ك. محمد أسد مع أسد برقة إلى الدور:

انتقل محمد أسد - رحمه الله - ورفاقه مع الزعيم المجاهد عمر المختار - رحمه الله - إلى "الدور" وهو معسكر المجاهدين ويقع في مضيق عميق وضيق في الجبل الأخضر، وتحت حماية أكثر من مئتي رجل.

وأكمل المباحثات مع المجاهد عمر المختار لدراسة الإمكانيات المتاحة وضمان وصول المؤن والذخائر إلى المجاهدين بكميات أكبر وبصورة مستمرة من إخوانهم في مصر، فاقترح محمد أسد حلاً يعدُّ الخيار الأخير أمام المجاهدين وهو أن يسلكوا الطريق الذي سلكه في قدومه إلى ليبيا، ووافق المختار - رحمه الله - على هذا المقترح مع ضرورة توفير مخازن سرية في الواحات المصرية (بحرية، فرافرة، سيوه)، ولكنه كان يشكُّ في مقدرة المجاهدين على الإفلات من نقاط الحراسة والتفتيش الإيطالية المشددة على الطريق، وبعد شهرٍ حدث ما توقعه المختار فقد اكتشف الإيطاليون قافلةً محملةً بالمؤن والذخائر وهي تجتاز الفجوة بين الجغبوب وجالو، فأنشأوا مركزاً حصيناً للمراقبة في "بئر طرفاوي" على منتصف الطريق بين الواحتين، هذا بالإضافة إلى المراقبة الجوية المستمرة التي تهدد حياة المجاهدين وتحركاتهم^٤.

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٦٢.

^٢ في الحرب العالمية الأولى دخلت تركيا إلى جانب ألمانيا، وانحازت إيطاليا إلى الدول المتحالفة عام ١٩١٥م، فوجدوا الأتراك أنفسهم في نزاع حديد مع إيطاليا، وعندئذ قرروا استئناف النضال في الأقطار الليبية، وحضرت رسل تركيا وألمانيا إلى ليبيا وقابلت السيد أحمد الشريف وطلبت منه أن يشترك معهم في الهجوم على حدود مصر الغربية لضم الإنجليز، وبعد تردد طويل من جانب السيد أحمد الشريف قرر الاشتراك مع العثمانيين والأمان في الزحف على حدود مصر الغربية، ويقول محمد أسد: "بأن شعور السيد أحمد الشريف بواجبه تجاه خليفة المسلمين تغلب على مقتضيات المنطق وجعله يتخذ هذا القرار الخاطيء". وبعد عدة معارك بينه وبين الإنجليز استطاع الإنجليز السيطرة على حدود مصر مع ليبيا وأصبحت برقة تعاني من المجاعة عام ١٩١٥م حيث منعوا المجاهدين من تلقي الذخائر والمؤن من مصر.

ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٦٢.

- عمر المختار شهيد الإسلام وأسد الصحراء، مرجع سابق، ص ٢٠-٢١.

^٣ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٥٩-٣٦٠.

^٤ المرجع السابق، ص ٣٦٢-٣٦٥.

وبعد انتهاء المباحثات أدرك محمد أسد - رحمه الله - بأنه ليس أمام عمر المختار ورجاله سوى القتال أو الاستشهاد، وأن عمر كان قد قرر أن يقاتل حتى يستشهد وأن الحياة بالنسبة له في الجهاد والاستشهاد، وفي القيام بواجبه تجاه دينه ووطنه.

لقد صدق فيه قول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾^١.

ل. عودة محمد أسد - رحمه الله - إلى المدينة المنورة:

ودع محمد أسد - رحمه الله - أسد برقة وكانت المرة الأخيرة التي يراه فيها، " ولعله هو الصحفي الأوروبي الوحيد الذي شاهد عمر المختار عن قرب قبل أن يُقبض عليه ويُقدم للمحاكمة عام ١٩٣١م، وبذلك نال شرف هذا اللقاء وشرف الجهاد في تلك الديار"^٢، ثم التحق بجامعة من المجاهدين تنوي التوجه إلى مصر لإحضار الدقيق سالكةً طريق السلوم^٣ الأقصر والأخطر لوجود الأسلاك الشائكة التي أُقيمت في ثلاثة صفوف منفصلة وقوية وكثيفة ومتعددة اللفات تحملها أعمدة قوية مثبتة بإحكام بواسطة دعائم من الإسمنت، وبعد حوالي أسبوعٍ من المشي ليلاً، والاختباء نهاراً عبر تضاريس وعرة وصعبة في الجبل الأخضر وصلوا إلى النقطة الحدودية التي اخترت للتسلل من خلالها، حيث يوجد أمامها حاجز واحد من الأسلاك الشائكة ارتفاعه ثمانية أقدام وعرضه أربعة أقدام، فكانت هي الأفضل بالنسبة لهم رغم وجودها بالقرب من مركز مراقبة محصن ومزود بسيارات مصفحة، وكان عليهم أن يتقدموا تحت جناح الظلام فهو غطاؤهم الوحيد الذي يحجبهم عن أعين الإيطاليين بعدما أزالوا جميع الأشجار على امتداد الحدود^٤.

وبدئوا بتقسيم أنفسهم، استعداداً لتجاوز الأسلاك الشائكة، فوضعوا عدداً منهم للحراسة، والاستطلاع في حين زحف بعضهم بمقصات الأسلاك الشائكة وقفازات جلدية من النوع السميك وكان البقية يغطون تقدم إخوانهم بينادقهم، وفي تلك الأثناء سلط الأعداء عليهم ضوء كشافٍ بدد ظلمة الليل من حولهم، فانبطحوا أرضاً ماعداً الرجال المكلفين بقصّ الأسلاك فقد واصلوا عملهم بسرعة وإصرارٍ غير مباليين بالخطر المحدق بهم، وبدأ الأعداء يطلقون عليهم رصاصاً متتالياً بكثافة من مدفع رشاشٍ، وكان الرصاص يمرُّ من فوق رؤوسهم حتى استطاع أحد المجاهدين أن يصيب الكشاف

^١ سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

^٢ المفكر الإسلامي محمد أسد (ليولد فايس)، مرجع سابق.

^٣ السلوم: مدينة مصرية في أقصى شمال غرب مصر، وعلى مقربة من الحدود الليبية، وفيها ميناء بحري هام، وهناك طريق بري وحديدي يربطها بمدن مصر. ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ١٨٥.

^٤ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٦٥-٣٦٧.

بتسديدة موفقة، فتوقفت السيارة، ولكن مدفعها استمر بإطلاق الرصاص، وفي تلك اللحظة صاح أحد المجاهدين بصوت جهوري معلناً الانتهاء من قطع الأسلاك الشائكة، ومن خلال فتحة ضيقة شرعوا في المرور الواحد تلو الآخر، وتمزقت ملابسهم وجرحت أجسادهم، وكان المتأخر منهم يغطي انسحاب المتقدم بالتصدي للعدو وإشغالهم ولم يجرؤ الإيطاليون على ترك سياراتهم المصفحة وقاتل المجاهدين وجهاً لوجه، وأخيراً استطاع المجاهدون عبور الأسلاك الشائكة والابتعاد عن منطقة الخطر والدخول إلى الأراضي المصرية بعد أن فقدوا خمسة من رجالهم وجرح أربعة آخرون^١.

لقد استماتوا بل وماتوا من أجل إتمام مهمتهم، والحفاظ على سلامة محمد أسد ومن معه - رحمهم الله جميعاً -، فهذه الروح القتالية، والمعنويات الإيمانية التي تميز بها المجاهدون الليبيون الذين ضربوا أروع الأمثلة في الصبر، والشجاعة، والفداء من أجل إعلاء كلمة الله الحق، والموت دون الأرض والعرض. وما تلك إلا أجزاء يسيرة من أروع صفحات الجهاد الليبي التي يخيل إليك حين تقرأها أنها تتحدث عن شخصيات أسطورية، أو قصص خيالية.

ومن الأراضي المصرية غادر محمد أسد - رحمه الله - ورفيقه زيد عن طريق مرسى مطروح^٢ فالإسكندرية فالصعيد ثم ركبا السفينة إلى ميناء ينبع ومن ينبع إلى المدينة المنورة، حيث التقى محمد أسد - رحمه الله - مرة أخرى بإمام السنوسية (أحمد الشريف)، ونقل إليه رسالة المجاهد عمر المختار - رحمه الله - التي تنص على إصراره على الجهاد، وعدم رغبته بالانسحاب وتفضيله للموت إذا لم يستطع أن ينتصر^٣.

هذا هو عمر المختار - رحمه الله - على حقيقته، لقد كان كل ما حوله ينذر بالهزيمة، وقيم الدليل على أن المعركة غير متكافئة، وأن النتيجة سوف تكون استيلاء إيطاليا في النهاية على ليبيا بأكملها.. فما فائدة القتال والنضال؟

كان هذا منطق الحوادث، وهو منطق العقول والأوهام دائماً، ولكنه ليس بمنطق الأبطال الراغبين في الشهادة، والذين يقاتلون مهما كانت النتائج، لأنهم يؤمنون بشيء واحد، وهو أن يموتوا شهداء، وذلك هو مصدر القوة العجيبة التي تنفجر من قلوب الشهداء^٤.

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٦٧-٣٦٩.

^٢ مرسى مطروح: مدينة مصرية عريقة يعود تاريخ تأسيسها إلى الأسكندر الأكبر المقدوني الذي بناها عام ٣٣١ ق.م، ودخلها الإسلام عام ٢٠هـ/ ٦٤١م، على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه، واتخذها العرب موقفاً لنشر الإسلام في شمال أفريقيا، وتقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، ويربطها بالقاهرة والإسكندرية طرق برية، وخط سكة حديدية.

ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ٤٥٤.

^٣ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٦٨-٣٦٩.

^٤ عمر المختار شهيد الإسلام وأسد الصحراء، مرجع سابق، ص ٣٠.

هذا هو عمر المختار - رحمه الله - وهذا هو قراره وموقفه الذي يذكرنا بما لا يجب أن ننساه أمتنا العظيمة، وذلك أن للمؤمن عندما تشير الحسابات المادية إلى أنه قد لا ينتصر في معركته أمام القوة الغاشمة الظالمة التي تصبُّ نيرانها ليل نهار، تريد أن تسلبه أرضه وماله وهويته وعزته، لا بدَّ أن له أن يعلم بأنه ليس أمامه سوى موقف الصمود والصبر والمقاومة حتى النهاية، فإما حياةً عزيزةً تسرُّ الصديق، وإما مماتٌ كريمٌ يعيظ العدا.

نعم ... لقد كان الجهاد الليبي يلفظ آخر أنفاسه .. وكان الوقت متأخراً لتقدم أية مساعدة للمجاهدين .. وبعد ثمانية أشهرٍ من تاريخ لقاء محمد أسد - رحمه الله - بعمر المختار، استشهد عمر المختار - رحمه الله - سنقاً يوم ١٦ سبتمبر ١٩٣١م^١ .. ولكنَّ المجاهدين الليبيين لم يقنطوا، وأكملوا مسيرتهم الجهادية .. حتى نالوا استقلالهم وحریتهم.. وهكذا نرى الرجل العظيم .. والمجاهد الخفي .. محمد أسد - رحمه الله - الذي شمر عن ساعديه وخفف من أثقال الدنيا .. من أجل قضيةٍ كبيرةٍ .. وغايةٍ عظيمةٍ تحمل في سبيلها المشاقَّ .. وواجه الموت .. وضحى بنفسه من أجل نصرة إخوانه المسلمين .. وإقامة الدولة الإسلامية التي طالما حلم بها.. يأبى على نفسه إلّا أن يكون له موقفٌ مشرفٌ .. ودورٌ إيجابيٌّ تجاه أمته وقضاياها.. فتارةً يحمل قلمه ويرابط على منبرها الإعلاميِّ والثقافيِّ، ويعبر عن آلامها وآمالها وطموحاتها.. وتارةً أخرى يقدم بنفسه ويرابط على منبرها الجهاديِّ في سبيل الله .. حاملاً همَّ استقلالها وتحررها الوطنيِّ، فكان - رحمه الله - من أصدق من حمل همَّ الأمة .. بل ومن أصدق مفكرٍ .. ودعائها.. ومحاضريها.. وكتابها.. وساستها.. ومن أشدَّ المدافعين عنها.. ليكون لها هويتها الإسلامية.. اعتبر نفسه لبنَةً من لبناتها.. لم يرد أن ينفصل عنها.. ولا أن يعزل نفسه عن همومها وقضاياها.. فالبذل لا يكون إلّا على قدر الإيمان.

^١ لقد كان عمر المختار - رحمه الله - في وادي الجريب بالجبل الخضر يتفقد أحوال المجاهدين، ولما علمت إيطاليا بهذا بواسطة جواسيسها أمرت بتطويق الوادي من جميع الجهات بعد أن جمعت كل ما عندها من قوة، فما شعر عمر المختار ومن معه إلا وهم وسط العدو، وبدعوا بالهجوم على العدو ودامت المعركة بينهما يومين كاملين وتمكن عمر المختار ومن معه من خرق صفوف العدو وخرجوا من ذلك الوادي، ولكن القوات الإيطالية فاجأهم خارج الوادي، وكانت ذخيرتهم على وشك النفاذ، فاضطروا إلى الاشتباك مع العدو مرة أخرى وقتل جميع المجاهدين الذين مع عمر المختار وقتل حصانه ووقع عليه وتمكن من التخلص من تحته وظل يقاتل وحده إلى أن جرح يده وتكاثر عليه الأعداء وغلب على أمره وأخذ أسير، فقابله قائد الطليان وأجرى معه حواراً أراد منه أن يتخذ أداة طيعة لإخماد جذوة المقاومة ولكن عمر المختار - رحمه الله - فوّت على العدو ما يريد، فحوكم - رحمه الله - محاكمةً صوريةً ظالمةً لم يسمح لمحاميهِ بالدفاع عنه، وصدر الحكم عليه بالإعدام سنقاً، نفذ الحكم في ١٦/١٠/١٩٣١م تمام الساعة التاسعة صباحاً في "سلوق" أمام جمع كبير من أعيان برقة وبنغازي لا يقل عن عشرين ألف نسمة وهو يردد: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله". رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته.

ينظر: عمر المختار شهيد الإسلام وأسد الصحراء، مرجع سابق، ص ٤٦-٥٨.

-الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٤٢-٣٤٣.

المبحث الثاني

جهوده وآراؤه في الرد على المستشرقين

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق والمستشرقين

المطلب الثاني: المرتكزات الفكرية والعقدية

للمستشرقين وموازينهم في البحث العلمي

لدراسات الإسلاميين

المطلب الثالث: موقف محمد أسد من السنة النبوية

الشريفة وآراؤه في الدفاع عنها

المطلب الرابع: جهوده في الرد على شبهات المستشرقين

ومن تابعهم من أهل البدع والأهواء

والمتكلمين

المطلب الأول مفهوم الاستشراق والمستشرقين

أولاً - مفهوم الاستشراق:

لقد تباينت الرؤى والأفكار في تعريف الاستشراق، وسنشير إلى بعض التعريفات تمهيداً للولوج في الموضوع:

أ. المعنى اللغوي للاستشراق:

عند النظر إلى مصطلح "الاستشراق"، ومصطلح "مستشرق" نجد أنّهما من المصطلحات الجديدة، وغير الموجودة في معاجم اللغة العربية، وبالاستناد إلى قواعد الصرف وعلم اللغة يمكن الوصول إلى المعنى المقصود منهما أو ما يقاربه.

فالاستشراق لغةً: مشتقٌّ من مادة "شَرَق" يُقال: شَرَقَت الشمسُ شُرُوقاً وشُرُوقاً، إذا طلعت^١، وشَرَقَتْ: هي جهة شروق الشمس، والتشريق: الأخذ من ناحية المشرق، وشَرَقُوا ذهبوا إلى الشرق، وكلُّ ما طلع من المشرق فقد شَرَقَ^٢.

والشرق: جهة شروق الشمس، والبلاد الإسلامية^٣.

والسين في كلمة (الاستشراق) تفيد الطلب، ولفظ (Orient) في الدراسات الأوروبية تشير إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية^٤.

والمراد بالمشرق الجغرافي: "هو قسمٌ من المناطق الواقعة شرقيّ البحر المتوسط الأبيض وشرقيّ (أوروبا) وهو أقسام: الشرق الأدنى، والشرق الأوسط، والشرق الأقصى"^٥.

كما يراد بالشرق من الناحية التاريخية والجغرافية ما يلي: "هو مجموعة الأقطار المنتشرة في آسيا وبعض الأقطار في أفريقيا مما يطلُّ على حوض البحر المتوسط وبعض أجزاء من أوروبا الشرقية، وذلك بالنظر إلى الروابط التاريخية والدينية واللغوية التي تربط بين هذه الأقطار"^٦.

^١ المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج١، ص ٤٨٠.

^٢ لسان العرب، مرجع سابق، ج٨، ص ٦٤.

^٣ المعجم الوجيز جمع اللغة العربية، مرجع سابق، ص ٣٤١.

^٤ الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، د. مازن صلاح مطبقاني، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ٣.

^٥ الرائد معجم لغوي معاصر، جبران مسعود، ط٧، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م، ص ٤٧٠.

^٦ مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، محمد البشير مغلي، ط١، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ، ص ٣١.

وعليه فإن المقصود بالشرق هنا: هو المشرق الجغرافي والتاريخي الذي قصده الغربيون من رجال دين، ومتخصصون، وعلماء، ومفكرون بالدراسة والبحث في شتى مناحيه، وفقاً لمنطلقاتهم، وأهدافهم، وتحقيقاً لمآربهم.

ب. المعنى الاصطلاحي للاستشراق:

لقد عرّف العلماء الاستشراق بتعريفات عديدة، بينها قواسم مشتركة في كثير من الأحيان، ولها اتجاهات مختلفة، وسنذكر منها ما يلي:

١. تعريفات ذات اتجاه عام:

عرّف الاستشراق بأنه: "تعبيرٌ يطلق على الدراسات المتعلقة بالشرقين، شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلدانهم، وسائر أراضيهم وما فيها من كنوزٍ وخيراتٍ وحضارتهم وما يتعلق بها"^١.

ويراد به: "الدراسة المتقضية المتنوعة المتعددة الأغراض التي مارسها الغربيون لمحاولة فهم الشرق والتعرف إلى كنوزه الحضارية، وعاداته وتقاليده وحضارته وديانته وكل منحي من مناحي حياته، مهما كان الغرض الدافع إلى هذه الدراسة، سواء أكانت لأهداف دينية أو عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو علمية، وهذه الدراسة الضخمة أنتجت لنا ما نطلق عليه (الاستشراق)"^٢.

وعرّف بأنه: "أسلوبٌ غربيٌ للسيطرة على الشرق واستبناؤه وامتلاك السيادة عليه"^٣.

وهو ذات التعريف الوارد في معجم اللغة العربية المعاصرة، حيث عرّف الاستشراق بأنه: "أسلوبٌ غربيٌ للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وبسط النفوذ عليه"^٤.

كما يُعرف بأنه: "دراسة الشرق وثقافته ومعتقداته وآدابه وعاداته وتقاليده وأساطيره وتاريخه من قبل علماء ومؤسساتٍ غربية"^٥.

^١ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير - الاستشراق - الاستعمار)، عبد الرحمن حنكه الميداني، ط٨، دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ١٢٠.

^٢ نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، د. سامي سالم الحاج، ط١، بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٢٠-٢١.

^٣ الاستشراق (المعرفة - السلطة - الإنشاء) إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، ط٢، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤م، ص ١٤٥.

^٤ معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٣٩هـ/٢٠٠٨م، المجلد ١، ص ١١٩٢.

^٥ الاستشراق والدراسات الإسلامية (مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم)، أ.د علي إبراهيم النملة، ط١، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ٦٨. نقل عن: الدراسات الإسلامية في الجامعة الألمانية، رودوي بارت، ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ص ١١.

٢. تعريفات ذات اتجاه خاص:

عُرفَ الاستشراق بأنه: "الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده، وتشريعاته وحضارته بوجه عام".^١

وجاء في الموسوعة الميسرة بأنه: "هو ذلك التيار الفكري الذي يمثل الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما".^٢

٣. تعريفات جمعت بين الاتجاهين:

يرادُ بالاستشراق: "ذلك الاتجاه الفكري أو الدراسات والأبحاث المتخصصة بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة وحضارة الإسلام بصفة خاصة، وقد كان مقتصرًا في بداية ظهوره على دراسة الإسلام واللغة العربية، ثم اتسع ليشمل دراسة الشرق كله بلغاته وتقاليده وآدابه".^٣

ويعرفه الأستاذ النملة^٤ بأنه: "ظاهرة تمثل الاهتمام بعلوم الشرق بعامة وعلوم المسلمين بخاصة، ولم يقتصر اهتمامهم على العلوم فحسب، بل امتدَّ الاهتمام إلى الثقافة والآداب والعادات والتقاليد والأساطير ونحوها".^٥

كما يذكر النملة تعريفًا أخصَّ من سابقه فيقول: "الاستشراق هو دراسة العلوم الإسلامية وآداب المسلمين وعقائدهم وثقافتهم وتراثهم وأساطيرهم من علماء غير مسلمين ومؤسسات غير مسلمة، وواضح أن هذا التعريف الأخصَّ يُخرج أولئك الذين يدرسون ثقافات شرقية غير إسلامية، كما يدخل أولئك العرب غير المسلمين ممن لهم إسهامات مباشرة في علوم المسلمين".^٦

^١ الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٧م، ص ١٨.

^٢ الموسوعة الميسرة في الأدب والمذاهب المعاصرة، مرجع سابق، ص ٣٣.

^٣ الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. علي جريشة، ط ٥، المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، ص ١٥.

^٤ علي إبراهيم الحمد النملة: ولد في البكرية بمنطقة القصيم عام ١٣٧٢هـ، حصل على درجة الماجستير من جامعة فلوريدا عام ١٣٩٩هـ تخصص المكتبات والمعلومات، وحصل على الدكتوراه في نفس التخصص عام ١٤٠٤هـ من جامعة كيس وسترن رزرف، وهو الآن أستاذ المكتبات والمعلومات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وله العديد من المؤلفات والمقالات العلمية.

ينظر: الموقع الإلكتروني للمكتبة الشاملة، <http://shamela.ws/>، تاريخ الدخول ٢٣/١٠/١٤٣٤هـ.

^٥ الاستشراق والدراسات الإسلامية (مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم)، مرجع سابق، ص ٦٥.

^٦ المرجع السابق، ص ٦٨-٦٩.

وفي ضوء ما سبق، نجد أن الاستشراق لا يخرج عن معنى واحد وهو: الدراسات الأكاديمية والأبحاث المتعلقة بالشرق الإسلامي، والشرق عموماً، في كل ما يتعلق به من آداب وعلوم ولغات وعادات وتقاليد، وتاريخ وحضارة؛ تلبيةً لأغراض المستشرقين، ودوافعهم المختلفة.

ثانياً - المستشرقون:

ارتبطت كلمة المستشرقين بمصطلح (الاستشراق)، مما دفع المتخصصون في دراسة الاستشراق إلى الاختلاف حول مفهوم كلمة (مستشرق)؛ فتباينت آراؤهم وتعددت اتجاهاتهم في الإجابة عن السؤال: من هو المستشرق؟

وبناءً على تلك الاختلافات نجد أن بعض المتخصصين ذهبوا إلى القول بأن محمد أسد - رحمه الله - مستشرقٌ مسلمٌ، بينما البعض الآخر لم يكن يرى ذلك، فأصبح من الواجب علينا توضيح مفهوم (المستشرق)، والكتابة عن أهم متعلقاته حتى يعطي استيعاباً علمياً متكاملًا، وليسهل على القارئ الوصول إلى مقصد الباحثة بإذن الله.

جاء في معجم اللغة العربية المعاصر القول بأن: استشرق، يستشرق استشرقاً، فهو مستشرقٌ. واستشرق الأوروبي: اهتم بالشرق وبالدراسات الشرقية، ومستشرقٌ فرنسيٌّ: أديبٌ فرنسيٌّ يهتم بدراسة تراث الشرق وحضارته ولغاته.^١

ويرى مالك بن نبي بأن المستشرقين هم: "الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي، وعن الحضارة الإسلامية"^٢.

ويعرف الأستاذ حنكة الميداني^٤ المستشرقين بأنهم: "الذين يقومون بالدراسات الاستشراقية من غير الشرقيين، ويقدمون دراساتهم ونصائحهم للمبشرين ولدوائر الاستعمار بغية تحقيق أهداف التبشير والاستعمار"^٥.

^١ ينظر: الفكر الإسلامي محمد أسد (ليوبولد فايس) وجهوده في الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٧١.

- نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، د. فاطمة هدى النجا، ط١، طرابلس/ لبنان، دار الإيمان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٧٣.

- نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. خضر شايب، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١٥٧-١٥٨.

- المستشرقون، نجيب العفيفي، مصر: دارف المعارف، ١٩٦٥م، ج٢، ص ٦٤٢-٦٤٣.

^٢ معجم اللغة العربية المعاصر، مرجع سابق، ص ١١٩٢.

^٣ إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، ط١، بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م، ص ٥.

^٤ عبد الرحمن حنكة الميداني (١٩٢٧م/ ٢٠٠٤م): ولد الشيخ عبد الرحمن بن حسن حنكة الميداني الدمشقي في دمشق عام ١٣٤٥هـ، ونشأ في بيت علم ودعوة تحيط به ظروف قلما تسرت لغيره، درس في معهد التوجيه الإسلامي الذي أنشأ والده، ثم درس في الأزهر، وعمل بعد تخرجه في مديرية التعليم الشرعي التابعة لوزارة الأوقاف السورية، ثم عضو لهيئة البحوث في وزارة التربية والتعليم السورية، انتقل بعدها إلى السعودية، وعمل أستاذاً في جامعة الإمام محمد بن سعود، ثم جامعة أم القرى، وقد انشغل بالرد على أعداء الإسلام، والتصدي لما يسمى بالغزو الفكري، وله العديد من المؤلفات.

ينظر: علماء ومفكرون عرفتهم، مرجع سابق، ج٣، ص ٥٩-٦٦.

^٥ أحنحة المكر الثلاثة وحوافها (التبشير- الاستشراق- الاستعمار)، مرجع سابق، ص ٢١.

كما عرفَ د. محمود زقروق المستشرق بأنه: "بالمعنى العام يطلق على كلِّ عالمٍ غربيٍّ يشتغل بدراسة الشرق كُله: أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه"^١.

أما الدكتور علي النملة فيرى أنَّ المستشرق هو كلُّ من درس الإسلام ممَّن لا ينتمي إليه، ولو لم يكن من الغرب، بما في ذلك الذين ينسلون من أصلٍ عربيٍّ سواءً بقوا بين العرب أو انتقلوا إلى الغرب، يعملون في مؤسساته العلمية، أو من أصبح مقامهم بين العرب ولسانهم عربياً، ولكنهم آثروا البقاء على عقيدتهم اليهودية أو النصرانية على الدخول في الإسلام^٢.

ويبدو أنَّ د. علي النملة جعل الولاء للإسلام، والانتماء إليه هو الميزان، والحدُّ الفاصل في تعريف المستشرق، ولكنَّه بذلك خالف التعريف اللغوي، ومن سبقه من العلماء في مفهوم معنى مستشرق، كما أنَّه قصر الإنتاج الاستشراقيَّ على دراسات المستشرقين غير المسلمين الذين يعملون لخدمة دوائر الاستعمار والتبشير، والاستخبارات الأجنبية.

ولكنَّا بعد النظر والتأمل استحسنا أن يكون المستشرق هو: الغربيُّ ولادته، أو انتماءً، وولاءً، والمتخصص، أو المهتمُّ بعلمٍ من علوم الشرق، أو بأدبٍ من آدابه، أو أيِّ جانبٍ يتعلق بثقافة الشرق وحضارته.

وعليه فإنَّ الحركة الاستشراقية تكون أوسع؛ حيث شملت جميع دراسات الغرب ومن والاهم من أبناء جلدتنا، وسار على نهجهم، وساهم بإثراء المكتبة الاستشراقية بغضِّ النظر عن أهدافه، أو عن الجهة التي يعمل لأجلها.

هذا ولم يكن المستشرقون على درجةٍ واحدةٍ من دراسة الإسلام خاصةً، والدراسات الشرقية على وجه العموم، مع أنَّهم جميعاً تزيّنوا بمسوح العلم، وأظهروا الولاء والإخلاص للبحث والتقصي، إلا أنَّ الكثير منهم أساءوا للعلم وأهله بمناهجهم الفجة، وتسخيرهم إيَّاهم لأغراضهم الخاصة^٣.

ويمكن تقسيم المستشرقين بالنسبة لموقفهم من الإسلام إلى ثلاث طوائف رئيسيةٍ كما يلي^٤:

^١ الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص ١٨.

^٢ الاستشراق والدراسات الإسلامية (مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم)، مرجع سابق، ص ١٢٤.

^٣ آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، د. عمر رضوان، ط١، الرياض: دار طيبة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٧٣.

^٤ ينظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٥٣.

-الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص ٧٩-٨٠.

-آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، مرجع سابق، ص ٧٣-٧٤.

أ. الطائفة المهتدية: وهي التي درست علوم الإسلام دراسةً مستوعبةً، اتسمت بالموضوعية، والتزاهة العلمية، والتجرد من الهوى، فأنت دراساتها ثمارها، وأنصفت الإسلام والمسلمين، وفتح الله قلبها وشرح صدرها للإسلام.

ب. الطائفة المنصفة: وهي التي اكتفت بالوصف الموضوعي للإسلام، ودفعهم لدراسته الشغف العلمي، وحبُّ الاطلاع، فبدلوا في دراسته جهوداً مضيئةً، وظهرت على أيديهم دراساتٌ طيبة، فألفوا كتباً أخذت حظها من الاحترام والموثوقية.

ج. الطائفة المغرضة: وهي التي راحت أقلامهم تقطر حقداً، وعداوةً، وطعناً في الإسلام، وتعرض فريقٌ منهم للإسلام بغرض تحقيق مآرب سياسية، يدفعهم التعصب الديني التنصيريُّ أو الصهيونيُّ، فبدلوا الحقائق، وفسروها بما يوافق أغراضهم وأهدافهم، وظلّوا في فلك التنصير والاستعمار.

والحقيقة أن هذا التقسيم الذي يعتمد المرجعية الإسلامية في غاية الصحة والوضوح؛ إذ أبان الدارس المسلم في أبحاثه عن الأصول التي يعتمد عليها في الحكم على الإنتاج الاستشراقي^١.

وبناءً على هذا التقسيم يرى د. خضر شايب بأن محمد أسد - رحمه الله - مستشرقٌ مسلمٌ، ويعلّل رأيه بالأسباب التالية^٢:

أ. أن جميع الباحثين الغربيين المسلمين المعاصرين قد نشؤوا وتثقفوا طيلة حقبٍ طويلةٍ من حياتهم بالثقافة الغربية، ولذلك فإنّ اطلاعهم كبيرٌ على تاريخ حضارة الغرب، وخصوصياته، والخلفيات التي تمكن من فهم توجهاته، وكذلك أشكال بنياته الروحية، ومشاكله، وهذا أمرٌ من الممكن أن يستفيد منه الدارس في فهم الأرضية التي أنتج فيها المستشرقون أعمالهم.

ب. أن نشأة هؤلاء الباحثين في إطارٍ مختلفٍ تماماً عن الإطار الإسلامي التقليديّ، قد حفّهم بشيئين:

^١ نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٥٣.

^٢ المرجع السابق، ص ١٥٧-١٥٨.

١. أن نظرتهم إلى المصادر الإسلامية، وإلى عقائد الإسلام، وتاريخه مختلفة عن نظرة المسلمين الناشئين في أرض الإسلام، وينعكس هذا في بساطة الطرح الإسلامي عندهم، وغضاضته، وجديته في الوقت نفسه.

٢. أن إحساسهم بإشكاليات العقيدة، والفقهِ الإسلامي، وخصوصاً بالتاريخ أكثر حدة منا، وذلك لأنهم ينظرون إلى الإسلام، تقريباً، من خارج دائرته فيرون ما لا نراه.

ج. ويبقى السبب الجوهرى، هو أن هؤلاء المؤمنين الجدد، وبتأثير حياتهم في الغرب ظلوا بعيدين جزئياً عن الإدراك العميق، والواعي لبعض أصول الإسلام، وكثير من فروعهِ، فكانوا أقرب إلى المستشرقين منهم إلى المسلمين، ورغم أن هذا لا يطعن في عقيدة أي منهم، ولا في إخلاصه للإسلام، ولا في جديته، وذكاء كثير من أطروحاتهم، إلا أنه عنصرٌ يجعلنا نهتم بدراسة إنتاجهم من أجل معرفة الموضوعات الإسلامية التي لم يستطيعوا تمثلها على الوجه الأكمل، وذلك لغرضٍ علميٍّ، وعمليٍّ يكمن في معرفة بنية الشخصية الغربية من أجل تعاملٍ إسلاميٍّ واعٍ معها.

د. خضر شايب فيما ذهب إليه، وفيما عرضه من أسباب؛ حيث نرى أن محمد أسد - رحمه الله - مستشرقٌ مسلمٌ، ونضيف إلى ما ذكره من أسباب الأسباب التالية:

أ. بناءً على تعريف (المستشرق) الذي توصلنا إليه بعد الدراسة، والبحث، والاستقراء نجد أن محمد أسد - رحمه الله - ينطبق عليه مصطلح مستشرقٍ، حيث أنه غربيُّ الولادة، والنشأة، ومهتمٌّ بجوانب عديدةٍ من الثقافة الإسلامية.

ب. انتماء محمد أسد - رحمه الله - إلى المستشرقين الرحالة، الذين رحلوا إلى بلاد الشرق، وكان لهم فضلٌ كبيرٌ في الكشف عن تاريخها، وديانيتها، وعاداتها، وجغرافيتها، مما جعل وثائقهم، ومؤلفاتهم مصدراً مهماً من مصادر المعلومات عن تلك البلاد.

د. جونتر ويندهاجر من جمع، وتقصي، ودراسة مقالات محمد أسد - رحمه الله -، وتقاريره الصحفية التي نُشرت في مختلف الصحف الأوروبية ولاسيما الألمانية منها؛ لدراسة تاريخ، وجغرافية، وشعوب الجزيرة العربية، ومن ذلك أنه قدم ورقة عملٍ بعنوان: "رحلات محمد وكتاباتهِ عن

المملكة في حياة الملك عبد العزيز" خلال ندوة (محمد أسد - حياة للحوار) المنعقدة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض في ١٤٣٢/٠٥/٠٨ هـ.

مما يدلُّ على أنَّ محمد أسد لم يخلف وراؤه مجرد مقالاتٍ صحفيةٍ عابرةٍ وسريعةٍ، وإنَّما كانت تقاريرَ وأبحاثاً يستفاد منها في التعرف على الأماكن، والعادات والتقاليد، والعديد من الشخصيات، والأحوال السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية للمناطق التي رحل إليها وعمل فيها كمراسلٍ صحفيٍّ.

ومن هذا المنطلق تعدُّ كتابات محمد أسد، ومؤلفاته مصدراً من مصادر المعلومات لدى المستشرقين المعاصرين أمثال د. جونتر ويندهاجر.

ويؤيدُ هذا الافتراض تأكيداً عددٌ من الكتاب والباحثين، ومنهم: الأستاذ محمد بن علال البخلاحي في بحثٍ بعنوان: (المختصر الوجيز فيمن رحلوا إلى بلاد الله العزيز) ذكر فيه أنَّ محمد أسد كان أحد الرحالة الأجانب الذين زاروا بلاد الجزيرة العربية، واعتنقوا الإسلام، وأطلق عليه (المستشرق المسلم).^١

كما أطلق عليه الكاتب عبدُ الله الحقييل^٢ وصف (الرحالة) في مقالته (الحجُّ في أدب الرحلات) واصفاً الحجَّ إلى بيت الله الحرام، وزيارة البقاع المقدسة بعيون محمد أسد رحمه الله.^٣

وورد على لسان الكاتب عبد الباقي خلف بأنَّه (رحالةٌ ألمانيٌّ - مخاطرٌ بعبوره للنفوذ في آبار تيماء).^٤

ويشترك الباحث منير شفيق^٥ مع الأستاذ عبد الباقي بوصف محمد أسد بالمخاطر، وفي رأيه أنَّ محمد أسد ركب الخطر مع علوِّ إمكاناته في النجاح دون ضمائمها، واحتمال فشلها، أو حتى تعرضه للهلاك.^٦

^١ رحلات واستكشافات، محمد البخلاحي، مجلة المنهل، العدد ٤٧٥، السنة ٥٦، المجلد ٥١، الربيعان ١٤١٠هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٩٨٩م، ص ١٨٥.

^٢ عبد الله الحقييل: عبد الله بن حمد الحقييل، ولد بالجمعة عام ١٣٥٧هـ، وتخرج من كلية اللغة العربية عام ١٩٥٨م، وحصل على درجة الماجستير من جامعة أوكلاهوما عام ١٩٧٣م، وعمل مدرساً في وزارة المعارف (التربية والتعليم حالياً)، وتدرج في وظائفها حتى وصل إلى مستشاراً تعليمياً، ثم نقلت خدماته إلى إدارة الملك عبد العزيز، وتدرج في وظائفها حتى أصبح أميناً عاماً للدائرة، ومدير عاماً لمجتمعاتها، له العديد من المؤلفات، والمقالات الصحفية. ينظر: موقع مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، على شبكة المعلومات العالمية: www.albabtianpize.org، تاريخ الدخول ١٤٣٤/١٠/٢٣هـ.

^٣ الحج في أدب الرحلات، عبد الله حمد الحقييل، مجلة المنهل، العدد ٥٩٤، المجلد ٦٦، العام ٧٠ ذو القعدة وذو الحجة ١٤٢٥هـ/ ديسمبر ٢٠٠٤/ يناير ٢٠٠٥م، دار المنهل، جدة، ص ٢٦.

^٤ (آبار تيماء)، والرحالة الألماني (محمد أسد)، عبد الباقي أحمد خلف، مجلة الحج والعمرة، العدد ١١، السنة ٦٠، ذو القعدة ١٤٢٦هـ - ديسمبر ٢٠٠٥م/ يناير ٢٠٠٦م، ص ٨٤.

^٥ منير شفيق: مفكر عربي ولد في القدس، وانخرط في العمل السياسي، والحزب الشيوعي الأردني، عمل في حركة فتح، واستمر في مركز التخطيط حتى التسعينيات، كان يسارياً ثم اتجه نحو المرجعية الإسلامية، له العديد من المؤلفات، منها: الإسلام في معركة الحضارة، بين الترف والسقوط. ينظر: الصفحة الرسمية لمنير شفيق على موقع الفيس بوك، متوفر على شبكة المعلومات العالمية www.facebook.cim، تاريخ الدخول ١٤٣٤/١٠/٢٣هـ.

^٦ شذرات من كتاب الطريق إلى مكة، مرجع سابق، ص ٧٢.

وكما هو معلوم فقد ذهب بعض المختصين إلى تأييد القول بأنّ فئة الرواد من العلماء والمغامرين الغربيين الذين كشفوا كثيراً من معالم الجزيرة العربية وآثارها، وعرفوا المجهول ... واخترقوا ما فيها ... مستهينين بجميع المخاطر والصعوبات، هم من المستشرقين^١.

ج. لا شك أنّ محمد أسد يندرج تحت طائفة المستشرقين المسلمين الذين دخل نور الإسلام إلى قلوبهم، وشرح الله صدورهم له، بعد أن عرفوا حقيقته من خلال معايشة أهله، والاطلاع على مصادره الأصلية.

وفي ضوء ما تقدم فإنّ الاستشراق يعدّ ميداناً عريضاً متعدد الجهات، وذا فئات ومدارس، وهو قلنتمّ وحديث، وذو أهداف متعددة، ومنطلقات مختلفة، والتعميم في الأحكام على الاستشراق ليس مطلوباً، ولا مرغوباً فيه، والتخصّصية هي التي تبيّن الغثّ والسمين، كما أنّ هناك ما يربو على مئة وعشرين ألف عملٍ استشراقيّ قلتمّ وحديث^٢، وليس من السهل الجمع بينها والموازنة، لذا قد يتفق معنا البعض فيما ذهبنا إليه من أنّ محمد أسد - رحمه الله - مستشرق مسلم، وقد يختلف البعض الآخر، إلا أنّ هذا ما توصلنا إليه بعد الاستقراء والتأمل، والله وليّ التوفيق.

^١ الاستشراق والدراسات الإسلامية (مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدرتهم)، مرجع سابق، ص ١٤٠-١٤٣.

^٢ المرجع السابق، ص ١٧٦.

المطلب الثاني

المرتكزات الفكرية والعقدية للمستشرقين وموازينهم

أ. سمية الحصري، محمدية شمس الدين، أساتذتنا للإسلامة

المسلمين:

أ. النزعة العرقية المتغرسة:

يعتقد المستشرقون - كغيرهم من الغربيين - أن تفوقهم العنصري على سائر البشر أمر واقع، وأنهم أرقى شعوب الأرض على الإطلاق؛ لأنهم آريون بناءً على النظرة العرقية التي صنفت شعوب الأرض، وأممها في أصناف متحضرة راقية، وأخرى متخلفة، ويشهد لهذا المعنى ما ذكره د. زقزوق إذ قال: "يعدُّ الاستشراق أسلوباً خاصاً في التفكير يبني على تفرقة أساسية بين الشرق والغرب (فالشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا) فالغربيون عقليون محبون للسلام ومتحررون ومنطقيون وقادرون على اكتساب قيم حقيقية، أما الشرقيون فليس لهم من ذلك كله"^١.

كما يؤكد محمد أسد على أن تلك النظرية العرقية هي إرث أوروبا من اليونان، فيقول: "إن اليونانيين والرومانيين نظروا إلى أنفسهم على أنهم هم وحدهم المتمدينون، أما كل من كان أجنبياً عنهم، وعلى الأخص أولئك الذين كانوا يعيشون شرق البحر المتوسط، فقد كان اليونانيون والرومانيون يطلقون عليهم لفظ (البرابرة) ومنذ ذلك الحين والأوروبيون يعتقدون أن تفوقهم العنصري على سائر البشر أمر واقع، ثم أن احتقارهم إلى حد بعيد أو قريب لكل ما ليس أوروبياً من أجناس الناس وشعوبهم قد أصبح إحدى المميزات البارزة في المدينة الغربية"^٢.

ولقد انسجم الاستشراق في منطقه المتعالي تماماً مع هذه النظرة العرقية المتغرسة التي ورثها الغرب عن أجدادهم الرومان واليونان، فالغرب منذ زمن الإغريق واليونان وحتى اليوم يرى نفسه معدن الحضارة، ومركز العالم، والجدير بالسيطرة والتفوق، ويرى نفسه السيد، والشعوب الأخرى همجاً برابرة أو حتى رقيقاً، ولقد تمكنت نظرة الاستعلاء في الإنسان الغربي، وأضحت بمثابة الغريزة المركوزة أو الجبلية الثابتة... ولقد كانت النظرة العنصرية الغربية السبب البعيد وراء معاناة الإنسانية بصورتها الأليمة البشعة حتى يوم الناس هذا^٣.

^١ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص ١٣٥.

^٢ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٢.

^٣ الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، د. محمد عبد الله الشرفاوي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٣هـ/ ٢٠٩٣م، ص ١٧٨.

كما كان ذلك الشعور بالتفوق الغربي سبباً في وقوع الغرب في وهم الأفكار التي تؤمن بالمركزية الأوروبية، وهي ما عبر عنها محمد أسد في قوله: لقد مال المفكرون والمؤرخون الأوروبيون، منذ عهد اليونان والرومان، إلى أن يتبصروا بتاريخ العالم من وجهة نظر التاريخ الأوروبي، والتجارب الثقافية الغربية وحدها، أما المدنيات غير الغربية فلا يعرض لها إلا من حيث أن لوجودها تأثيراً مباشراً في مصائر الإنسان الغربي... وطبعي أن النظرة من هذه الزاوية الضيقة لا بد أن توقع العين على مشهد مشوه غير سليم، إن الأوروبي أو الأمريكي العادي... ليستسلم ويرضخ بسهولة إلى الوهم الخادع الذي يصور الخبرات الثقافية الغربية بأنها أسمى الخبرات والثقافات في العالم، وبالتالي أن طريقة الحياة الغربية هي النموذج الصحيح والوحيد الذي يمكن أن يكون مقياساً للحكم على سائر طرق الحياة، وأن كل ما يتعارض معها ينتمي إلى درجة من الوجود أخط وأدنى^١.

وهذا ما أكده الباحث (أليكس جورافيسكي) حيث يرى أن الكثير من الأيديولوجيين الأوروبيين ركزوا على مسألة التعارض المطلق بين الشرق والغرب، فالشعور بالعظمة، والتفوق الحضاري قاد الشعوب الأوروبية إلى فكرة نمطية جامدة شكلت التربة المناسبة لظهور نظريات تركز على التعارض التاريخي بين أوروبا وآسيا، وكأنه صراع أزلي لا حل له، وضمن هذا المنحى الأحادي صور التاريخ العالمي كصراع بين الغرب الدينامي المتجدد والمبدع والحرق، والشرق الاستبدادي المتعصب، والمتخلف^٢. تلك هي فكرة المركزية الغربية التي تحكم بتفوق الغرب في جميع مجالات الحياة باعتباره هو المركز، وبقية العالم في الهوامش.

ب. الصورة المشوهة القبيحة عن الإسلام:

عملت الكنيسة خلال قرون طويلة على غرس صورة مشوهة وقبيحة عن الإسلام، ونبه ﷺ والمسلمين، مستغلة جهل الأوروبيين التام بالإسلام وحقيقته، وبالمسلمين وأوضاعهم الحضارية، وكوهم يعيشون في عصورهم المظلمة، ويتلقون ما تقوله الكنيسة كحقيقة لا تقبل المناقشة، "فنشط اللاهوتيون الأوروبيون، وراحوا ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبه ﷺ، وهناك وفي هذا الصدد صدرت حكايات في وصف الإسلام مغرقة في الخيال وفي الضلال اخترعها الكتاب، كأنشودة رولاند الشهيرة (The Song of Roland)، وغيرها من آثار أدبية تصف المسلمين بأنهم عباد أصنام...، وقد اعترف أعلم المؤلفين المسؤولين عن هذا الأدب وهو (جيبير النوجي) بأنه لا يعتمد في كتاباته عن

^١ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٧-١٨.

- أثر الحروب الصليبية على الفكر الغربي الحديث، محمد أسد، ط١، القاهرة: المختار الإسلامي، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٥-٧.

^٢ لماذا يكرهونه الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بني الإسلام ﷺ، د. باسم خفاجي، ط١، الرياض: منشورات مجلة البيان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٦٧-٦٨.

الإسلام على أية مصادر مكتوبة وأشار فقط إلى آراء العامة، وأنه لا يوجد لديه أية وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب".^١

ومعنى هذا أن كتاباته غير علمية، وبالتالي أحكامه فاسدة، وباطلة، ومبنيّة على الأوهام والخرافات. هذه الصورة المشوهة والمكذوبة عن الإسلام، ونبيه ﷺ والمسلمين والتي لا تمتُّ إلى الإسلام، ولا إلى نبيه ﷺ، ولا إلى المسلمين بأية صلة كانت ولا زالت هي المنطلق الأول الذي تصدر عنه كتابات معظم المستشرقين في ميدان الدراسات الإسلامية.

يقول محمد أسد - رحمه الله - : " لقد نشأ تسميم العقل الأوروبيّ عمّا شوّهه قادة الأوروبيين من تعاليم الإسلام ومثله العليا أمام الجموع الجاهلة في الغرب، في ذلك الحين، استقرت تلك الفكرة المضحكة في عقول الأوروبيون من أن الإسلام دين شهوانية وعنفي حيواني، وأنه متمسكٌ بفروضٍ شكليةٍ وليس تزكيةً للقلوب وتطهيراً لها، ثم بقيت هذه الفكرة حيث استقرت، وفي ذلك الحين نُبذَ الرسول (محمدٌ) ﷺ - بقولهم (Hounded) أو (Hund)"^٢.

كما يؤكد محمد أسد بأن تلك الصورة القبيحة المفتراه على الإسلام، ونبيه ﷺ والمسلمين، تشكل منطلقاً أساسياً في التفكير الغربي، فيقول: "... لقد كنت شاباً أوروبياً ناشئاً على الاعتقاد بأن الإسلام وكل تعاليمه لم يكن أكثر من طريقٍ فرعيٍّ لتاريخ الإنسان غير جديرٍ بالاحترام من الناحيتين الروحية والأخلاقية، وإنه لذلك لم يكن ليوضع في المترلة نفسها، بل لم يكن ليقارن بالدينين اللذين يعتبرهما الغرب جديرين بالنظر إليهما نظرةً جديدةً: المسيحية واليهودية"^٣.

ويقول - رحمه الله - بعد أن تعرف على الإسلام من خلال مصادره الأصلية القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف: "... لقد اقتنعت الآن بأن رأس الغربي العاديّ كان يحمل صورةً مشوهةً بالكلية عن الإسلام"^٤.

ومما لاشكّ فيه أن الروح العامة التي سيطرت على المنهج الاستشراقيّ في معظم الحالات، وعلى أكثر المستشرقين إبان النشأة الحقيقية للاستشراق كانت روحاً جدليةً عدائيةً هجوميةً على الإسلام؛ حيث كانت المؤسسة الاستشراقية المبكرة تعمل لحساب الكنيسة، وليس لحساب العلم، والبحث عن الحقيقة

^١ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص ٢١-٢٢.

^٢ يقصد هنا كلي بالجرمانية.

^٣ ينظر: الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٨.

-الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سبق، ص ٢٢-٢٣.

^٤ المرجع السابق، ص ١٠٧.

^٥ المرجع السابق، ص ٢٣٤.

المجردة عن الهوى^١؛ وذلك لحجب المعرفة الصحيحة عن الإسلام، وحتى لا يؤثر هذا الدين الكامل في أهل الغرب، وبالتالي يتم التعقيم على المثقف الغربي، وإعطاؤه معلومات خاطئة مضللة عن الإسلام، وتنفير الغرب منه كدين وحضارة^٢.

ولقد أشار محمد أسد - رحمه الله - إلى هذا الهدف الديني التبشيري وأنه غاية الدراسات الاستشراقية فقال: "... على أن للحروب الصليبية نتائجها الأخرى الخاصة، فقد نشأت عنها لدى الغربي الحاجة النفسية الملحة لتنفيذ ما دعاه (تعاليم محمد الخاطئة) وذلك عن طريق التبشير، وهذا الواقع بدأ المرء في أوروبا يدرس الإسلام وتاريخه مستهدفاً من هذه الدراسة إرضاء الخصومة لا المعرفة وبكلمات أخرى إن بداية علم الإسلاميات (Islamistik) كان في خدمة التبشير المسيحي ولقد قام هذا العلم في ظل أحكام افتراضية ومفاهيم مسبقة شديدة المرارة"^٣.

وكما يقول السباعي^٤: "نحن لا نحتاج إلى جهد في البحث لتتعرف إلى الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني، فكان لا يهتمهم إلا أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه، ويجرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم أن الإسلام لا يستحق الانتشار... وارتبط بهذا الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراساتهم العلمية وهم قبل كل شيء رجال دين"^٥.

ورغم التطور الحاصل في مجال الدراسات الاستشراقية، واتجاه بعض المستشرقين إلى البحث الموضوعي والأحكام المنصفة، إلا أن الاستشراق بشكل عام ظل محتفظاً بموقفه التراجعي، وأهدافه الدينية، يقول محمد أسد: "إن دائرة الثقافة الإسلامية تربطها بالأوروبية صلات قرابة في كثير من الأشياء لا يعرف الغربي عنها إلا أقل بكثير مما يعرفه عن الحضارات الأخرى التي هي أكثر بعداً عنه من الناحية الجغرافية والأيدولوجية... وعلى المرء أن يسلم فيما يخص الغرب بأن على أعين الغربيين حجاباً شعورياً يجعل من الصعب جداً عليهم أن ينظروا إلى عالم الإسلام نظرة موضوعية"^٦.

^١ الاستشراق في الفكر المعاصر، مرجع سابق، ص ٧.

^٢ آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، د. محمد خليفة حسن، ط ١، القاهرة: عين للدراسات والبحوث، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ٢٠.

^٣ الإسلام والغرب محمد أسد، هانس زيندن، مجلة المسلمون، العدد ٧/٨، شوال/ ذو القعدة، ١٣٨١هـ / نيسان - آيار ١٩٦٢م، ص ٨١.

^٤ مصطفى السباعي (١٩١٥م / ١٩٦٧م): مصطفى بن حسني أبو حسان السباعي، ولد بمحمص في سورية سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م، وهو عالم إسلامي مجاهد من خطباء الكتاب، نال شهادة الدكتوراه في التشريع الإسلامي وتاريخه من الأزهر سنة ١٩٤٩م، أنشأ مجلة حضارة الإسلام وما زالت تصدر، أصيب بشلل نصفي سنة ١٩٥٧م، وله العديد من المؤلفات، منها: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، اشتراكية الإسلام، شرح قانون الأحوال الشخصية، الدين والدولة في الإسلام، توفي سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٧م في دمشق.

ينظر: الأعلام، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٣١-٢٣٢.

^٥ الاستشراق والمستشرقون ما هم وما عليهم، مصطفى السباعي، بيروت/ مدمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ١٦.

^٦ الإسلام والغرب محمد أسد، هانس زيندن، مرجع سبق، ص ٧٥-٧٦.

لذا فإنَّ الباحثة تتفقُ مع ما ذهب إليه زقروق بأنَّ الاستشراق في دراسته للإسلام ليس علماً بأيِّ مقياسٍ علميٍّ، وإنما هو عبارةٌ عن أيديولوجيةٍ خاصةٍ يراد من خلالها ترويحِ تصوراتٍ معينةٍ عن الإسلام بصرفِ النظرِ عمَّا إذا كانت هذه التصورات قائمةً على حقائقٍ أو مرتكزةً على أوهامٍ وافتراءاتٍ^١.

ج. التعصبُ المقيتُ ضدَّ الإسلامِ وكرهيتُهُ الشديدةُ:

ساهم المفكرون الأوروبيون الدينيون، وغيرهم بتحويل الإسلام إلى دينٍ كرهه بغضٍ لدى العامة، وذلك عن طريق تلك الصورة النمطية الذهنية البشعة عن الإسلام، ونبه ﷺ والمسلمين، لكي تحتفظ أوروبا بابتعادها عن الوقوع تحت سيطرة الدين الإسلامي، وقوته الأخلاقية، والفكرية الآسرة^٢.

ولقد أدرك محمد أسد - رحمه الله - الجذور العميقة لكرهية الغرب، وعدائه المستفحل للإسلام، ونوّه إلى أن ذلك العداء قديمٌ، ومتأصلٌ في العقلية والنفسية الغربية، فقال: "... إنَّ تلك البغضاء قد نمت مع تقدم الزمن ثمَّ استحالت إلى عادة، ولقد كانت هذه البغضاء تغمر الشعور الشعبيَّ كلِّما ذكرت كلمة (مسلم)، ولقد دخلت في الأمثال السائدة عندهم حتى نزلت في قلب كلِّ أوروبيٍّ رجلاً كان أم امرأةً، وأغرب من هذا كلُّه أنها ظلت حيةً بعد جميع أدوار التبادل الثقافي، ثم جاء عهد الإصلاح الدينيِّ حينما انقسمت أوروبا شيعاً، ووقفت كلُّ شعبةٍ مدحجةً بسلاحها في وجه كلِّ شيءٍ آخر، ولكنَّ العداء للإسلام كان عاماً فيها كلِّها، بعد ذلك جاء زمنٌ أخذ الشعور الدينيُّ فيه يخبو ولكنَّ العداء للإسلام مستمرٌّ"^٣.

ويؤكد محمد أسد أن ذلك العداء للإسلام وتلك الكراهية الشديدة هي أحد منطلقات المستشرقين في نظرهم للإسلام، وكتاباتهم عنه، فيقول: "... أصبح احتقار الإسلام جزءاً أساسياً من التفكير الأوروبي، والواقع أنَّ المستشرقين الأولين في العصور الحديثة كانوا مبشرين نصارى يعملون في البلاد الإسلامية، وكانت الصورة المشوهة التي اصطفوها من تعاليم الإسلام وتاريخه مدبرةً على أساسٍ يضمن التأثير في موقف الأوروبيين من الوثنيين غير أنَّ هذا الالتواء العقليُّ قد استمرَّ مع أنَّ علوم الاستشراق قد تحررت من نفوذ التبشير، ولم يبق لعلوم الاستشراق هذا عذر من حميةٍ دينيةٍ جاهليةٍ بشيءٍ توجيهها، أما تحامل المستشرقين على الإسلام فغريزةٌ موروثَةٌ وخاصةً طبيعيةٌ تقوم على المؤثرات التي خلَّفتها الحروب الصليبية بكلِّ ما لها من ذيولٍ في عقول الأوروبيين الأولين"^٤.

^١ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص ١٤٤.

^٢ لماذا يكرهونه الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بني الإسلام ﷺ، مرجع سابق، ص ٢٥.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٥-٦٠.

^٤ المرجع السابق، ص ٦٠-٦١.

يقول مالك بن نبي - رحمه الله - "... إن أوروبا التي جعلت نفسها المشرف الوحيد على الجنس لم تعترف منذ كانت مدينتها لا تزال في المهدي، ترضع اللبن العربي بأنه مدينة إسلامية وكما يقول جوستاف لورين، معللاً السبب الذي يدفع علماء أوروبا إلى إنكار هذا الجميل برغم أنهم يجب أن يتعدوا عن التعصب يقول: الواقع أن استقلال الرأي ظاهري أكثر منه حقيقي، وذلك لأننا لسنا أحراراً في تفكيرنا حول بعض المعلومات، فقد استمرّ التعصب الذي ورثناه ضدّ الإسلام وزعمائه خلال قرونٍ عديدة حتى أصبح جزءاً من تركيبنا العضوي"^١.

ثم يقرر محمد أسد - رحمه الله - بأنّ التعصب ضدّ الإسلام وكرهيته شعورٌ مازال حياً في عقول ونفوس الغرب رغم تراجع مكانة الدين في أوروبا، فيقول: " فعلى الرغم من أنّ الشعور الديني الذي كان السبب في النفور من الإسلام قد أخلّى مكانه في هذه الأثناء الاستشراف على الحياة الأكثر مادية، فإنّ النفور القديم نفسه قد بقي عنصراً من الوعي الباطني في عقول الأوروبيين، وأما درجة هذا النفور في القوة فإنّها تختلف بلا شكّ بين شخص وآخر ولكن وجوده لا ريب فيه"^٢.

وهذا ما أكدّه د. باسم خفاجي أثناء البحث الميداني الإعلامي الذي أجراه على نماذج من الكنائس الأوروبية والأمريكية، وتحديدًا بعد أحداث ١١ من سبتمبر، حيث قال: "إنّ من العجيب في الكنائس الأوروبية والأمريكية أن تجد هذا الهوس والولع التاريخي والمتجدد بالهجوم على نبي الإسلام إلى درجة أن تجد في العديد من الكنائس الأوروبية رسومات ولوحات على أسقف هذه الكنائس، وتمثال في أفنيته، تمزاً من رسول الله ﷺ، وتصوّره وكأنّه يعذب بنار جهنم... ولقد وجدنا أثناء بحث إعلامي العديد من تلك النماذج المقلّبة للنظر أيضاً"^٣.

وفي هذا يقول محمد أسد: "إنّه نوعٌ من الرؤى استقرّ في التركيب العقلي والشعوري للغرب فجعل من الصعب على الأوروبي، أن يرى في الإسلام غير عدو له، أجل ألا يرى فيه غير (الخصم)"^٤.

وعليه فإنّ الاستشراق لم يطور كثيراً من أساليبه، ومناهجه في دراسته للإسلام، ولم يستطع أن يحرر نفسه تماماً من الخلفية الدينية للجدل اللاهوتي العقيم الذي انبثق منه الاستشراق أساساً، ولم يتغير شيء من هذا الوضع حتى اليوم باستثناء بعض الشواذ^٥.

^١ مستقبل الإسلام، مالك بن نبي، ترجمة شعبان بركات، ط٣، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م، ص ٢٩.

^٢ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٦١.

^٣ لماذا يكرهونه الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام ﷺ، مرجع سابق، ص ٣٣.

^٤ الإسلام والغرب، محمد أسد - هانس زيندن، مرجع سابق، ص ٨٠.

^٥ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص ١٢١.

د. العلاقات التاريخية بين الغرب والعالم الإسلامي:

١. الحروب الصليبية:

يرى محمد أسد - رحمه الله - أن الحروب الصليبية تمثل التجربة الغربية الأولى لكراهية الإسلام والحقد على أهله؛ حيث احتدم الصراع بين أوروبا المسيحية والعالم الإسلامي مع بداية نمو الحضارة الغربية، فتسبب في تلك الكراهية، والتعصب المقيت ضد الإسلام وأهله، وأدى إلى توتر العلاقات بين الغرب والإسلام إلى يومنا هذا.

وفي هذا الشأن يقول محمد أسد: "إن الاصطدام العنيف الأول بين أوروبا المتحدة من جانب وبين الإسلام من الجانب الآخر، أي الحروب الصليبية، يتفق مع بزوغ فجر المدنية الأوروبية، في ذلك الحين أخذت هذه المدنية وكانت لا تزال على اتصال بالكنيسة تشق سبيلها الخاص بعد تلك القرون المظلمة التي تبعت انحلال روما، حينذاك بدأت آداب أوروبا ربيعاً منوراً جديداً، وكانت الفنون الجميلة قد بدأت بالاستيقاظ من سبات...، ثم اكتسبت وعياً ثقافياً جديداً،... ولما كانت أوروبا في وسط هذا المأزق الحرج، حملتها الحروب الصليبية على ذلك اللقاء العدائي بالعالم الإسلامي"^١.

نعم لقد أضفت الحروب الصليبية على العداوة الأبدية والراسخة بين الغرب والعالم الإسلامي مظهراً جديداً، وأذكت فيها روحاً مغايرةً، وبذلك اختلفت آثارها ونتائجها عن الحروب السابقة الأخرى^٢.

وإلى هذا يشير محمد أسد - رحمه الله - بأن الحروب الصليبية كانت هي السبب الأول وتحديد موقف الغرب من العالم الإسلامي، وأنها لا زالت تؤثر على الفكر الغربي الحديث تأثيراً مباشراً، فيقول: "إن الحروب الصليبية هي التي عينت في المقام الأول والمقام الأهم موقف أوروبا من الإسلام لبضعة قرون تتلو"^٣.

وفي موضع آخر يقول: "ويمكننا أن نقول من غير أن نوغل في المبالغة أن أوروبا ولدت من روح الحروب الصليبية"^٤.

^١ ينظر: الإسلام على مفترق الطرق، عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٤-٥٥.

-الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٢٠-٢١.

-أثر الحروب الصليبية على الفكر الغربي الحديث، مرجع سابق، ص ١٠-١١.

^٢ العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر الحوالي، ط ١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحوث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٥٢٩.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٥.

^٤ المرجع السابق، ص ٥٦.

ويعلل محمد أسد ذلك الموقف بسببين: الأول: يصفه في رأيه بأنه حالة نفسية أصابت الحضارة الغربية في طورها الأول، فشكلت عقدة في العقل الباطني الغربي، والشعور النفسي استحال نسيانها حتى مع مرور الزمن فيقول: "كانت الحروب الصليبية في ذلك حاسمة لأنها حدثت في أثناء طفولة أوروبا، في العهد الذي كانت الخصائص الثقافية الخاصة قد أخذت تعرض نفسها، وكانت لا تزال في طور تشكيلها والشعوب كالأفراد، إذا اعتبرنا أن المؤثرات الضعيفة التي تحدث في أوائل الطفولة تظل مستمرة... مدى الحياة التالية، وتظل تلك المؤثرات محفورة حفرًا عميقًا، حتى أنه لا يمكن للتجارب العقلية في الدور المتأخر من الحياة والمتسم بالتفكير أكثر من اتسامه بالعاطفة أن تمحوها إلا بصعوبة، ثم ينذر أن تزول آثارها تمامًا، وهكذا شأن الحروب الصليبية فإنها أحدثت أثرًا من أعماق الآثار وأبقاها في نفوس الشعب الأوروبي"^١.

أما السبب الثاني في رأيه - رحمه الله - هو أن الحروب الصليبية كانت سببًا في الاتفاق على (ميثاق المدينة الغربية)، حيث ذكر: "... أن الحروب الصليبية كانت من وجهة النظر التاريخية، تمثل أول محاولة قامت بها أوروبا، وكانت ناجحة تمامًا، في سبيل النظر إلى نفسها على ضوء الوحدة الثقافية، وليس هناك من التجارب التي خربتها أوروبا قبل الحروب الصليبية أو بعدها ما يمكن أن يقارن بالحماسة التي خلقتها الحملة الصليبية الأولى، ذلك أن موجة من الافتنان ... موجة من الزهو تخطت لأول مرة الحواجز القائمة بين الولايات والقبائل والطبقات، ... ففي إبان الحروب الصليبية، ... رفعت الرابطة الدينية إلى مقام جديد، إلى قضية مشتركة بين جميع الأوروبيين على السواء...، ولقد حضَّ البابا أوربان الثاني^٢ في خطابه الشهير الذي ألقاه عام ١٩٠٥م لحثَّ المسيحيين على أن يشنوا الحرب على الجنس الشرير الذي يمتلك الأرض المقدسة، إنما كان يعلن على الأرجح دون أن يدري ميثاق المدينة الغربية"^٣.

ويضيف محمد أسد إلى أن الفكر الغربي الحديث لم يستطع في أدوار تشكُّله كلها أن يتجاوز الروح الصليبية التي رافقته وأصبحت أحد أهمِّ مرتكزات رواه قائلًا: "إنَّ خيال الحروب الصليبية لا يزال يرفرف فوق الغرب حتى يومنا هذا، كما أن جميع اتجاهاتها وإرجاعها نحو الإسلام، والعالم الإسلامي لا تزال تحمل آثاراً واضحة جلية من ذلك الشبح العنيد الخالد"^٤.

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٥-٥٦.

^٢ البابا أوربان الثاني (١٠٤٢م/ ١٠٩٩م): اسمه أودو دلاجري من أسرة فرنسية نبيلة، وتلق تعليمًا جيدًا، وهو البابا الذي دعا العالم للمسيحي إلى حرب مقدسة لاستعادة الأرض المقدسة، والتي انتهت إلى الحروب الصليبية.

ينظر: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ، مايكل هارت، ترجمة أنيس منصور، المكتب المصري الحديث، نسخة إلكترونية، ص ٢٠٥-٢٠٧.

^٣ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٢١-٢٢.

-أثر الحروب الصليبية على الفكر الغربي الحديث، مرجع سابق، ص ١٠-١١.

^٤ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٢٣.

وهذا ما أكدّه البهي^١ حين قال: "أحد نزعات دراسة المستشرقين للإسلام والثقافة الإسلامية، هي تأكيد الروح الصليبية، فتتضح أيما وضوح في كتابة المستشرقين الفرنسيين فكتاباتهم لا تنبئ فحسب عن جيلٍ لإضعاف المسلمين، بل تنمُّ عن حقدٍ على المسلمين، وعن سخريةٍ وتهكمٍ برسول الله ﷺ... ولو فتشنا عن السبب لوجدناه في احتضان فرنسا للكثلكة، وفي زعاماتها للحروب الصليبية الماضية...، فروح الصليبية لم تزل حيةً في نفوس الفرنسيين ولم يزالوا يعبرون عنها في أحكام الإسلام والمسلمين... وفي توجيه سياساتهم نحو المسلمين الخارجين عن نفوذهم"^٢.

ومن دون شكٍّ فإنَّ المستشرقين أدمغة الحملات الصليبية الحديثة، وشياطين الغزو الثقافي في العالم الإسلامي، ظهوراً في حلبة الصراع... وما كان ليغيب عن بالهم أنَّ القضاء على الأشلاء الباقية من الكيان الإسلامي الضخم وسدَّ كلَّ الطرق التي قد تمهت لبعث الحياة فيها لا تتمُّ إلا بسلب الأمة ذاكرتها متمثلةً في تراثها العظيم، وفي الوقت نفسه شنُّ حربٍ نفسيةٍ شرسةٍ لإبادة ما يزال عالقاً في أذهان المسلمين، من عقائد الإسلام ومفهوماته، وإن لم تكن الإبادة التامة فلتكن التزعة والتفتيت^٣.

٢. فتح القسطنطينية:

يرى محمد أسد - رحمه الله - أن فتح القسطنطينية تسبب في سوء العلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي، وأدّى إلى تنامي الحقد والكرهية، حيث كانت القسطنطينية العاصمة المتألقة للدولة البيزنطية، فيقول: "لقد كانت أوروبا ترى بقيةً من الزهو اليوناني والروماني القديم في القسطنطينية، وكانت تنظر إليها على أنها حصن أوروبا ضدَّ برابرة آسيا، وبسقوط القسطنطينية فتح باب أوروبا على مصراعيه للسيل الإسلامي... فلم تبق عداوة أوروبا للإسلام قضية ذات أهمية ثقافية فحسب، بل ذات أهمية سياسية أيضاً، وهذا زاد في اشتداد تلك العداوة"^٤.

لقد تأثر الغرب النصراني بنبأ هذا الفتح، وانتاب النصارى شعوراً بالألم والفرع والخزي، وتجسم لهم خطر جيوش الإسلام القادمة من اسطنبول^٥، وبذل الشعراء والأدباء ما في وسعهم لتأجيج نار الحقد وبراكين الغضب في نفوس النصارى ضدَّ المسلمين، وعقد الأمراء والملوك اجتماعاتٍ طويلةً ومستمرّةً

^١ محمد البهي (١٩٠٥م/ ١٩٨٣م): مفكر إسلامي، وداعي ديني مصلح، ولد في البحيرة، حصل على الدكتوراه في الفلسفة وعلم النفس والاجتماع، وعلوم عالي في اللغة الألمانية، تولى وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر، له عدة ملقات، منها: الإسلام دعوة وليس ثورة، الدين والحضارة الإنسانية. ينظر: تنمة الأعلام، مرجع سابق، المجلد ٢، ص ١٣٣.

^٢ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ط٧، القاهرة: دار الفكر، ١٩٩١م، ص ٦٦-٦٧.

^٣ العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، مرجع سابق، ص ٥٤٣-٥٤٤.

^٤ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٩.

^٥ إسطنبول: من أكبر المدن التركية، وهي تقع على مضيق البسفور، تشمل جانباً من شبه جزيرة بحر مرمرة، وهي من المدن التجارية، والصناعية، والمالية، والعالمية، والسياحية في تركيا.

ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ٤٦-٤٧.

تنادي النصارى إلى نبد الخلافات والحزازات، وكان البابا نيقولا الخامس^١ أشدَّ الناس تأثراً بنبأ سقوط القسطنطينية، وعمل جهده وصرف وقته لتوحيد الدول الإيطالية وتشجيعها على قتال المسلمين^٢.

ولقد تلا الحروب الصليبية تصفية الوجود الإسلامي في الأندلس بصفة لا نظير لها في التاريخ، ثم كان سقوط القسطنطينية في أيدي المسلمين حادثاً رهيباً أذهب عن أوروبا حلاوة انتصارها في الأندلس، وبعدها جاءت طلائع الحروب الصليبية متخفية برايات المكتشفين الجغرافيين، ثم جاءت الروح الصليبية كامنة في مدافع نابليون^٣ التي تضعنا على أول محاولة ضخمة من أوروبا الحديثة لاستتصال شامة الإسلام وبذر جذور اللادينية في أبنائه، ... إنَّ الواقع التاريخي يؤكد أن هذه الحروب لن تنتهي وأنَّ الذي دفع بعض المستغفلين هو اختلاف فصولها ومظاهرها^٤.

وفي ضوء ما سبق فإنَّ الاستشراق يعتبر الممثل الثقافي الأكثر صدقاً لموقف الغرب من الإسلام - وثقافات العالم أجمع - وحضارته وهذا في الواقع شيء واضح بنفسه، وذلك باعتبار الاختلاف التاريخي بين الشرق والغرب، والتمايز الشديد بين مصادر الإسلام ديناً وشرعاً وحضارة، وبين العالم الغربي المسيحي ثم العلماني، ولهذا نستطيع اعتبار إنتاجه (نصاً متواتراً)، وهو بالضرورة مدخل للتعرف على عقلية الغرب وحساسيته، وبالتالي على أنماط إنتاج صورة ... وإيديولوجيته^٥.

تلك هي المنطلقات الأساسية التي تصدر عنها رؤية المستشرقين، وكتاباتهم عن الإسلام، ونبية ﷺ، ومن ثمَّ فهي تجعل كلَّ من عنده مسحة من العقل يستريب في كتاباتهم، ويعجب بعد هذا من وصفها بالمنصفة!!!

ثانياً - منهج المستشرقين في تناول العلوم الشرعية وموازيتهم في البحث:

لاشكَّ أنَّ الكنيسة في حربها الفكرية على الإسلام تعمدت الكذب والافتراء، وبثَّ سمومها وحقدتها على الإسلام ونبية ﷺ، وكان للمستشرقين مكانة بارزة في تلك الحرب، حيث بذلوا أقصى ما في وسعهم للصدِّ عن الإسلام من خلال وسائل متعددة منها التأليف، والكتابة وفق منهج، أو موازين في

^١ البابا نيقولا الخامس (١٣٩٧م/ ١٤٥٥م): واسمه توماس رنتو تشيلي، ولد عام ١٣٩٧م في سارزنا بجمهورية جنوة، ونشأ نشأة فقيرة، إلا أنه استطاع أن يلتحق بالجامعة، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة بولونيا في علم اللاهوت.

ينظر: موسوعة المعرفة الإلكترونية، على شبكة المعلومات العالمية، www.marefa.org، تاريخ الدخول: ٢٣/١٠/١٤٣٤ هـ.

^٢ أثر فتح القسطنطينية على العالم الأوروبي والإسلامي، د. علي الصلابي، صحيفة ليبيا اليوم، متوفر على الموقع الإلكتروني: www.islamstory.com تاريخ الدخول: ٠١/٠١/٢٠١١م.

^٣ نابليون بونابارت (١٧٦٩م/ ١٨٢١م): امبراطور فرنسي، هيمن على الحياة السياسية والعسكرية في أوروبا لفترة تجاوزت العقدين، ولد بمدينة آحاكيو في جزيرة نورسيكا، وهو من طبقة النبلاء العاديين، تخرج من الأكاديمية العسكرية في باريس وهو في السادسة عشرة من عمره. ينظر: موسوعة مشاهير العالم، مرجع سابق، ج٣، ١٠-١٧.

^٤ العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، مرجع سابق، ص ٥٣٠.

^٥ نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، مرجع سابق، ص ٣١.

البحث خاصةً بهم تحقق لهم أغراضهم في الدس، والافتراء على الإسلام والمسلمين دون أن يتمكن عامة القراء من اكتشاف كذبهم وافتراءاتهم.

ويشهد على ذلك محمد أسد - رحمه الله - وهو من أعرف الناس بهم وبمناهجهم في البحث، إذ يوضح موقفهم من الإسلام، وصورته في أبحاثهم، والكيفية التي يختارون بها شهودهم، ثم النتائج التي يصلون إليها في نهاية أبحاثهم مع اختلاف بلدانهم، فيقول: "إن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام، ويظهر في جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي، بل إنه مجرمٌ متهمٌ يقف أمام قضائه، وإن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول إثبات الجريمة، وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع، فهو مع اقتناعه شخصياً بإجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شيءٍ من الفتور (اعتبار الأسباب المخففة)".^١

وهذا ما يؤكد د. محمود زقزوق حيث يقول: "يعطي الاستشراق لنفسه في دراسته للإسلام دور ممثل الاتهام والقاضي في الوقت نفسه، فبينما نجد مثلاً أن علم التاريخ يحاول أن يفهم فقط ولا يضع موضع الشك أسس المجتمع الذي يدرسه، نجد الاستشراق يعطي لنفسه حق الحكم بل حتى الاتهام والرفض للأسس الإسلامية، وذلك ناتجٌ عن نوايا مسبقة لا يمكن بحالٍ من الأحوال أن تكون علمية صافية"^٢.

ثم يضيف محمد أسد - رحمه الله - موضحاً طريقة الاستقراء، والاستنتاج التي يتبعها المستشرقون في أبحاثهم، فيقول: "وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش، تلك الدواوين التي أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها في العصور الوسطى، أي أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبداً أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفقٍ عليه من قبل، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها"^٣.

وقد بين الأستاذ الدكتور السباعي عليه رحمة الله تعالى منهجهم وموازنهم في بحث كل قضية لها علاقة بالإسلام والمسلمين بياناً واضحاً وموجزاً فقال فيما أوجز: "يعتمد جمهرة المستشرقين في تحرير أبحاثهم عن الشريعة الإسلامية على ميزان غريبٍ بالغ الغرابة في ميدان البحث العلمي... فأغلب هؤلاء المستشرقين يضعون في أذهانهم فكرةً معينةً يريدون تصيد الأدلة لإثباتها، وحين يبحثون عن هذه الأدلة لا تهتمهم صحتها بمقدار ما يهتمهم إمكان الاستفادة منها لدعم آرائهم الشخصية، وكثيراً ما

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٣.

^٢ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص ١٢٥-١٢٦.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٣.

يستنبطون الأمر الكلي من حادثة جزئية، ومن هنا يقعون في مفارقات عجيبة لولا الهوى لربؤوا بأنفسهم عنها".^١

وهو الرأي ذاته الذي ذهب إليه الإمام الندوي - رحمه الله - إذ يقول: "ومن دأبهم أن يعينوا لهم غايةً ويقرروا في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكلّ طريق، ثم يقوموا لها بجمع معلومات عن كلّ رطبٍ ويابسٍ ليس لها علاقة بالموضوع، سواءً من الديانة والتاريخ والأدب والشعر والرواية، وإن كانت تلك المعلومات تافهة لا قيمة لها من حيث الصحة والاستناد ويقدمونها بعد التمويه بكلّ جراءة ووقاحة، ويننون عليها نظرية لا يكون لها كيان اجتماعي إلا في نفوسهم فقط".^٢

وعن كيفية اختيار المستشرقين لشهودهم، فيصورها محمد أسد - رحمه الله - أحسن تصوير، حين قال: "ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذي يقصدون أن يصلوا إليه مبدئياً، وإذا تعذر عليهم الاختيار العرفي للشهود، عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التي شهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها من المتن، أو تأولوا الشهادات بروح غير علمي من سوء القصد من غير أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر، أي من قبل المسلمين أنفسهم".^٣

وهذا مسلكهم في تصيد الأدلة وإثباتها على عكس المنهج العلمي الاستدلالي، فلا تهمهم صحة الأدلة بمقدار ما يهتمهم الاستفادة منها لدعم آرائهم الشخصية، وكثيراً ما يدخلون مشاعرهم الشخصية وآراءهم وأهواءهم الخاصة فيفسرون الحوادث ويناقشون النصوص، ويحللون القضايا والشخصيات الإسلامية على ضوء وجهة نظرهم، ثم يؤيدونها بأدلة واهية أو ضعيفة من كتب موثوقة أو غير موثوقة، فيضطرون إلى الكذب والمغالطات .. النصوص.^٤

أما النتيجة التي تنتهي إليها تلك المحاكمة الظالمة للإسلام من قبل أعدائه فيصفها لنا محمد أسد بقوله: "ولست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام، وللأمور الإسلامية تواجهنا في جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا، وليس ذلك قاصراً على بلدٍ دون آخر، إنك تجده في إنجلترا وألمانيا، وروسيا، وفرنسا، وإيطاليا، وهولندا، وبكلمة واحدة في كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام، ويظهر أنهم ينتشون بشيء من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة - حقيقية أو خيالية - ينالون بها من الإسلام عن طريق النقد".^٥

^١ الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مرجع سابق، ص ٤٣.

^٢ مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين، على الحسيني الندوي، ط ١، بيروت/ دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١٨.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٣.

^٤ آراء المستشرقين حول القرآن، مرجع سابق، ص ٨٠.

^٥ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٤.

والحقُّ أنها نتيجةٌ ليست مستغرِبةً على العقل الاستشراقيّ فهو ابن بيته الغربية، وجزءٌ من الكيان الأوروبيّ الكاره للإسلام، والمتحيز ضده على كلِّ صعيدٍ في كلِّ آن^١.

ويقول محمد أسد: "إنَّ هؤلاء المستشرقين ليسوا سلالةً خاصةً، ولكنَّهم طلائع مدنيّتهم وطلائع بيّتهم الاجتماعيّة"^٢.

والأمر الغريب هو أنَّ الدراسات الغربية حول الديانات الوضعية مثل: البوذية^٣، والهندوسية^٤ غالباً ما تكون دراساتٍ موضوعيةً بعيدةً عن أيِّ تحريج، ولكنَّ الإسلام وحده من بين كلِّ الأديان هو الذي يتعرض للنقد، والتجريح على الرغم من أنَّه دينٌ يؤمن بالله، ويحترم اليهودية والمسيحية، ويؤمن بموسى وعيسى ويرفعهما فوق النقد بوصفهما أنبياء الله عليهم السلام^٥.

ويصادق محمد أسد - رحمه الله - على هذا الرأي فيقول: "قد لا تتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية، ولكنَّها تتحفظ دائماً فيما يتعلق بمذنبين المذهبيين بموقفٍ عقليٍّ متزنٍ ومبنيٍّ على التفكير، إلا أنَّها حالماً تتجه إلى الإسلام يَحْتَلُّ التوازن ويأخذ الميل العاطفيُّ بالغرب"^٦.

فالمستشرقون يتحدثون عن المنهج العلميِّ، وضرورة التحقق به، والتمسك بقواعده، ونعلم أن ليس عندهم ما يمنع من تحول الكلام إلى تطبيق، لكن إذا كان مجال الدراسة والبحث شيئاً غير الإسلام، أما إذا كان ميدان الدراسة هو الإسلام فيصبح التزامهم بالمنهج العلميِّ كلاماً نظرياً، وحديثاً فارغاً من أيِّ مضمون، وليس له ظلالٌ على أرض الواقع، ونرى الموازين آخذةً في الميل والاختلال إلى حدِّ تكاد معه عقولهم تفقد اتزانها وصوابها^٧.

^١ الإسلام في تصورات الغرب، د. محمود حمدي زقزوق، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٤.

^٢ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٤.

^٣ البوذية: وهي الديانة التي ظهرت في الهند قبل البراهمية (الهندوسية) وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد، وهي تدعو إلى التصوف، والخشونة، ونبذ الترف، والمناذاة بالتسامح، ويعتقد البوذيون أن بوذا ابن الإله عندهم، وأنه مخلص البشرية من مآسيها.

ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مرجع سابق، ص ٧٣٥.

^٤ الهندوسية: وتسمى أيضاً البراهمية، وهي وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وليس في الهندوسية دعوة إلى التوحيد، بل إنهم يقولون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إليها يعبد، ثم قالوا بوجود آلهة ثلاثة من عبد أحدها فقد عبدها جميعاً، وهي: براهما، وفشنو، وسيفا.

ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مرجع سابق، ص ٧٣٤.

^٥ ينظر: الإسلام في تصورات الغرب، مرجع سابق، ص ١٤.

-الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص ١٢٤.

^٦ ينظر: الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٤.

- الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٩-٢٠.

^٧ الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، د. إسماعيل علي محمد، ط٣، مصر: دار الكلمة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٢٢.

المطلب الثالث

موقف محمد أسد من السنة النبوية الشريفة

وآراؤه في الدفاع عنها

لقد ابتلي الإسلام في مصدره الثاني منذ نهاية القرن الأول الهجري وحتى يومنا هذا، بطوائف لا حَظَّ لها ولا نصيب في الإسلام، تنكر حجية السنة وتثير الشبهات حولها، وتشكك في طرقها وعدالة رواها ﷺ، بل وتنادي بعدم الحاجة إليها والاكتفاء بالقرآن الكريم.

وجاء المستشرقون في العصور الحديثة فأخذوا هذه الشبهات والطعون وزادوا عليها؛ وذلك لأنهم وجدوا في السنة المطهرة العائق الكبير الذي يحول بينهم وبين نشر سمومهم، ومما يؤسف غاية الأسف أن بعض المسلمين من أبناء جلدتنا قد ارتضوا هذه الشبهات، وجعلوا من أنفسهم بوقاً لتردادها كالأستاذ أحمد أمين^١ في كتابيه (فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام)، وبعض هؤلاء المرتضين كانوا أشد من المستشرقين هوىً وعصبيةً وعداءً للسنة وأهلها كما هو حال الشيخ محمود أبو ريه في كتابه (أضواء على السنة المحمدية)^٢.

وقد تصدَّى العلماء الربانيون لكل هذه الشبهات وغيرها، وردوا عليها إجمالاً وتفصيلاً بما لا يترك مجالاً في إبطالها، وأنها مجرد أكاذيب وافتراءات للقضاء على هذا الأصل والمصدر الثمين.

كما ساهم علماء الفكر الإسلامي في صدِّ تلك السلسلة المتواصلة من الهجمات على الدين الإسلامي، ومنابعه الأصلية، وكان لجهودهم أكبر الأثر في تقوية صلة المسلمين بثقافتهم وتاريخهم ومستقبلهم، وردِّ الشكوك والشبهات التي أثرت حول الثقافة الإسلامية، وعرضها عرضاً شاملاً يوضح تفوق مبادئها وأحكامها على سائر الأديان والنظم الوضعية، ونذكر منهم الأستاذ مالك بن نبي، والدكتور محمد البهي، والأستاذ مصطفى السباعي، والأستاذ سيد قطب^٣، والإمام المودودي رحمهم الله رحمةً واسعةً من عنده.

^١ أحمد أمين (١٨٧٨م/ ١٩٥٤م): أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ، اشتهر باسمه أحمد أمين، ولد في القاهرة سنة ١٢٩٥هـ، وتخرج من مدرسة القضاء الشرعي، ودرس فيها إلى سنة ١٩٢١م، وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية، وعين مديراً للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٧م، حتى توفي، وكما كان عضواً في الجمع العلمي العربي بدمشق، وجمع اللغة بالقاهرة، والجمع العلمي العراقي ببغداد، له العديد من المؤلفات، منها: فجر الإسلام، وضحى الإسلام، وظهر الإسلام، وزعماء الإصلاح في العصر الحديث، توفي سنة ١٣٧٣هـ في القاهرة.

ينظر: الأعلام، مرجع سابق، ج ١، ص ١٠١.

^٢ دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ويليهِ الرد على من ينكر حجية السنة، الشيخ محمد أو شهبه، د. عبد الغني عبد الخالق، ط ١، القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٨٩م، ص ٨.

^٣ سيد قطب (١٩٠٦م/ ١٩٦٦م): سيد بن قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، ولد في قرية موشا في أسبوط سنة ١٣٢٤هـ، تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٣٥٣هـ، وعمل في جريدة الأهرام، وانضم إلى الأخوان المسلمين فترأس قسم نشر الدعوة، وتولى تحرير جريدتهم عام ١٩٥٣م، وسجن معهم، وعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه حتى أعدم سنة ١٣٨٧هـ، ومن مؤلفاته: العدالة الاجتماعية في الإسلام، التصوير الفني في القرآن، مشاهد القيامة في القرآن، المستقبل لهذا الدين.

ينظر: الأعلام، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٤٧-١٤٨.

وكان ممن ظهر على ساحة الفكر الإسلامي، ووقف في وجه تلك الأعاصير يردُّ كيدها المفكر المسلم محمد أسد - رحمه الله - فقد دافع عن الإسلام والسنة النبوية الشريفة دفاعاً قوياً، يبعث الثقة والاعتزاز بهذا الدين العظيم وبسنة رسوله الكريم ﷺ، وهذا من فضل الله تعالى على عباده أن هياً لهم هذا المفكر وهو أوروبي الأصل والمنشأ ويهوديُّ المعتقد، يدافع عن سنة رسولنا الكريم ﷺ ويردُّ على كلِّ حاقِدٍ كاره لها، ويدحض شبهات المبطلين ويفندها، ويسهم في نصرة السنة النبوية عن طريق فكره وقلمه، فرحمه الله رحمةً واسعةً ورفع درجاته وأعلى منزلته، إنّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وتظهر لنا جهود محمد أسد - رحمه الله - وآراؤه في الدفاع عن السنة النبوية والردُّ على المستشرقين، ومن تابعهم من خلال كتابيه: **SAHEH AL-BUKHARI, THE EARLY YEARS of ISLAM AT THE CROSS ROAD** (صحيح البخاري - السنوات المبكرة للإسلام)، وكتابه **ISLAM AT THE CROSS ROAD** (الإسلام على مفترق الطرق).

ففي كتابه (الإسلام على مفترق الطرق) تبين دفاعه جلياً واضحاً عن السنة النبوية، حيث تحدث عن مكانة السنة النبوية وعلاقتها بالقرآن الكريم، ثم استعرض شبهات المستشرقين ومن تابعهم من المبتدعين وأعداء الإسلام، واستطاع - بما وفقه الله له - من الردِّ عليهم ودحض شبهاتهم وإبطالها، وأخيراً ختم كتابه بفصل أطلق عليه (روح السنة)، وحقيقةً كان هذا الفصل روح الكتاب، حيث عرض فيه أهمية السنة النبوية، وضرورة التمسك بها فهي الصورة التطبيقية الحقيقية لحياة الرسول ﷺ.

أما كتابه (صحيح البخاري - السنوات المبكرة للإسلام) فقد تحدث فيه عن ضرورة دراسة السنة النبوية لفهم تعاليم الإسلام فهماً صحيحاً، وامتدح الصحابة رضي الله عنهم وأشار إلى عدالتهم. وسيأتي تفصيل ما سبق من خلال النقاط التالية:

أ. مكانة السنة النبوية وعلاقتها بالقرآن الكريم:

يرى محمد أسد - رحمه الله - أن السنة النبوية هي تالية للقرآن الكريم، وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، والسلوك الشخصي والاجتماعي^١.

وهذه الحقيقة لا يعارضها أحدٌ، أو يشغب عليها إلّا شقيٌّ معاندٌ لله ورسوله ﷺ والمؤمنين، ومخالفٌ لما اجتمعت عليه الأمة سلفاً وخلفاً، وحتى قيام الساعة بإذن الله تعالى.

فالسنة النبوية هي الأصل الثاني من أصول الإسلام، ولها الصدارة بعد كتاب الله عزَّ وجلَّ بإجماع أهل العلم قاطبةً، والواجب على جميع المسلمين الاحتجاج بها والاعتماد عليها، ومن جحدتها أو أنكرها

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٩٠.

فقد ضل ضلالاً بعيداً، وورد الأمر الصريح باتباعها في كتاب الله، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^١، وقال عز وجل: ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^٢.

وقد استدلل - رحمه الله - بأدلة من كتاب الله والسنة تصرح بوجوب طاعة الرسول ﷺ، ووجوب اتباعه، ووجوب الاحتكام إليه، والتسليم له في كل ما يحكم به ﷺ، فمن الآيات القرآنية التي استدلل بها^٣ قول الله تعالى: ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^٤، وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾^٥، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٦ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾^٧.

ولا شك أن تلك الآيات البينات من القرآن الكريم تعتبر أصلاً لكل ما جاءت به السنة النبوية مما لم يرد له ذكر في القرآن الكريم، حيث ورد فيها التشديد والتأكيد على وجوب اتباع الرسول ﷺ، واتخاذها مرجعاً وحكماً لنا في كل الخلافات، وأن من سار على نهجه، وطبق شريعته فهو صادق المحبة،

^١ سورة الأنعام، آية: ١٥٣.

^٢ سورة الحشر، آية: ٧.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٨٩-٩٠.

^٤ سورة الحشر، آية: ٧.

^٥ سورة النساء، آية: ٦٤.

^٦ سورة آل عمران، آية: ٣١-٣٢.

وهذا منهنج الصحابة ﷺ أجمعين، ومن جاء بعدهم من أئمة العلم، والدين في وجوب العمل بالسنة النبوية وتطبيقها.

كما يستدلُّ على مكانة السنة النبوية، ووجوب اتباع هدي الرسول ﷺ وأصحابه بقوله ﷺ: {تفرقت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقةً، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقةً، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقةً كلهم في النار إلا واحدةً، قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي} ^١.

ويقول محمد أسد: "إن الظاهر من قول الرسول ﷺ أنه قصد أن يقول إن الفرق والشيع بين المسلمين ستكون كثيرةً، حتى أنها لتكون أكثر من تلك التي بين النصارى واليهود ثم أن الرسول ﷺ أضاف إلى ما تقدم قوله: (كلهم في النار إلا واحدةً) وحينما سأله الصحابة ﷺ عن الفرقة الناجية، قال: (ما أنا عليه وأصحابي) وهذا يعني أن أولئك الذين اتخذوا الرسول وأصحابه دليلاً يهتدون به في حياتهم هم الذين يسلكون السبيل الروحي للفوز" ^٢.

ولقد سُئلَ شيخ الإسلام ابن تيمية ^٤ - رحمه الله - عن الفرقة الناجية، فقال: "الفرقة الناجية هم أهل الحق وأهل السنة والجماعة الذين ليس لهم متبوعٌ إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله، المتبعون لها تصديقاً، ومحبةً وموالاةً، ومعادةً لمن عادها، وغيرهم من أهل التفرق والبدع والأهواء فإنهم أهل الشذوذ وشعارهم مفارقة الكتاب والسنة والإجماع" ^٥.

فالواجب على المسلم أن يتمسك بسنة الرسول ﷺ ومنهجه، وما عليه أهل السنة والجماعة من لزوم الكتاب والسنة، ويتعد عن البدع في الأقوال والأعمال، ويحذر من الفرق المضلة المبتدعة؛ حتى يكون من الفرقة المهتدية الناجية بإذن الله، والله تعالى أعلم.

^١ رواه أبو داود، كتاب السنة، باب شرح السنة، حديث رقم ٤٥٩٦.

ورواه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم ٢٦٤١. وقال الترمذي: حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه.

ورواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، حديث رقم ٣٩٩١.

ورواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ، حديث رقم ٨٣٩٦، ج ١٤، ص ١٢٤، وقال المحقق: إسناده حسن.

صححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم ١٤٩٢، ج ٣، ص ٤٨٠.

^٢ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٨٩-٩٠.

^٣ المرجع السابق، نفسه.

^٤ ابن تيمية (١٢٦٣م/١٣٢٨م): أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحضري النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي السدين ابن تيمية، شيخ الإسلام، أفق ودرس وهو دون العشرين، أما تصانيفه ففي الدرر لأنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاثمائة مجلد، مات معتقلاً بقلعة دمشق فخرحت دمشق كلها في جنازته.

ينظر: الأعلام، مرجع سابق، ج ١، ص ١٤٤.

^٥ مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق عبد الرحمن محمد قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد للطباعة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص ٣٤٦-٣٤٧.

وأما عن علاقة السنة النبوية بالقرآن الكريم، فقد أشار محمد أسد - رحمه الله - إليها بقوله: "وفي الحقيقة يجب علينا أن نعتبر أن السنة هي التفسير الوحيد لتعاليم القرآن الكريم، والوسيلة الوحيدة لاجتناب الخلاف في تأويل تلك التعاليم، وتطبيقها في الحياة العملية؛ لأنه في القرآن الكريم آيات تنطوي على معنى رمزي، ويمكن أن تفهم على أوجه مختلفات إذا لم يكن لدينا طريقة صحيحة للتأويل".^١

وكما نعلم أن الله تعالى أوكل إلى رسوله الكريم ﷺ بيان ما في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٢، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾^٣، وهذا ما اتفق عليه العلماء - رحمهم الله تعالى - من أن السنة مع القرآن الكريم على عدة أوجه^٤:

١. أن تأتي مؤكدة لما جاء في القرآن ومقررة له ومثبتة.
 ٢. أن تأتي مبينة لما في القرآن الكريم، وهذا البيان له أنواع، وهي: تفصيل المحمل، تقييد المطلق، تخصيص العام، توضيح المشكل.
 ٣. أن تستقل السنة بتأسيس الأحكام من غير أن يسبق ذكرها في القرآن الكريم.
- ومحمد أسد - رحمه الله - إذ يؤكد على مكانة السنة النبوية من التشريع الإسلامي، وعلاقتها بالقرآن الكريم، فهو يدل على طاعته وحبه للرسول ﷺ، وإجلاله وتعظيمه له ﷺ، والرضا بحكمه والافتداء بسنته، ومخالفته للفرق الكلامية، والمبتدعة الذي يثيرون الشبهات حول السنة النبوية، ويشككون في حجيتها ومكانتها.

ب. ضرورة التمسك بالسنة النبوية وتطبيقها:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^٥، فالحمد لله الذي جعل رسوله الكريم ﷺ، قدوة للمسلمين، وإماماً للمؤمنين، وقائداً للغر المحجلين، فنحن اليوم في أمس الحاجة إلى القدوة الصالحة، والتمسك بسنن الرسول ﷺ

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٩٠.

^٢ سورة النحل، آية: ٤٤.

^٣ سورة النساء، آية: ١٠٥.

^٤ السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها، د. عماد السيد الشريبي، ط ٢، المنصورة: دار اليقين، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ج ١، ص ٥٠٣.

^٥ سورة الأحزاب، آية: ٢١.

وتطبيقها، خاصة في هذا العصر الذي تكالبت فيه قوى الشرِّ على الإسلام والمسلمين، من خلال الغزو الفكريِّ والثقافيِّ الذي أفقد الأمة هويتها، وسلخها عن دينها الذي هو عصمة أمرها، وفتَّ في عضدها ومزَّقها شرِّ ممزق.

وإنَّ المتأمل المتفحص لجوانب الآداب والفضائل الواردة في السنة النبوية، يرى كنوزاً حافلةً بالفنَّاءس، وكأنَّ الرسالة خطت مجراها في تاريخ الحياة، وبذل صاحبها جهداً كبيراً في مدِّ شعاعها لا تنشد أكثر من تدعيم الفضائل ومكارم الأخلاق، وإنارة آفاق الكمال أمام أعين الناس؛ حتى يسعوا إليها على بصيرة، ويصلوا إلى أعلى درجات الرقيِّ الإنسانيِّ والحضاريِّ.

وفي هذا يقول محمد أسد - رحمه الله - : "بعد أن نسلم بكلِّ ما جاء به الرسول ﷺ ونتحقق من الضرورة الإيجابية للعمل بالسنة، أصبح لا بدَّ أن ننظر إلى الدور الذي تقوم به السنة في بناء الإسلام الاجتماعيِّ، ونبحث عن المعنى الروحيِّ لذلك النظام المفصل من تلك القوانين وآداب السلوك، التي تتخلل حياة المسلم منذ ولادته إلى يوم وفاته، ما الخير في أن يأمر الرسول ﷺ أتباعه بأن يفعلوا كلَّ شيءٍ كما كان يفعله هو؟ ما الفرق في أن نأكل باليد اليمنى أو باليد اليسرى، إذا كانت كلتاها نظيفتين؟ وهل هذا له صلةٌ بتقدم البشر والمجتمع!! إنا حقاً سنهتدي إلى تلك الفوائد المتعلقة بتطبيق السنة النبوية، لأنَّ الإسلام الذي جاء من عند الله لا يتناقض مع العقل أو الطبيعة البشرية التي خلقها الله".^١

وفي ضوء ما سبق فإنَّ محمد أسد يرى أنَّ هناك ثلاثة أسبابٍ على الأقلِّ من وجهة نظره تدفعنا إلى التمسك بسنة رسولنا الكريم ﷺ وتطبيقها، وهي:

١. الأثر الفرديُّ الروحيُّ:

ويقصد به - رحمه الله - تمرين الإنسان بطريقةٍ منظمةٍ على أن يحيا دائماً في حالةٍ من الوعي الداخليِّ، واليقظة الشديدة وضبط النفس، فالأعمال التي تصدر من الشخص يومياً، والتي تمثل عادات، وسلوكياتٍ يوميةً بسيطةً يجب أن تخضع لما جاء في السنة النبوية من تعاليم وآدابٍ لأنَّ لها أبرز الأثر في تصاعد الاتجاه الروحيِّ والوجدانيِّ لدى الشخص وفي شحذ القوة وضبط النفس.^٢

وعلى المسلم أن يعود نفسه بالتمرين المستمرِّ على الالتزام بالسنن البسيطة في حياته، ويخضعها للمراقبة، لأنَّ الأعمال العظمى تبقى دائماً واضحةً، وفي نطاق وعيه، أمَّا الأعمال الصغيرة والبسيطة هي

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ١٠٣-١٠٤.

^٢ المرجع السابق، ص ١٠٤-١٠٥.

التي تكون خارج الوعي، رغم ما لها من أثرٍ عظيمٍ في تقوية الجانب الروحي عند المسلم وشحذ الهمم والنفوس^١.

وهذا يعني: أن التمسك بالسنن غير المفروضة أمرٌ يحتاج إلى شيءٍ من الجهد وإلى كثيرٍ من التحدي، ومحاسبة النفس وتمارينها على ذلك، فالوضوء قبل النوم، والنوم على الشق الأيمن، والسواك قبل الوضوء، فيها شيءٌ من الجهد في عصرٍ كثرت فيه صعوبات الحياة ومشاغلتها، ويبقى المسلم دوماً بحاجة إلى تلك الإرادة الواعية يجددها ويوقظها، لتعينه على التمسك. بمثل هذه السنن الصغيرة في حياته، وحتى لا تكسل إرادته أو تذوب، فتسلم القيادة إلى عادات وسلوكيات تصدر دون الإرادة، وعندها يصعب عليه إحيائها.

يقول محمد أسد - رحمه الله - : "قد لا يكون من المهم في ذاته أن نأكل بأيّ اليدين، ولكن إذا اعتبرنا التنظيم فمن أشدّ الأمور أهمية أن نأتي أعمالنا مقدرّةً بنظام، وليس من السهل على الإطلاق أن يبقى الإنسان في تنبئه مستمرّ لمحاسبة النفس وضبطها، حتى ولو كانت فيه هاتان القوتان مثقتين غاية الثقيف، إن كسل العقل لا يقلُّ حقيقةً عن كسل الجسم...، فإذا تحم علينا أبداً أن نخضع جميع ما نعمل وجميع ما نترك لتمييزٍ عقليٍّ معلوم، فإنّ مقدرتنا على ضبط النفس واستعدادنا لذلك ينموان تدريجياً ثم يصحان فينا طبيعةً ثانية، وفي كلِّ يوم، مادام هذا التمرين مستمرّاً يتناقص كسلنا الأدبيُّ حسب ذلك"^٢.

وحتى تؤتي السنة ثمارها في هذا المجال، ولا تصبح عادةً وعملاً آلياً يقوم به المسلم دون وعي، فمن الواجب عليه أن يكون متيقظاً دائماً وهو يقوم بها، وألا يحاول أداؤها كعملٍ شكليٍّ لا روح فيه ولا فائدة منه، وإلا أصبحت السنة كالرموز والطقوس الدينية التي لا روح فيها، تطبق دون أن تسهم في رفع مستوى حياة المسلم، إذن فليرغم المسلم نفسه وكسله إذا أراد الاقتداء بالرسول ﷺ^٣.

وهذا ما كان عليه أصحابه ﷺ والتابعون من بعدهم، الذين جعلوا كلَّ دقيقةٍ من حياتهم موافقةً لما كان عليه الرسول ﷺ، فهم فعلوا ذلك مع فهمهم التام بأنهم أسلموا أنفسهم إلى إرادة هادية تجعل حياتهم مطابقةً لروح القرآن الكريم، فاستطاعوا أن يستفيدوا من التمرين على العمل بالسنة أعظم ما يمكن أن يستفيدوا منه، وهذا هو سرُّ الإعجاز في قدراتهم وفوزهم التاريخي المدهش^٤.

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ١٠٥.

^٢ المرجع السابق، ص ١٠٥-١٠٦.

^٣ المرجع السابق، ص ١٠٦-١٠٧.

^٤ المرجع السابق، نفسه.

٢. الأثر الاجتماعي التعاوني:

يقول محمد أسد: "أما الناحية الثانية فهي الأهمية الاجتماعية والنفع الاجتماعي"^١، فمن المؤكد أن المجتمع ضروري للإنسان، ولا بد له من وجود نظام على نحو ما يتضمن القوانين والشرائع التي يقف عندها الجميع حتى يستطيعوا العيش بأمان واستقرار، كما أن كل نظام اجتماعي لا بد أن يكون له مبادئ وأسس يرتكز عليها، فإذا صلح نظام المجتمع صلح الأفراد وعاشوا بسعادة، أما إذا فسد نظام المجتمع فمن الطبيعي أن يتبعه فساد الأفراد وشقاوة الحياة.

والواقع أن الإسلام كفانا مؤونه البحث عن النظام الصالح للمجتمع، فقد جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية كل ما يكفل سعادة المجتمع الإسلامي، وبناءه على مرتكزات أصلية ثابتة، من الإيمان بالله تعالى، وإقامة العدل بين الناس، وإزالة جميع الفوارق بينهم من جنس ولون ولغة وقبلية، يقول الله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣١﴾^٢، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ

أَخْوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾^٣، ويقول الرسول ﷺ: {المؤمن للمؤمن كالبنيان

يشدُّ بعضه بعضاً} ^٤، وقوله ﷺ: {ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم

كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى} ^٥.

وهكذا نجد أن السنة النبوية توحد مشاعر الأفراد وميولهم، وعواطفهم في المجتمع المسلم، وتقوي من الروابط بينهم حيث جعلت رابطة الأخوة في الله والرابطة الإيمانية هي أقوى الروابط التي تجمع بين أفراد المجتمع، فهي تدعو إلى التراحم بين المسلمين، والمحبة، والتماسك، وتنظيمهم كوحدة كلية في بعض أمورهم، مثل صلاة الجماعة، وهذا يكونون جميعاً في سلوكهم وأخلاقهم، وآمالهم، وتوجهاتهم، باتباعهم السنة كشخص واحد.

ولقد استطاع - رحمه الله - أن يستنبط هذه الفائدة العظيمة التي تعود على المجتمع المسلم من تطبيق سنة رسولنا الكريم محمد ﷺ حيث يحدثنا حول هذا المعنى بقوله: "إن السنة النبوية مع ما فيها من التشدد المزعوم تقوم نحو المجتمع بخدمة أعظم: إنها تجعله متماسكاً مستقراً في شكله وتحول دون تطور

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ١٠٧.

^٢ سورة الحجرات، آية: ١٣.

^٣ سورة الحجرات، آية: ١٠.

^٤ رواه البخاري، كتاب الآداب، باب تعاون المؤمنين مع بعضهم البعض، حديث رقم ٦٠٢٦.

^٥ رواه البخاري، كتاب الآداب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم ٦٠١١.

العداء والتزاع، ... وفيما يتعلق بالمسلمين أي أولئك الذين يعدون أنفسهم متقيدين بشريعة القرآن الكريم وبالتالي بأوامر الله والرسول ﷺ، فإن أحوال المجتمع عندهم يجب أن يكون لها مظهرٌ مستقرٌ لأنهم يرجعون بها إلى أساسٍ مطلقٍ، وما دام هذا الأساس لا يحوم حوله ريبٌ ما فليس ثمة من حاجةٍ ولا رغبةٍ في تبديل التنظيم الاجتماعي الذي نتج عنه".^١

ولا نرى في كلامه - رحمه الله - إلا حقاً، فلماذا يختلف المسلمون فيما بينهم، ويتنازعون، مع وجود مرجعية ثابتة ومصدرٍ واضحٍ، أرسى لهم قواعد العدالة الاجتماعية، وأزال الفوارق فيما بينهم، وأكد على القواسم المشتركة التي تجمعهم بل وزاد عليها انصهارهم في بوتقة الأمة الإسلامية الواحدة.

ومن ثم فإن محمد أسد - رحمه الله - يرى أن المنازعات الاجتماعية، والاختلافات بين الأفراد ترجع إلى سوء فهم بعضهم البعض، حيث تتعدّد مشارهم، وتختلف مبادئ تنشئتهم، وبالتالي كانت تلك الأمزجة سبباً في اختلاف الناس في عاداتهم وسلوكياتهم التي تبلورت مع السنين فأصبحت تشكل حاجزاً بين الأفراد في المجتمع الواحد يصعب إزالتها. وعلى العكس من ذلك إذ لو قام المجتمع على أسسٍ ثابتة، ومبادئ واضحة، تنشر المحبة والإخاء بين الناس، وتزيل الفوارق بينهم، وكان الأفراد على استعدادٍ للتفاهم كما في النظام الاجتماعي للإسلام، فإنه يحملهم على أن تكون عاداتهم وطباعهم متماثلةً، مهما اختلفت أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية.^٢

ويخلص محمد أسد في نهاية حديثه عن الأثر الاجتماعي للتمسك بسنة رسول الله ﷺ إلى أنه سببٌ في رقي المجتمع المسلم، ووصوله إلى أعلى درجات السعادة، والرفاهية، فيقول: "إذا تحرر المجتمع من الخلافات والاضطرابات على النحو السابق، وسار على قواعد من الشرع الإلهي، والافتداء بالرسول ﷺ، فإنه يستطيع أن يستغل جميع قواه في معالجة مسائل تسبغ عليه رفاهية حقيقية مادية، وعقلية، وتمهد الطريق أمام الفرد للسير في جهوده الروحية، وهذا ولا شيء سواه، وهو الغرض الديني للتنظيم الاجتماعي في الإسلام".^٣

٣. التمسك بالسنة النبوية وتطبيقها سببٌ في محبة رسول الله ﷺ واتخاذ القُدوة الصالحة لنا في

حياتنا:

يقول محمد أسد: "أما الناحية الثالثة من تمسكنا بالسنة النبوية وإلى التقيد في العمل بها، ... أن يكون كل شيءٍ في حياتنا اليومية مبنياً على الاقتداء بما فعله الرسول، وهكذا نكون دائماً إذا فعلنا أو تركنا

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ١٠٨.

^٢ المرجع السابق، ص ١٠٧-١٠٨.

^٣ المرجع السابق، ص ١٠٨-١٠٩.

ذلك، مجبرين على أن نفكر بأعمال الرسول وأقواله المماثلة لأعمالنا هذه، وعلى هذا تصبح شخصية أعظم رجل متغلغلة إلى حد بعيد في منهاج حياتنا اليومية، ويكون نفوذه الروحي قد أصبح العامل الحقيقي الذي يعتادنا طوال الحياة وذلك يقودنا عن وعي منا أو غير وعي إلى أن ندرس موقف النبي في كل أمر، فحينئذ نتعلم أن ننظر إليه، لا على أنه صاحب وحي أدبي فقط، بل على أنه الهادي إلى الحياة الكاملة^١.

ولا شك أن تتبع سنن الرسول ﷺ وأحواله وأيامه ومغازيه سبب في حبنا للرسول ﷺ والتأسي به، وسبب في سمو النفوس، وتقوى القلوب، وشحن الهمم والأرواح، والأجساد إلى الكمال الذي دعا إليه ﷺ، أما إذا أعرضنا عن سنة الرسول ﷺ فستنشأ غربة بيننا وبينه، تحملنا على الارتداء في أحضان ثقافات أخرى، ووسط أنظمة من وضع البشر أثبت الزمن بأن عقولهم وفلسفتهم ليست أهلاً لقيادة الناس، وإنما يقودهم خالقهم وبارئهم بالالتزام بما جاء به نبيه محمد ﷺ قولاً وعملاً من عنده عز وجل.

يقول محمد أسد: "... إن الإسلام ليس سبيلاً بين السبل، ولكنه السبيل، وإن الرجل الذي جاء بهذه التعاليم ليس هادياً من الهداة، ولكنه الهادي، فاتباعه في كل ما فعل وما أمر اتباعاً للإسلام عينه، وأما إطراح سنته فهو إطراح لحقيقة الإسلام"^٢.

ولعلنا بعد هذا الطرح الذي قدمه محمد أسد - رحمه الله - في فوائد التمسك بالسنة النبوية، ندرك عظيم رؤيته، وجمالها في تبسيطها لمعقولية التمسك بالسنة النبوية، وأهمية الاقتداء بالرسول ﷺ، ومدى صلة السنة بتقدم البشر، وخيرية المجتمع، فهي السبيل إلى معرفة كل شيء عن الإسلام نظرياً وعلمياً.

ولابد من الإشادة بحرص محمد أسد على الدعوة إلى التمسك بالسنة النبوية، وضرورة العمل بها، وموقفه في الذب عنها - بما وفقه الله تعالى إليه من علم ومعرفة - فلقد كان من المفكرين الذين أفنوا جزءاً من أعمارهم في خدمة السنة والتأليف فيها ونصرة الحق ومصادمة أهل الباطل والرد عليهم، وهذا عمل جليل، وثمره جميلة للمسلمين، بأن يدافع عن دينهم من ليس منهم أصلاً، ولكنه - رحمه الله - كان كغيره من العلماء ليس بمعصوم، يخطئ ويصيب، ونسأل الله له الأجر في إصابته، والرحمة والمغفرة في خطئه.

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ١٠٩.

^٢ المرجع السابق، ص ١١٠.

المطلب الرابع

جهوده في الرد على شبهات المستشرقين ومن تابعهم من أهل البدع والأهواء والمتكلمين

يحاول أعداء الإسلام من غلاة المستشرقين، ومن سار على ركبهم من أهل البدع والأهواء^١، كالعصرانيين^٢، والقرآنيين^٣، والمستغربين^٤ من المسلمين أن يشككوا في السنة النبوية الشريفة، ويشيروا الشبهات حولها، ولكن هذه الشبهات شبهات هزيلة لا تستطيع الصمود أمام البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة الدالة على حجية السنة النبوية، ومكانتها من التشريع الإسلامي.

ولقد اجتهد محمد أسد - رحمه الله - بما فتح الله عليه من علم أن يدحض شبهاتهم، ويرد عليهم، وينتصر لسنة رسولنا الكريم ﷺ، وفيما يلي سألتزم بجمع الشبهات التي ذكرها محمد أسد على لسان الخصوم من المستشرقين ومن تابعهم، ثم أذكر جوابه عليها، محاولة إظهار جهوده، وآرائه في الرد على المستشرقين، والمبتدعين، والمتكلمين الذين ضلوا وأضلوا بأهوائهم على غير هدى ولا علم، ولا كتاب منير قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾.

الشبهة الأولى: شبهة الاكتفاء بالقرآن الكريم، وإنكار السنة النبوية:

يقول محمد أسد - رحمه الله - على لسان الخصوم: "يتردد على مسامعنا اليوم كثيرٌ لنرجع إلى القرآن الكريم ولكن يجب أن لا نجعل من أنفسنا أتباعاً مستعبدين للسنة"^٥.

^١ أهل البدع والأهواء: هم أعداء السنة من تلك الفرق التي أحرع عنها المعصوم ﷺ، وتقاتل في بدعتها من الخوارج، والشيعة، والمعتزلة الذين لقبوا بالسنة المطهرة من أهوائهم وعنتهم عناء كبيراً، وكان لأرائهم الجائحة في الصحابة أجمعين أثراً كبيراً في اختلاف الآراء، والأحكام في الفقه الإسلامي. ينظر: السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها والرد عليها، مرجع سابق، ج ١، ص ٧١.

^٢ العصرانيون: هم أصحاب تيار فكري جديد، يرفعون شعار التحديد، ومنهم من يحاول إثارة الارتباك في أفكار الإسلاميين، ومنهم من كان هدفه هدم الإسلام متأثراً بالعلمانية، أو الشيوعية، ومنهم ركب الموجه لمصلحة سياسية، والبعض صاحب نية حسنة في محاولة الاجتهاد، إلا أنه بقي مشدوداً إلى تصورات المناهج الغربية. ينظر: العصرانيون بين مزاعم التحديد وميدان التغريب، محمد حامد الناصر، ط ٢، الرياض: مكتبة الكوثر، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ١٧٥-١٧٦.

^٣ القرآنيون: أي العاملون بالقرآن - في زعمهم - المكتفون به، المستغنون عن السنة، بناء على زعمهم، ولكن التفسير المطابق لواقعهم أهم المخالفون للقرآن اتباعاً للهوى، وتقليداً لبعض الزنادقة.

ينظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتثريب، محمد أمان الجامي، ط ١، المدينة المنورة: المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية، ١٤٠٨هـ، ص ٤٧.

^٤ المستغربون: هم الذين تأثروا بمحولات التغريب الغربية؛ بحيث ابتعدوا عن إسلامهم وأمتهم، وصاروا دعاة لقبول الحضارة الغربية، ونشرها بين المسلمين. ينظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، د. جمال نصار، ط ٢، الدمام: مكتبة المتني، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص ١٣٥.

^٥ سورة الأنعام، آية: ١١٩.

^٦ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٩١.

وأصحاب هذا القول هم فئة ضالة اتخذت أهل القرآن اسماً لها، وحلت نفسها بحليته وهي عاطلة عنه، مستدلين بالآيات القرآنية التي تبين أن القرآن الكريم تام، وحوى كل شيء، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾^١، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ ۗ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾^٢، ذاهبون إلى أن القرآن لا يحتاج بعد هذا البيان إلى شيء آخر، لو احتاج إلى شيء آخر لكن القرآن غير صادق فيما قال، وهذا أمرٌ مستحيلٌ على الله تعالى، ومستحيلٌ على كلامه^٣.

والحمد لله بأن الله تعالى هياً لنا من أهل العلم الذين صنّفوا الكتب، والرسائل، واجتهدوا، وأصدروا الفتاوى في إبطال زعمهم، والتحذير منهم.
جواب محمد أسد، وردّه عليهم^٤:

أ. إن هذا القول يكشف بكل بساطة عن جهلٍ بالإسلام.

ب. إن الذين يقولون هذا القول يشبهون رجلاً يريد أن يدخل قصرًا لكنّه لا يريد أن يستعمل المفتاح الأصلي الذي يستطيع به وحده أن يفتح الباب.

ج. يؤكد - رحمه الله - أن الطعن في السنة النبوية هدمٌ للإسلام في عقائده، وعباداته، ونظمه، ومبادئه، وهدمٌ لوحدة المسلمين، وسبب تخلفهم عن ركب الحضارة، فيقول: "... إن العمل بسنة رسول الله هو عملٌ على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وإن ترك السنة هو انحلال الإسلام، لقد كانت السنة هيكل بناءٍ ما، أفيد هَشُكٌ أن يتقوص ذلك البناء كأنه بيتٌ من ورقٍ؟"^٥.

^١ سورة الأنعام، آية: ٣٨.

^٢ سورة النحل، آية: ٨٩.

^٣ السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، مرجع سابق، ص ١٩١-١٩٢.

^٤ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٩١.

^٥ المرجع السابق، ص ٨٧.

د. إن الأمر بتطبيق السنة النبوية والعمل بها، وطاعة الرسول ﷺ ورد في القرآن الكريم، والقرآن الكريم من أهم سماته أنه كتاب صالح لكل زمان ومكان، فإذا كانت السنة النبوية لا تتماشى عملياً مع زمننا، فإن الاستنتاج المنطقي الوحيد لمثل هذا القول هو أن تعاليم القرآن الكريم ليس لها أهمية وغير فعالة في حد ذاتها¹.

هـ. ويزيد على ذلك وصفه للسنة النبوية بأنها هي العلاج لجسم الأمة المريض، والغذاء الوحيد للإسلام الذي تستطيع كل أجهزته امتصاصه، ويعتب على الأطباء الذين حاولوا اقتراح الحلول لإصلاح الأمة في العقود الأخيرة، ونسوا إضافة هذا العلاج مع الأدوية المفيدة، ومن أنواع الغذاء الطبيعي الذي تقوم عليه نقاهة المريض الأولى².

ويبدو أن محمد أسد أدرك هذه الشبهة، واستوعبها، وعلم أسبابها، فاستطاع أن يردّ عليها مستنداً إلى معرفته الثقافية بالإسلام، حيث وضح أن القرآن الكريم أمر باتباع الرسول ﷺ، وأوجب تطبيق سننه التي نظمت للناس أمور دينهم ودنياهم، فكان من بيان القرآن وعدم تفریطه هو الأمر باتباع سنة رسول الله ﷺ، وعدم الاعتراف بهذا الأمر فيه طعن بآيات القرآن الكريم الذي هو كلام الله.

كما استخدم - رحمه الله - تعبيرات وتشبيهات وإن كانت ممزوجةً بالعاطفة الدينية، إلا أنها كانت قوية ومؤثرة، كقوله: إن السنة المفتاح الأصلي لمن أراد أن يدخل قصرًا، ولا مفتاح غيرها، وكقوله: إن السنة هي العلاج، والغذاء الطبيعي الوحيد لما أصاب الأمة من أمراض ثقافية، واجتماعية، إضافةً إلى ذلك أنه وصف أصحاب هذه الشبهة بالجهلة.

كما أظهر جوابه تأكيداً على عدم المنافاة بين حجية السنة النبوية وبين حجية القرآن الكريم من الآيات التي توضح بأنه تبياناً لكل شيء.

الشبهة الثانية: شبهة إنكار الحديث النبوي، وردّه وعدم ضرورة العمل به:

تتفرع هذه الشبهة عن سابقتها، حيث يدعو أصحابها إلى عدم الاحتجاج بالسنة النبوية وردّها، بل وإنكارها إذا ما تعارضت نصوصها مع أهوائهم ومبادئهم، وعقولهم.

كما يتبنون إشاعة القول بأن النظام الإسلامي قديم، وجامد، ولا يمكن تطبيقه في العصر الحديث، فلابد من الاستعاضة عنه بالنظم الغربية الدخيلة.

1. SAHEH AL-BUKHARI, , Op.cit. P. V-VI

² الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٨٧.

وهؤلاء - للأسف - محسوبون على أفراد المجتمع الإسلامي فهم من أبناء جلدتنا، إلا أنهم أشدُّ خطراً على الإسلام من غيرهم، وقد وصفهم محمد أسد - رحمه الله - بقوله: (المتنورين)^١، و(العصرانيين)، وأورد العديد من الشبهات الواهية التي طالما جاءت على ألسنتهم، وسخروا لها أقلامهم؛ للنيل من الإسلام، مستترين وراء شعارات براقية ولامعة كادعاء المحافظة على الحقوق، والدعوة إلى التطور لمسايرة الأحداث العصرية، وتقارب الأديان، والإصلاح، فيقول - رحمه الله - على ألسنتهم: "إنَّ التشدد في اتباع السنة كان سبباً من الأسباب الأساسية التي قادت إلى انحلال العالم الإسلامي"^٢.

ومن أقوالهم أيضاً: "إنَّه من المستحيل أن نعيش على سنة النبي وأن نتبع الطريقة الغربية في آنٍ واحدٍ، فالسنة النبوية تعارض الآراء الأساسية التي تقوم عليها المدنية الغربية معارضةً صريحةً"^٣.

ومنها أيضاً: "لماذا ننظر إلى العمل بالسنة على أنه أمرٌ لا بدَّ منه إذا أردنا أن نحيا حياةً تتفق في معناها مع الإسلام، أليس ثمة سبيلٌ آخر إلى حقيقة الإسلام سوى ذلك النظام المتسع من الأعمال والعادات والأوامر والنواهي مما نجد بعضها تافهاً، أليس الإجماع على تقليد حياة الرسول ﷺ بجميع تفصيلاتها فيه اعتداءً على حرية النشاط الإنساني والتطور الطبيعي للمجتمع"^٤.

وكذلك قولهم: "هناك كثيرون من المسلمين العصريين الذين يعلنون على أنهم على استعداد للعمل بالسنة، ولكن يظنون أنهم لا يستطيعون الاعتماد على مجموع الحديث الذي تقوم عليه السنة، ولقد أصبح من قبيل الزيِّ في أيامنا هذه أن ينكر المرء مبدئياً صحة الحديث، ثم هو من أجل ذلك ينكر نظام السنة كلاً"^٥.

جواب محمد أسد عليهم:

يتمثل جوابه، وردُّه عليهم في:

أ. إنَّ الإسلام دينٌ متكاملٌ يحمل الإنسان على الإيمان بجميع نواحي الحياة، فلا يجوز أن يضاف إليه شيءٌ، ولا أن يُنقص منه شيءٌ، فإذا قبلنا تعاليمه كما بسطها القرآن الكريم، أو كما أوردتها الرسول ﷺ فيجب علينا أن نقبلها تامةً، وإلا خسرت قيمتها^٦.

^١ المتنورون: يقصد بهم كما ذكر بأنهم الذين نشأوا على أسس غربية، واصطبغوا بالصبغة الغربية. ينظر: الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٦٨.

^٢ المرجع السابق، ص ٩٩.

^٣ المرجع السابق، ص ٩٧.

^٤ المرجع السابق، ص ٩٩.

^٥ المرجع السابق، ص ٩١.

^٦ المرجع السابق، ص ١٠٠.

ب. إنَّ العقل لا بدُّ أن يعرف حدوده، وطاقاته، ويجب أن لا يقفز إلى ميدان التفكير السليبي؛ فيتخطى المعقول في ادعائه حصر العالم بجميع خفائيه في نطاقه الفردي الضيق، فلا يكاد يسلم بأنَّ هناك أموراً دينيةً من الممكن أن لا يطبقها الفهم الإنسانيُّ في زمنٍ ما، مع أنَّها في الوقت نفسه تخالف المنطق، فالعقل لا يستطيع بتركيبه أن يحيط بفكرة (الكلية)، فنحن في قضايا الدين المبنية على أسسٍ مطلقةٍ بحاجةٍ ضروريةٍ إلى هادٍ، ومرشدٍ، وإلى من أشرق عليه نورُ الله^١.

ج. إذا كنَّا نعتقد أنَّ القرآن الكريم كلام الله، وأنَّ محمداً رسول الله، فإننا ملزمون أديباً وعقلياً بأن نتبع هدي الرسول ﷺ فنحن المسلمين نعتقد أنَّ نبيِّنا أحسن قائد عرفه البشر، ونعتقد أنَّه كان يعرف أمر الدين بناحيته الروحية والاجتماعية أكثر مما استطعنا أن نعرف نحن، ثم إننا نستطيع أن نفهم أبعاد الأهداف في أوامر الرسول ﷺ، وأحياناً لا نفهم إلاَّ القصد السطحي منها، ومهما يكن فالواجب علينا أن نعمل بأوامر الرسول ﷺ، ولا يحقُّ لنا أبداً أن نظرح شيئاً منها بزعم أنَّها تبدو غير جوهرية، فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴾^٢، من أجل ذلك علينا أن نعمل بسنة نبيِّنا قلباً وقالباً إذا أردنا أن نخلص وجهنا للإسلام^٣.

د. إنَّ هؤلاء الخصوم لا يمكن أن يدعموا قولهم هذا بنتائج من البحث العلمي، ولا يمكن أن يأتوا بأدلة مقنعة فعلاً تثبت عدم الثقة بالأحاديث المنسوبة إلى الرسول ﷺ فليس هناك أساسٌ علميٌّ على هذا الاتجاه، وليس هناك مررٌ علميٌّ لرفض الحديث على أنَّه مصدرٌ يستند إليه الشرع الإسلامي، كما أنَّ قضية رفض الأحاديث الصحيحة جملةً واحدةً، أو أقساماً ما هي إلاَّ قضية ذوقٍ عاطفية، عجزت أن تجعل من نفسها بحثاً خالصاً من الأهواء.

هـ. إنَّ علماء الحديث ساروا على منهجٍ في غاية الدقة، والاحتياط للتثبت من صحة الرواية، ولاسيما البخاري ومسلم، فقد بذلوا كلَّ ما في طاقة البشر لعرض الأحاديث الصحيحة على قواعد

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ١٠٠-١٠٢.

^٢ سورة النجم، آية: ٣.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ١٠٢-١٠٣.

في غاية الدقة، أشدَّ كثيراً من تلك الطرق والأساليب التي يلجأ إليها المؤرخون الأوروبيون عند النظر في مصدر التاريخ القديم^١.

و. يكفينا أن نحتج بظهور علم الجرح والتعديل؛ نتيجة الأسلوب الدقيق الذي كان المحدثون يستعملونه للثبوت من صحة الرواية، وإنه لعلم تأمُّ الفروع غايته الوحيدة البحث في أحاديث الرسول ﷺ شكلها، وطريقها، ورواتها، ولقد استطاع هذا العلم أن يوجد سلسلة متماسكة لتراجم مفصلة لجميع الذين ذكروا على أنهم رواة أو محدثون، علماً بأن تلك التراجم خضعت لبحثٍ دقيقٍ من كلِّ ناحية، فمن أراد أن يعترض على صحة حديث بعينه، أو على الحديث جملةً واحدةً فإنَّ عليه أن يثبت ذلك، فإذا لم يكن لديه حجة معقولة وعلمية على الشك في المصدر نفسه، أو أحد رواته، أو لم يكن ثمة رواية أخرى تناقضه كان حتماً عليه حينئذٍ أن يقبل الحديث على أنه صحيح^٢.

ز. إن هؤلاء المتنورين والعصرانيين الذين ينكرون العمل بالحديث النبوي، إنما فعلوا ذلك حتى يتمكنوا من تأويل تعاليم القرآن الكريم بسهولة، وكما يشاؤون، وعلى أوجه من التفكير السطحي، وبحسب ميول كلِّ واحدٍ منهم لكي تظهر تعاليم القرآن موافقةً لروح المدينة الغربية، لاسيما في هذه الأيام التي زاد فيها نفوذ المدينة الغربية في البلاد الإسلامية، وأصبح الجيل المسلم الحاضر مستعداً لأن يكبر على شيءٍ غربي، وأن يتعبد لكلِّ مدينةٍ أجنبية؛ لأنها أجنبية وبراقة من الناحية المادية، هذا التفرنج كان من أقوى الأسباب التي جعلت نظام السنة لا يجد قبولاً في أيامنا هذه، وبالتالي يصبح تحريف تعاليم القرآن أكثر سهولةً لكي يظهر موافقاً للأنظمة الغربية^٣.

لقد تمكن محمد أسد - رحمه الله - من الكشف بروحٍ علميةٍ منصفةٍ عن تلك الأكاذيب والافتراءات، ودحضها وتفنيدها، حيث وضع أن طاعة الرسول ﷺ واتباعه، والعمل بسنته أمرٌ واجبٌ شرعاً وعقلاً، كما أشار إلى جهود العلماء والمحدثين - رحمهم الله - وعنايتهم بالسنة النبوية على أثر ظهور الفتنة في المسلمين، مما أدى إلى تأسيس علوم الحديث المختلفة، والتي من أهمها علم الجرح

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٩٢.

^٢ المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

^٣ المرجع السابق، ص ٩٧-٩٨.

والتعديل، فانتهى - رحمه الله - إلى أن تلك الشبهات ما هي إلا معركة بين الحق والباطل، وبين العلم والجهل، فلا منهج علمي لهم في إثبات مزاعمهم، وبالتالي لا حق فيما يقولون، وما أقاويلهم إلا مجرد كذب وافتراء، ستكون نهايتها إلى الزوال، قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾^١.

الشبهة الثالثة: شبهة وجود الأحاديث الموضوعة التي تطعن في السنة النبوية وتضعف العمل بها:

زعم أعداء السنة المطهرة من غلاة الشيعة، والمستشرقين، وأذيالهم من دعاة اللادينية أن من آثار تأخر تدوين الحديث إلى ما بعد المائة الأولى من الهجرة أن اتسعت أبواب الرواية، وفاضت أثمار الوضع بغير ضابط ولا قيد منذ فتنة عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى بلغ ما روي من الأحاديث الموضوعة عشرات الألوف، ولا يزال كثير منها منبثاً بين تضاعيف الكتب المنتشرة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، مما يزعزع الثقة بصحة الأحاديث الضعيفة، ويجعل المرء لا يطمئن إلى السنة النبوية من حيث وردها^٢.

ولقد أطلق عليهم محمد أسد لقب (نقذة الحديث المزيفون)^٣، كما سُمّاهم بـ(النقاد غير الموالين للإسلام)^٤، وفي موضع آخر أطلق عليهم لقب (النقاد الأوربيون)^٥.

ولعله يتضح من تلك الألقاب والإطلاقات أنه يقصد المستغربين، والعصرانيين، والمستشرقين، وغيرهم من أعداء السنة النبوية.

وخلاصة شبهتهم: أنهم طعنوا في حجية السنة المطهرة، كما طعنوا في عدالة الرواة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وزعموا أن السبب هو: وجود الأحاديث المكذوبة والموضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن بعض الرواة كانوا يصنعون الأحاديث لتكون موافقة لرغباتهم السياسية، ولأهواء حكامهم، ووجود مثل هذه الأحاديث دليل على ضعف نظام الحديث في مجموعه^٦.

^١ سورة الأنبياء، آية ١٨.

^٢ السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، مرجع سابق، ص ٣٩٥.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٩٧.

^٤ المرجع السابق، ص ٩٩.

^٥ المرجع السابق، ص ٩٦.

^٦ المرجع السابق، ص ٩٤.

جوابُ محمد أسد عليهم:

أ. بالنسبة للصحابة يمكن صرف التهمة عنهم ابتداءً، فالأثر العظيم الذي تركته شخصية الرسول ﷺ في أولئك الرجال إنما هي حقيقة من أبرز حقائق التاريخ الإنساني، ثم هي ثابتة بالوثائق التاريخية، فكيف يمرُّ في خيالنا أن أولئك الرجال الذين كانوا على استعداد لأن يضحوا بأنفسهم يكذبون وقد تواتر فيهم قول الرسول ﷺ: {من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار}، لقد عرف الصحابة ذلك جيداً، واعتقدوا ضمناً بكلام الرسول ﷺ، وكانوا ينظرون إليه على أنه ينطق عن الله، أفمن المحتمل أن يغفلوا عن هذا النهي الصريح؟^١

ب. إن الأحاديث الموضوعية (المكذوبة) لم تخف قط عن المحدثين كما يزعم بعض النقاد الأوروبيين عن سداجة، ولم يخل زمن ما من دراسة الحديث ونقده، بل على العكس من ذلك تماماً، فعلم الحديث بدأ لما مست الضرورة إلى تمييز الحديث الصحيح من الحديث الموضوع، وإن صححي البخاري ومسلم ليسا سوى نتيجة مباشرة لهذا التمييز.^٢

لقد استطاع - رحمه الله - أن يصرف همّة الكذب عن الصحابة ﷺ، وجعل حقائق التاريخ خير شاهد على ذلك، فالأحداث والوقائع كلها تثبت مدى حب الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ ومناصرتهم له وللدعوة الإسلامية، وبذلهم في سبيل ذلك أرواحهم وأموالهم، فلا يتصور بعد ذلك أنهم يُتهمون بالكذب على رسول الله ﷺ.

يقول د. مصطفى السباعي: "ليس من السهل علينا أن نتصور صحابة رسول الله ﷺ الذين فدوا الرسول بأرواحهم وأموالهم وهجروا في سبيل الله أوطانهم وأقرباءهم، وامتزج حبُّ الله وخوفه بدمائهم ولحومهم: أن نتصور هؤلاء الأصحاب يقدمون على الكذب على رسول الله ﷺ مهما كانت الدواعي إلى ذلك، بعد أن استفاض عندهم قول حبيهم ومنقدهم ﷺ: {من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار}، ولقد دلّنا تاريخ الصحابة في حياة الرسول وبعده أنهم كانوا على خشية من الله وتقى يمنعه من الافتراء على الله ورسوله".^٣

^١ رواه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث رقم ١٠٧.

^٢ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٩٤.

^٣ المرجع السابق، ص ٩٦.

^٤ سبق تخريجه

^٥ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص ٧٦.

كما استطاع - رحمه الله - أن يدفع الشبهة عن أئمة المسلمين الثقات والمحدثين، وأشار إلى جهودهم في تمييز الحديث الصحيح من السقيم، فبين أن تلك الشبهة ما هي إلا مجرد أقاويل من غير علمٍ وكذبٍ وافتراءٍ ممن امتلأت قلوبهم حقداً على الإسلام ورسوله المختار المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم.

الشبهة الرابعة: شبهة أن حملة الحديث النبوي من الصحابة وقعوا في الخطأ والنسيان غير المتعمد في نقل الحديث:

يقول محمد أسد على لسان الخصوم: "قد يقال أن الصحابي الذي سمع الحديث من شفيع الرسول أو أحد الرواة المتأخرين قد أخطأ - مع أنه في اعتقاد نفسه صادقاً - خطأً حملاً سوء فهمٍ أو نسيانٍ أو سببٍ آخر من الأسباب النفسانية".^١

وقبل إدراج جواب محمد أسد على فساد هذه الشبهة وبطلانها، نوجز القول في عناية الصحابة ﷺ بالأحاديث والسنن.

فقد عني الصحابة ﷺ بالأحاديث عنايةً فائقةً وفهموها، وعرفوا معانيها، ومراميتها بسليقتهم وفطرتهم العربية، وبما كانوا يسمعون من أقوال النبي ﷺ، وما كانوا يشاهدونه من أفعاله وأحواله، وما كانوا يعلمونه من الظروف والملابسات التي قيلت فيها هذه الأحاديث، وما كان يشكل عليهم منها، ولا يدركون المراد منه يسألون عنه الرسول ﷺ، ولقد بلغ من حرصهم على سماع الوحي والسنن أنهم كانوا يتناوبون في هذا السماع، وبذلك جمعوا بين خيري الدنيا والآخرة، فإذا علمنا كل هذا أدركنا مبلغ حرص الصحابة ﷺ على استماع الأحاديث والسنن وأن ذلك أمرٌ يكاد يكون من المسلمات البديهية.^٢

فبعد هذا كيف يقول قائلٌ أو يزعم بالخطأ في نقل الصحابة ﷺ للسنة لعدم فهمهم أو لنسيانهم؟! وهم الذين حفظوا القرآن الكريم، والأحاديث وفقهوها وبلغوها كما أنزلها الله تعالى!؟

وأما جوابُ محمد أسد على هذه الشبهة فهو كالتالي:

أ. إن الإيقان الداخلي يشهد على بطلان إمكان وقوع مثل هذا القول، وعلى الأقل من الصحابة؛ ذلك لأن الذين عاشوا في صحبة الرسول ﷺ رأوا جميعهم في أقواله وأعماله أعظم الأهمية، لأنهم كانوا على اعتقادٍ جازمٍ بأن ذلك أمرٌ من الله تعالى لتنظيم حياتهم حتى في أدق تفاصيلها،

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٩٥.

^٢ دفاع عن السنة ورد شبهة المستشرقين والكتاب المعاصرين ويليه الرد على من ينكر حجة السنة، مرجع سابق، ص ١٨-١٩.

كل ذلك اهتداءً بالرسول واقتداءً به، من أجل ذلك لم يستطيعوا أن يتناولوا الأحاديث بلا اكتراث، بل جربوا أن يتعلموها وأن يحفظوها عن ظهر قلب، ومما يروى أن الصحابة الذين كانوا يلازمون الرسول ﷺ انقسموا رجلين فكان أحد الرجلين يلازم الرسول مرةً بينما يسعى الآخر وراء رزقه أو يقوم على أمره، ثم يلازم الرجل الآخر الرسول ليتمكن الأول من السعي وراء رزقه، ولقد كانوا جميعهم شديدي الحرص على ألا يفوتهم شيء من أقواله وأفعاله^١.

ب. إذا كان مئات من الصحابة ﷺ استطاعوا أن يحفظوا القرآن الكريم غيباً بلفظه وبما فيه من فرق في الرسم (التهجئة) فلا ريب أنه كان ممكناً لهم وللتابعين من بعدهم أن يحفظوا أقوال الرسول ﷺ متفرقةً كما حفظوا القرآن سواءً بسواء، ومن غير أن يزيدوا على الأحاديث أو ينقصوا فيها شيئاً^٢.

لقد أثبت - رحمه الله - ضلال هذا القول وخطأه الفاحش، فلا ريب أن الصحابة ﷺ زكاهم الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ^٣ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ^٤ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ^٥ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ^٦ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ^٧ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزِعٍ أُخْرِجَ شَطْعُهُ فَفَازَرَهُ فَأَسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى ^٨ عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ^٩ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ^{١٠} ﴾ ^١، وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ ^{١١} الْأُولُونَ ^{١٢} مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ^{١٣} وَالْأَنْصَارِ ^{١٤} وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ^{١٥} رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ^{١٦} ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ^{١٧} ﴾ ^٢، وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ^{١٨} وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ وَلِيِّهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ^{١٩} ﴾

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٩٥-٩٦.

^٢ المرجع السابق، ص ٩٦.

^٣ سورة الفتح، آية: ٢٩.

^٤ سورة التوبة، آية: ١٠٠.

وَأَنْتُمْ تَنْصَرُونَ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ١، كما شهد لهم الرسول ﷺ بالفضل جملة وتفصيلاً، فقد قال: { لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه } ٢.

وهذا ما كان عليه السلف الصالح ، وأهل السنة والجماعة من الثقة في عدالتهم وتوثيقهم، إلا من أثبت عليه أهل العلم غير ذلك.

ومحمد أسد أشاد بتمسك الصحابة ﷺ بالسنن ومتابعتهم لأحوال الرسول ﷺ ، كما أشار إلى ملكة الحفظ التي أنعم الله بها عليهم، فالذين حفظوا القرآن الكريم على اختلاف أحرفه، ونقلوه إلينا متواتراً ألا يستطيعون حفظ حديث رسول الله ونقله؟! ١.

وبعد إمعان النظر في إجابات محمد أسد على تلك الشبهات، وما قدمه - رحمه الله - من جهود في كشف كذب الأعداء وفضح نواياهم، أيقنا أن موقفه كان موقف الداعية الصادق المجاهد، ولمسنا الغيرة الصادقة على السنة النبوية من وراء كتاباته، وتبصرنا مدى حبه للرسول ﷺ ، وعلمه علم اليقين بأن السنة النبوية هي ما يميز به الخبيث من الطيب، فاستطاع على قدر ما أنعم الله عليه من علم أن يفند آراء المخالفين، ويعرض لمواقف المستشرقين، والمستغربين، ويظهر جهلهم، وتزويرهم، ومبتغاهم في إشاعة الفتن وهدم الدين.

وإن إدراك ذلك كله يجعل لكتاب (الإسلام على مفترق الطرق) مكانة في خدمة الرسالة والأهداف التي كان يصبو إليها مؤلفه، وأن يحظى بالكثير من اهتمام المختصين والباحثين والمفكرين، وليس أدل على ذلك من كثرة الاقتباسات منه التي وجدناها في شتى الكتب والمراجع المتنوعة.

١ سورة الأنفال، آية: ٧٢-٧٥.

٢ رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، حديث رقم ٣٦٧٣.

وختاماً: نستنتجُ من كتابات محمد أسد عن مكانة السنة النبوية، وضرورة تطبيقها وجهوده في الذبِّ عنها، ودحض ما أُلقِيَ بها من شبهاتٍ ما يلي:

أ. مدى إيمان محمد أسد - رحمه الله - بالسنة النبوية، وأنها مصدرٌ تشريعيٌّ لا كمال للدين إلّا بها، وهو ما أرشد إليه القرآن الكريم في صريح آياته بوجوب طاعة الرسول ﷺ.

ب. بيانه لمكانة السنة النبوية وعلاقتها بالقرآن الكريم في توضيح المبهم، وتفصيل الجمل، فهي والقرآن متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر.

ج. نوايا أولئك العصرانيين، والمستغربين من إنكارهم للسنة النبوية بغرض تأويل آيات القرآن الكريم بطريقةٍ وصورةٍ تقترب فيها أحكامه مع الأنظمة الغربية اللادينية.

د. أشار إلى منزلة الصحابة ﷺ ومكانتهم في الإسلام.

هـ. توضيح مدى اهتمام الصحابة ﷺ بالسنة النبوية وحفظها، ونقلها عن النبي ﷺ.

و. الإشادة بمجهود جهابذة الأمة من العلماء والمحدثين - رحمهم الله - كالبخاريّ ومسلم في الحفاظ على السنة وجمعها وتدوينها وتمييز الخبيث من الطيب.

ز. استطاع - رحمه الله - ببحثه وكلماته أن يرفع ثقة المسلم بدينه، وثقافته، ويقوي عزيمته بالتمسك بسنة رسول الله ﷺ، والتمسك بشخصية الرسول كقدوةٍ أولى له في حياته.

ح. من مقولاته: "ليست السنة النبوية إلّا تعاليم الإسلام نفسها قد وضعت موضع العمل بما فباتخاذنا إيّاهما الكلمة الفصل في الاختيار وتطبيقها على كلِّ ما تتطلبه حياتنا اليومية تستطيع أن تعرف البواعث التي ترد علينا من المدينة الغربية، وما يجب أن نتقبله منها أو أن نرفضه".¹ مما يدلُّ على إيمانه الكامل بأنَّ السنة النبوية هي العلاج الوحيد لما نعانیه من اضطراباتٍ ثقافيةٍ واجتماعيةٍ، وسياسيةٍ، واقتصاديةٍ.

¹ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ١١٦.

المبحث الثالث

جهوده وآراؤه حول الحضارة الغربية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الحضارة

المطلب الثاني: الحضارة عند محمد أسد

المطلب الثالث: موقف محمد أسد من الحضارة

الغربية

المطلب الأول مفهوم الحضارة

لقد تعددت النقاشات والرؤى حول مفهوم الحضارة، فالحضارة لها من المدلولات ما جعل الباحثين والمختصين يختلفون حولها كثيراً، ويصطلحون لها عشرات التعريفات والمعاني، لذا نجد أنه من الصعب إمكان أن نصل إلى تعريف قطعي وثابت للحضارة.

وعليه فسنقوم بتسليط الضوء على تعريف الحضارة، وآراء المفكرين حولها، لنصل إلى اجتهادات محمد أسد وآرائه حول الحضارة، ولاسيما الحضارة الغربية، والأسس التي استندت عليها، وموقفه منها.

أولاً - تعريف الحضارة لغةً:

أجمعت معاجم اللغة العربية، وقواميسها على أن الحضارة لغةً هي: الإقامة في الحضر، والحَضْرُ والحَضْرَةُ والحاضِرَةُ: خلاف البادية، وضدَّ البداوة، وهي المدن والقرى والريف، وأما مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني، وجملة من مظاهر الرقي العلمي، والفني والأدبي والاجتماعي، في الحضر، والتي تنتقل من جيل إلى جيل آخر في مجتمعات متشابهة^١.

ثانياً - تعريف الحضارة اصطلاحاً:

الحضارة اصطلاحاً: تعددت المفاهيم والمعاني حول المقصود من الحضارة اصطلاحاً؛ وذلك بسبب تركيز كل طائفة على جانب من جوانب الحضارة، بناءً على تصورهم لماهية الحضارة الذي ينسجم مع تكوينهم الثقافي، والنفسي، وميولهم، وما يترأى لهم.

فذهبت طائفة إلى حصر الحضارة في الجانب المادي المترف، وإغفال الجانب الأخلاقي القيمي من معنى التحضر والرقي رغم أهميته.

كابن خلدون^٢ الذي يرى بأن الحضارة هي: "تفنن في الترف وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والفرش والأبنية وسائر عوائد المترل وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في

^١ ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، ص ٩٠٦-٩٠٧.

-المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج ١ ص ١٨١.

-المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص ٧٣.

^٢ ابن خلدون (١٣٣٢م / ١٣٨٢م): هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، مؤرخ عربي، تونسي المولد، أندلسي الأصل، ومغربي الثقافة، حيث تتلمذ في جامع القرويين، ونحل من معارف الأبي وابن مرزوق، يعتبر مؤسس علم الاجتماع الحديث، ترك لنا تراثاً مازال تأثيره ممتد إلى اليوم، توفي في مصر عام ١٤٠٦هـ، ودفن قرب بابالنصر شمال القاهرة.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، المجلد ١٠، ص ١٣٥.

استجاداته والتأنق فيه تختصُّ به ويتلو بعضها بعضاً، وتكثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ، والتنعم بأحوال الترف وما تتكون به من العوائد^١.

وهذا التصور ينسجم مع تصور جملة من الباحثين، والمفكرين الذين غلبوا الجانب المادي في تعريفهم للحضارة، كما ينسجم مع التعريف اللغوي للحضارة حيث أن كلا التعريفين اهتمَّ بمظاهر النشاط الإنساني، وما يحتويه من تقدم ودعة لتسهيل سبل الحياة.

أما الطائفة الثانية فقد ركزت على الجانب الأخلاقي والمعنوي في تعريفها للحضارة، فمثلاً يرى د. السايح أن الحضارة هي: "جملة المظاهر المعنوية التي يخلفها التاريخ والتي تبقى في المجتمع على مرّ الأيام دليلاً على القدرات الذهنية المميزة، وتعبيراً عن روح هذا المجتمع والشعب الذي يمثله، ولاشك أن المظاهر المعنوية في صورٍ مختلفة كالنون والآداب والعلوم والمعارف ومجموع ما ينتج عن ذلك كله من تسجيلات ومشاهد في الآثار والعمائر وأسلوب الحياة وآداب المعاش اليومي وتقاليد المجتمع في التقارب والتفاهم والتعايش"^٢.

وواضح من تعريفه أنه انحاز للجانب المعنوي والأخلاقي في الحضارة، واعتبره مؤشراً على تقدم الأفراد والجمهير، يتبعه التقدم المادي في كل جوانبه، وهو تصور سار عليه عددٌ من المفكرين والعلماء رغم ما فيه من القصور.

أما الطائفة الثالثة، فقد ركزت في مذهبها على الجانبين الأخلاقي والمادي، وورد عنها على سبيل المثال: بأن الحضارة هي: "مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين، أن يقدم لكل فرد من أفراده، في كل طورٍ من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطواره"^٣.

وعرفها الأستاذ محمد قطب بأنها: "الجانب المعنوي الذي يحمل القيم، والجانب المادي والتنظيمي على حدّ سواء"^٤.

وعُرفت بأنها: "كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه عقلاً وخلقاً، ومادةً وروحاً، ودينياً ودنياً"^٥.

^١ مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن محمد بن خلدون، ط٤، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م، ص ١٧٢.

^٢ أضواء على الحضارة الإسلامية، د. أحمد عبد الرحيم السايح، ط١، القاهرة: مركز الكتاب للنشر، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ١٤.

^٣ مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، مرجع سابق، نقلا عن آفات جزائرية، مالك بن نبي، ط٣، مكتبة عمات، ١٩٧١م، ص ٣٨.

^٤ واقعا المعاصر، محمد قطب، ط١، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص ٩٤.

^٥ الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، ط١، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٦.

وعُرفت كذلك بأنها: "هي الرقيُّ في المجالين جميعاً، - ويقصد الرقيُّ في الأفكار النظرية والأخلاق والسلوك، والرقيُّ في العلوم العلمية التجريبية - فهي على العموم الانجازات التي تحققت للبشرية أو حققتها البشرية، فإذا تكلمنا عن حضارة المسلمين أو اليونان في أوروبا، كان المقصود الإنجازات التي حققها هؤلاء أو أولئك في زمنٍ معينٍ، وإبراز الدرجة التي انتهى إليها هؤلاء في درجات التقدم والتطور، وشرح أحوال المجتمع الثقافية والفنية والعلمية والصناعية، مع بيان طرق معيشته، وذوقه، وروحه العامة، وطرق تفكيره، ومستوياته المختلفة التي تطبعه بطابعٍ مميزٍ".^١

أما في الغرب فيرى المؤرخ الأمريكي (ول دويورانت)^٢ بأن الحضارة هي: "نظامٌ اجتماعيٌّ يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون"^٣.

ومما سبق نلاحظ التنوع في التعاريف والاصطلاحات عند أهل هذه الطائفة، حيث جمعت تعاريفهم بين الجانب المعنوي كالدین، والأخلاق، والعادات، والجانب المادي كالتقدم، والإنتاج، والعمران، ونشاطات الإنسان المختلفة.

وبعد التأمل والنظر فإننا نرى بأن الحضارة هي التقدم، والرقيُّ، والتطور في الجانبين الماديِّ والمعنويِّ، مع مراعاة تحقيق التوازن بينهما لئلا يطغى جانبٌ على آخر فيختلُّ المركب الحضاريُّ، ويشهد لهذه الحقيقة قولُ الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^٤.

^١ موسوعة الحضارة الإسلامية، د. أحمد شلبي، ط٦، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٩م، ص ٢٠.

^٢ وليام جيس دويورانت (١٨٨٥م / ١٩٨١م): فيلسوف، مؤرخ وكاتب أمريكي وُلد عام ١٨٨٥م وتلقى تعليماً كاثوليكياً ولكنه تعرض لحالة تحول جذري فأتجه إلى الفلسفة ونال فيها الدكتوراه عام ١٩١٧م، فأصبح أستاذاً في جامعة كولومبيا من أشهر مولفاته كتاب قصة الحضارة والذي شاركته زوجته اليهودية أربيل دويورانت في تأليفه لاسيما في الجزء الخاص بالتاريخ اليهودي توفي عام ١٩٨١م وهو في السادسة والتسعين من العمر.

ينظر: الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة، مرجع سابق، متوفر على شبكة المعلومات العالمية <http://shamela.ws>، تاريخ الدخول: ٢٨/١٠/١٤٣٤هـ.

^٣ قصة الحضارة، ول دويورانت، ترجمة زكي نجيب محمود، بيروت: دار الجليل، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، المجلد ١، ج ١، ص ٣.

^٤ سورة النور، آية: ٥٥.

المطلب الثاني الحضارة عند محمد أسد

يشير المستشرق المسلم محمد أسد - رحمه الله - إلى حقيقة تاريخية عن كيفية نشوء الحضارات كمدخلٍ لحديثه عن الحضارة، فيرى أن تاريخ البشرية يمتاز بنموّ العديد من الحضارات، وانحلالها، وقد تقتصر هذه الحضارات حيناً على إقليم، أو جنسٍ كحضارة قدماء المصريين مثلاً، وقد تكون نتيجةً لجهودٍ مشتركةٍ لمجموعةٍ مختلفةٍ من الأجناس، فتتسع دائرتها لتشمل بقاعاً شاسعة الأرجاء كالحضارة الغربية، لذا ينفي إمكانية تحديد أو تعيين زمن ظهور حضارة ما، أو فترة انتقالها، وذلك لأن الحضارات لا يمكن أن تولد كما يولد الأفراد، بل إنها تنساب في غير تمايز إحداها في الأخرى، دون أن تكون بين كلٍّ منها مرحلة انتقالٍ محددة، ويستثنى من بين جميع الحضارات، حضارةً واحدةً يرى أنها برزت إلى الوجود في وقتٍ معلومٍ وهي الحضارة الإسلامية، التي عُرفت ببعثة الرسول ﷺ، وبتزول القرآن الكريم، وتميزت بكلِّ مقوماتها الأساسية والشاملة في مجتمعٍ واضح المعالم له نظراته الخاصة إلى الحياة، وله نظامه التشريعيُّ الكامل، وله نهجه المحدد الذي ينظم علاقات الأفراد داخل هذا المجتمع...^١

ولا شك أن الحضارة الإسلامية تميزت عن غيرها من الحضارات برسالة الإسلام الخالدة، وبنبي الرحمة والإنسانية ﷺ، فكان الإسلام وقيمه هو أساس تراثها الفكري، وإنتاجها العلمي، وكانت الشريعة الإسلامية وأحكامها هي أساس نشاطها وسائر مظاهرها.

أما مفهوم الحضارة في فكر محمد أسد فيعرفها بأنها: "ليست شكلاً فارغاً أجوفاً بل هي كائنٌ حيٌّ"^٢. ويظهر من تعريفه للحضارة بأنه يقترب كثيراً من الطائفة الثالثة التي ركزت في تعريفها على الجانب المعنويِّ والماديِّ، وجمعت بين الأنشطة التي يقوم بها الإنسان، والتقدم العلمي، وبين الدين، والأخلاق، والسلوك، والعادات، والذوق، والقيم.

فهو يرى أن الحضارة ليست شكلاً فارغاً، بل هي شكلٌ ومضمونٌ، ويشبهها بالكائن الحيِّ من حيث أن لها جسداً وروحاً، فجسدها الإنجازات المادية والعلمية، وروحها الأخلاق، والفكر، والقيم، وثقافات الأمم والشعوب^٣.

^١ ينظر: الإسلام والتحدي الحضاري بأقلام عشرة من علماء الإسلام، محمد أسد وآخرون، ترجمة محمد محمود غالي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ١٥-١٩.

^٢ من خصائص الإسلام، محمد أسد، ترجمة محمد محمود غالي، القاهرة: مجلة المسلمون، العدد ٥، رجب ١٣٧١هـ/ مارس ١٩٥٢م، ص ٧١-٧٣.

- This Low of Ours and Other Essays, Op. cit., P. 4-10.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، مرجع سابق، ص ٨٢.

^٤ اتفق د. يوسف القرضاوي مع محمد أسد في هذا التعريف للحضارة حيث قال القرضاوي: "لكل حضارة جسم وروح كالإنسان تماماً". ينظر: الإسلام حضارة الغد، د. يوسف القرضاوي، ط ٢، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ١١.

ومحمد أسد حين ذهب إلى أن الحضارة هي الجمع بين الجانبين المعنوي والمادي، فهو أمرٌ انسجم مع تكوينه الثقافي، وميوله وما يتراءى له؛ فقد عاش في بلاد الغرب سنيماً طويلةً قضاها متنقلاً بين مختلف الأقطار الأوروبية حتى بلغ من العمر ستة وعشرين عاماً، استطاع خلالها أن يتلمس إيجابيات الحضارة الغربية وسلبياتها عن تجربةٍ ودرايةٍ، إضافةً إلى أن عمله مراسلاً صحفياً في بلاد الشرق الأوسط للعديد من الصحف الأوروبية مكنه من العيش متنقلاً بين معظم بلدان العالم الإسلامي مخالطاً الشعوب عن قرب، ومتعرفاً على ثقافتهم، وعاداتهم، وتاريخهم.

ولا ننسى أنه نبغ في دراسة التاريخ والحضارات والآداب، والأهم من هذا وذاك أنه في عام ١٩٢٧م هاجر إلى بلاد المسلمين مودعاً بلاد الكفر؛ لأنه قرر العيش كواحدٍ من أبناء الأمة الإسلامية مما سهل له دراسة العلوم الدينية، والاطلاع على حال الأمة، وما تعانيه من ضعفٍ وجمودٍ، فاستنتج أن سبب تخلفها هو إهمال المسلمين لتعاليم دينهم، وعدم تطبيقه كما يجب.

كلُّ تلك الأمور مجتمعةً مكنته من تصور الحضارة على أنها كائنٌ حيٌّ، والحكم عليها بأنها ليست شكلاً أجوفاً فارغاً، وإنما لها روحٌ تؤثر على الأفراد والجماعات.

المطلب الثالث

موقف محمد أسد من الحضارة الغربية

أولاً - الجذور الفكرية للحضارة الغربية:

قامت الحضارة الغربية على ركائز فكرية ممتدة الجذور إلى عهد اليونان والرومان، ولا نستطيع فهم هذه الحضارة فهماً دقيقاً ما لم نعرف الفكر الغربي الذي استمدت منه وقامت عليه^١.

وهذا ما أكدّه محمد أسد فهو يرى أن "الأسس الفكرية الحقيقية في الغرب يجب أن تطلب في فهم الرومانيين القدماء للحياة"^٢، وأن "المدنية الأوروبية قائمة في أساسها على المدنية الرومانية الوثنية"^٣.

وفي هذا السياق يقول الشيخ الندوي - رحمه الله - : "ليست الحضارة الغربية في القرن العشرين المسيحي وليدة هذه القرون المتأخرة التي تلت القرون المظلمة في أوروبا أو حديثة كما يتوهم كثير من الناس، بل يرجع تاريخها إلى آلاف من السنين، فهي سليلة الحضارة اليونانية والحضارة الرومية، قد خلفتهما في تراثهما السياسي والعقلي والمدني، وورثت عنهما كل ما خلفته من ممتلكات ونظام سياسي وفلسفة اجتماعية، وتراث عقلي، وعلمي، وانطبعت فيها ميولهما ونزعتهما وخصائصهما"^٤.

وعليه فإن محمد أسد يرى أنه من الخطأ أن ننسب الحضارة الغربية إلى النصرانية فالأساس العقلي والديني للغرب المعاصر إنما يوجد في فكرة الرومان القديمة عن الحياة^٥.

ويعبر عن ذلك بقوله: "إن الحضارة لم تأخذ من النصرانية سوى الطلاء الخارجي فقط علاوة على أنها اعتنقت النصرانية لأسباب قاهرة، وهكذا تكون نسبة الحضارة الغربية إلى النصرانية خطأ تاريخياً عظيماً، وأن الحضارة الغربية لا تزال واقعة في وثنية مادية لا تؤمن بغير القوة"^٦.

^١ الإسلام حضارة الغد، مرجع سابق، ص ١٢.

^٢ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٤٠.

^٣ المرجع السابق نفسه.

^٤ ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ط ٨، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ١٥٦.

^٥ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٤١.

^٦ وهذا القول فيه إشارة لأوروبا الوثنية التي انتقلت من الوثنية الرومانية إلى الوثنية المسيحية حين جمع الإمبراطور قسطنطين الأساقفة والبطارقة في مجمع نيقة عام ٣٢٥م ليقرر حقيقة المسيح، وبعد اختلاف الآراء والتضارب لجأ قسطنطين إلى قتل من قال بالتوحيد ونفي بعضهم ووضع قراراً مع الأعضاء القائلين بالتثليث وعددهم ١٣٨، بالوهية المسيح وكتب نص القرار مع اعتراض أكثرهم على عبارات المساواة بين الأب والابن ولكن خوفاً من القتل والتعذيب جعلهم يضعوا إضواءهم على هذه الوثيقة وهكذا فرض هذا القرار بالقوة على الناس، وحرّم عليهم الحديث لما يخالفه، بل واضطهد كل من يؤمن بالتوحيد وعوقب بالنفي الشديد. ينظر: المسيحية، د. أحمد شلبي، ط ١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٣م، ص ١٢٧-١٢٩.

^٧ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٤١.

وفي موضع آخر يقول: "... كل ما ندرية عنها أنها تطورت شيئاً فشيئاً من حطام الحضارة الرومانية وامتزجت بدينٍ شرقيٍّ هو المسيحية، بعد أن عدلته وحوّرتة طبقاً لحاجات الغرب واستعداداته وظروف حياته".^١

لقد كان للفكر الغربيّ بوثنياته وفلسفاته اليونانية والبابلية والهندية والفارسية أكبر الأثر في تحريف المسيحية من أصلها الأصيل حتى ليقول (برناد لويس): "إنه لم يعتنق المسيحية منذ نشأتها سوى فردٍ واحدٍ هو المسيح".^٢

كما يشير محمد أسد إلى طبيعة العلاقة بين الدين والأوروبيين موضحاً أن العقيدة، والنظام الدينيّ الذي دعت إليه النصرانية في أوروبا لم يعد مقبولاً اليوم، وليس له سلطته على أتباعه، فيقول: "إنّ النصرانية اليوم في نظر السواد الأعظم معنى شكليّ فقط، كما كانت حال آلهة روما، تلك الآلهة التي لم يكن يسمح لها ولا ينتظر منها أن يكون لها نفوذٌ حقيقيٌّ ما على المجتمع".^٣

فالمسيحية ليست عندهم إلّا شعاراً يرتبطون به، وصليباً يتجمعون حوله، ونزهةً إلى الكنيسة في أيام الإجازات، وليست قيماً يؤمنون بها، وعقائد يخضعون لها، وبذلك عادت أوروبا إلى حياة الرومان القديمة التي لا تسمح للآلهة بالتدخل في شؤون حياتها أو توجيهها وجهةً تنافي اللذة والمتاع.^٤

وعلى ضوء ما سبق نجد أنه من حصيلة الفكر اليونانيّ، والرومانيّ القلسم، والمسيحية المحرفة بتفسيراتها الوثنية التي قدمها (بولس)، قامت الحضارة الغربية، وتكوّن الفكر الغربيّ، وهو ما أشار إليه المفكر أنور الجنديّ بقوله: "ولدت المسيحية في أورشليم من فلسطين في آسيا ثم لم تلبث أن عبرت إلى أوروبا فاستقرت في الدولة الرومانية ذات الحضارة العريقة وذات النظام الاجتماعيّ الذي شكلته الفلسفة اليونانية الوثنية والقانون الرومانيّ، وفي هذا الجوّ بكلّ قيوده وتحدياته عبرت المسيحية إلى أوروبا وتشكلت داخل هذا الفكر على النموّ الذي قام عليه بولس منحرفاً بها من نهجها الربانيّ المتزل من السماء حتى ليتمكن القول بأنّ المسيحية الغربية هي مسيحية بولس وليست مسيحية المسيح وفي ظلّ هذا التشكل نشأ الفكر الغربيّ والفلسفة الغربية".^٥

^١ الإسلام والتحدّي الحضاري بأقلام عشرة من علماء المسلمين، مرجع سابق، ص ١٧.

^٢ التفسير الإسلامي للفكر البشري والفلسفات القديمة، أنور الجندي، القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٨م، ص ١٨٧.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، مرجع سابق، ص ٨٢.

^٤ الإسلام حضارة الغد، مرجع سابق، ص ١٦.

^٥ أنور الجندي: ولد عام ١٩١٧م بقرية ديروط التابعة لمركز أسيوط بمصر، ونشأ في بيت علم ودين، وتفتحت عيناه على كتب التراث الجميلة المكتوبة بالمداد الشبني الأسود، فكان من إجماع ذلك الجو أن بدأ اتصاله بالكتب، ومن ثم تفتحت له آفاق السنة، والسيرة النبوية بعد القرآن، له العديد من المؤلفات، منها: معالم الدب المعاصر، معلمة الإسلام، تراجم الأعلام.

ينظر: علماء ومفكرون عرفتهم، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٥-٥٩.

^٦ التفسير الإسلامي للفكر البشري والفلسفات القديمة، مرجع سابق، ص ١٨٧.

ويرى محمد أسد أن الفكر الغربيّ واحدٌ في الأساس، والأصول، والسّمات، والخصائص سواءً كان شيوعياً أو رأسمالياً، وإن اختلفت صورته، وفروعه، وتميز بعضها عن بعض، فيقول: "إن التجربة الشيوعية في روسيا لا تمثل من الناحية الثقافية تطوراً مختلفاً في أساسه عمّا في سائر العالم الغربيّ، بل على العكس من ذلك، يبدو لنا أنّ هذه التجربة ليست شيئاً آخر سوى التناهي وسوء البدء لتحقيق تلك الميول في المدينة الغربية الحديثة، تلك هي بلا شكّ لا دينية والتي هي في هدفها الأقصى لا دينية أيضاً، ويمكن أن يكون ذلك العداء الحادّ بين الغرب الرأسماليّ وبين البلشفية^٣، في أساسها راجعاً فقط إلى اختلاف خطىّ بين تلك الحركتين المتوازيتين في جوهرهما وفي انطلاقهما نحو هدفهما الأقصى، ... ومنذ الآن يظهر أنّ الميل الأساسيّ لهما إنما هو التخلي عن شخصية الإنسان الروحية وفضائله الخلقية للمقتضيات المادية"^٤.

وما هذا إلّا دليلٌ على أنّ الأنظمة الغربية أنظمتها لا دينية تتشابه في تخليها عن الدين والأخلاق لصالح الحياة المادية.

ثانياً - العوامل التي ساهمت في تكوين الحضارة الغربية:

لقد قامت الحضارة الغربية على أسسٍ وأيديولوجيةٍ فكريةٍ خاصة، تميزت بها عن غيرها، وهذه الأسس كما مرّ بنا ذات جذورٍ عميقة امتدت إلى بداية نشأتها في بلاد الإغريق، ثم انتقلها إلى بلاد الرومان، حتى حطت رحالها في أوروبا المعاصرة فتركت بصماتها الدينية، والتاريخية على تلك الحضارة إلى اليوم.

ومن خلال هذا المنطلق سنعرض العوامل الفكرية التي ساهمت في تكوين الحضارة الغربية، كما يحددها محمد أسد:

^١ الشيوعية: مذهب اقتصادي اجتماعي يقوم في أساسه على القضاء على الملكية الفردية، وتدخل الدولة الفعال في حياة الأفراد، وإخضاعهم لإشرافها، وتوجيههم مادياً وروحياً وتصدد إلى أفلاطون في جمهوريته، وتنتمي إلى كارل ماركس وإنجلز في التاريخ المعاصر. ينظر: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص ١٠٤.

^٢ الرأسمالية: نظام اقتصادي أساسه أن تكون وسائل الإنتاج ملكاً لغير من يعملون به، ومن أهم خصائصه التنافس الحر لتحقيق أكبر ربح ممكن. ينظر: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص ٩٠.

^٣ البلشفية: هي حصيلة معتقدات وأساليب الجناح اليساري الاشتراكي الديمقراطي الروسي الذي انضوى تحت قيادة لينين عام ١٩٠٣م، والذي استأثر بالسلطة بعد الثورة الروسية عام ١٩١٧م، والكلمة مشتقة من "بولشفك" أي فئة الأكثرية، وفي عام ١٩١٧م أسس البلشفيون الحزب الشيوعي البلشفي، ثم في عام ١٩٥٢م أصبح اسم الحزب باقتراح من ستالين الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي.

ينظر: موسوعة السياسة، د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، ط ٢، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج ١، ص ٦٠٨-٦٠٩.

^٤ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٤٩-٥٠.

أ. التزعة المادية^١:

ارتكزت الحضارة الغربية على التزعة المادية المستمدة من الفكر الغربي المادي، ونقصد بالفكر المادي: "هو الفكر الذي يقوم على اليقين المطلق بعالم الحواس، والثقة المطلقة في المادة، التي يتكون منها هذا العالم، ثم الإنكار المطلق لما وراء العالم المادي من عوالم الغيب، وعدم الإقرار بشيء مما فيه"^٢.

ويرى محمد أسد أن الحضارة الغربية قامت على أساس الفكر المادي الذي ينكر الروحيات، والمعنويات، والقيم الوجدانية، ولا يؤمن بالآله الخالق، ولا بالرسالات السماوية، ولا بالحياة بعد الموت، ويحتقر الإنسان، ولا يراه إلا خاضعاً لشهوة الطعام والجنس، وليس لمعنى الحياة والهدف منها أية أهمية فيه سوى قضية الانتفاع المادي، والتوصل إلى أفضل السبل للسيطرة على الطبيعة، وتحقيق أكبر قدر من الرفاهية، فيقول: "لقد سيطر على الغرب الحديث في أوجه نشاطه وجهوده اعتبارات من الانتفاع العملي المادي، ومن التوسع الفعال فقط، وقد كان هدفه الذاتي، إنما هو المعالجة والاكتشافات لكوامن الحياة من غير أن ينسب إلى تلك الحياة حقيقة ما في ذاتها: أما قضية معنى الحياة والغاية منها فقدت منذ زمن بعيد في نظر الأوروبي الحديث، جميع أهميتها العملية، وأصبح المهتم لديه قضية واحدة أكان بإمكان الجنس البشري - كما هو اليوم - أن يتقدم نحو السيطرة النهائية على الطبيعة أو لم يكن ذلك"^٣.

وفي موضع آخر يقول: "إن الحضارة الغربية لا تنظر إلّا إلى جانب واحد من الحياة وهو التقدم المادي، وتغفل الجانب الروحي"^٤.

وتبدو هذه التزعة المادية غالبية على الحياة الغربية المعاصرة، سواءً على الجانب النظري، أم الجانب العملي، حتى أصبح معروفاً لدى الدارسين المقيمين أن ديانة الغرب اليوم هي (المادية)^٥.

ولقد أشار محمد أسد - رحمه الله - إلى المقصود من أن ديانة الغرب هي (المادية) بعبارات كانت غاية في الدقة، والشمول فقال: "إن الأوروبي العادي، سواءً عليه أكان ديمقراطياً أو فاشياً، رأسالياً، أم

^١ المادية: مذهب يرد كل شيء إلى المادة، فهي أصل ومبدأ أول به دون غيره تفسير الموجودات، وقد عرف من قدم وبدت آثاره في نزعات فلسفية وسياسية مختلفة، ويقابل الروحية والثالية.

ينظر: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص ١٦٤.

^٢ مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، د. محمود محمد مزروعة، ط١، مصر: دار الرضا، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٢٧.

^٣ الإسلام على مفترق الطريق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٣٢.

^٤ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٠٩.

^٥ الإسلام حضارة الغد، مرجع سابق، ص ١٥.

^٦ الديمقراطية: نظام سياسي تدون فيه السيادة لجميع المواطنين، لا لفرد، ولا لطبقة، ويقوم على ثلاثة أسس: الحرية، المساواة، والعدل، وهي متكاملة متضامنة هذه الديمقراطية السياسية، أما الديمقراطية الاجتماعية فهي: أسلوب حياة يقوم على المساواة، وحرية الرأي، والفكر، فينشُد العدالة الاجتماعية.

ينظر: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص ٨٦.

بلشفيًا، صانعاً أو مفكراً، يعرف ديناً إيجابياً واحداً وهو التعبد للرقميّ الماديّ أي الاعتقاد بأنه ليس في الحياة هدفٌ آخر سوى جعل هذه الحياة نفسها أيسر فأيسر، ... وأن هياكل هذه الديانة إنما هي المصانع العظيمة ودور السينما والمختبرات الكيميائية وباحات الرقص وأماكن توليد الكهرباء، أما كهنة هذه الديانة فهم الصيارفة والمهندسون وكواكب السينما وقادة الصناعات وأبطال الطيران".^١

ويُرجعُ محمد أسد - رحمه الله - سبب التزعة المادية والطبيعة اللادينية للحضارة الغربية إلى الموروث الثقافي الكبير للحضارة الرومانية وتأثيره، فهو يرى أن الحضارة الرومانية نظرت إلى الحياة من خلال منظورٍ ماديٍّ بحت، وكما كان الجوُّ الفكريُّ والاجتماعيُّ في روما القديمة معادياً للدين، ومنصرفاً إلى المصلحة فكذلك الجوُّ الفكريُّ في الغرب الحديث، فيقول: "إنَّ الرومانيين في الحقيقة لم يعرفوا الدين، وإنَّ ألهتهم التقليدية لم تكن سوى محاكاةٍ شاحبةٍ للخرافات اليونانية، لقد كانت أشباحاً سكنت عن وجودها حفاظاً للعرف الاجتماعيِّ، ولم يكن يسمح لها قط بالتدخل في أمور الحياة الحقيقية بل كان عليها أن تنطق بالزجر على ألسنة عرافيها، ولم يكن منتظراً منها أن تمنح البشر شرائح خلقية، وهذه هي التربة التي نمت فيها المدنية الغربية الحديثة".^٢

ويعتبر محمد أسد أن التزعة المادية ساقط الفكر الغربيِّ للوقوع في الفهم الخاطئ الذي يؤمن بالنظرة القائلة: "إنَّ زيادة المعرفة المادية والرفاهية معادلةٌ للتطور الأخلاقيِّ البشريِّ".^٣

ويرى أن هذا الخطأ ناتجٌ من خطأ أساسٍ آخر، وهو تطبيق قوانين المادة على غير الماديات، ويشير إلى أن جذور هذا الخطأ وما قبله انطلق من الاعتقاد الغربيِّ بعدم الإيمان بالروح، فيقول: "إنَّ الأوروبيَّ الحديث بما انطوى عليه من جحودٍ مهملٍ لوجود النفس على أنها حقيقةٌ لم يبق له هدف الحياة عنده أهميةٌ عمليةٌ ما، لقد ترك التأمل المطلق والاعتبار في الحياة، وراه ظهرياً".^٤

لقد اتسع نطاق مذهب المادية حتى عمَّ الفكر الغربيُّ كلَّه، وخلق ذلك الطابع الماديِّ للحضارة الغربية، وجاء هذا الاتجاه نتيجة عدة مقررات توصل إليها بعض العلماء والفلاسفة، ولكنها لم تكن خالصةً لوجه العلم؛ بل كانت مشوبةً بطابع الخلاف العميق الذي نشب بين الدين والعلم، مما حدا بالعلمانيين إلى إنكار الغيب والروح الوحي، وكلُّ ما يتصل بالدين، ومن هنا كان خطأ المادية في أنها تدرس الإنسان وتحلله كما تدرس الأشياء، فعن طريق العقل اكتشف الإنسان قوانين الطبيعة، ولكنّه

^١ الإسلام على مفترق الطريق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٤٧-٤٨.

^٢ المرجع السابق، ص ٣٨.

^٣ المرجع السابق، ص ٣٣.

^٤ المرجع السابق، ص ٣٤-٣٥.

كان عاجزاً أن يكتشف قوانين الإنسان، وروابطه بالله، والوجود والحياة والموت، فكان انحرافه بالفهم إلى إقرار المادية عاملاً خطيراً في عجزه عن فهم قوانين الكون والاجتماع والإنسان^١.

وبذلك نستطيع الإيمان بأن المجتمع الغربي مجتمع لا ديني على اختلاف مذاهبه، ونظرياته الاجتماعية، والسياسية، ومن ثم فإنه عندما أقام حاجزاً بين عالمي الروح والمادة، واعتبر القيم الروحية سلبية لا حاجة للإنسان إليها، باعد بين الإنسان وفطرته، فأصبح الإنسان عدواً لنفسه وللبشرية، فسحقت إنسانيته، وانحطت غرائزه، وصار كالأنعام بل هو أضل سبيلاً، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾^٢، وقوله عز وجل: ﴿أَمْ نَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۗ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۗ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٧٢﴾﴾^٣.

ب. التزعة العلمانية:

العلمانية هي ثمرة من ثمار التزعة المادية، وأحد أهم لوازمها، فهي تلك التزعة التي تعني (اللا دينية)، بمعنى هو ما لا صلة له بالدين أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد^٤.

أي أنها: "دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين، وتعني في جانبها السياسي الذات اللا دينية في الحكم، وهو اصطلاح لا صلة له بالعلم"^٥.

فالدين في نظر الغربي علاقة بين الإنسان وربه، محلها ضميره الذي بين جنبيه، فإن خرج الضمير فلا يجوز أن يتجاوز جدران المعبد، أو الكنيسة، وليس من شأنه أن يوجه الحياة بالتشريع والإلزام^٦.

ويرى محمد أسد أن التزعة العلمانية هي أحد أهم مكونات الحضارة الغربية، وأن السبب في ظهورها، ومناهضة الحضارة الغربية للدين، يعود إلى أمرين:

^١ سقوط العلمانية، أنور الجندي، ط٢، بيروت: دار الكتاب اللبناني/ مكتبة المدرسة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٥٠-٥١.

^٢ سورة الأعراف، آية: ١٧٩.

^٣ سورة الفرقان، آية: ٤٤.

^٤ العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، مرجع سابق، ص ٢١.

^٥ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مرجع سابق، ص ٦٩٧.

^٦ الإسلام حضارة الغد، مرجع سابق، ص ٢٠.

الأمر الأول: الجذور الفكرية والثقافية للحضارة الغربية، والتي قامت على أساس الثقافة الرومانية، وهي ثقافة وثنية استطاعت صياغة الفكر الغربي حتى أصبح فكراً مادياً وثنياً^١.

فاجتمع الروماني لم يكن له دينٌ موحدٌ يتعبد به، ولا فلسفةً واحدةً يؤمن بها، بل كان غارقاً في دياجير جاهلية كالحة متعددة الألوان مختلفة الأنحاء، فالطبقة الحاكمة تشارك الشعب في أعياده الوثنية، وتخدم تماثيل الآلهة الكثيرة، بيد أنها لا تدين في الواقع بغير الشهوة العارمة للتسلط والاحتفاظ بالكرسي، لاسيما وأن الإمبراطور نفسه كان إلهاً يعبده الشعب، أما الطبقة المثقفة فمنهم المتصوفة، ومنهم أتباع الفلسفة الإغريقية الوثنية، في حين العامة تميل إلى التدين، إلا أن الصراع بين الآلهة أفقدها الثقة في معتقداتها الدينية^٢.

الأمر الثاني: هو "ثورة الطبقة البشرية ضدّ المفاهيم المسيحية التي تعتمد على الحرمان وازدراء قمع الاحتياجات والغرائز الطبيعية للإنسان"^٣.

فقد وضع - رحمه الله - أن مفاهيم العقيدة المسيحية المخالفة للفطرة الإنسانية، والمعادية للعلم والحياة، كانت سبباً في التخلي عن الدين المسيحي بالكلية، فقال: "إنّ العداء الطويل في أوروبا بين الكنيسة والفكر الذي امتدّ لعدة قرون، مارست خلالها الكيانات الدينية سياسة القمع ضدّ الروح، في أوروبا، استناداً إلى مفهوم ازدراء الحياة الدنيوية، ولقد أدت المفاهيم المسيحية السائدة في كتب الإنجيل مثل، التنسك، والرهبنة، والخضوع اللاإرادي للخطيئة وطلب الاستسلام للظلم (وتقدم الخد للآخر)، وارتباط الجنس بالخطيئة، بحجة أنها تسببت بطرد آدم وحواء من الجنة، فيما يسمّى (بالخطيئة الأولى) والخلاص منها بصلب المسيح، أدت كل هذه المفاهيم والتفسيرات إلى تفسير الحياة على أنها مرحلة شرّ في حياة الإنسان وأنها عقبة في طريق نموّ الروحي وتقدمه الديني"^٤.

وفي موضع آخر يقول: "... لقد بقي الروح الأوروبي قرونًا طويلاً يريخ تحت عبء نظام ديني يطوي نفسه احتقاراً للحياة واحتقاراً للطبيعة"^٥.

لقد عاشت أوروبا في القرون الوسطى فترة قاسية تحت طغيان رجال الكنيسة وهيمنتهم، وفساد أحوالهم، واستغلال السلطة الدينية لتحقيق أهوائهم، وإرضاء شهواتهم تحت قناع القداسة التي يضعونها على أنفسهم، ويهيمنون على الأمة الساذجة، ثم اضطهادهم الشنيع لكل من يخالف تعليمات الكنيسة

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٤٠.

^٢ العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، مرجع سابق، ص ٥٣-٥٤.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٤١.

^٤ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة الشيخ صالح الحصين، ط ١، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٤٥-٤٦.

^٥ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٤٠.

المبتدعة في الدين، والتي ما أنزل الله بها من سلطان، حتى لو كانت أموراً تتصل بحقائق كونية ثابتة التجارب العلمية، وشملت هيمنة الكنيسة النواحي الدينية، والاقتصادية، والعلمية، والسياسية، وفرضت على عقول الناس، وأمواهم وصايةً لا نظير لها على الإطلاق^١.

وفي هذا المقام يذكرنا محمد أسد - رحمه الله - بحقيقة واقعية يعيشها المسيحيون عامةً والمفكرون خاصةً، فيقول: "... إن مفكري الغرب لم يقتنعوا بعلاقة النبوة كعلاقة حقيقية وإنما كعلاقة مجازية، بمعنى تجسّد رحمة الله لعباده من خلال المسيح، ... ثم إن إمكانية مناقشة هذا المفهوم الغريب خلال فترة سيطرة الكنيسة لم تُنح، ولكن خلال عصور التواتر التي تلتها لم يبدُ مفكرو الغرب اقتناعاً بهذا التصور البشريّ للإله فانسحب عدم اقتناعهم على وجود الإله ثم على الدين بالكلية"^٢.

وفي السياق نفسه يخبرنا الأستاذ شلي عن واقع المسيحيين وعلاقتهم بالمسيحية، فيذكر أنّ المسيحيّ كلما زاد تعمقاً في دراسته للمسيحية ظهر له ما بالمسيحية من تعقيدٍ واستحالة، فيبعد عن مسيحية الكنيسة ويتخذ له مسيحيةً أخرى، أو ربما بعد عن المسيحية كلّها واعتنق ديناً آخر، أو لجأ إلى اللادينية، وإن بقي اسماً في عداد المسيحيين ... أغلب المفكرين الغربيين لا يدينون بالمسيحية، ... والثورات ضدّ المسيحية لا يزال المفكرون المحدثون يرفعون لواءها^٣.

وإضافةً إلى الطغيان الدينيّ - الذي كان سبباً في ظهور العلمانية - مارست الكنيسة الطغيان ضدّ العلم، وحرمت الاكتشافات العلمية، مما أدى إلى حدوث صراعٍ مريرٍ بين العلماء أصحاب العقول الناضجة والمفكرة من جهة، وبين الكنيسة وسلطتها من جهةٍ أخرى، ويصف محمد أسد ذلك الخطأ الفادح الذي وقعت فيه الكنيسة بفرض وصايتها على ما ليس من حقّها بقوله: "إنّه خلال العصور الوسطى، عندما كانت السلطة المطلقة في يد الكنيسة، لم يكن لأوروبا أيُّ دورٍ يذكر في تطور البحث العلميّ، بل إنها فقدت كلّ صلاحاتها بالإنجازات الفكرية للحضارة اليونانية والرومانية القديمة التي كانت أصلاً للثقافة الأوروبية، وقد ثار الفكر الإنسانيّ أكثر من مرة، إلّا أنّ الكنيسة أخمدت ثورته مرةً بعد مرة، ولم يكن صبيه سوى مزيداً من القمع..."^٤.

لقد كان الطغيان الدينيّ، والعلميّ من أسباب انتشار الدعوة العلمانية في أوروبا، فتحول رجال الدين إلى طواغيت، ووقوف الكنيسة ضدّ العلم والعلماء، وإقامة محاكم التفتيش ساعد على ظهور العداء المطلق للكنيسة، وبالتالي رفضُ الدين بالكلية، واعتبار الدين عدواً للعلم والتقدم، فتنفشت الأمراض

^١ العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود بن فرج الرحيلي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة ٣٤، العدد ١١٥، ١٤٢٢هـ، ص ٣٣٩.

^٢ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة الشيخ صالح الحصين، مرجع سابق، ص ٤٠.

^٣ المسيحية، مرجع سابق، ص ٧٨-٧٩.

^٤ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٤١.

الاجتماعية، والخلقية، والنفسية في المجتمع الأوروبي، وفتحت الأبواب للممارسات الدينية، وأصبح كل فرد يسعى لإسعاد نفسه على حساب الآخرين.

ج. الصراع:

من العوامل الفكرية التي أثرت على الحضارة الغربية، وساهمت في تكوينها أنها حضارة تقوم على الصراع، ولا تعرف السلام، ولا الطمأنينة، ولا الحب، وهو صراع متغلغل في كل النواحي، ومتنوع الأشكال، ومتعدد المجالات، ومتباين الأسلحة، والأساليب^١.

كالصراع بين الإنسان والإله، فالإنسان في الحضارة الغربية في صراع دائم مع الإله لعدم وضوح حقيقة الإلهية، "فقد شاع في الديانة النصرانية أن المسيح عيسى هو الله، ... وقد أدت علاقة النبوة هذه إلى إضفاء صفة البشرية على الذات الإلهية، ثم تصوير الإله على أنه رجل عجوز ذو لحية بيضاء، وشم تعزيز هذه الصورة في أعمال فنية كثيرة، وعليه فقد بقيت هذه الصورة راسخة في وجدان الأوروبيين"^٢.

بهذه الصورة المضطربة وصف لنا محمد أسد طبيعة الصراع بين الإنسان والإله في الحضارة الغربية، والصورة الذهنية الراسخة عن الإله في ذهن الأوروبي، بل إن الحقيقة هي: "أن الغرب - كما يظهر من تاريخه - لم يعرف الله جل شأنه معرفة صحيحة، ولم يهتد إلى الإيمان الصحيح بخالق الكون ومدبره، ... وذلك لأنه لم يعرف النبوة الهادية، والوحي المعصوم"^٣.

ويقول محمد أسد موضحاً مكانة الإله وطبيعته في المنظومة الفكرية الغربية: "إن الحضارة الغربية لا تجحد الله ولكنها - ببساطة - لا تجد له نفعاً ولا وظيفة في سياق نظامها الفكري المعاصر، فالأفكار والموجودات تكتسب أهميتها في الفكر الغربي من خلال نفعها أو تأثيرها على العلوم التجريبية، أو على الأقل في تأثيرها المباشر على الحياة الاجتماعية، وحيث أن مسألة وجود الإله لا تنطبق بصورة مباشرة مع هذين المعيارين فقد تم إسقاطه من دائرة الاهتمام الغربي"^٤.

إن العداوة التقليدية المريرة بين الكنيسة والعلم قضت على كل احتمال من وجود مكان للدين، والمبدأ الأساسي الذي قامت عليه الحياة الأوروبية المعاصرة هو عبادة الهوى، وتحكيمه من دون الله، فالإنسان المعاصر الذي شب عن الطوق، واستغنى عن الإله لم يعد بحاجة إلى الرجوع إليه!!^٥.

^١ الإسلام حضارة الغد، مرجع سابق، ص ٢١.

^٢ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة الشيخ صالح الحصين، مرجع سابق، ص ٤٩-٥٠.

^٣ الإسلام حضارة الغد، مرجع سابق، ص ١٣.

^٤ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة الشيخ صالح الحصين، مرجع سابق، ص ٤٤.

^٥ العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها على الحياة الإسلامية المعاصرة، مرجع سابق، ص ٤٩٣.

وهذا ما يفسر ما وصلت إليه الحضارة الغربية من تراجع في تطبيق الدين بشكلٍ واسعٍ، وهجرة الكنائس، وانتشار الإلحاد بين أفرادها، فضلت، وظلمت، وأحرمت، فاستحقت أن تدفع ضريبة كفرها وإلحادها بالله تعالى، وعدم تعظيمه حقَّ عظمته من أمنها واستقرارها، ورزقها، وعزتها، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۗ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۗ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۗ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۗ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۗ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۗ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۗ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۗ ۱﴾.

ومن أنواع الصراع الذي أحدثته الحضارة الغربية، الصراع بين الإنسان والدين، فأصبح الإنسان يرفض الدين مطلقاً مهما كانت تشريعاته وأنظمتها، ويعتبره سبباً في بؤسه، وشقاوته، وظلمه، وجهله، فخلاصة العلاقة بينهما علاقة عدا، يقول محمد أسد - رحمه الله -: "لما تحرر العقل الأوروبي من عبوديته الأولى للكنيسة تخطى في القرنين التاسع عشر والعشرين تلك الحدود ووطأ عزمه تدريجياً على العدا لكل شكلٍ من أشكال السلطان الروحي على الإنسان من ثانياً هذا الخوف الباطن، ولقلا تعود تلك القوى التي تدعى السلطان الروحي مرةً ثانية إلى التغلب أقامت أوروبا نفسها زعيماً لكل ما هو ضدَّ الدين مبدئياً وعملياً، لقد رجعت أوروبا إلى إرثها الروماني"^٢.

وفي موضعٍ آخر يقول: "... صارت أوروبا قائداً لكل شيءٍ مضادٍ للدين من حيث المبدأ أو العقل"^٣. وبسبب البدع المستحدثة في الدين النصراني من جهة، وطغيان الكنيسة من جهةٍ أخرى، أصبح الفرد المسيحي العادي لا يثق في دينه، وتزعزعت في نفسه القيم والأخلاق الدينية، وعندما ضعفت سلطان الكنيسة شهدت الحياة الأوروبية ردَّ فعلٍ طاغٍ ضدَّ أغلال الكنيسة وقيودها، مما جعل بذور الفلسفات الإباحية والحركات غير الأخلاقية تنمو نمواً مطرداً، وثبتت صحة الرؤيا التي ترى أن المسيحية لم تكن عند أكثر الناس غير ستارٍ رقيقٍ يخفي تحته نظرةً وثنيةً خالصةً إلى الحياة^٤.

لقد كان من أخطر ما وقعت به الحضارة الغربية هو تحررها من قيود الدين، ورفضها بأن يكون هناك أيُّ اعتبارٍ للدين في تنظيم حياة الفرد والجماعة فوَقعت في الوثنية، وشرعت لنفسها ديناً قائماً على الإلحاد والنظرة المادية للحياة، فجلبت للإنسانية التعاسة، والشقاء، والدمار، والإرهاب، والحروب،

^١ سورة نوح، آية: ١٣-٢٠.

^٢ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٤٥.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة صالح الحصين، مرجع سابق، ص ٥١.

^٤ العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، مرجع سابق، ص ٩٥.

والرديلة، وانغمست البشرية بمظاهرها الشابة، وإنجازاتها العلمية، إلّا أنّها لم تجعل للإنسان، وأشواقه الروحية، وراحته النفسية مكاناً فيها.

وعلى هذا فإنّ الحضارة الغربية هي أبعد ما تكون عن الإيمان بالله تعالى، فضلاً عن التصور الصحيح للكون والإنسان والحياة، يقول محمد أسد: "... إنّ الغربيّ لا يعرف إلّا ديناً واحداً، ألا وهو عبادة التقدم الماديّ"^١.

ويضيف قائلاً: "إنّ الحضارة الغربية لا تعترف بضرورة التزام الإنسان بأيّ شيءٍ عدا المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية والوطنية، ومعبودها لا يتعلق بالدين، بل بالرفاهية، وفلسفتها الحية الحقيقية للحياة تظهر في سعيها لتحقيق القوة الذاتية"^٢.

ولا يجادل اثنان في ما سبق من كلامه - رحمه الله - عن الحضارة الغربية المادية، فلا شك أنّها حضارةٌ ملكت أسباب القوة العسكرية، والاقتصادية، والعلمية، فأساطيلها البحرية والجوية تضرب شرقاً، وغرباً، وشمالاً، وجنوباً في الأرض، كما لا يماري أحدٌ بأنّها قطعت أشواطاً بعيدةً في التقدم العلميّ، وبلغت مناراً عالياً في السيطرة على الأموال العالمية، كما أنّها تملك أكبر شبكات اتصال إعلامية عالمية، فتملك ترويج الخبر كما تشاء وتهوى، ولكنّها للأسف تأسست على فراغٍ فكريّ وعقديّ روحيّ، جعلها تعاني أشدّ الأمراض خطورةً، وما زال جسدها يتآكل بفعل تلك الأمراض التي أصبح من المستحيل علاجها؛ لفساد جذورها، واعوجاج تصوراتها، فليس أمامها إلّا توديع نجمها الساطع.

والإنسان في الحضارة الغربية في صراعٍ مع نفسه، حيث أنه لا يؤمن بوجود الروح، ولا يرى أهميةً في تغذية روحه وتقويتها، وكلّ ما يسعى إليه هو إشباع حاجات الجسد، وشهواته على حساب روحه، معتقداً أنه بذلك سيحقق لنفسه السعادة، والطمأنينة في الحياة^٣.

يقول محمد أسد - رحمه الله -: "... الغربيّ المتمدّن مع شبه ببحوده لوجود الروح لا يجد أهميةً عمليةً للسؤال عن الغاية من وجود الخلق، فقد ترك الاعتبارات الغيبية وراء ظهره"^٤.

هذا ما ساقه العلم الحديث، والفلسفة الغربية التي ادعت وروجت القول بأن الإنسانية راشدةٌ وهي ليست بحاجةً إلى وصاية الدين، فأصبح الإنسان مع العلم الحديث كآلة المسخرة في تلك الميكانيكية الضخمة التي تجتاح عواطفه ومشاعره وكيانه، وأمّا حاله مع الفلسفة فهو الأسوأ على الإطلاق؛ حيث أنّها هدته إلى الغريزة وجعلت الجنس هو غاية حياته، والجريمة هي الفطرة، والأسرة نظاماً خادعاً،

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة صالح الحصين، مرجع سابق، ص ٥٢.

^٢ المرجع السابق، ص ٤٠.

^٣ المرجع السابق، ص ٣٩.

^٤ المرجع السابق، نفسه.

والحياة مادةً، والإله قد مات، وأن الموت هو نهاية الحياة، فعلى الإنسان أن يركض لتحقيق ذاته وشهوته قبل أن يدركه الموت^١.

ومع اتساع فوهة صراع الإنسان مع نفسه في الحضارة الغربية، سادت التزعة المادية كثيراً، وبالتالي سادت التزعة الفردية، والفلسفة النفعية، فظهر الصراع بين الأفراد في المجتمع الواحد من أجل منافعهم الفردية المتباينة، وظهر الصراع بين الطبقات، والجماعات، وخصوصاً مع استئثار كل جماعة بالمنافع لنفسها، وجورها على غيرها، واحتقارها لمن سواها، ثم ظهر صراع الأمم مما أدى إلى الحروب الإقليمية، والعالمية، والاستيلاء على حق الآخرين بالقوة والظلم والعدوان، طالما يحقق مكاسب مادية للطرف الآخر^٢.

ويبدو أن سمة الصراع هذه جزء من تفسير الحركة الاستعمارية التي شنتها الغرب على العالم الإسلامي، وهو ما يؤيده محمد أسد إذ يقول: "بعد أن عبدت أوروبا المال أصبح كهان هذا الإله الجديد يستغلون الناس بكل السبل، ويجمعون من شعوب الأرض دريهماتم القليلة ليخزنوها ملايين في صناديقهم الحديدية ولما زاد شرهم إلى المال أخذوا يثيرون الحروب بين الأمم ثم يبيعون المتحارنين عليهم سلاحاً لا يهتمهم من مات، ولا يهتمهم من قتل ولا من خربت أرضه ودياره ولا من جاع أو عطش أو عرى أو ظل جاهلاً، ماداموا يجمعون المال في صناديقهم ليزيدوا نفوذهم السياسي والعسكري في العالم ثم ليستخدموا هذا النفوذ من جديد في سبيل قناطر جديدة من الأموال وهكذا دواليك"^٣.

لا مرء مطلقاً في أن الحضارة الغربية بقائدها الإمبراطورية الأمريكية هي شبح يطارد كل شيء، وهي صاحبة النفوذ المطلق، حتى في سرقة البلاد المستضعفة، ونهب مقدرات الشعوب ومواردهم، ومص دمائهم، فهي حضارة اللصوص، وقطاع الطرق، والإرهابيين بلا منازع.

ويؤكد محمد أسد أن سمة الصراع في الحضارة الغربية، واستغلال الشعوب بالقوة، والاستبداد والظلم هو إرث أوروبا من الحضارة الرومانية، فيقول: "... إن الفكرة التي تأسست عليها الدولة الرومانية كانت قوة الغزو لاستغلال أمم أخرى لصالح الوطن الأم وحده، ولتحقيق حياة أفضل لجماعة مفضلة، ولم يكن للعنف حد يقف عنده، ولا للظالم رادع، وكان (العدل الروماني المشهور) للرومان فقط، وكان واضحاً أن هذا الاتجاه إنما يقوم على أساس مادي خالص للحياة، والحضارة، وإدراك مادي...، ولكنه على كل حال بعيد عن جميع القيم الروحية"^٤.

^١ سقوط العلمانية، مرجع سابق، ص ١١٩.

^٢ الإسلام حضارة الغد، مرجع سابق، ص ٢٢-٢٣.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٤٦.

^٤ المرجع السابق، ص ٥٢.

"لقد أرادوا القوة فوضعوا لأنفسهم منهجاً يحقق لهم القوة في كلِّ الميادين، وكان من بين أدواته الاستعمار الذي ورثوا نزعته من الجاهليتين الإغريقية والرومانية، ولم يكن الاستعمار شيئاً عارضاً...، إنما كان وسيلةً مشروعاً من وسائل القوة الموروثة...، وإنَّ الفظائع التي ارتكبت من هذا الاستعمار الوحشيِّ كانت مبررةً تماماً عند أصحابها على أنها حقٌّ من حقوق الأقباء الذين يسعون إلى تمكين قوتهم وترسيخها، و(عقابٌ مشروعٌ) على جريمة المقاومة لهذا الحقِّ المشروع"^١.

ويصف لنا محمد أسد شكلاً آخر من أشكال الصراع في الحضارة الغربية، وهو الصراع بين الدين والعلم، أو على القول الصحيح هو الصراع بين رجال الدين أو بين المؤسسة الدينية والعلم، وليس صراعاً بين الدين الإلهي والعلم.

فلقد كان هذا الصراع متأججاً وحاداً وعميقاً عبر التاريخ الأوروبي، وما زالت الحضارة الغربية تعاني من هذا التصادم بين مبادئ الكنيسة الدينية والعلم الحديث.

ولقد عبر محمد أسد عن حالة الصراع بين الكنيسة والعلم في مختلف أدواره التاريخية، فقال: "... خلال العصور الوسطى، عندما كانت السلطة المطلقة في ميدان البحث العلمي...، وقد ثار الفكر الإنسانيُّ أكثر من مرة، ولكنَّ الكنيسة أخمدت ثورته مرةً بعد مرة، وتاريخ القرون الوسطى مليءٌ بالتصادم الحاد بين العبقريَّة الأوروبية وبين دين الكنيسة"^٢.

ويقول أيضاً: "كانت القرون الوسطى قد دمرت القوى الإنتاجية لأوروبا، وكانت العلوم جامدة، وكان تسلُّطُ الخرافات غاشماً، وكانت الحياة الاجتماعية بدائيةً فجأةً إلى درجةٍ يصعبُ تصورُها اليوم"^٣.

هذه هي صورة الصراع بين العلم والكنيسة في العصور الوسطى، حين أصبحت الكنيسة باسم الدين رمزاً للتخلف، والظلم، والاستبداد، ومحاربة العلم.

وما تزال أوروبا إلى اليوم تعاني من مشكلة الصراع بين الدين والعلم، فالحضارة الغربية رغم ما توصلت إليه من تقدمٍ علميٍّ وتكنولوجيٍّ، إلا أنها ترفض أيَّ تفسيرٍ للعالم والوجود باللجوء إلى قوةٍ غيبيةٍ لا يمكن للعلم إثبات وجودها علمياً، ويخبرنا محمد أسد عن ذلك بقوله: " إنَّ ذلك الأساس الفكريُّ موجودٌ في فكرة الرومان القديمة عن الحياة بوصفها: مسألةٌ علميةٌ خالصةٌ دون أية اعتباراتٍ غيبيةٍ، ويمكن التعبير عنها بما يأتي: مادماً لا نعرف شيئاً يمكن إثباته بالتجارب العلمية والحسابات من أصل الحياة البشرية ومآلها بعد الموت الجسديِّ، فمن الأفضل تركيز طاقتنا لتطوير إمكاناتنا المادية

^١ رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب، ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٤٠-٤١.

^٢ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة صالح الحصين، مرجع سابق، ص ٤٦.

^٣ المرجع السابق، ص ٤٧.

والعقلية دون أن نسمح لأنفسنا أن نعاق باعتقاداتٍ غيبيةٍ ومسلماتٍ أخلاقيةٍ مبنيةٍ على افتراضات لا تقوم على البرهان العلمي^١.

وفي موضعٍ آخر يؤكد - رحمه الله - على هذا المنطلق الذي تميزت به الحضارة الغربية فيقول: "... إنَّ الغربيَّ المعاصر حريٌّ بأن لا يعزو القيمة العملية إلَّا للأفكار التي تقع في نطاق العلوم التجريبية وحدها، ... فإنَّ العقل الغربيَّ في الأساس يميل إلى أن يُخرج الاعتقاد بالله من نطاق الاهتمام العلمي"^٢.

لقد اندفع تيار أهوجٍ في القنوات الفكرية والعلمية في أوروبا، يريد أن يجرف كلَّ شيءٍ اسمه (دين) أو له علاقةٌ بهذا الاسم، ويطمس كلَّ موحى من موحياته...؛ لأنَّ ذلك ما يمليه المنهج العلميُّ، وحرية الفكر، ولا لأنَّه مقتضى النظر الموضوعيِّ المتسم بالتعقل، بل لأنه نتيجةٌ لردِّ العقل المتهور ضدَّ الكنيسة الذي لا تكاد حدته تخفُّ حتى تلهدها آثار سياط الكنيسة في ظهورهم^٣.

فالعلم هو وحده الحقُّ والحكم، وهو مصدر النور كما أنه منبع الرفاهية، أما الدين فجمودٌ، ورجعيةٌ، وخرافاتٌ، وأساطيرٌ، وإذا عُرضت مسألةٌ فليخرس الدين ولينطق العلم، وليبحث العلماء ويستخرجوا قوانين الطبيعة، وأسرار الكون في الهواء الطلق بعيداً عن الدين، وإذا كان لابدٌ من إخضاع أحدهما للآخر فليخضع الدين، ولتطبق كلُّ حقائق الدين كالوحي، والمعجزات، والروح داخل المعامل، والمختبرات، وإلَّا فلتسقط إلى الأبد^٤.

وعليه فإنَّ الكنيسة الأوروبية كانت السبب الأول الذي أدى إلى الصراع بين الإنسان والإله، وبين العلم والدين، وبالتالي جميع أنواع الصراعات الأخرى، ومازالت الحضارة الغربية تعاني من تلك العداوة الشرسة للدين، كما أنَّ الموروث الرومانيَّ العالق في الذهن، وفي النفسية الأوروبية له دورٌ في تصوير العلاقة بين الفرد والإله على أنها علاقةٌ عداً وصدماً دائماً، فالربُّ يسيطر بالجهل على الفرد خشية أن ينافس في ملكه، والفرد يحاول الخروج من تلك السيطرة، ورفضها بوسائل شتى أدت في النهاية إلى بتر الدين بالكلية، وعلمنة العلم.

د. نزعة الاستعلاء على الآخرين (الفوقية):

إنَّ نزعة الاستعلاء على الآخرين تسري، وتتحكم في عقول الغربيين كافةً، فهم يعتقدون أنهم أفضل من غيرهم عنصراً، وأنقى دماءً، وأنهم خلُقوا، ليقودوا، ويسودوا، ويحكموا، وأنَّ الآخرين خلُقوا

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة صالح الحصين، مرجع سابق، ص ٤٤-٤٥.

^٢ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٣٩.

^٣ العلمانية نشأماً وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، مرجع سابق، ص ٣٢٩.

^٤ المرجع السابق، ص ٣٣١.

ليكونوا مسودين، ومحكومين لهم هكذا بالفطرة والخلقة، ولقد سقطت نظرية تفاضل الأجناس علمياً، ولكنها لم تسقط نفسياً، ولا زال لها تأثيرها في نفوس الكثيرين، بل الأكثر من أبناء الغرب في علاقتهم بالآخرين^١.

ويرى محمد أسد أن أيديولوجية الاستعلاء على الآخرين المكونة للحضارة الغربية، والسائدة في مجتمعاتها مع روح التعالي، ما هي إلا إحدى موروثات الحضارتين اليونانية والرومانية، يقول - رحمه الله -: "إن اليونان والرومان كانوا يعدون أنفسهم وحدهم المتحضرين في حين يرون كل شيء آخر أجنبياً، وبصفة خاصة يعدون كل شيء يعيش شرق البحر الأبيض المتوسط بربرياً أو غير متحضر، ومنذ ذلك الوقت اعتقد الغربيون أن تفوقهم العرقي حقيقة واقعة، وكان احتقارهم لغير الأوروبيين المعلن بدرجة أقل أو أكثر أحد المظاهر البارزة للحضارة الغربية"^٢.

إن هذه الفكرة التي تقسم العالم إلى متحضرين وبرابرة، وتقصر الحضارة على الغرب، هي التي تجعل الغربي يرفض القيم الإيجابية مادامت تقع خارج مداره الثقافي الخاص^٣.

لذا ينتقد محمد أسد الغرب على عجزتهم العمياء، واستعلائهم على الآخرين موضعاً نظرهم الجزئية، والضيقة للحضارة الغربية، حيث يعتقدون بأن هناك كتاباً واحداً للرقى الإنساني والتقدم العلمي، وهو كتاب الحضارة الغربية، فيقول: "لقد مال المفكرون والمؤرخون الأوروبيون، منذ عهود اليونان والرومان، إلى أن يتبصروا بتاريخ العالم من وجهة نظر التاريخ الأوروبي والتجارب الثقافية الغربية وحدها، أما المدنيات غير الغربية فلا يعرض لها إلا من حيث أن لوجودها تأثيراً مباشراً في مصائر الإنسان الغربي،... وهنا يستسلم بسهولة إلى الوهم الخادع الذي يصور الخبرات الثقافية الغربية أسمى من سائر خبرات العالم"^٤.

لاشك أن هذا النص الثمين بمثابة شهادة صدق، وبرهان بين - من شخصية لها خبرة ومعرفة بالثقافة الغربية - يوضح أوهام الغرب، وأكاذيبه التي قسمت الناس إلى أوروبيين وبرابرة، وتبين واقع الحضارة الغربية، وسمة بارزة من سمات الفكر الغربي الذي تجاهل قيمة، وتاريخ أعظم حضارة عرفت البشرية، فالشعور الغربي بالتفوق العنصري ما هو إلا وهم كان وما زال يسيطر على العقلية الغربية، والتاريخ يشهد على الكراهية الغربية للآخر التي ظهرت بأبشع صورها ضد السود والملونين، واليهود والمسلمين، وهو أمر مناف للحضارة، والتقدم، والتعايش الذي طالما تشدد بما الغرب في كثير من مناسباته.

^١ الإسلام حضارة الغد، مرجع سابق، ص ٢٤.

^٢ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٢.

^٣ الطريق إلى مكة، أحمد مجحت، مجلة القافلة، السعودية، المجلد ٤١، العدد ٥، جمادى الأولى ١٤١٣هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٢م، ص ٩.

^٤ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٧-١٨.

- أثر الحروب الصليبية على الفكر الغربي الحديث، مرجع سابق، ص ٥-٦.

ثالثاً - آفات الحضارة الغربية:

لم ينكر محمد أسد - رحمه الله - الجهد العقلي الكبير الذي بذلته الحضارة الغربية، وما وصلت إليه أبحاثها العلمية من نظريات، وما قدمته للإنسانية من تطور في العلوم المختلفة، بل إنه أكد على ضرورة دراسة العلوم التطبيقية العلمية الحديثة حسب الأسس الغربية، مشيراً إلى أن أوروبا قطعت مسافة طويلة في ميدان العلوم التطبيقية، وليس أمام المسلمين، سوى الاستفادة مما توصلت إليه الحضارة الغربية من تقدم علمي، وتقني فهم - على حدّ قوله - مضطرون إلى اتخاذ هذا الموقف؛ حيث أنه لا بدّ لهم من أن يبذلوا الكثير من الجهد والوقت لتضييق الفجوة بينهم، وبين ما توصلت إليه الحضارة الغربية من تقدم علمي، لذا يتوجب عليهم أن لا يترددوا في دراسة العلوم التطبيقية حسب الأسس الغربية^١.

هذه الرؤية التي قدمها محمد أسد لا يمكن أن يجحدها أي منصف عاقل، فللحضارة الغربية آثارٌ إيجابية، وثمارٌ طيبة في الحياة الإنسانية، فقد استطاعت هذه الحضارة بواسطة التقدم العلمي أن تختصر المسافات، وأن توفر المجهود البدني عن طريق الآلة، كما استطاعت أن توفر المجهود الذهني عن طريق الحاسوب، كما أنها قدمت الحوافز التي تدفع الإنسانية للابتكار والإنتاج والبحث، وصنعت له المناخ النفسي والعقلي الذي يشجعه على المضي، وهيات له الإدارة الحسنة التي تساعده على إتقان عمله، فأنتج وأحسن، وأفاد، وميزة هذه الحضارة أنها لا تقف جامدة، بل تنتقل من طورٍ إلى طورٍ، ومن تقدمٍ إلى آخر حتى أصبح الإنسان يعيش في ظلّها رفاهيةً وراحةً، ويقضي حاجاته بضغطه زرّاً، بل إنه استغنى عن الأزرار فهو يقف أمام الباب ويفتح وحده، ويضع رجله على السلم ليصعد به، ويضع يده تحت الصنبور فيصّب الماء إلى غير ذلك، مما أصبح الإنسان معتاداً عليه في حياته اليومية^٢.

تلك هي الجوانب الإيجابية للحضارة الغربية، وهي جوانب تقريباً متعلقة بالوسائل، والأدوات، والآلات التي يستخدمها الإنسان، وكما يسميها بعض المختصين بالمادية، التي تمثل الاتجاه الماديّ الصرف، أي جانباً واحداً من جوانب الحضارة، وهو جانب لا علاقة له بالقيم الإنسانية، والأخلاق، والفكر والثقافة.

وقد مرّ معنا فيما سبق التأصيل الفكري لمفهوم الحضارة الغربية، وجذورها التاريخية، والعوامل التي ساهمت في تكوينها، ومن خلال ذلك التأصيل يمكن محاكمة الحضارة الغربية، والوقوف على آفاتهما وفقاً لرؤية محمد أسد - رحمه الله - من خلال المعطيات التالية:

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٧٢-٧٣.

^٢ الإسلام حضارة الغد، مرجع سابق، ص ٢٩-٣١.

أ. الحضارة الغربية المعاصرة والمركب الحضاري:

لقد رأينا من قبل أن التوازن سمة أساسية في الحضارة الحقّة، فالحضارة التي تطمح إلى البقاء، وتريد الارتقاء والسعادة للإنسانية هي تلك التي تراعي التوازن بين الجانبين الماديّ والمعنويّ، أما الإغراق في المادية فهو بلا شكّ الطريق إلى تفتت وانحيار الحضارات والشعوب.

ويرى محمد أسد - رحمه الله - أن الحضارة الغربية تقوم على الفصل بين المادة والقيم فهي بذلك تكون مخالفةً للفطرة الإنسانية ومصادمةً لها، حيث أصبحت المادة أهمّ خصائصها، واستعلت بنظرها المادية على الدين وقيمه ومبادئه، ففقدت الإنسانية مكانتها في التركيبة الحضارية.

يقول محمد أسد: " في المدنية الغربية الحديثة ... إنّ اعتبارات الانتفاع الماديّ تسود جميع مظاهر النشاط الإنسانيّ، أما الأخلاق فتتنفى إلى زاوية مظلمة من الحياة ثم يحكم لها بوجود نظريّ خالص من غير أن يكون لها قوة مؤثرة في المجتمع".¹

كما يصف لنا محمد أسد تفشي الأخلاق النفعية في الحضارة الغربية، والتي تستخدم لتحقيق المصالح المادية بعيداً عن المبادئ والقيم الإنسانية، فيقول: "إننا نجد في التبدل الأساسي الذي تخضع له الحياة الاجتماعية في الغرب الآن تلك الفلسفة الأخلاقية الجديدة المبنية على الانتفاع تبرز للعيان شيئاً فشيئاً، وكلّ الفضائل التي تتعلق مباشرةً برفاهية المجتمع الماديّ ... هي اليوم موضعاً للمديح و لرفع قيمتها فوق ما هو معقول، بينما الفضائل التي ظلّت تعتبر إلى اليوم، من وجهة قيمتها الخلقية الخالصة كالحبّ الأبويّ والعفاف، تخسر قيمتها بسرعة؛ لأنها لا تهب المجتمع فائدةً ماديةً محسوسة"².

ومما لاشكّ فيه أن طغيان الرعة المادية، وانتشار الأخلاق النفعية في الحضارة الغربية أدى إلى التفسخ الخُلقيّ والانحلال الأسريّ، وهو ما أشار إليه محمد أسد في أكثر من موضعٍ موضحاً انهيار معنى الأسرة في الحضارة الغربية، وانحلال الروابط الدينية والخلقية التي تربط أفراد الأسرة الواحدة، وتنظم العلاقات بينهم، وترقى بهم، فالعفاف وضبط النفس لا مكان لهما في الأسرة الغربية، والعطف من قبل الآباء معدومٌ تجاه الأبناء، ولا احترام من قبل الأبناء للآباء، يقول رحمه الله: "إنّ العفاف والإحصان يصبحان مع الأيام خبراً ماضياً في الغرب الحديث لأنهما مفروضان من طريق الخلق فحسب، وليس للاعتبارات الخُلقية أثرٌ مباشرٌ محسوسٌ في رفاهية الشعب المادية، وهكذا نجد أنّ الفضائل الخُلقية القديمة يؤيدها الدين أخذت تخلي مكانتها بالتدرج للفضائل الغربية الجديدة التي تدعو إلى حرية فرديةٍ للجدسد البشريّ غير مقيدة، أما ضبط النفس ومراقبة الصلات الجنسية فإنهما يفقدان أهميتهما بسرعة"³.

¹ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٠-٥١.

² المرجع السابق، ص ٤٨.

³ المرجع السابق، ص ٤٩.

وفي موضعٍ آخر يقول: "إنَّ العصر الذي كان فيه الحرص على الروابط المتينة في الأسرة من أجل سير الجماعات والعشائر قد تبدل الآن في الغرب بعصرٍ من النظام الاجتماعيِّ أوسع مدى ... لا يكون سلوك الابن فيه نحو أبيه ذا قيمة اجتماعية كبرى ... وبالتالي فإنَّ الوالد الأوروبي يفقد في كلِّ يوم شيئاً من سلطته على ابنه، وكذا الابن يفقد من احترامه لأبيه ... وذلك لافتراض مجتمعٍ آليٍّ يميل إلى إلغاء كلِّ امتيازٍ لفردٍ ما على الآخر ... إنَّ الصلة القديمة بين الأب وابنه تصبح مع الأيام مهجورة"^١.

وبالتالي فإنَّ العلاقات بين أفراد الأسرة في الحضارة الغربية تعيش حالةً من الانطوائية، والانعزالية، والفردية القاتلة بعيداً عن مشاعر الحبِّ، والسكينة، والمودة، والرحمة، فإذا كان هذا هو حال العلاقات الأسرية في المجتمعات الغربية فكيف هو حال العلاقات بين الأفراد خارج نطاق الأسرة!!؟

ولاشكَّ أنَّ تلك هي نتيجة المادية المهلكة، التي أهلكت بتصورها وغرورها كلَّ ما سبق من الحضارات الوثنية المفرطة في ماديتها، وعتوها، واستكبارها، يقول الله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئِيًّا ﴾^٢.

ب. الحضارة الغربية والإنسان (التكامل بين القيم):

يرى محمد أسد بأنَّ الحضارة الغربية قامت على أساس الفصل بين الروح والجسد، وهو أساسٌ مناقضٌ لفطرة الحياة، ولفطرة الإنسان، حيث لم يراع حاجات الإنسان الأساسية التي تشكل جزءاً مهماً من تكوينه وطبيعته، فأصبح الإنسان في ظلِّ هذه الحضارة عاجزاً عن فهم معنى الاستخلاف في الأرض، وعاجزاً عن فهم مسؤوليته الفردية والخلقية، لذلك وقعت الحضارة الغربية في أزمة حضارية كبرى عاش فيها الإنسان حياة البؤس، والشقاء، والألم، وتذوق العذاب صنوفاً شتى.

يقول رحمه الله: "إنَّ المدنية الغربية لم تستطع حتى الآن أن تقيم توازناً بين حاجات الإنسان الجسمانية والاجتماعية وبين أشواقه الروحية، لقد تخلَّت عن آدابها الدينية السابقة دون أن تتمكن من أن تخرج من نفسها أيَّ نظامٍ أخلاقيٍّ مهما كان نظرياً يُخضع نفسه للعقل"^٣.

وفي السياق ذاته يطلق رئيس أساقفة الكنيسة المسيحية في إنجلترا صيحةً قويةً موافقةً لما ذكره محمد أسد تحذر من الفساد العارم في بلاد الغرب، والتدني الأخلاقيِّ، حيث علل انهيار المجتمع الإنجليزي، وضعفه، وتفككه يعود إلى أمرين، هما:

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٤٨-٤٩.

^٢ سورة مريم: آية ٧٤.

^٣ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣١١.

١. اندثار الأخلاق.

٢. اضمحلال الجانب الروحي لدى الإنسان الإنجليزي

وحذر الشعب الإنجليزي من أن الاهتمام والتركيز على النواحي المادية فحسب سيؤدي إلى اندثار حضارتهم، وأكد على أن الاهتمام بالأمر المادية يجب أن يصاحبه استمرار اهتمام مكافئ بالنواحي الخلقية والروحية^١.

ويبدو أن تلك الصيحة المدوية هي ما يفسر لنا ارتفاع نسبة الانتحار في أكثر الدول رقياً وتنظيماً كالسويد^٢ وسويسرا، وكذا ظهور جماعات وفئات من الناس كالخنافس والهيز تمرداً على الحضارة الغربية المادية التي لم تشبع جوعهم الروحي، ولم تملأ فراغهم العقدي والنفسي، ولم يعرفوا معها للحياة معنى ولا غاية.

وكما هو معلوم فإن محمد أسد يعدُّ أحد أبناء الغرب، ويمثل نموذجاً من شباب مطلع القرن العشرين الذين عانوا من الخواء الروحي، والمشكلات الفكرية فأصابهم القلق النفسي، والتوتر الاجتماعي، وهو ما عبر عنه محمد أسد في العديد من المواضيع، فيقول مثلاً: "كانت الخيبة الروحية متجلية في فقدان الشامل للاتفاق على معنى الخير والشر، وفي إخضاع الأحداث الاجتماعية والاقتصادية جميعاً إلى قاعدة المصلحة، تلك المرأة الداعرة، الراغبة في أي إنسان، وفي أي وقت... وذلك الحنين الشره إلى السلطة واللذة... كذلك رأيت مبلغ اضطراب حياتنا وشقائنا، وقلة الحياة المشتركة بين الإنسان والإنسان...، ومبلغ خروجنا عن غرائزنا السليمة، ومبلغ الضيق والعنف اللذين أصابا أرواحنا، لقد رأيت كل هذا"^٣.

ولا عجب بعد هذا الخواء الروحي أن تقع البشرية في حيرة، ويصيبها السأم والضعف من الحياة بعد أن عجز الدين عن هدايتها، وإذهاب القلق والاضطراب عنها، وعجزت الأنظمة الوضعية المتهافنة، والنظريات السياسية عن إشباع روحها وإقناع عقلها بما يليق بها وحاجاتها العقلية، والنفسية، والفطرية، وعجز العلم الحديث في معاملته البحثية، ومن خلال أرقامه الحسائية أن يجد لها تطوراً روحياً يصل بها إلى حقيقة الإيمان.

^١ الحضارة الغربية على شفا حرف هاو، مصطفى فوزي غزال، ط٢، القاهرة: دار السلام، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٩-١١.

^٢ السويد: مملكة السويد، عاصمتها ستوكهولم، اللغة الرسمية فيها السويدية، والديانة المسيحية، مذهب البروتستنت، وهي عضو في الاتحاد الأوروبي، وفي الأمم المتحدة.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٧٦-٧٨.

^٣ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٠٢.

ولقد وصف لنا محمد أسد هذا العجز والفشل الذي أصاب الحضارة الغربية بمجتمعاتها، ومؤسساتها الدينية، والتعليمية، والسياسية، فقال: "... فشل العلم والدين ومذاهب الإصلاح في القيام بهذا الدور، لأن العلم كان مجرد معرفةٍ دونما هدفٍ أخلاقيٍّ، أما الدين فقد تحول إلى مرآةٍ تعكس عادات رجال الدين التقليديين الخاصة في التفكير، وهي عاداتٌ أصابها الجمود والخلل منذ زمنٍ بعيدٍ، أما المذاهب الإصلاحية فقد انصرفت إلى الاهتمام بما يحيط بالمشاكل من ظروفٍ خارجيةٍ وليس بالمشاكل نفسها".^١

كما يشير محمد أسد إلى الخطأ الفادح الذي وقعت فيه الحضارة الغربية عندما عزلت العلم عن الدين، واعتقدت بذلك أنها تقدم السعادة للإنسان، والحقيقة هي أن كل ما قدمه العلم الحديث من اختراعاتٍ علميةٍ، وأجهزةٍ، وأدواتٍ هو عبارةٌ عن وسائلٍ للوصول إلى غايات وأهداف السياسات الغربية التي جلبت الشرَّ والشقاء للإنسانية.

هذا ما عرج عليه محمد أسد في العديد من المواضع موضحاً أنه على الرغم من التقدم العلمي، والتطور الصناعي، وكثرة الإنتاج المادي الذي حققته الحضارة الغربية، إلا أنها لم تستطع التغلب على استعداد الإنسان للانسياق الأعمى خلف الشعارات التي يخترعها محترفو التأثير على الجماهير أياً كانت غرابتها، لذا لم ينعم الإنسان الغربي بنور العلم؛ لافتقاره إلى الروح الدينية بالكلية، وهو بذلك يصدق عليه الوصف القرآني في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ دَهِبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ دَهِبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ صُمُّ بَكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

وهذا ما شبهه محمد أسد بعبادة الدجال، فيقول: "إن الإنسان الغربي قد أسلم نفسه لعبادة الدجال، لقد فقد منذ وقتٍ طويلٍ براءته، وفقد كلَّ تماسكٍ داخليٍّ مع الطبيعة، لقد أصبحت الحياة في نظره لغزاً، إنه مرتابٌ شكوكٌ، ولذلك فهو منفصلٌ عن أخيه متفردٌ بنفسه، ولكي لا يهلك في وحدته هذه، فإن عليه أن يسيطر على الحياة بالوسائل الخارجية، ... ولذا فإن عليه أن يكافح دائماً، وبألمٍ في سبيل الأمن من لحظةٍ إلى أخرى، وبسبب أنه فقد كلَّ توجيهٍ دينيٍّ وقرر الاستغناء عنه، فإن عليه أن يخترع لنفسه باستمرارٍ حلفاء ميكانيكيين ...، يخترع كلَّ يومٍ آلاتٍ جديدةٍ ويعطي كلاً منها بعض روحه كي تنافح في سبيل وجوده ...، ولكنها في الوقت نفسه تخلق له كلَّ يومٍ حاجاتٍ جديدةٍ، وطمأناً لا يرويه إلا حلفاء جددٌ آخرون أكثر اصطناعيةً، وتضيع روحه في ضوضاء الآلة الخائفة التي تزداد مع الأيام قوةً وجرأةً

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٠٨-١٠٩.

^٢ سورة البقرة: آية: ١٧-١٨.

^٣ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣١١.

وغرابة... والظاهر أن كهنة هذا المعبود المبشرين به غير مدركين أن سرعة التقدم التقني الحديث هي نتيجة ليس لنمو المعرفة الإيجابي فحسب، بل لليأس الروحي أيضاً..^١

وواضح أن هذا النص الطويل يشهد على شقاء الإنسان الغربي، ومعاناته الروحية، حين تنكر للدين، فحار عقله، وتاكلت روحه، ووقع فريسةً للأنظمة السياسية، والمذاهب الدينية، فعبد المادة والاختراعات العلمية، وأصيب بالغرور الأعمى؛ بسبب ما توصل إليه عقله وعلمه، وظن أنه بذلك سيقضي على كافة مشكلاته النفسية، والروحية، والعقلية، والسياسية، والاقتصادية، والصحية.

ولكن هيهات هيهات لحضارة كفرت بالله، ونبذت الإيمان، وقامت على بناء مادي فقط أن يكون لها ما أرادت، فالقرآن الكريم حكم على الحضارات المادية الكافرة بالفناء، واستحقاق عذاب الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءِثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ٢، وقال عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٢﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٣﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٤﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿٥﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿٦﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿٧﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿٩﴾ ٣. ﴿٩﴾

ج. الحضارة الغربية ووحدة البشرية:

لقد مر معنا بأن الحضارة الغربية قامت على أسسٍ عنصرية، وسادتها نزعة تسلطية، تؤمن بالتفوق العنصري للشعوب الأوروبية، وتقدم الجنس الأبيض على ما دونه من الأجناس، وهو ما ورد كثيراً على لسان محمد أسد، ومن ذلك قوله: "... الأوروبيون يعتقدون أن تفوقهم العنصري على سائر البشر أمرٌ

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣١٠.

^٢ سورة غافر، آية: ٨٢-٨٥.

^٣ سورة الفجر، آية: ٦-١٤.

واقِعٌ، ثم إنَّ احتقارهم إلى حدِّ بعيدٍ أو قريبٍ لكلِّ ما ليس أوروبياً من أجناس الناس وشعوبهم قد أصبح أحد المميزات البارزة في المدينة الغربية^١.

كما أكَّد - رحمه الله - على أنَّ العنصرية هي جزءٌ أصيلٌ من ثقافة الإنسان الغربيِّ، وأنها موجودةٌ دون شكٍّ في اللاوعي والمكون الداخليِّ للفكر الغربيِّ المعاصر، بل إنَّ الفكر الغربيِّ محاصرٌ في دائرة المركزية الأوروبية، يقول: "لقد كانت أوروبا بداءة تفكيرنا ونهايته أيضاً"^٢.

وعليه فإنَّ تلك النظرية العنصرية سولت للحضارة الغربية حقَّها في السخرية واحتقار الأمم والشعوب الأخرى، والتحكُّم بمصيرها، واحتلال أراضيها، وتذليل أهلها، والسيطرة على مقدراتهم.

وليس أدلَّ على ذلك من تلك الحقبة الاستعمارية على المنطقة العربية التي عاصرها محمد أسد، وشهد العدوان الغربيِّ، وتكالب الدول الأوروبية على البلاد العربية؛ للتنكيل بشعوبها، ونهب ثرواتهم، واستهداف هويتهم الإسلامية والعربية، وبالتالي فرض قيم وثقافة الغرب على تلك الشعوب المنكوبة.

فاستطاع - رحمه الله - أن يكشف لنا من خلال مشاهداته، وعمله مراسلاً صحفياً في بلاد الشرق الأوسط وجهة نظر الدول الاستعمارية الكبرى في حال تدخلها الخارجيِّ. بمشكلات دول الشرق الأوسط، يقول: "اعتادت أوروبا ... أن تنظر إلى تاريخه الحاضر - يقصد تاريخ الشرق الأوسط - بمنظار المصلحة الغربية وحدها،، وحنة الغرب الدائمة هي تفكك الشرق الأوسط السياسيِّ، وتأخره الاقتصاديِّ، كما أنَّ كلَّ تدخلٍ غربيٍّ فعالٍ إنما يوصف دائماً، تصنعاً ورياءً من قبل أصحابه، بأنَّه لا يهدف إلى مجرد حماية المصالح المشروعة فحسب، بل إلى تحقيق التقدم والرفيِّ للسكان المحليين أنفسهم، والغربيون المعنيون بشؤون الشرق الأوسط، إذ ينسون أنَّ كلَّ تدخلٍ مباشرٍ من الخارج، حتى ولو كان تدخلًا خيراً، لا يمكن إلَّا أن يعوق تقدم أية أمةٍ من الأمم وتطورها، كانوا ولا يزالون أهلاً لانطلاق هذه النزاع عليهم، إنهم لا يرون إلى نسيج البلد الاجتماعيِّ كيف يضعفونه ويتلفونه، إنهم يحصون عدد الكيلوات الكهربائية الجديدة، ولكنهم لا يعدون الصفعات التي يكيلونها لكرامة الشعب ... إنَّ كثيراً من العلل الاجتماعية والاقتصادية التي يشكو منها الشرق الأوسط هي نتيجةٌ مباشرةٌ لذلك الاهتمام الغربيِّ بالذات، وأنَّ التدخل الغربيِّ، يسعى إلى أن يخلد وأن يوسع التفكك الداخليِّ القائم الآن في الشرق الأوسط، وإلى أن يجعل من المستحيل على شعوبه أن تستفيق وتعود إلى رشدها"^٣.

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٥٢.

^٢ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٠٢.

^٣ ينظر: المرجع السابق، ص ١٤١-١٤٢.

- حجة الغرب الدائمة، محمد أسد، مجلة المعرفة، المملكة العربية السعودية، العدد ٩٤، محرم ١٤٢٤هـ/ مارس ٢٠٠٣م، ص ١٦٠.

لقد أصاب - رحمه الله - وهو يصف لنا حال السياسة الخارجية لدول الاحتلال الكبرى في حصارها للشعوب المستقلة اقتصادياً، وسياسياً، والتدخل في شؤونها؛ بحجة الحفاظ على المصالح الغربية المشروعة، وتحقيق الأمن والسلام العالميين، وما هي إلا أسبابٌ زائفةٌ تخفي خلفها الوجه الحقيقيّ البشع لأهداف تلك السياسات الاستعمارية الكبرى، التي أرادت أن تخلد بطريقتها في بلاد الشرق الأوسط، وأن تخلق الشقاق والتزاع بين الفئات المحلية مستغلةً التعدد العرقيّ، والطائفيّ، والمذهبيّ، والجغرافيّ؛ لتضرب على تلك الشعوب المستقلة سياجاً من التخلف، والفقير، والعوز، ولتعزز التبعية السياسية، والاقتصادية، والثقافية فيها، فيصبح من الصعب جداً على شعوب تلك المناطق أن تستفيق، وتعود إلى رشدها.

هذا ما خلفته الحضارة الغربية للإنسانية، على سعيد التكامل ووحدة البشرية، ولا نعلم هل الحضارة لا تسمى حضارةً إلا إذا قامت على القوة والسيطرة، وعملت على دمار الإنسانية؟! واتخذت من نفسها الحكم الفصل في قضايا العالم!!؟ فما استحسنته كان مقبولاً، وما أنكرته كان مرفوضاً وفقاً لمعاييرها المزدوجة.

وهو المعنى الذي أشار إليه محمد أسد - رحمه الله - في مواضع عديدةٍ موضحاً أن تلك الحضارة الغربية لا تهرع لنصرة المظلوم إلا حينما يتطابق هذا الأمر مع مصلحتها الخاصة، وفي المقابل قد تحجم عن نصرة المظلوم أو تقف مع الظالم بغضّ النظر عن النتائج عندما يكون الوقوف مع المظلوم متعارضاً مع مصلحتها الخاصة.

"فضال الشعوب الأوروبية للحصول على استقلالها وحريتها، أمرٌ مقبولٌ لديها ولدى الرأي الأوروبي العام، بل ويظهر حوله الكثير من العطف، ويعتبر كفاحاً مشروعاً مع الرفض القاطع لأيّ تدخلٍ خارجيٍّ في شؤونهم الداخلية، وإن كان تدخلًا من دولٍ غربيةٍ، على اعتبار أنهم دولٌ مستقلة لها سياستها الخاصة بها، وحقوق لا يجوز أن يتمتع بها غيرها، وفي الوقت نفسه يبيحون لأنفسهم التدخل في شؤون دولٍ أخرى من أجل المحافظة على مصالحهم ونموّ اقتصادهم، ويرون أنه حقٌّ لهم فرض بالقوة على الآخرين، وإن كان يؤدي إلى تدمير البلدان والشعوب صاحبة الحقّ الأصيل"^١.

وبأخلاقيات العمل الصحفيّ يصف لنا محمد أسد العديد من الشواهد التاريخية على تلك السياسات الظالمة التي جسدت لنا علاقة الحضارة الغربية بالوحدة البشرية، والتي لاحظها أثناء عمله مراسلاً صحفياً في بلاد الشرق الأوسط، وقام بمعالجتها، وتدوينها بصدقٍ وشفافيةٍ، فعلى سبيل المثال يقول: "لقد بدأت أدرك هذا، أولّ ما بدأت في فلسطين عام ١٩٢٢م عندما لاحظت الدور المتلبس المزدوج الذي كانت الإدارة البريطانية تلعبه فيما يتعلق بالتزاع بين العرب والصهاينة ... وفي عام ١٩٢٣م عندما أتيت إلى

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٤١.

مصر اتضح لي وضوحاً تاماً في ثورةٍ ضدَّ الحماية البريطانية، كانت القنابل كثيراً ما تلقى في الأماكن العامة التي يرتادها الجنود البريطانيون، فتجيب عنها السلطات بالقمع والاعتقالات السياسية وإبعاد القادة والزعماء وتعطيل الصحف...، ولم يكن لهذا في نظر الغرب من تفسيرٍ سوى كلمةٍ واحدةٍ: كره الأجنب".^١

وجاء عنه في موضعٍ آخر: "إنَّ البريطانيين في مصر لحماية مصالحهم، مثل قناة السويس، ومملكة القطن التي تحمي الأسواق البريطانية".^٢

ويقول أيضاً: "إنَّ من يتفهم الموقف الحالي لبريطانيا فسيقوم باحتقار سياسة إنجلترا المنافة...، ويبدو بالنسبة لي أن السياسات الأوروبية في الشرق هي عرضةٌ بشكلٍ واضحٍ جداً إلى الاستعمار".^٣

كما تحدث - رحمه الله - عن الاحتلال البريطاني للعراق، حيث كان شاهد عيانٍ على الأحداث التي وقعت في ٢٩ مايو ١٩٢٤م عندما أبرم البرلمان العراقي مع بريطانيا العظمى، فثار الشعب العراقي وهو يدافع عن نفسه وأرضه وكرامته ضدَّ تلك الصداقة المزعومة مع المحتلِّ، وانطلقت المظاهرات الصاخبة في الشوارع، فاستجابت سلطات الاحتلال البريطاني بإطلاق النيران عليها، وسقط كثيرٌ من الشهداء، وما أشبه اليوم بالأمس، وكأنه يتحدث عن الاحتلال الأمريكي للعراق الذي مضى عليه عقدٌ كاملٌ ومازالت بلاد الرافدين تعيش بين الفوضى والموت والطائفية والتزوح والفقْر، والإمبراطورية الأمريكية تتمتع بسرقة الثروة النفطية للعراق مقابل شعاراتها الكاذبة.

هذا ما تميزت به الحضارة الغربية العدائية ذات الطابع البربري الذي كان سبيلاً إلى شقاء البشرية، وهدم الإنسانية على أساسٍ من سيادة روح النزاع، وإقرار مبدأ التناحر للبقاء والسيطرة الذي جرَّع العالم كلَّه الولايات فأصبح قانون الغابة هو الذي يحكم، ويتحكم في سير تلك الحضارة.

ومن هنا نجد أنَّ محمد أسد كشف لنا عن الدور الحقيقي للحضارة الغربية من وحدة الإنسانية وذلك من خلال عرضه للجذور الفكرية التي قامت عليها، والمناخ الذي نشأت فيه، والخلفية الأيديولوجية التي انطلقت منها، والمخططات الاستعمارية التي نفذتها ومازالت تعمل على العديد منها.

فتأكد لنا أنَّ الحضارة الغربية هي حضارةٌ عدائيةٌ تقوم على مبدأ الصراع، وإلغاء الخصوصيات الحضارية للحضارات الأخرى، وتحاول تعميم نموذجها الحضاري على المجتمعات الأخرى، لاسيما

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٤٢.

2.The Unromantic Orient,Op. Cit., P. 11.

3.Ibid., P. 18-19.

^٤ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٢٤٩-٢٥٠.

المسلمة منها؛ لصهر الثقافات عامة والثقافة الإسلامية خاصة في بوتقة الثقافة الغربية، مستخدمةً في سبيل تحقيق ذلك جميع ما يتوفر لها من وسائل وإن كان ذلك على حساب دماء الآخرين، ولقمة عيشهم.

رابعاً - التفاعل والتبادل الحضاري بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية:

ربما يكون المفكر محمد أسد أحد الذين أحاطوا علماً بالحضارة الإسلامية، واستوعبوا أكثر بكثير من بعض المسلمين الذين يتصدرون الساحة الفكرية، والثقافية على امتداد العالم الإسلامي، وسمتهم العامة التنكر للإسلام، وطمس معالم الحضارة الإسلامية.

وبنفس القدرة - بل ويزيد - كانت إحاطته، ومعرفته بالحضارة الغربية، لذا فقد سجل - رحمه الله - العديد من الرؤى، والتصورات حول الحضارتين مناقشاً بذلك القضايا المتعلقة بهما من تاريخ وأيديولوجية، ومبادئ وأصول، وصولاً إلى قضية التواصل الحضاري بين العالمين الإسلامي والغربي واقعه ومأموله.

وفي ضوء ما سبق نستعرض تصورات محمد أسد حول التبادل الحضاري بين الحضارتين الغربية والإسلامية من خلال ما يلي:

- ◆ لمحة مختصرة عن الحضارة الإسلامية.
- ◆ الصلات الحضارية بين الغرب والإسلام.
- ◆ تقليد المسلمين لمظاهر الحياة الغربية.
- ◆ الانتفاع والاقتباس من الحضارة الغربية.

أ. لمحة مختصرة عن الحضارة الإسلامية:

لقد كانت الحضارة الإسلامية محور اهتمام المفكر محمد أسد - رحمه الله - حيث ظهر ذلك واضحاً في مؤلفاته، ومقالاته، وأحاديثه الإذاعية، إدراكاً منه بعظم هذه الحضارة التي تختلف عن غيرها من الحضارات تبعاً للأساس العقدي الذي بنيت عليه، وإيماناً منه بأنها مصدر الخير والسعادة للبشرية جمعاء.

وفي هذا كتب محمد أسد كتباً ومقالات؛ بغية تعريف القارئ بمفهوم الحضارة الإسلامية، ومصادرها، وأصولها، ومدى انسجامها مع العقل الرشيد، والقطرة الإنسانية السوية، مشيراً في العديد من المواضيع إلى شمولها، وواقعيتها في استيعابها لجميع جوانب الحياة السياسية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفردية والجماعية.

فمن تعريف الحضارة الإسلامية يقول: "إننا نعني بحضارة الإسلام، تلك النظرة الخاصة إلى الفضائل الخلقية، وذاك المنهاج الاجتماعي المتميز والأسلوب الذي رسمه الإسلام لحياة البشر، ولا نقصد بحضارة الإسلام نهضة أو حداثة بعينها وصل إليها المسلمون في قطرٍ من أقطارهم أو فترةٍ من فترات تاريخهم"^١. وهو بهذا يشير إلى الجانب المعنوي من حضارة الإسلام المتمثل في القيم والأخلاق، والمبادئ، والفكر، والثقافة.

كما أنه كثيراً ما تحدث وبشيءٍ من التفصيل عن خصائص الحضارة الإسلامية، ودعا إلى إشاعة العلم بها، والتبصر بأحكامها ومميزاتها، فيقول: "... إن هذه الأهداف والغايات، وما تدفعان إليه من منهجٍ خاصٍ لحياة مجتمعات المسلمين هما وحدهما مصدر حيوية هذه الحضارة، ومبعث طاقتها الفكرية"^٢.

وفي هذا الصدد ذكر من الخصائص ما يلي:

١. أنها حضارة قامت على أسس الشريعة الإسلامية، "... كانت الشريعة الإسلامية قيماً ومعايير، استمدت مغزاها وأهميتها من تداولها بين أصل تلك الحضارة طبقةً بعد طبقةً وجيلاً بعد جيل"^٣.

٢. أنها حضارة قامت على أسسٍ راسخةٍ من العقيدة الإسلامية، التي بُني عليها النظام الأخلاقي، وتكون منها الأساس الفكري لعقلية المسلم، والأساس النفسي لسلوكه، فكانت المنطلق الأول لنهضة الأمة، وتقدمها العلمي، فالعبادة في الإسلام ليست محصورةً في الأفعال الفردية من صلاةٍ وصيامٍ، وإنما على المسلم أن يكون عنصراً فعالاً في أسرته ومجتمعه، ولأتمته، "إن الأيديولوجية الإسلامية تتطلب من المرء أن يسلم كلَّ جهوده لمبادئ العقيدة، وبمعنى آخر فإنها لا تحصر نفسها في مجال الأمور الفردية للعقيدة بل إن نشاطها المجال الاجتماعي كله"^٤. وفي موضعٍ آخر يقول: "إن العبادة في الإسلام ليست محصورةً في أعمالٍ من الخشوع الخالص، كالصلوات والصيام، ولكنها تتناول كلَّ حياة الإنسان العملية، وإذا كانت الغاية من حياتنا عبادة الله

^١ ينظر: أصول حضارة الإسلام، محمد أسد، ترجمة محمد غالي، مجلة للمسلمون، القاهرة: ربيع الثاني ١٣٧١هـ/ يناير ١٩٥٢م، ص ٤٦-٤٧.

-الإسلام والتحدّي الحضاري بأقلام عشرة من علماء الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٢-٢٣.

^٢ من خصائص حضارة الإسلام، محمد أسد، مرجع سابق، ص ٧٢.

^٣ المرجع السابق، ص ٧٣.

^٤ الإسلام وروح العصر (٢)، محمد أسد، ترجمة جعفر شيخ إدريس، للمسلمون، سويسرا، ذو الحجة ١٣٨٠هـ/ آيار (مايو) ١٩٦١م، ص ٥٣١-٥٣٢.

فيلزمنا حينئذٍ ضرورة أن ننظر إلى هذه الحياة، في مجموعها ومظاهرها كلّها على أنها تبعاً أديّةً متعددة النواحي، وهكذا يجب أن تأتي أعمالنا كلّها، حتى تلك التافهة على أنها عبادات^١.

٣. أنّها حضارةٌ قامت على أساس المساواة والعدل بين جميع أفراد المجتمع، "... بل تقوم على ارتباط كلّ ذكرٍ وأنثى من أفراد البشر ارتباطاً واعياً مستبصراً، دون النظر إلى جنسٍ أو بيئة، على أساسٍ من الإيمان بالله، والاستقامة في حياتهم على ما جاء به الإسلام من تعاليم ونظم^٢.

٤. أنّها حضارةٌ ارتبطت بالعلم وطلبه، فلا يوجد دينٌ على وجه الأرض ارتبط بالعلم كما هو بالنسبة للدين الإسلاميّ، لذا فإنّ الإسلام هو السبب الأول في قوة المسلمين، وهمتهم، وحضارتهم الحضارية، وتفوقهم العلميّ على جميع الأمم والشعوب، فلقد صنع الإنسان حضارةً راقيةً عظيمةً تشمل الأخلاق، والسلوك، والمعارف، والعلوم على اختلاف أنواعها، "إنّ الإسلام لا مثيل له في الديانات الأخرى لتشجيعه لكلّ جهدٍ عقليّ ولكلّ استزادةٍ من المعارف التجريبية كافة، ولقد أعلن الرسول ﷺ في كثيرٍ من المناسبات، بأن { مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَتَمَسَّ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ }^٣، فليس من باب الصدفة أن نجد خلال العصر الذهبيّ للفكر الإسلاميّ، والثقافة الإسلامية أولئك العلماء الذين اشتهرت أسماؤهم وكانوا من مشاهير الفقهاء والمفسرين، وإنما كانت آيات القرآن الكريم وتعاليم الرسول ﷺ هي التي دفعتهم إلى العلم^٤.

٥. أنّها حضارةٌ تميزت بالشمول والتوازن، فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه وحدة متكاملة مكونة من جسدٍ وروحٍ وعقلٍ، وأنّ الدنيا والآخرة ليستا متنافرتين، وإنما هما داران متكاملتان، وأنّ الدنيا طريقٌ للوصول إلى هدفٍ أسمى وهو الآخرة، "الإسلام ليس عقيدةً صوفيةً ولا هو نظرة فلسفية، ولكنّه نهجٌ من الحياة حسب قوانين الطبيعة التي سنّها الله لخلقه، وما عمله في

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٢٣.

^٢ من خصائص حضارة الإسلام، مرجع سابق، ص ٧٣.

^٣ أخرجه أبو داود، باب الحث على طلب العلم، حديث رقم ٣٦٤١، ج ٣، ص ٣١٧.

وأخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب فضل العلم، حديث رقم ٢٦٤٦. وقال حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن ماجه، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم ٢٢٣.

ورواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة ؓ، حديث رقم ٨٣١٦، وقال المحقق إسناده صحيح على شرط البخاري.

وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، حديث رقم (٦٢٧٨)، ج ٢، حرف الميم، ص ١٠٧٩.

^٤ الإسلام وروح العصر (١)، محمد أسد، ترجمة الأستاذ جعفر شيخ إدريس، المسلمون، سويسرا، شعبان ١٣٨١هـ / كانون ١٩٦٢م، ص ٤٣-٤٤.

الحياة سوى التوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمادية في الحياة الإنسانية، وإنك لترى هاتين الوجهتين في تعاليم الإسلام تتفقان في أهمهما لا تدعان تناقضهما أساسياً بين حياة الإنسان الجسدية وحياته الأدبية فحسب، وإنما تلازمهما هذا وعدم افتراقهما أمرٌ يؤكد الإسلام، إذ يراه الأساس الطبيعي للحياة^١. ويقول أيضاً: "الإسلام ينظر إلى الحياة الدنيا مهدوءٍ واحترامٍ وأنه لا يعبد الحياة ولكنه ينظر إليها على أنها دار ممرٌ في طريقنا إلى وجودٍ أسمى ولكن بما أنها دار ممرٌ ضرورية، فليس من حقّ الإنسان أن يحتقر حياته الدنيا ولا أن يبخسها شيئاً من حقّها، وإنّ سفرنا في هذا العالم ضروريٌّ وجزءٌ إيجابيٌّ من سنة الله من أجل ذلك كان لحياة الإنسان قيمةً عظيمة، ولكن يجب أن لا ننسى أنها قيمة الوسطة إلى غاية فقط"^٢. وعن كونها حضارةً شاملةً للحياة يقول: "لقد زود القرآن وصحيح الأحاديث النبوية المسلمين بمجموعةٍ محددةٍ من الأوامر والنواهي التي لا تتصل فقط بالسلوك الخلقية المطلوب من الفرد، بل تمتدُّ إلى العلاقات الاجتماعية والمبادئ الاقتصادية، هذا المنهاج التشريعيُّ يحوي كلَّ نواحي الحياة الخلقية والجسدية والفردية والاجتماعية، ويعالج مشاكل العقل والبدن والاقتصاد والمسألة الجنسية، والحقوق المدنية والواجبات"^٣.

ومن الواضح أنه - رحمه الله - يُعد من المفكرين الذين كان لهم دورٌ هامٌ في تحصيل الهوية الثقافية للمسلمين، وتزويدهم بفكر المواجهة والصمود أمام التحديات الثقافية الوافدة إلينا.

وبالتأمل في تلك القراءة الموجزة، والصورة المشرقة، والرؤية المضيئة الواثقة للحضارة الإسلامية في فكر محمد أسد وما سبق ذكره من آرائه المتعلقة بالحضارة الغربية سنقف على تصوره للصلات الحضارية بين الإسلام والغرب، وموقفه من تقليد المسلمين لمظاهر الحضارة الغربية دون تحفظٍ أو قيدٍ، ورأيه في كيفية الاستفادة والانتفاع مما توصل إليه الغرب علمياً.

ب. الصلاتُ الحضاريةُ بين الغربِ والإسلام:

يرى محمد أسد أن التواصل الحضاري، والثقافي يشكل دوراً محورياً في تقدم الأمم، والتقريب بين الشعوب، ويؤيد القول بضرورة توثيق العلاقات بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وضرورة

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٢٢.

^٢ المرجع السابق، ص ٢٩-٣٠.

^٣ الإسلام وروح العصر (٢)، مرجع سابق، ص ٥٣٢.

وجود صيغةٍ مشتركةٍ بينهما وفتح خطوطٍ للتفاهم، إذ أن من يقرأ التاريخ يستطيع التيقن بأن الحضارة الأوروبية ذات صلاتٍ وثيقةٍ بالحضارة الإسلامية، فهي الأقرب منها جغرافياً وتاريخياً، وهو ما يجله العديد من الأوروبيين، الذين يظهر فهمهم لحضارات أخرى هي أكثر بعداً وأيدلوجيةً عن حضارتهم^١.

بل يذهب محمد أسد أبعد من التقارب الجغرافي والتاريخي بين الحضارتين، فيؤكد بأن هناك تقارباً دينياً لا شك فيه، فالإسلام والمسيحية كلاهما عقيدتان توحيدتان، وكلاهما عالج المسائل الأخلاقية، والمسئوليات الشخصية بطريقةٍ متشابهةٍ جداً^٢.

وفي هذا يقول: "ولن نُدهش إذاً حين نرى أن ما جاء به رسول الله على ما هو عليه من النظر إلى الكون والحياة ومن استحداث نظام اجتماعيٍّ كاملٍ، يتضمن كثيراً مما جاءت به الأديان قبله"^٣.

ومع كل هذا التقارب، لم يغفل محمد أسد عن الإشارة إلى الفروق الجوهرية بين الحضارتين، والتي بسببها تكاد تكون فكرة التواصل الحضاري بينهما أمراً صعب المنال.

فالحضارة الإسلامية تختلف كليةً عن الحضارة الغربية في نظرهما إلى الإله والإنسان والكون والحياة، فلا وجود للقسمة الثنائية بين المادة والروح، والدين والدنيا فيها، وهو أمرٌ غير مألوفٍ في تجارب الغرب الدينية^٤.

كما لا يوجد في حضارة الإسلام أزمةٌ بين العلم والعقيدة؛ لأنه لا يتضمن تعاليم يمكن أن تهددها النتائج العلمية، وهي المأساة التي عانى منها الغرب كثيراً حين فصل بين الاعتقاد والمعرفة^٥.

أما عن الأسباب التاريخية لتحرج الصلات بين الغرب والشرق، فأولها الحروب الصليبية التي حدثت في طفولة أوروبا، وجعلت الأوروبيين ينظرون بنفسيةٍ عدائيةٍ إلى الإسلام، بغض النظر عن التأثيرات الإيجابية لهذه الحروب في مجال الفنون والعلوم^٦.

وثانيهما فقدان ثقة المسلمين بالغرب؛ بسبب العقود الطويلة التي رضخت خلالها الدول الإسلامية تحت الاحتلال الغربي، وكانت من وجهة النظر الإسلامية أموراً في منتهى البشاعة والفضاعة^٧.

^١ الإسلام والغرب، مرجع سابق، ص ٧٥.

^٢ المرجع السابق، ص ٧٦.

^٣ أصول حضارة الإسلام، مرجع سابق، ص ٤٥.

^٤ الإسلام والغرب، مرجع سابق، ص ٨٣.

^٥ المرجع السابق، ص ٨٣.

^٦ المرجع السابق، ص ٧٨-٧٩.

^٧ المرجع السابق، ص ٨٩.

إذاً ماذا يمكن أن يقدم كل واحدٍ منهما للآخر؟ وهل يمكن إيجاد صلاتٍ إيجابيةٍ بين الغرب والشرق، بعد كل ذلك؟

وفي الإجابة عن ذلك، يرى محمد أسد بأنَّ عدم ثقة الغربيين في معتقداتهم الدينية، وضعف الشعور الدينيّ لديهم سبباً محورياً في رؤية الإسلام رؤيةً موضوعيةً، تؤثر بشكلٍ ملامٍ على إمكانية وجود صلاتٍ إيجابية^١.

كما أن أهم ما يمكن أن يقدمه الإسلام للغرب في ظلّ الاحترام المتبادل هو التجديد الكامل في التفكير الديني^٢، في حين أن أبرز ما يمكن أن يقدمه الغرب للإسلام فهو تجاربه من ثوراته الصناعية والعلمية بإيجابياتها وسلبياتها، حيث يتوجب على الغرب أن يحذر تلك الشعوب الشرقية التي ما زالت تتمسك بعاداتها وثقافتها من الوقوع في الأمراض الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي طالت الغرب على إثر تلك الثورات^٣.

ولعلّ محمد أسد بشخصه، وبعده الفكريّ الذي قدمه لنا من خلال كتاباته يمثل نقطة التقاء حضارية بين الشرق والغرب.

وفي بادئة كانت الأولى من نوعها أوروبياً، أطلقت سلطات العاصمة النمساوية (فيينا) اسم الصحافيّ والدبلوماسيّ المفكر النمساويّ محمد أسد على الميدان العام أمام مبنى الأمم المتحدة، وبهذه المناسبة أقام عمدة المدينة حفل استقبالٍ دعا إليه ضيوفاً كباراً حضروا المناسبة من داخل النمسا وخارجها، وكان في مقدمة المدعوين الدكتور فهد بن عبد الله السماري^٤، والبروفيسور طلال أسد، وعددٌ من الإعلاميين والدبلوماسيين الألمان، والباكستانيين، وكتابٌ ممن عاصروا محمد أسد، وقد تقرر تكريمه - رحمه الله - في هذه المناسبة كأحد أبناء النمسا الذين أسهموا، وعملوا من أجل رفعة الدين الإسلاميّ، ونشر مبادئه^٥.

^١ الإسلام والغرب، مرجع سابق، ص ٨٢.

^٢ المرجع السابق، ص ٨٣.

^٣ المرجع السابق، ص ٨٧-٨٨.

^٤ فهد بن عبد الله السماري: من مواليد الرياض عام ١٣٧٧هـ، حصل على درجة الليسانس من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم التاريخ، وحصل على الماجستير من جامعة كاليفورنيا عام ١٤٠٦هـ، في حين حصل على درجة الدكتوراة من نفس الجامعة، عام ١٤١٠هـ، له عدة مؤلفات منها: الملك عبد العزيز وألمانيا، رحلة إلى وسط الجزيرة العربية، أزمة الخليج العربي، يعمل حالياً أمين عام داره الملك عبد العزيز.

ينظر: شبكة المعلومات العالمية: www.alithnainay.com

^٥ فيينا تطلق اسم محمد أسد على ميدان عام، بينة عبد الرحمن، الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية، العدد ١٠٧٤٥، الثلاثاء ٢١ ربيع ثاني ١٤٢٩هـ/ ٢٩ إبريل ٢٠٠٨م.

وعلى هذا علق (جلمود صخر) أن الحدث يعدُّ انتصاراً للدبلوماسية الإسلامية، والجلالية الإسلامية في النمسا، وهزيمة للصهيونية؛ حيث أن الجلالية اليهودية في النمسا حاولت تسمية الميدان باسم (هرتزل)^١ مؤسس الحركة الصهيونية، ولكنَّ الجلالية الإسلامية، والمعتدلين النمساويين عارضوا هذه التسمية بشدة^٢. ومما يتوجب ذكره في هذا المقام أنَّ المخرج (جورج ميش)^٣ في فيلم (الطريق إلى مكة) حين وثق حياة محمد أسد، وإسهاماته الفكرية، أراد الإشارة إلى ضرورة كسر الفجوة بين العالم الإسلامي والغرب، بدليل أنَّ حكومة النمسا أصدرت قراراً حكومياً بعرض الفيلم على تلاميذ المدارس؛ لتعميق روح التسامح، والحوار الدينيِّ بينهم^٤.

ولا شكَّ أنَّ هذه الخطوة تعتبر ناجحةً في دعم التعايش السلميِّ في النمسا، وأنَّ التذكير بالمفكر محمد أسد، وتدشين اسمه في ميدانٍ عامٍ بأحد أهمِّ أماكن العاصمة النمساوية، ما هو إلا دليلٌ على أنَّ حياة محمد أسد، وآراؤه جسدت لنا بصورٍ عديدةٍ ضرورة التعايش السلميِّ، والاستقرار الحضاريِّ بين مختلف الديانات والثقافات.

ويبقى النقاش مفتوحاً، فهل يستطيع الغرب أن يتخلص من شعوره العدائيِّ تجاه الإسلام، أو أن يقدم تجاربه العلمية بإخلاصٍ متناهٍ؟! وهل يمكن للشعوب العربية أن تجدد ثقفتها بدول الاحتلال الكبرى، وتتناسى الغدر والكذب، والقتل والتدمير!!؟

أم أن الغرب والإسلام يقفان من بعضهما على مسافةٍ قريبةٍ جداً، إلَّا أن كلَّ واحدٍ منهما متجهاً في طريقه دون أن يلتفت إلى الآخر!!!!!!؟؟

^١ هرتزل (١٨٦٠م/ ١٩٠٤م): مؤسس الحركة الصهيونية الجديدة، ولد في بودابست، وانتقل إلى فيينا، وتلقى تعليمه الجامعي بها، وعمل في الصحافة والمحاماة، وصنع مولفاً بعنوان (الدولة الصهيونية) ضمنه القواعد التي تقوم عليها الصهيونية في صورتها الجديدة، بدأ نشاطه بالدعوة إلى عقد مؤتمر يضم ممثلين لليهودية الأوروبية في مدينة بازل، وانتخب رئيساً للمؤتمر، فرتباً للمنظمة الصهيونية، وأصدر المؤتمر قراراً للحصول على موافقة دولية لمشروع هجرة اليهود الجماعية إلى فلسطين، وتوالى بعد ذلك انعقاد المؤتمر مرة في كل عام برئاسته، وتضامن معه عدد من الكتاب اليهود، حاول جاهداً تذليل العقبات من أجل بروز الصهيونية، وإنشاء وطن قومي لليهود، توفي في فيينا عام ١٩٠٤م، ودفن فيها ثم نقل رفاته إلى القدس.
ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ص ٣٩٧.

^٢ فيينا تطلق اسم محمد أسد على ميدان عام، مرجع سابق.

^٣ حورش ميش: مخرج أفلام وثائقية في فيينا عاصمة النمسا، بدأ مهنته بالعمل في الهندسة الصوتية، ثم درس إنتاج الأفلام ووسائل الإعلام في النمسا، ومما أنتجه فيلم (الطريق إلى مكة رحلة محمد أسد).

ينظر: Participants S.V.s " Muhammad Asad A life for Dialogue", King Faisal Center for Research and Islamic Studies, 11-12/04/2011

^٤ الطريق إلى مكة، د. محمود ندم نحاس، جريدة البلاد، العدد ١٩٠٢٣، نيسان - إبريل ٢٠٠٩م.

ج. تقليد المسلمين لمظاهر الحياة الغربية:

سنبدأ بحث هذه القضية من بيان الأساس اللغوي لمعنى التقليد، وبعض ما اصطح عليه المفكرون والباحثون حول معنى تقليد المسلمين لأشكال الحضارة الغربية، ثم نوجز القول في الموقف الشرعي من التقليد، ونختتم بموقف محمد أسد من تقليد المسلمين لمظاهر الحياة الغربية.

١. المقصود بالتقليد:

التقليد في اللغة: مصدر "قَلَدَ" على وزن "فَعَّلَ"، وقد جاء هذا اللفظ بعدة معانٍ في كتب اللغة:^١
- يقال: قَلَدَ القلادة، جعلها في عنقه، وقيل إنّه مأخوذٌ من القلادة المفتولة التي تجعل في العنق من خيطٍ أو فضةٍ، وبها شبه كلُّ ما يحيط بشيءٍ، وقوله تعالى: ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٢﴾^٢، أي ما يحيط بها.

- ويقال: قُلَّدَ الشيخ: أي فلاناً اتبعه فيما يقول أو يفعله من غير حجةٍ ولا دليلٍ.

- ويقال: قَلَدَ الشيء: قَلَدًا: أي لواه، وقلد الحديدية: رقعها ولواها على الشيء.

- ويقال: قَلَدَ: أي حاكاه: قلد القرد الإنسان.

ومما سبق نلاحظ أنّ المدلولات اللغوية تدور حول عدة معانٍ، وهي: المحاكاة العمياء، والإحاطة بالشيء، والاتباع في الأقوال والأفعال من غير دليلٍ ولا نظر.

أما ما ورد عن بعض أهل العلم والفكر حول المقصود من تقليد المسلمين لمظاهر الحياة الغربية، فجاء عن الأستاذ ناصر العقل بأنه هو: "ما سلكه المسلمون من غير إدراكٍ ولا وعيٍ ولا تمحيصٍ، من اتباع الكفار، والأخذ منهم والتشبه بهم، في شتى ألوان الحياة وأنماط السلوك والأخلاق وأشكال الإنتاج في الاعتقاد والتصور والفكر والفلسفة والسياسة والاقتصاد والأدب والفن والثقافة والنظم والتشريع من غير اعتبارٍ للعقيدة والشريعة الإسلامية والأخلاق الفاضلة ومن غير إلزامٍ للمنهج الإسلاميّ الأصيل،

^١ ينظر: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٥٤.

- مفردات ألفاظ القرآن الكريم للعلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان، ط ٣، دمشق: دار القلم، ١٤٢٣هـ، ص ٦٨٢.

^٢ سورة الشورى، الآية: ١٢.

ومن ثمَّ انبهارهم المذهل بالإنتاج الغربيِّ الكافر، ودون عرضه على مقومات الأمة، ودينها وتراثها وحضارتها^١.

ويُعرفُ بأنه: "الخضوع والانقياد والمتابعة بلا دليلٍ ولا حجةٍ، وذلك بأن يخضع إنسانٌ لآخر وينقاد له، ويتبعه في فكره وثقافته، أو قوله وفعله، أو سلوكه وتصرفه، بدون بحثٍ أو نظرٍ أو تأملٍ، وبدون دليلٍ أو حجةٍ أو وعيٍ"^٢.

وعليه يتضح لنا أنَّ هناك ارتباطاً وصلَّةً بين المدلولات اللغوية، وبين المعنى السابق، حيث أنَّ كلاهما دلٌّ على أنَّ المحاكاة والتأثر الكامل بالغير والتشبه به في صفاته الظاهرة، دون علمٍ أو وعيٍ أو إدراكٍ وكأنَّ المشبه به يحيط بالمشبه إحاطةً كاملةً كإحاطة القلادة بالعنق.

ونخلص إلى أنَّ تقليد المسلمين لمظاهر الحياة الغربية يعني الانفتاح الكليِّ والكامل على الثقافة الغربية، والحرص على الأخذ بنموذجها على أنَّها الأمثل والأكمل، ومن ثمَّ الاستسلام الكامل والانقياد للآخر، وقبول عقليته والأخذ بمبادئه دون أدنى تفكيرٍ أو روية، مما يؤدي إلى إلغاء العقول وإقصاء الأنظمة الإسلامية وإضعاف الأمة، وانحراف أبنائها فكرياً وعقدياً.

٢. الموقفُ الشرعيُّ من التقليد:

ولقد جاء النهي في القرآن الكريم عن تقليد أصحاب الباطل في باطلهم، واتباع دعاة التضليل على ضلالتهم، القائمة على الكفر والشرك بالله تعالى، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أُولَوْ كَانِ ءِآبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾^٣، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أُولَوْ كَانِ ءِآبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾^٤.

كما جاءت الأدلة من الكتاب والسنة على الأمر بمخالفة اليهود والنصارى والكفار والنهي عن مشابكتهم وعدم تقليدهم في أفعالهم ولباسهم وتصرفاتهم، يقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ

^١ التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، ناصر العقل، رسالة ماجستير مقدمة ليل العالمية بكلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٣هـ / ١٣٩٤هـ، ص ٥٦.

^٢ الوجيز في الثقافة الإسلامية، د. همام سعيد وآخرون، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢، دار الفكر، عمان، ص ١٥٩.

^٣ سورة البقرة، آية: ١٧٠.

^٤ سورة المائدة، آية: ١٠٤.

مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾^١.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: إن الله تعالى جعل لمحمد ﷺ شريعة شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في هذا الذين لا يعلمون من كل من خالف شريعته، وأهواؤهم: هي ما يهوونه وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك، فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم، ويسرون به، ويودون أن لو يبدلوا مالا عظيماً ليحصل ذلك، ولو فرض أن ليس الفعل في اتباع أهوائهم، فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم في أهوائهم، وأعون على حصول مرضاة الله في تركها وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره^٢. انتهى كلامه رحمه الله.

ومن هذا أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنْ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ ۗ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۗ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ وَإِن كُنْتَ عَادِي لِحِزْبِهِمْ فَبِمَا ظَهَرَ مِنْهُمْ لَنْ نُنْتَصِرَ لَكَ عَلَيْهِمْ ۗ﴾^٣.

قال ابن كثير^٤ رحمه الله في تفسير الآية الكريمة: "ليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبداً فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، وإن هوى الله هو الدين المستقيم الكامل الشامل، ثم جاء التهديد والوعيد الشديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعدما علموا من القرآن والسنة"^٥.

ومن هذا ما ورد في السنة النبوية عن أبي سعيد الخدري^٦، قال: قال رسول الله ﷺ: {لَتَبْعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوًا الْقَدَةَ بِالْقَدَةِ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جَحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: فَمَنْ؟} ^٦.

^١ سورة الجاثية، آية: ١٨-١٩.

^٢ اقتضاء الصراط المستقيم، الإمام ابن تيمية، تحقيق، عصام الحرساني، ط١، بيروت: دار الجليل، ١٤١٣-١٩٩٣، ص٢٤-٢٥.

^٣ سورة البقرة، آية: ١٢٠.

^٤ ابن كثير (١٠٧هـ/٧٧٤م): إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي الدمشقي، حافظ ومؤرخ وفتي، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، ورحل في طلب العلم، توفي بدمشق، تناقل الناس مولفاته، ومنها: تفسير القرآن الكريم، الاجتهاد في طلب الجهاد، جامع المسانيد. ينظر: الأعلام، مرجع سابق، المجلد ١، ص ٣٢٠.

^٥ تفسير ابن كثير، للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، المجلد الأول، ص١٦٤.

^٦ أخرجه البخاري، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم ٣٤٥٦.

وروى البخاري في صحيحه: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: ومن الناس إلا أولئك؟}¹.

وقد وقع ما أخطر به صلى الله عليه وسلم من أنه سيكون في أمته مضاهاةً لليهود والنصارى، وهم أهل الكتاب، ومضاهاةً لفارس والروم وهم الأعاجم².

فواقع المسلمين اليوم، يدلُّ على أنَّ كثيراً منهم وقع في التشبه بالكفار وتقليدهم في عباداتهم وعاداتهم وأعيادهم وأزيائهم الخاصة، بل حتى في أفكارهم ونظم حياتهم، جهلاً بدينهم، أو تبعاً لأهوائهم، حتى كان ذلك سبباً من أسباب سيطرة أعداء الإسلام عليهم، واستعمارهم وذمهم وإضعافهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

٣. الرؤية الثقافية لمحمد أسد حول تقليد المسلمين لمظاهر الحياة الغربية:

يرفض محمد أسد - رحمه الله - تقليد المسلمين لطريقة الحياة الغربية، سواءً كان ذلك على المستوى الفردي، أو الجماعي، ويعتبره من أعظم الأخطار التي تهدد الحضارة الإسلامية³.

كما يرى بأنَّ الأخذ بوجهة النظر الغربية في الحياة، سواءً كان ذلك على الصعيد الاجتماعي، أو الثقافي، أو التربوي، فإنَّه حتماً سيؤدي إلى تقبل العقلية الغربية في التفكير وبالتالي تقبل مبادئ الحضارة الغربية⁴.

ويعتقد - رحمه الله - بأنَّ تقليد المسلمين لمظاهر الحياة الغربية، هي حالةٌ مرضيةٌ أُصيبت على أثرها الثقافة الإسلامية بمرضٍ عضالٍ يرجع جذوره تاريخياً إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عندما بُهر المسلمون بأضواء القوة والتقدم المادي للغرب مقارنةً بأحوالهم الاجتماعية والمعيشية المتدنية⁵.

كما يشير محمد أسد إلى أنَّ انتصار الحضارة الغربية وتقدمها المادي، والصناعي، والثقافي، والقضاء على الخلافة الإسلامية، وإزالة الوجود الفعلي للنظام الإسلامي، وانبهار المسلمين بالحضارة الغربية، وشعورهم بالضعف والهزيمة أمامها، أدى إلى ذوبان شخصيات المسلمين في شخصيات الغربيين، يقول رحمه الله: "لقد كان العالم الإسلامي زمناً ما راكداً، فقفز كثيرون من المسلمين إلى الاستنتاج السطحي

¹ أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي لتبعن سنن من كان قبلكم، حديث رقم ٧٣١٩.

² اقتضاء الصراط المستقيم، مرجع سابق، ص ١٥.

³ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٧٩.

⁴ المرجع السابق، ص ٧٨.

⁵ المرجع السابق، ص ٧٩.

الخالص أن النظام الإسلامي في الاجتماع والاقتصاد لا يتفق مع مقتضيات التقدم، فيجب من أجل ذلك أن يحور حسب الأسس الغربية".^١

ولا ريب أن ركود الدولة الإسلامية، وفي مقدمتها الدولة العثمانية التي أخذت في التدهور والانحلال، في حين تعاظم نفوذ الدول الغربية، وأخذت في التقدم، والصعود، واحتلال بلاد المسلمين... أدى إلى إحساس المسلمين بضرورة تعزيز جيوشهم، وتطوير خيراتهم العلمية، ومعداتهم العسكرية، ومع هذا الهدف السليم استلزمت الاصطلاحات العسكرية إصلاحاً في نظم التعليم، وترجمة الكتب الأجنبية في مختلف العلوم، واستقدام خبراء، ومدرسين أجانب، وإرسال البعث العلمية إلى أوروبا، مما أدى إلى تسرب النظريات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وجميع العناصر الثقافية الغربية إلى بلاد المسلمين، فوضعت البذور الأولى للثقافة الغربية في التربة الإسلامية، ووجدت من تولاها بالرعاية، والسقي حتى نمت، وضربت جذورها في الأرض.^٢

هكذا بدأت الفكرة الداعية إلى تقليد الحضارة الغربية، بالحاجة إلى تعزيز الجيوش الإسلامية، ومن ثم نشأت موجة التقليد كمظهر من مظاهر التقدم والرقى، كما أن الاحتلال الغربي للبلاد الإسلامية ساهم بدور كبير في فرض الحياة الغربية على المسلمين ابتداءً من تركيا، فمصر والشام، وتونس^٣، وليبيا، وإيران، والهند.

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الاحتلال، والانفتاح الكامل على الغرب والانبهار بتقدمه وقوته، هي الانبهار في بوتقة الغرب الكافر، والسقوط في أحضان الجاهلية الأوروبية^٤، وبالتالي ظهر ما يدعو إلى التقليد الأعمى للغرب، وتغريب المسلمين وعلمنتهم سواء وقع ذلك بقصد أو بغير قصد.

يقول محمد أسد رحمه الله: "... ظهرت فكرة أن المسلمين لا يمكن أن يكونوا قادرين على بحارة خطوات التقدم في بقية العالم إلا بتبني مبادئ الغرب الاجتماعية والاقتصادية، وأن النظام الإسلامي لا يناسب متطلبات التقدم".^٥

وعليه تعالت موجات التقليد الأعمى للغرب، وظهرت بوضوح في البلاد الإسلامية، وإن اختلفت درجة ظهورها من بلد لآخر، إلا أنه لم يخل بلد مسلم من آثارها وبصماتها.

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٧٩.

^٢ الإسلام والحضارة الغربية، مرجع سابق، ص ١٥-١٦.

^٣ تونس: الجمهورية التونسية، عاصمتها تونس، اللغة الرسمية هي اللغة العربية، ديانتها الإسلام، وهي عضو في الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الإفريقية.

ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٢٢٣-٢٢٥.

^٤ التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٠.

^٥ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٧٩.

• أسباب وقوع المسلمين في ظاهرة تقليد الحضارة الغربية كما عرضها محمد أسد رحمه الله:

❖ يرى محمد أسد - رحمه الله - أن السبب الأول في تراجع الأمة الإسلامية وركودها فكرياً ومعنوياً، ووقوعها في التبعية والتقليد الأعمى للغرب يرجع إلى ضعف العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، وإقصاء الشريعة الإسلامية والتهاون في تطبيقها، مما أدى إلى ضعف تمسك المسلمين بدينهم، وجهلهم بحقيقته، وشكهم في صلاحيته، واعتقادهم أن الأخذ بأسباب التقدم الغربي هو المخرج، أما الإسلام فهو سبب التأخر والرجعية والجمود من وجهة نظر بعضهم، يقول: "لقد تحققت أن ثمة سبباً واحداً فقط للانحلال الاجتماعي والثقافي بين المسلمين، ذلك السبب يرجع إلى الحقيقة الدالة على أن المسلمين أخذوا شيئاً فشيئاً، يتركون اتباع روح التعاليم الإسلامية، فنتج عن ذلك أن الإسلام ظل بعد ذلك موجوداً، ولكنه كان حينئذ بلا روح، ثم إنَّ العنصر الذي خلق قوة العالم الإسلامي من قبل هو المسؤول الآن عن ضعف المسلمين، فإنَّ المجتمع الإسلامي بُني منذ أوله على أسس دينية، وضعف هذا الأساس قاد بالضرورة إلى ضعف البناء الثقافي وربما كان سبباً لاضمحلاله بالكلية"^١.

وفي موضع آخر يقول: "رأينا في كثير من الدول الإسلامية المستقلة أن الناس يفرون من الإسلام ويبدلون الأحكام الشرعية بأحكام غير إسلامية، أخذوها من الأجانب، ويظنون أنها أفضل وأرقى من الشرائع الإسلامية"^٢.

نعم لقد صدق - رحمه الله - فالإسلام دينٌ تميز على غيره من الديانات بعقيدته في خصائصها وتصوراتها وأفكارها، ومضمونها وشكلها، ولما فقد المسلمون إيجابية هذه العقيدة، بضعفها في نفوسهم، أصابهم الوهن، وتركوا رسالتهم فتخلفوا في جميع الميادين، وطمع فيهم الطامعون من الأعداء، ووقعوا في قبضة المستعمرين، الذين عملوا على تذويب معالم الشخصية المسلمة وتميعها .

❖ تقصير القادة والزعماء في تطبيق شرع الله في البلاد، وانصرافهم عن القيام بأمر الأمة، ورعاية شؤونها وتدبير مصالحها، تشاغلاً بملذات الدنيا، فساهم ذلك في "فرض التقليد الأعمى للكفار وإدخال حركة التغريب وإبعاد المنهج الإسلامي عن حياة المسلمين، والعبث بمقدرات الشعوب

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ١٣-١٤.

^٢ مشكلة المسلمين اليوم، محمد أسد، محاضرات الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامي، قسنطينة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، حمادى الثاني ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ص ١٨٠-١٨١.

الإسلامية وتضليلها عن حقيقة ما تُساق إليه من تبعية للكفار وفرض الحياة المادية الغربية عليها تنفيذاً للمصالح الاستعمارية^١.

يقول الأستاذ محمد أسد - رحمه الله - : " ولقد كان من جهل المسلمين بتعاليم الإسلام ...، راجع إلى انصراف القادة والزعماء إلى ملاذهم ومنازعاتهم الشخصية عن خدمة أمتهم وشعوبهم، فنشأت الفكرة القائلة بأن المسلمين لا يستطيعون الرقي ما لم يتقبلوا القواعد الغربية"^٢.

ويقول - رحمه الله - أيضاً: " أما التبعية فيما وصل إليه المسلمون من تأخر فتقع على عاتق ...، القادة الذين يتاجرون بالدين والبلاد"^٣.

❖ تقصير بعض الدعاة والعلماء المسلمين في القيام بواجب الدعوة إلى الله تجاه الأمة الإسلامية، بتصحيح مفاهيم الناس المشوهة والمغلوطة، وتبصيرهم بطبيعة أعدائهم وأساليب مكرمهم وخداعهم، مما أدى إلى تفهقر دور الدين في الحياة المعاصرة، وفي هذا يقول: " إنَّ الدين فقد قوته على تكيف المجتمع وتوجيه معايير الناس وأهدافهم الخلقية، وأنَّ زيادة عدد المساجد وعدد المصلين ما هي إلَّا حججٌ مضللةٌ ولا تعني زيادة قبضة الدين على عقول الناس، والسبب هو: قصور أئمة الدين عن أن يبينوا للإنسان كيف ينظم الجانب العملي من حياته واضعاً رفايته المادية نصب عينيه و متمشياً في ذاته مع الوازع الخلقى في دينه، فالشعور بالافتقار إلى قيادة روحية فعالة لشؤون الإنسان الدنيوية أصبح واضحاً داخل ديار الإسلام إلى درجة تنذر بالخطر"^٤.

ويقول أيضاً: " لقد غفل معظم قادتنا الدينيين عن واجبه الأساسي ألا وهو تزويد أتباعهم بالإرشاد الفكري في أمور الحياة الواقعية وحصرُوا أنفسهم في الطقوس ومسائل الموت والبعث والنشور فكان ذلك سبباً في أن يفقد كثيرٌ من المسلمين قدراً من إبداعهم الثقافي والاجتماعي، وصاروا إلى الحالة التي توصف بكلمة التأخر"^٥.

^١ التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٢٧.

^٢ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٧٩.

^٣ المرجع السابق، ص ٨٠.

^٤ الإسلام وروح العصر (١)، مرجع سابق، ص ٤٠.

^٥ المرجع السابق، ص ٤٢.

ونراه عوّل رحمه الله كثيراً على دور العلماء والدعاة في نشر المقاومة الفكرية ضدّ التيارات المعادية للإسلام، والحفاظ على الهوية الإسلامية، وتحصين الثقافة الإسلامية، وبلا ريب فإنّ الدعاة عنصرٌ من أهمّ عناصر مجابهة تحديات الثقافة الغربية الحديثة.

❖ جمود الفقه الإسلاميّ عن مسايرة الحياة الجديدة، إذ يرى محمد أسد أنّ توقف الفقه الإسلاميّ عن نشاطه في إيجاد الحلول الشرعية للنوازل والمستجدات، وما يلقاه الناس من صعوبةٍ في فهم الفقه الإسلاميّ، وموت روح التفكير والتجديد التشريعيّ لدى الفقهاء وانحصار نشاطهم في التقليد أو التزامهم بمذهبٍ من مذاهب الأئمة المجتهدين، مع وجود التغيرات الهائلة والسريعة والمتلاحقة في الحياة المعاصرة، والانبهار المتصاعد بالفكر الغربيّ، أدى إلى وقوع المسلمين في مشكلة التقليد الأعمى للغرب، وإن كان في الثوابت والأصول، لعدم قناعتهم بمرونة الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لكلّ زمانٍ ومكانٍ.

يقول - رحمه الله - : " ونتيجةً لجهل المسلمين بتعاليم الإسلام، الذي يعود بقدرٍ كبيرٍ إلى ضيق أفق بعض الفقهاء، ظهرت فكرة أنّ المسلمين لا يمكن أن يكونوا قادرين على مجاراة خطوات التقدم في بقية العالم إلّا بتبني مبادئ الغرب"^١.

ويقول أيضاً: " إن المتنورين اكتفوا بأن رأوا أن تعاليم فقهاءهم المعاصرين كانت سداً منيعاً في وجه الرقيّ ووجه التقدم الماديّ، ثمّ إنهم بدلاً من أن يولوا أبصارهم نحو المصادر الأصلية في الإسلام اعتبروا ضمناً أنّ الشريعة والفقه المتحجر في أيامنا هذه شيءٌ واحدٌ وقد وجدوا أنّ الثاني ناقصٌ من عدة وجوهٍ ففقدوا بالتالي كلّ اهتمامٍ عمليّ بالشريعة وأحوالها إلى حقل التاريخ والمعرفة المدفونة في الكتب، ثمّ بدأ لهم أنّ تقاليد المدينة الغربية هو المخرج الوحيد من ورطة الانحلال الإسلاميّ"^٢.

وفي هذا قوله أيضاً: " نحن نعيش أوقاتاً غير عادية، أوقاتاً يشوبها التوتر والاضطراب والقلق، على المستوى الأخلاقيّ والسياسيّ والاجتماعيّ والثقافيّ، بسبب ما خلفته الحرب العالمية الأولى والثانية، كما أننا نعيش في خضمّ عالمٍ سريع التغير، ويجب على المجتمع المسلم أن يواكب إيقاع هذا التغير، بالرجوع إلى مصادر الإسلام الأصلية وهي القرآن والسنة النبوية وإعادة إحياء الفكر الإسلاميّ ونبذ التقليد والانقياد الأعمى وراء الاجتهادات، فالمسلم اليوم أمام آراءٍ ومدارسٍ فقهيةٍ كثيرةٍ ومتناقضةٍ، وكلُّ واحدةٍ تعتقد أنّها التشريع الصحيح للإسلام، فبدلاً من تقديم صورةٍ صحيحةٍ وبسيطةٍ وسهلة الفهم للفقه

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٧٩.

^٢ المرجع السابق، ص ٨٠.

الإسلامي، أصبح المسلم محاطاً بتفسيرات معقدة ومعانٍ متعددة لا يوجد فيها أية مرونة، وبهذه الطريقة نجد أن مبادئ تطبيق الشريعة والتي هي شريان الحياة للإسلام أصبحت من اختصاص بعض العلماء المتخصصين فقط وتحول الفقه إلى مادة علمية بدلاً من أن يكون طريقاً للهداية، بقصد أو بدون قصد، فإن الأسلوب الذي سلكه الفقهاء في عرض الشريعة الإسلامية قد عزل الشريعة عن المسلمين، فالمسلم العادي عليه أن يتقبل آراء الفقهاء دون نقاش^١.

هكذا وجدت الأمة الإسلامية نفسها واقعةً في عزلة رهيبه بين الفقه الإسلامي والحياة الجديدة، فظهرت الشبهات حول الفقه الإسلامي وأنه عاجزٌ عن مسايرة الحياة الجديدة، وأن الشريعة الإسلامية لا تصلح للمدينة والحضارة والمجتمعات الراقية، وأنها معوقةٌ للتقدم والتطور، لأنها تعيش في القرون الأولى، قرون الجمال والسيوف والخيام!! فوقع المسلمون في شرك التقليد الأعمى للكفار بسبب تجميد الفقه الإسلامي عن تنظيم الحياة الجديدة^٢.

❖ شعور المسلمين بالهزيمة النفسية والنقص أمام انجازات الحضارة الغربية مما أدى إلى نمو الإحساس بعظمة الحضارة الغربية وما وصلت إليه من تقدم علمي وصناعي هائل، وحاجتهم الملحة إليها، بينما فقد المسلمون الثقة في دينهم وثقافتهم وحضارتهم، واعتبروها حجر عثرة أمام التقدم والرقى العلمي والحضاري.

يقول محمد أسد - رحمه الله - : " إن الميل إلى تقليد حضارة أجنبية هو دائماً نتيجة للشعور بالنقص وهذا لا غيره هو مشكلة المسلمين المقلدين للحضارة الغربية، إنهم يقارنون قوتها ومهارتها التقنية وظهرها البراق بالبؤس المحزن الذي وصل إليه العالم الإسلامي، ثم يأخذون في الاعتقاد بأنه ليس في أيامنا هذه سبيلٌ إلّا سبيل الغرب"^٣.

❖ ظهور تيارٍ من المسلمين الكتاب والمثقفين يرى أتباعه أنه لا بد من تغريب بعض مبادئ الإسلام التي تتعارض مع أنظمة الحضارة الغربية وتطوير تلك المبادئ حتى تواكب تلك الأنظمة الغربية، بحجة رعاية مصالح المسلمين، وتطوير الإسلام ليتناسب مع معطيات الثقافة الغربية، يقول محمد أسد - رحمه الله - : " إن خير المؤلفات الفكرية الحديثة والتي تقطع بأن الشريعة الإسلامية ليست حجر عثرة في سبيل التقدم الحديث، تأخرت في الظهور ولم تستطع أن توقف التيار

^١ ينظر: مشكلة المسلمين اليوم، مرجع سابق، ص ١٨١-١٨٢.

-This Law of Ours, Muhammad Asad, second Print 2006, Islamic Book, P.P 15-17.

^٢ التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٠٩-١١٠.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٨٢-٨٣.

الذي طما على الكثير من المسلمين بإعجابٍ أعمى للحضارة الغربية، ثم إنَّ قوة تلك الكتابات بطلت بفعل ظهور سيلٍ من الكتابات وإن لم تنكر الشريعة الإسلامية بصراحة، إلا أنها حاولت أن تظهر أن الشريعة يمكن أن تخضع بسهولةٍ للآراء الاجتماعية والاقتصادية في الحضارة الغربية، فتقليد المسلمين للحضارة الغربية كان مبرراً عن هذا التيار".^١

• آثار التقليد على الأمة الإسلامية كما عرضها محمد أسد - رحمه الله - :-

❖ ما يحدثه التقليد من التأثير العقلي والنفسي البطيء نحو تقبل الأنظمة الغربية الحديثة:

يرى محمد أسد - رحمه الله - أن الحضارة عبارة عن شكل ومضمون وأنها تشبه الكائن الحي^٢، من حيث أن لها جسداً وروحاً فجسدها هو التقدم العلمي والمادي، وروحها هي الأخلاق والدين والقيم والفكر.

وبناءً على تعريفه السابق، فهو يرى أن السطحيين من الناس هم الذين يعتقدون أنه من الممكن تقليد المظاهر الخارجية لحضارة ما، من دون أن يتأثروا في الوقت نفسه بروحها وجوهرها^٣.

ويضيف قائلاً: إنَّ هذا الفهم يعتبر فهماً قاصراً، إذ أنه لا يمكن أن يتبنى المسلمون الشكل الخارجي للحضارة الغربية دون أن يتأثروا (بروحها) بالحضارة ليست قوالب مفرغة ولا شكلاً أجوف ولكنها نشاطٌ حيٌّ، وفي اللحظة التي يتقبل المسلمون شكلها الخارجي تبدأ مجاريها الأساسية ومؤثراتها غير المرئية والفعالة تعمل فيهم، ومن ثمَّ تخلع عليهم اتجاهها العقلي ككله ولكن ببطءٍ دون أن يلحظوا، ولعلَّ أصدق وصفٍ لهذا حديث الرسول ﷺ حين قال: { مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ }^٤، ولا ينطبق مفهوم هذا الحديث على التحذير من السلوكيات والأخلاقيات فقط، بل هو تعبيرٌ واقعيٌّ من أنه لا مفرَّ من اصطباغ المسلمين بالحضارة التي يقلدونها ويتبعون مظاهرها الخارجية. انتهى كلامه رحمه الله.

ومن هذا المنطلق، فإنَّ محمد أسد رحمه الله يرى أن التقليد الأعمى للغرب، يؤدي إلى الميل العقلي والنفسي البطيء نحو تقبل النظريات الغربية في النظم الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، التي تخالف بلا

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٨٠.

^٢ المرجع السابق، ص ٧٨

^٣ المرجع السابق، ص ٨١-٨٢.

^٤ أخرجه أبو داود، باب في لبس الشهرة، حديث رقم ٤٠٣١.

وأخرجه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، حديث رقم ٥١١٥. وقال المحقق إسناده ضعيف.

وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، حديث رقم (٦١٤٩)، حرف الميم، ج ٢، ص ١٠٥٩.

^٥ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٨١-٨٢.

ريب تعاليم الدين الإسلامي، وتؤثر على الناحية الروحية للمسلم، فيقول محذراً: "إذا أردنا أن نحفظ حقيقة الإسلام على أنها عنصر ثقافي فيجب علينا أن نحترس من الجو الفكري للمدنية الغربية، ذلك الجو الذي أصبح على وشك أن يتغلب على مجتمعا وميولنا، وبتقليد عادات الغرب وزيه في الحياة يصبح المسلمون تدريجياً مضطرين إلى الأخذ بوجهة النظر الغربية، إن تقليد المظاهر الخارجية يقود شيئاً فشيئاً إلى تقبل الميل العقلي المصاحب لذلك".^١

❖ إن تقليد المسلم لمظاهر الحضارة الغربية، يؤدي إلى السيطرة التامة على عقله، والفهم الخاطئ لعقيده، وبالتالي يصبح من المستحيل عليه أن يفرق بين ما هو من مبادئ دينه وبين ما هو دخيل عليه، فتذوب شخصيته وتفقد هويتها، وتقبل كل ما يغير طبيعتها، وينافر عقيدتها.

وهذا ما أخبرنا به محمد أسد - رحمه الله - من أنه في حال تقليدنا لمظاهر الحضارة الغربية، فإنه يصبح من المستحيل علينا أن نرى الفرق الأساسي بين المهم وغير المهم في جوانب الحياة الاجتماعية، فنجد أن هناك أموراً أساسية في البنية الاجتماعية والاقتصادية الغربية تعارض تعاليم الدين الإسلامي، مثل الاختلاط المطلق بين الجنسين، والفائدة الربوية في كافة المعاملات المالية، فإذا ما تسربت إلى عقولنا ببطء وأخذت طريقها إلى القبول التدريجي في فكرنا، فسنكون غير قادرين على التفريق بين هذه الأنماط الاجتماعية والاقتصادية من حيث الأولوية والأهمية في حياتنا وبين مبادئ ديننا الإسلامي، عندها قد نقع في الفخ ونقدمها على تعاليم ديننا وثقافتنا، وبالتالي تتأثر حياتنا الاجتماعية والدينية وتبدأ بالميل التدريجي نحو الحياة الغربية دون أن نشعر.

من هنا جاء النهي عن التشبه بالكفار والأمر بمخالفتهم في القرآن الكريم والسنة النبوية، حرصاً على تمييز شخصية المسلم في جوهرها وشكلها الخارجي، وصيانة للمجتمع المسلم من التيارات المنحرفة المعادية للإسلام، لذا فسلامة العقيدة وصحة العبادة وحسن الخلق من أهم ما يميز شخصية المسلم في مضمونها وشكلها.

يقول محمد أسد: "إذا حاكى المسلم أوروبا في لباسها وعاداتها وأسلوب حياتها فإنه يظهر عملياً تفضيله للحضارة الغربية، مهما كان تظاهره المعلن، وإنه لمن المستحيل عملياً تقليد حضارة أجنبية دون تقبل روحها، وبالدرجة نفسها لا يمكن لمسلم أن يقبل روح حضارة تخالف النظرة الدينية إلى الحياة ثم يبقى مسلماً صالحاً".^٣

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٧٨.

^٢ المرجع السابق، ص ٨٢.

^٣ المرجع السابق، ص ٨٣.

ويعرج على توضيح الفكرة فيؤكد بأن تقليد المظاهر الخارجية لأنماط الحياة الغربية لا يؤثر على المظهر العام للمسلمين فقط، وإنما يتعداه إلى الجوهر والمضمون، فمن الخطأ أن نفترض أن اللباس مثلاً شيءٌ خارجيٌّ بحتٌ و أن لا خوفٌ منه على حياة الإنسان العقلية والروحية، فاللباس إنما هو نتيجة عمرٍ طويلٍ من تطور أذواق وحاجات الناس، وطرأه يتوافق مع أفكارهم الجمالية واتجاهاتهم، فطراز الملابس الغربية اليوم - مثلاً - موافق تماماً للشخصية الأخلاقية والفكرية للغرب الحديث، وإذا تبنى المسلم اللباس الغربيَّ عوضاً عن ذوقه، فإنه بهذا يرفض جزءاً كبيراً من الإمكانيات المتاحة لقومه، يرفض أذواقهم التقليدية، ويرفض تقييمهم الجمالي، وما يحبونه وما لا يحبونه، ويقبل بالخنوع الفكري والأخلاقي لحضارةٍ أجنبيةٍ^١.

❖ إن تقليد المسلمين لمظاهر الحضارة الغربية، يفصل بين المسلمين وبين تاريخهم وماضيهم وحضارتهم ومنجزاتهم، الأمر الذي يترتب عليه الشعور بالانحزام وعدم الأنفة، وعدم العمل من أجل إعادة مجد الأمة الإسلامية وعزتها، يقول محمد أسد رحمه الله: "إن العالم المسلم، بميله إلى تقليد الغرب، وهضم الأفكار والمبادئ الغربية، إنما يقطع تدريجياً الأواصر التي تربطه بماضيه، ويفقد بسبب ذلك جذوره الدينية، لا جذوره الثقافية فحسب، إن حالته تشبه شجرةً كانت قويةً عندما كانت جذورها عميقةً في التربة، ولكن السيل الجارف المنحدر من جبل الحضارة الغربية عرّى جذورها فهي تموت ببطءٍ لحاجتها إلى الغذاء، فتساقط أوراقها وتذبل أغصانها وفي النهاية فإن الجذع نفسه يقف في خطِّ الانهيار"^٢.

● الطريق إلى علاج ظاهرة تقليد المسلمين لمظاهر الحياة الغربية، كما عرضها محمد أسد - رحمه

الله -:

لقد عانى محمد أسد - رحمه الله - كثيراً وشعر بالحزن والأسى لتفشي مظاهر التقليد الأعمى للغرب بين المسلمين، فوقف مذكراً ومنذراً ومحذراً لهم من حضارةٍ غربيةٍ لا دينيةٍ عاش واقعها وأدرك مساوئها وتأكد من فساد مضمونها وشكلها، ولقد عبر رحمه الله عن أسفه وألمه وحزنه، لما حلَّ بالمسلمين من أن أكثرهم أصبحوا غربيين في مظهرهم وعاداتهم وأفكارهم، فهو تارةً يقول: "... متى يستطيع زيدٌ، وقوم زيدٍ أن يحتفظوا بتماسكهم الروحيِّ في وجه الخطر الذي يطبق عليهم بكثيرٍ من الخداع والمكر، وصورة لا تعرف الرحمة واللين، نحن نعيش في زمنٍ لم يعد الشرق فيه يستطيع أن يبقى ساكناً سلبياً في وجه

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، ص ٨٢.

^٢ المرجع السابق ص ٨٤.

الغرب الآخر بالإطباق عليه، إن آلافاً من القوى السياسية والاجتماعية والاقتصادية، تطرق أبواب العالم الإسلامي، فهل يخضع هذا العالم ويستسلم إلى حضارة الغرب، ويفقد خلال التفاعل، لأشكاله وأنظمتها التقليدية فحسب بل جذوره الروحية أيضاً؟^١.

ويقول تارةً أخرى: "... إن المجتمع الإنساني يخضع في كل مكان لتبدل أساسي، وإن هذا التبدل يختلف بين بلد وبلد، ولكننا نلمح في كل مكان أن ثمة قوة تسوق الناس سوقاً لا تدع لهم معه مجالاً للتوقف ولا للتردد، وليس العالم الإسلامي بمعزل عن ذلك، فإننا نرى هنا أيضاً أن ثمة عادات قديمة وآراء تختفي تدريجياً، ولكن لتظهر ثانية في أشكال جديدة، فإلى أين سينتهي هذا التطور؟ وعند أي حد سيقف؟ وإلى أي مدى تراه يتفق مع رسالة الإسلام الثقافية؟؟؟"^٢.

ويضيف قائلاً في موضع آخر، وهو يصف ركاب السفينة المتجهة إلى ميناء جدة لأداء فريضة الحج: "... كان هناك جماعة صغيرة من عرب اليمن^٣ الذين صعدوا إلى السفينة، عائدتين إلى بلادهم، فكانت أصوات المواشي الغريبة وروائحها لا تزال عالقة بهم، ... وكانوا لا يزالون يتكلمون عن المدن الأجنبية الغربية ...، لقد خرجوا اليوم عن عالمهم المألوف، واستسلموا إلى ضجة عالم جديد غريب فوق التصور، ولكن الباخرة ستعود، ... إنهم سيستبدلون القبعة الغربية بالعمامة الكوفية، ويحتفظون بالأمس كذكرى فحسب، ... فهل يعودون كما خرجوا، أو يتبدلون فيصبحون غيرهم، عندما غادروا الوطن، هل أسر الغرب أرواحهم، أو لأمس مشاعرهم مجرد ملامسة؟؟؟... إن عالمي الإسلام والغرب لم يكونا يوماً أقرب، أحدهما من الآخر، كما هما اليوم وهذا القرب هو صراع ظاهر وخفي، ذلك أن أرواح الكثيرين من المسلمين والمسلمات لتتغير رويداً رويداً تحت تأثير العوامل الثقافية الغربية، إنهم يتركون أنفسهم يتعدون عن اعتقادهم السابق بأن تحسين مقاييس المعيشة يجب أن لا يكون سوى واسطة لتحسين أحاسيس الإنسان الروحية، إنهم يسقطون في وثنية التقدم نفسها التي تردى فيها العالم الغربي بعد أن صغروا الدين إلى مجرد صلصلة رخيمة في مكان ما من مؤخرة الأحداث، ولذلك تراهم يصغرون مقاماً ولا يكبرون: ذلك أن كل تقليد ثقافي، بخلاف الخلق والإبداع لا بد أنه يحقر الأمة ويقلل من شأنها"^٤.

^١ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٤٠.

^٢ المرجع السابق، ص ١١.

^٣ اليمن: الجمهورية اليمنية، عاصمتها صنعاء، اللغة العربية هي اللغة الرسمية، الديانة فيها الإسلام، وهي عضو في جامعة الدول العربية والأمم المتحدة.
ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ١٣١-١٣٣.

^٤ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٧٤-٣٧٥.

وعلى الرغم من تلك المعاناة التي كان يعاني منها والشعور بالحزن والأسف الشديد على تفشي مظاهر التقليد في حياة المسلمين إلا أنه لم يفقد الأمل في تجديد الدين، وبعث الإسلام كما كان عليه في عصوره الأولى، ولهذا قام رحمه الله بوضع طرقٍ عديدةٍ لعلاج مشكلة تقليد المسلمين لمظاهر الحياة الغربية، قائلا: "حتى ينجح المسلمون في تجديد الحياة في العالم الإسلامي يجب عليهم أن يتبعوا ما يلي"^٢:

❖ أن لا ينظر المسلمون إلى الإسلام على أنه اعتقادٌ في القلب وحسب، بل هو منهجٌ متكاملٌ للحياة الفردية والاجتماعية محدّدٌ بوضوحٍ بالغٍ، ويمكن لهذا المنهج أن ينهار بالكلية عند تقليد ثقافةٍ غربيةٍ؛ لاختلافها في الأساسيات الأخلاقية، وعليه فإنّ إحياء الثقافة الإسلامية يمكن أن يحدث بمجرد إعادة وضع الإسلام في موقعه الطبيعيّ والتعامل معه على أنه العامل الأساسيّ والمؤثر بكافة أبعاده في تشكيل كياننا الشخصيّ والاجتماعيّ.

❖ على المسلمين الرجوع إلى المصادر الأصلية للإسلام، لفهم الشريعة الإسلامية، وترك تأويلات الفقهاء المعاصرين، وهذا سيسر لهم التحقق من روعة المنهج الإسلاميّ في الحياة وعظمته.

❖ يجب على المسلمين أن يحرروا أنفسهم من روح الاعتذار عن أنظمة ومبادئ الدين الإسلاميّ، وعليهم أن يعيشوا رافعي رؤوسهم، وأن يعيدوا الثقة والاعتزاز في أنفسهم بثقافتهم وحضارتهم، وأن يدركوا تميزهم واختلافهم عن بقية العالم.

يقول - رحمه الله -: "وكي يستطيع المسلم إحياء الإسلام يجب أن يعيش عالي الرأس، يجب عليه أن يتحقق أنه متميزٌ وأنه مختلفٌ عن سائر الناس، وأن يكون عظيم الفخر لأنه كذلك، ويجب عليه أن يكده ليحتفظ بهذا الفارق على أنه صفةٌ غاليةٌ وأن يعلن هذا الفارق على الناس بشجاعة بدلاً من أن يعتذر عنه"^٣.

وفي هذا يقول أيضاً: "إنّ العوامل التي يجب على المسلمين التمسك بها للنهوض بالإسلام هما الثقة بالنفس، والثقة في حضارتنا وثقافتنا وإمكانية تطبيقها،... لن نتقدم مرة أخرى إلا إذا استعدنا ثقافتنا بأنفسنا، ولن نصل إلى هذا الهدف بتدمير نظمنا الاجتماعية وتقليد حضارةٍ أجنبيةٍ، أجنبيةٍ ليس على

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة صالح الحصين، مرجع سابق، ص ٨٩.

^٢ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٨٣-٨٦.

^٣ المرجع السابق، ص ٨٣.

محيطنا التاريخي، والجغرافي فحسب، بل على ديننا أيضاً، وقد بين الله لنا الطريق في كتابه المبين، ﴿ لَقَدْ

كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝ ﴾

٢١

ويختتم محمد أسد رحمه الله حديثه عن طرق علاج مشكلة التقليد، بأن المسلم اليوم كالمسافر الذي وصل إلى مفترق طرق: فيما أن يقف مكانه، وهذا يعني أنه سيموت جوعاً، أو يختار الطريق الذي كتب عليه إلى الحضارة الغربية، ولكنه حينئذٍ يجب عليه أن يودع ماضيه إلى الأبد، أو أنه يختار الطريق التي كتب عليها إلى حقيقة الإسلام، وهو طريق لا يؤمن به إلا من يثق بثقافته وماضيه ويعتقد أنه بإمكانه التقدم نحو مستقبلٍ مشرقٍ^٣.

من الواضح أن محمد أسد - رحمه الله - يعتبر نموذجاً فريداً من المفكرين المسلمين الذين تحدثوا عن الأساس الروحي للإسلام والذين حملوا هموم الأمة، عن وعيٍ منهم بأبعاد الحرب المعلنة تاريخياً ضد الإسلام وأمته وحضارته، فمثلت حياته مشروعاً فكرياً ومعركةً فكريةً، وهو يخوض في مشكلات الأمة التربوية والتعليمية والسياسية والاجتماعية كاتباً ومحاضراً وممثلاً للمناصب السياسية ومجاهداً ومفكراً وفرداً من أفراد الأمة الإسلامية.

د. الانتفاع والاقتباس من الحضارة الغربية:

لقد أدرك محمد أسد خطورة تقليد المسلمين لمظاهر الحياة الغربية، ومدى معاناة الأمة الإسلامية من تفشي هذا المرض العضال في جسدها، فحذر منه وبين أسبابه ومخاطره، وكان - رحمه الله - مقتنعاً أن الحل لا يكون إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والتمسك بالإسلام وتطبيقه كمنهجٍ شاملٍ للحياة.

وعلى الرغم من رفضه القاطع للتقليد إلا أنه وقف موقفاً وسطاً ومعتدلاً من الاقتباس والاستفادة مما قدمته الحضارة الغربية في شتى المجالات العلمية والمنتجات التقنية، مع وجود بعض الشروط والتحفظات من وجهة نظره، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

^١ سورة الأحزاب، آية: ٢١.

^٢ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ١١٧-١١٨.

^٣ المرجع السابق، ص ٨٥-٨٦.

وفي هذا يقول - رحمه الله - "... إن هذا لا يعني أن المسلمين يجب أن يصموا آذانهم عن كل صوت يأتي من الخارج فإن أحدنا يستطيع دائماً أن يستقبل مؤثرات إيجابية جديدة من مدينة ما أجنبية من غير أن يهدم مدينته ضرورة"^١.

ويقول أيضاً: "أنا لا أعني أن المسلمين لا يستطيعون أن يفيدوا كثيراً من الغرب، وبخاصة في مجال العلوم والفنون الصناعية، ذلك أن اكتساب الأفكار والأساليب العلمية ليس الحق (تقليداً)، وبالتأكيد ليس في حالة قوم يأمرهم دينهم بطلب العلم حيثما يمكن أن يوجد"^٢.

ويشير - رحمه الله - إلى أن الاقتباس والاستفادة من الحضارة الغربية، مع الحفاظ على خصائص وثوابت الحضارة الإسلامية، موقف يتطابق تاريخياً مع مواقف بعض الحضارات في استفادتها من الحضارات الأخرى، فالحضارة الإسلامية استفادت من العلوم اليونانية والهندية دون المساس بأصول وثوابت الثقافة الإسلامية، وكذلك فعل الأوروبيون عندما استفادوا من العلوم الإسلامية ومناهجها وتركوا الإسلام عقيدةً وشريعةً، وفي كلتا التجربتين نمت لدينا حضارةً جديدةً وعظيمةً مملوءةً بالثقة والإعجاب بالنفس.^٣

وفيما يلي سنأتي على بيان موقفه - رحمه الله - من الاقتباس والتفاعل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، وستكون البداية من توضيح الأساس اللغوي لمعنى الاقتباس، ثم عرض تصورهِ عن كيفية الاستفادة من علوم الغرب.

أ. معنى الاقتباس:

الاقتباس لغةً: الطلب تقول: قيس النار قيساً أي طلبها، وقيس العلم استفادته، فهو قابسٌ والجمع: أقباسٌ، وأقبسه أي أعطاه قيساً من نارٍ وعلمٍ، ونقول: اقتبس منه ناراً أو علماً، أي استفاده وفي القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿ أَنْظِرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾^٤، فالأقتباس في اللغة يعني: الاستفادة والطلب والاسترشاد من الآخر وهو مطلق في الماديات (كالنار)، والمعنويات (كالعلم).

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٨٤.

^٢ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٧٥.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٨٤.

^٤ بنظر: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مرجع سابق، ص ٤٨٧-٤٨٨.

-المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧١٠.

^٥ سورة الحديد، آية: ١٣.

إنَّ المعاني اللغوية السابقة تدلنا على أنَّ الاقتباس يعني: أن يستفيد شخصٌ ما ويسترشد ويطلب العلم من غيره، في أمورٍ لا علم له بها.

ويمكن أن ينطبق ذلك التعريف على الحضارات فنقول: أن تستفيد حضارةٌ ما وتسترشد وتطلب العلم من حضارةٍ أخرى متقدمةٍ عليها في مجالاتٍ علميةٍ وثقافيةٍ مختلفةٍ.

ب. موقف محمد أسد - رحمه الله - من الاقتباس العلمي وفق نظام التعليم الغربي الحديث:

١. يرى محمد أسد - رحمه الله - أن المعرفة ليست شرقيةً ولا غربيةً، وإنما هي إرثٌ إنسانيٌّ عالميٌّ مشتركٌ، حيث أنَّ الاكتشافات العلمية هي عبارةٌ عن حلقاتٍ في سلسلةٍ من النظريات والقوانين لا نهاية لها من الجهد العقلي الذي يضمُّ الجنس البشريُّ بأكمله^١.

ويؤكد أنَّ عملية البناء والتطوير في شتى العلوم لا بدَّ وأن تستمرُّ من إنسانٍ إلى إنسانٍ آخر، ومن عصرٍ إلى عصرٍ، ومن حضارةٍ إلى حضارةٍ، لأنَّ ما يحققه عصرٌ معينٌ أو حضارةٌ معينةٌ من أعمالٍ علميةٍ جليلةٍ لا يمكن مطلقاً أن يقال أنَّها تخصُّ ذلك العصر أو تعود إلى تلك الحضارة، ولكنَّ الجميع يشتركون بصورةٍ شرعيةٍ في تلك العملية العلمية، بغض النظر عن تمييز حضارةٍ على أخرى بخصائصها واسهاماتها المعرفية المتنوعة^٢.

٢. يفرق محمد أسد بين العلوم التطبيقية التجريبية وبين الفلسفة النظرية الغربية التي تتبع تلك العلوم.

فمن وجهة نظره أنَّ العلوم التطبيقية كعلم الأحياء، وعلم النبات، وعلم الرياضيات، ليست كلها ماديةً ولا روحيةً فيما تقصد إليه، فالمادِّيُّ منها هو عبارةٌ عن الحقائق والنظريات التي يتمُّ تحديدها واستخراج القوانين منها، أما الجزء المعنويُّ منها فهو متعلقٌ بفلسفة العلوم وشرح الحقائق والمشاهدات التي تتعلق إلى حدٍّ كبيرٍ بثقافة الشعوب وفكرها وقيمها ودينها.

لذا فإنَّ الضرر ليس في دراسة العلوم التجريبية الحديثة وإنما المضرُّ هو روح الحضارة الغربية، والاتجاه الماديُّ المناهض للدين الذي يقترب منه المسلم بدراسة فلسفة تلك العلوم^٣.

٣. فيما يتعلق بالبحوث العلمية، يؤكد - رحمه الله - على ضرورة الاستفادة من البحوث العلمية الغربية في شتى المجالات، حيث حققت أوروبا تقدماً وتطوراً ونجاحاً هائلاً في مجال البحوث والتجارب

^١ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٧٥.

-الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٧١.

^٢ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٧٥.

^٣ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٧١-٧٣.

العلمية، بشرط أن يحتفظ المسلم بالموقف السابق الذكر، وأن لا ينظر إلى الحضارة الغربية على أنها أفضل من حضارته، وإلا فهو لا يفهم معنى الإسلام، لأنّ أفضلية حضارة على حضارة أخرى تقاس بمدى التزامها بالمبادئ الأخلاقية وقدرتها على موازنة مختلف نواحي الحياة الإنسانية، وليس على ما لديها من تقدم علمي وتفوق معرفي، كما أنه من واجب علماء المسلمين عندما يصلون إلى حدود البحث التجريبي العلمي، أن يوظفوا قواهم العقلية النظرية للاستقلال عن تلك النظريات الغربية الفلسفية المناهضة للدين، حيث أنهم عن طريق اتجاههم العقلي الإسلامي سيصلون على الأرجح إلى نتائج في المعقولات تختلف عن ما وصل إليه العلماء الغربيون^١.

● موقف محمد أسد - رحمه الله - من اقتباس وتعلم الفلسفة الأوروبية والأدب الأوروبي والتاريخ وفق نظام التعليم الغربي:

يرفض محمد أسد - رحمه الله - رفضاً قاطعاً تعليم الفلسفة الأوروبية، والأدب الأوروبي والتاريخ الأوروبي، لأبناء المسلمين، ويعبر عن رأيه قائلاً: "أما تعليم الفلسفة الأوروبية والأدب الأوروبي والتاريخ العام كما تُرى هذه كلها من وجهة نظر الغرب فيجب أن يفقد المرتبة الفضلى في برامج التعليم وأن لا يأخذ مكانة الصدارة في المناهج الدراسية"^٢.

وله - رحمه الله - وجهة نظر تفصيلية في تعلم الأدب والفلسفة والتاريخ وفق نظام التعليم الغربي نوضحها فيما يلي:

❖ بالنسبة لتعليم الفلسفة الأوروبية، فإنه يرفضها دون استثناء أو نقاش^٣.

❖ وفيما يتعلق بتعلم الأدب الأوروبي، فهو يرى أنه لا يصح أن تُحرم دراسته ونملمه^٤، ولكن مع مراعاة الشروط التالية:

■ يجب أن يُدرّس الأدب الأوروبي بطريقة عرضٍ منهجيةٍ تركز على القيمة اللغوية فقط^٥.

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٧٢-٧٧.

^٢ المرجع السابق، ص ٧٤.

^٣ المرجع السابق، نفسه.

^٤ المرجع السابق، نفسه.

^٥ المرجع السابق، نفسه.

■ يجب إعادة بناء منهج الأدب في المعاهد الإسلامية، فالطريقة التي يُدرّس بها الأدب الأوروبي في كثيرٍ من بلاد المسلمين، هي طريقة متحيزة وتدور مع الهوى، وتهول من القيم والأفكار الغربية، الأمر الذي يدفع بالعقول الغضة الناشئة أن تتشرب روح الحضارة الغربية، بثقة عمياء واندفاع كبير، قبل أن يتاح لها أن تعرف آفات الحضارة الغربية، وهكذا تكون الطريق معبدةً أمام شباب المسلمين للتقليد الأعمى لتلك الحضارة الغربية اللادينية والتي لا يمكن أن تتفق مع روح الإسلام^١.

■ أفضلية تدريس الأدب الإسلامي لأبنائنا بدلاً من الأدبي الأوروبي، ليتأثر الطالب بسعة الثقافة الإسلامية وعمقها، ومن ثم إشاعة الأمل في نفسه بمستقبلٍ حسن^٢.

❖ أما دراسة التاريخ الأوروبي من وجهة النظر الأوروبية، فيراه خطيراً للغاية، حيث أن المنهج الغربي يفسر التاريخ الأوروبي على أساس التميز العنصري المقيت، والاستعلاء على الآخرين، فالتاريخ الأوروبي مازال يقسم الناس إلى رومانين وبرابرة، وينظر إلى الحضارة الأوروبية على أنها حضارة العالم، وأنه لا حاجة إلى الحضارات الأخرى والشعوب غير الأوروبية، إلّا بقدر تأثير وجودها على مصير أوروبا.

وقد بين - رحمه الله - الآثار السلبية المترتبة على تلك النظرة الجزئية والضيقة للتاريخ الأوروبي، وتلك الصورة المشوهة للحقائق والمضللة للعقول، فهي نظرة تظهر للعالم أن الحضارة الغربية هي أرقى الحضارات وأكثرها تقدماً وإنتاجاً، كما أنها تعطي المسوغ الأخلاقي للسعي الغربي إلى السيطرة على الأمم والشعوب.

كما تؤثر تلك النظرة على عقول النشء من غير الشعوب الأوروبية، في زيادة عقدة الشعور بالنقص تجاه تاريخهم وماضيهم، فينشؤون على احتقار كل ما يتصل بثقافتهم وحضارتهم ومستقبلهم، إلّا إذا كان مستقبلاً مستسلماً للمبادئ الغربية^٣.

ويحمل محمد أسد - رحمه الله - مسؤولية مراجعة وتصحيح مناهج التاريخ في بلاد المسلمين إلى القيادات المسؤولة وعلماء الفكر الإسلامي، ويؤكد على أنها مهمة شاقة وتحتاج إلى فحصٍ دقيقٍ وشاملٍ

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٧٤.

^٢ المرجع السابق، نفسه.

^٣ المرجع السابق، ص ٧٤-٧٦.

للمادة التاريخية قبل كتابتها، إلا أنها ليست مستحيلة بل وحتمةً لإنقاذ أجيال المسلمين الجديدة من الوقوع في عقدة الشعور بالنقص^١.

لقد أurdك محمد أسد - رحمه الله - بأن الإسلام والحضارة الغربية يقومان على فكرتين متناقضتين في الحياة، ولا يمكن أن يتفقا أبداً ووضح لنا كما مرّ معنا في المباحث السابقة عقبات ومعوقات التواصل مع الغرب، والتي يمكن لنا أن نجعلها فيما يلي:

١. الحضارة الغربية ذات طبيعة مادية نفعية ضاربة بجذورها العميقة فيها.
٢. الإقصاء الكلي للدين، دون تمييز بين دين وآخر، فهي ترفض كل تفسير غيبي للكون، ولا تؤمن بوجود مدركات لا يدركها العقل.
٣. الإرث التاريخي اليوناني والروماني للحضارة الغربية، والمتمثل في شعور الإنسان الأوروبي بتفوقه العنصري واستعلائه على الآخرين.
٤. الحروب الصليبية وتأصيلها للعداوة المباشرة للإسلام.

وعلى أساس هذه المفارقة الكلية بين الإسلام والحضارة الغربية، كان - رحمه الله - كثيراً ما يستنكر تعليم أبنائنا المسلمين على أسسٍ غربية قائمة على مبادئ الثقافة الغربية، من دون أن يكون ذلك المنهج التعليمي يحمل معه المؤثرات المعادية للإسلام؟؟؟!

وبلا ريب فإن السيطرة على مناهج التعليم في بلاد المسلمين ورسم سياستها عن طريق أعداء الإسلام بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ، هو سلاحٌ فتاكٌ من أسلحة العدو لإبعاد المسلمين عن روح الإسلام، وتدمير الشخصية المسلمة، وإلغاء الدور الحضاري للإسلام، وتعزيز التبعية والولاء للغرب.

^١ الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٧٤-٧٦.

المبحث الرابع

آراؤه حول منهاج الحكم في الإسلام

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السفر إلى شبه القارة الهندية

المطلب الثاني: نشاطه السياسي والفكري في الهند

وعند تأسيس دولة باكستان

المطلب الثالث: رؤية محمد أسد - رحمه الله - لمنهاج

الإسلام في الحكم

المطلب الأول

السفرُ إلى شبه القارة الهندية

بعد أن طاف محمد أسد - رحمه الله - معظم دول العالم الإسلامي، متنقلاً بين كبريات عواصمه، وملتقياً بالعديد من علماء المسلمين، وكبار السياسيين والمفكرين، استقرَّ به المقام في الجزيرة العربية، حيث أقام في المدينة المنورة ست سنواتٍ بين عامي ١٩٢٧م - ١٩٣٢م، تفرغ خلالها لدراسة العلوم الإسلامية واللغة العربية، كما التقى ببعض شيوخ المسجد النبوي الشريف، الذين تناقش معهم في العديد من التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية، وتستهدف هوية المسلم، وعقيدته، وخصوصيته الثقافية.

ومما لا شكَّ فيه أن زيارته لدول العالم الإسلامي، والتقاءه بعلماء المسلمين، وحياته في المدينة المنورة، أتاحت له فرصة التعرف على الآراء الدينية، والاجتماعية، والثقافية السائدة في المجتمعات الإسلامية، فكون ذخيرةً جيدةً من المعلومات عن العالم الإسلامي، لذا رغب - رحمه الله - أن يكمل جولاته شرقاً نحو تركستان، والصين^١، وإندونيسيا؛ لزيارة الجماعات الإسلامية والتعرف عليها، ولكن هذه الرغبة لم تقنع الكثيرين ممن هم حوله في المملكة العربية السعودية، فتحدث البعض عن خلافٍ في الديوان الملكي جعل محمد أسد يتخذ قراره بالرحيل، وادّعي البعض الآخر أن مغادرته - رحمه الله - للمملكة العربية السعودية إلى شبه القارة الهندية يعد نوعاً من الهروب^٢.

وتفنيداً لهذه الادعاءات، فقد أعرب محمد أسد - رحمه الله - في مقابلة صحفية بأنَّ السبب وراء مغادرته للجزيرة العربية وذهابه إلى الهند، لم يكن إلّا تلبيةً لدعوة إخوانه المسلمين في الهند، ورغبةً منه في زيارة الهند لمدة لا تزيد عن السنة^٣، بل إنه كان ينوي العودة مرةً أخرى إلى المملكة العربية السعودية، وهذا ما أكده - رحمه الله - في خطابه إلى مكتب حكومة فينا الذي أرسله من لاهور في

^١ الصين: جمهورية الصين الشعبية، عاصمتها بكين، اللغة الصينية هي اللغة الرسمية، وهي دولة ملحدة رسمياً، وهي عضو في الأمم المتحدة .
ينظر: معجم بلدان العالم، مرجع سابق، ص ٨١-٨٧.

^٢ ينظر: محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ٦١.

-محمد أسد هبة الإسلام لأوروبا، مرجع سابق، ص ٢٦.

- A FORGOTTEN PAKISTANI, Muzaffar Iqbal, In: Muhammad Asad Europe's gift to Islam, by: M. Ikram chghatai, Lahore, Pakistan, Vol. 1, P. 307

^٣ محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ٦١.

^٤ المرجع السابق، نفسه.

٢٦/٠٧/١٩٣٣م بشأن تغيير اسمه، ثم كرر هذا التأكيد في رسالة أخرى إلى القنصلية النمساوية في الإسكندرية بتاريخ ٣/٠١/١٩٣٤م^١.

وفي هذا السياق يحدثنا د. طلال أسد عن سبب مغادرة والده للجزيرة العربية وذهابه إلى الهند، فيقول: "صحيح أن والدي قد غادر جدة سراً، وذلك لعدم السماح للمتزوج بسعودية من اصطحاب زوجته إلى خارج البلاد، وأعرف أن عائلة والدي، كانت حزينة على مغادرتها، ولكن أمي أرادت للحاق بزوجها وطفلها، حتى لو استدعى ذلك مخالفة الأعراف، لقد فهمت دائماً أن والدي غادر المملكة العربية السعودية لزيارة الهند بناءً على دعوة من أصدقاء مسلمين هناك، على الرغم من عدم استبعاد وجود أسباب أخرى ومن المؤكد أنه كان حريصاً جداً على رؤية العديد من المجتمعات المسلمة، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً"^٢.

هذا ما أشارت إليه المصادر عن سبب مغادرة محمد أسد - رحمه الله - المملكة العربية السعودية، وذهابه إلى شبه القارة الهندية، ويبقى السبب الحقيقي خلف هذه الأحداث غامضاً، إذ لم يستبعد ابنه د. طلال أن يكون هناك أسباب أخرى غير التي ذكرها لنا وراء سفر والده إلى الهند، كما أنه من غير المعقول أن يغادر محمد أسد - رحمه الله - المملكة العربية السعودية في الوقت الذي كان يزداد حظوةً، وتقديراً من عاهل البلاد التي استضافته.

وقد يكون ما أشار إليه البعض من وجود خلافات في الديوان الملكي، سبباً في حدوث مضايقات لمحمد أسد - رحمه الله - جعلته يتخذ قرار الرحيل، لاسيما أن د. جونثر ويندهاجر في رسالته لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة فينا عام ٢٠٠٥م، أشار بأن الوثائق تدل على أن محمد أسد - رحمه الله - كان ينوي القيام ببعض الرحلات العلمية، والاستكشافية إلى الصحراء العربية، وتأليف الكتب والمقالات حولها، وقد يكون عبد الله فليبي^٣ وراء إفشال خططه - رحمه الله -، حيث كان فليبي يهدف بأن يكون أول باحث

^١ محمد أسد لبيولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ٦١.

^٢ المرجع السابق، نفسه.

^٣ عبد الله فليبي (١٨٨٥م/ ١٩٦١م): ولد هاري (سنت جون) فليبي في سيلان عام ١٨٨٥م، من أسرة أرثوذكسية من جنوب إنجلترا، وفي عام ١٩٠٤م التحق بجامعة كمبردج وتخرج من إحدى كليتها الدينية ١٩٠٧م، درس اللغتين الفارسية والهندية، وبعد عام التحق بخدمة حكومة الهند البريطانية، فتعلم الأردية والعربية، بدأت رحلته بالجزيرة العربية، بدءاً بالمشاركة في اللقاء الأول بين الملك عبد العزيز وبرسي كوكس، الذي عقد عام ١٩١٥م ونتجت عنه معاهدة بريطانيا بالمملكة العربية السعودية، اعتنق الإسلام عام ١٩٣٠م، وكان له مجموعة من الكتب المطبوعة نحو (١٥) كتاباً، ألف أكثرها في المملكة العربية السعودية التي قضى فيها، وفي البلاد المجاورة ٤٠ عاماً، ومن هذه الكتب: تاريخ نجد، تاريخ الربع الخالي، أربعون عاماً في الصحراء، قلب الجزيرة العربية، توفي في بيروت في أكتوبر ١٩٦١م عن عمر يناهز الخامسة والسبعين.

ينظر: صفحات وثائقية من تاريخ الإعلام في الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ٩٣-٩٦.

-رحالة الغرب في ديار العرب، أسعد الفارس، ط١، الكويت: أحمد عبد الله الفليح صقر الجزيرة للنشر والإعلان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٢١١-٢٢٨.

أوروبي يجتاز، ويتعرف على الصحراء العربية، كما أنه كان مقرباً من الملك عبد العزيز - رحمه الله - بشكلٍ أثار حفيظة بعض المحافظين، والمستشارين من حول الملك عبد العزيز غفر الله له^١.

وترى الباحثة أن مغادرة محمد أسد - رحمه الله - للمملكة العربية السعودية من ميناء جدة سراً إلى الهند، رغبةً منه في أن يصطحب زوجته وولده معه، هو ما جعل البعض يدّعي أن سفره كان هرباً.

ومع كل هذا وذاك، فقد احتفظ محمد أسد - رحمه الله - أثناء وجوده بالهند، بصلته بالمملكة العربية السعودية وعائلها الملك عبد العزيز - رحمه الله - وقام هو وأسرته بعدة زياراتٍ للمملكة، وظلّوا محلّ رعاية قادتها رحمهم الله^٢، وكانت المرة الأخيرة التي قابل فيها الملك عبد العزيز - رحمه الله - كمثلٍ للباكستان عام ١٩٥١م، وبعد وفاة الملك عبد العزيز - رحمه الله - عام ١٩٥٣م بقيت علاقته مع الأمير فيصل قويةً، هذا ما أكدّه الأمير تركي الفيصل في حديثٍ له مع د. جونثر فيندهاجر^٣.

كما ظلّ - رحمه الله - محلّ تقديرٍ واهتمامٍ من جانب صاحب السموّ الملكيّ الأمير سلمان بن عبد العزيز حفظه الله، فقد كان حفظه الله يرعى له جانب صداقته لوالده العظيم، كما كان لا يرضنُ عليه بالتقدير الماديّ المنتظم الذي ظلّ رافده ممتداً حتى بعد وفاته، ومما يذكر في هذا السياق أن سموّ الأمير سلمان حفظه الله، زاره في بيته في ميخاس، وتحدث إليه ولاطفه فكان برّه برّين^٤، وعرض عليه العودة إلى المملكة العربية السعودية والعيش فيها، كما لمح - رحمه الله - في كتابه "عودة القلب إلى وطنه" الذي كان بصدد كتابته ولكنه مات قبل إنجاز الكتاب، والعودة إلى الأرض التي طالما أحبّها، ولم يشعر فيها يوماً بأنه غريب^٥.

وفي يونيو حزيران من عام ١٩٣٢م غادر محمد أسد - رحمه الله - الجزيرة العربية من ميناء جدة إلى الهند، مصطحباً معه زوجته (منيرة الشمري) وابنه طلال الذي لم يتجاوز السنة الأولى من عمره^٦.

^١ محمد أسد لبيولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ٦٠.

^٢ محمد أسد هبة الإسلام لأوروبا، مرجع سابق، ص ٢٧.

^٣ محمد أسد لبيولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ٦٢.

^٤ أيام حزينه النمساوي المسلم محمد أسد (١)، مرجع سابق، ص ٥٨.

5. The Road from Mecca Mohammad Asad, Op., Cit., P. 47-225.

-برنامج الطريق إلى مكة (محمد أسد)، قناة المستقلة، تقدم د. محمد الهاشمي، وضيف الحلقات، د. محمد السعيد الأستاذ بجامعة أم القرى.

^٦ ينظر: محمد أسد هبة الإسلام لأوروبا، مرجع سابق، ص ٢٩.

- The Road from Mecca Mohammad Asad, Op.cit P.P. 47-225.

ووصل إلى كراتشي بالسفينة وفقاً للمصادر الاستخباراتية البريطانية^١.

ثم انتقل إلى لاهور حيث التقاه المفكر، والشاعر المسلم الكبير محمد إقبال، الذي استطاع إقناعه بالبقاء في الهند، للاستفادة منه في الإسهام بفكره في وضع الأساس التراتيبي، والفكري الإسلامي للدولة الإسلامية التي كانت حلمًا طالما راود إقبال والعديد من مفكري الإسلام في الهند^٢.

ولقد أوضح محمد أسد - رحمه الله - في خطاب غير منشور بتاريخ ١٧/يونيو/١٩٤٦م بأن معظم الحديث الذي دار بينه وبين محمد إقبال - رحمه الله - كان حول تطبيق الشريعة، والدين الإسلامي، فكلاهما مفعمان بالحماس حول تطبيق هذا الدين، وكان التقارب في آرائهما وآمالهما هو من ساعد على مناقشة مستقبل الدولة، والسبل الممكنة لإقناع الساسة بتطبيق أفكارهما المثالية المشتركة، وبناءً عليه قام محمد أسد - رحمه الله - بكتابة سلسلة من المقالات، وإلقاء العديد من المحاضرات في لاهور ودلهي، عن أهمية إنشاء دولة باكستان^٣.

ولقد كان محمد أسد - رحمه الله - مؤمناً بقضية باكستان، ومؤيداً للثورة فيها، حيث أدرك - رحمه الله - بثاقب رأيه، وبعَدَ نظره الخطر الذي يهدد مسلمي الهند، فوقف مناضلاً بالقلم والكلمة لإيقاظ الجماعة الإسلامية في الهند، وتحذيرهم من سرقة ثورتهم، وعدم تحقيق مبادئها كما طالبوا بها فيقول رحمه الله: "إني مؤمنٌ أنه لا يوجد مستقبلٌ للإسلام في الهند حتى تصبح باكستان واقعاً، فإذا أصبحت واقعاً فإنها ستحدث ثورةً روحانيةً في العالم الإسلامي أجمعه؛ لأنها ستثبت إمكانية إقامة دولة إسلامية أيديولوجية في العصر الحديث... ومن الممكن أن تصبح الثورة الباكستانية نقطة انطلاق لتطور

^١ The Road from Mecca Mohammad Asad, Op.cit., P. 47-225.

^٢ في عام ١٩٣٠م انعقد المؤتمر السنوي لحزب رابطة المسلمين تحت رئاسة الشاعر المسلم الكبير الدكتور محمد إقبال، وقدم فيه فكرة إنشاء وطن خاص بالمسلمين في شبه القارة الهندية في المناطق التي يسكنها أغلبية المسلمين، وضرورة انفصال الهندوس عن المسلمين في التنظيم السياسي، وتكوين دولة إسلامية نموذجية تنهض على أسس النظرية الإسلامية، وقواعد الإسلام التشريعية، وقد عمل - رحمه الله - مع زعيم حزب الرابطة الإسلامية (علي جناح) لتحقيق هذا الحلم، وبدأ بذلك صراع عنيف بين المؤتمر الهندي الذي كان يؤمن بأن الشعب الهندي شعب واحد ولا حاجة إلى تقسيمه إلى دولتين، وبين حزب الرابطة الإسلامية الذي كان يرى أن الهندوس شعب والمسلمون شعب آخر ولا بد من إقامة دولة خاصة بالمسلمين، واجتمعت أغلبية المسلمين الساحقة تحت قيادة محمد علي جناح الملقب ب "قائد أعظم" رئيس حزب رابطة المسلمين حتى تحققت فكرتهم بتكوين دولة باكستان وكان مؤسسها هو محمد علي جناح.

ينظر: محمد إقبال مفكراً إسلامياً، محمد الكتاني، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء/ المغرب: ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ٢٧.

-الإمام أبو الأعلى المودودي منهجه في الدعوة، منظور حقاني، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، المعهد العالي

للدعوة الإسلامية ١٤٠٦هـ، ص ٢٧.

^٣ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٦-١٧.

^٤ علاقة محمد أسد بالباكستان، مرجع سابق.

إسلاميٌّ جديدٌ، إذا أدرك المسلمون أنها ثورةٌ لترجمة معاني الإسلام إلى أفعالٍ تطبق في الحياة العملية...، كما أننا نجد أن في الثورة الباكستانية علاقةً مباشرةً بين ارتباط الشعب بالإسلام، وأهدافهم السياسية، حيث أن النجاح العملي لهذه الثورة يرجع حصرياً إلى رغبة الشعب العاطفية في إقامة دولة فيها الهيئات الحكومية مبنية على القوانين الأيديولوجية للإسلام، دولة يكون فيها الإسلام ليس فقط مسمىً دينياً، أو حضارياً، ولكن يكون الهدف الأول لتكوين الدولة، ولا شك أن إنشاء مثل هذه الدولة الإسلامية الأولى في العالم الحديث سيؤدي إلى قيام ثورة في الفكر السياسي الإسلامي، وسيلهم الشعوب الإسلامية الأخرى بالنضال من أجل أهدافٍ مماثلة...¹.

وبناءً عليه أصبحت تربطهما - رحمهما الله - علاقة صداقة قوية، إذ جمع بينهما توافق الأفكار والغايات، وسارا معاً يداً بيد لإقامة كيانٍ إسلاميٍّ، وبتزعةٍ إسلاميةٍ صرفةٍ في الهند، وذلك في ضوء فلسفة إسلامية تعيد للإسلام ذاتيته وفاعليته، وتمكنه من الحفاظ على وجوده في خضم الاتجاهات الفلسفية المتصارعة.

وهذا ما أشار إليه - رحمه الله - في كلمة ألقاها بمدرج الجامعة السورية يوم الذكرى السابعة عشرة لوفاة الشاعر المفكر محمد إقبال - رحمه الله - مؤكداً على موافقته وإعجابه الشديد بفكر، وفلسفة محمد إقبال الدينية²، مما جعله يسير - رحمه الله - جنباً إلى جنب مع صديقه، مكرساً دعوته لتوعية المسلمين وإظهار حقائق الإسلام، وأباطيل خصومه، وتحقيق حلم قيام دولة الباكستان.

ويبدو أن هذه الصداقة والعمل المشترك على إقامة دولة إسلامية في الهند، كانت سبباً في استقرار محمد أسد - رحمه الله - في الباكستان، وعدم عودته للمملكة العربية السعودية، ومن هذا المنطلق دخل محمد أسد - رحمه الله - إلى معترك الحياة السياسية، من غير أن يكون طامعاً بجاهٍ أو منصبٍ، ويظهر أن العمل السياسي هو الذي كان يسعى خلفه ويطلبه، لحاجة المجتمع في الهند إلى الاسترشاد بأرائه في القضايا الفكرية، والسياسية والثقافية من منظور إسلاميٍّ، فلم يكن أمامه - رحمه الله - سوى حوض ميادين السياسة استجابةً لنداء القادة والسياسيين من حوله، وتلبيةً لرغبة النخبة المثقفة التي اتفق معها على النضال لإقامة دولة إسلامية في الهند، فساهم - رحمه الله - في مختلف الفعاليات والنشاطات السياسية عند قيام دولة الباكستان، كان أبرزها الكتابة والتحرير في الفكر السياسي الإسلامي موضعاً

1. This Law of Ours and Other Essay, Op.cit., P. 71-74.

² مقام إقبال في الفكر الإسلامي، محمد أسد، مجلة المسلمون، العدد الأول، شعبان سنة ١٣٧٤هـ، آذار سنة ١٩٥٥م، ص ٨-١٠.

التصور الإسلامي للدولة الإسلامية، ومبادئها وأركانها على أساس الاستناد إلى مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية، كما تقلد - رحمه الله - عدة وظائف في الحكومة الباكستانية، فتنوع نشاطه السياسي بين الكتابة وإلقاء المحاضرات من جهة، وبين تقلده للمناصب السياسية من جهة أخرى، وهو ما سنتناوله في المطلب الثاني من هذا المبحث بإذن الله.

المطلب الثاني

نشاطه السياسي والفكري في الهند، وعند قيام دولة باكستان

بدأ محمد أسد - رحمه الله - نضاله الفكري، والسياسي في الهند على أصعدة عديدة، وكان المناخ السياسي، والثقافي، والاجتماعي هو الذي ألهم محمد أسد - رحمه الله - فلسفته الفكرية السياسية، وحمله على المضي قدماً في مشروعه الإصلاحية، فلقد كان الجو السياسي في شبه القارة الهندية، مشحوناً داخلياً بالخلافات التي أخذت صورة صراع سياسي داخلي بين الجماعات الإسلامية التي تريد إقامة دولة إسلامية ذات كيان مستقل تضم المسلمين، وبين الهندوس الأكثر عدداً الذين كانوا يريدون قيام دولة حديثة علمانية تضم جميع فئات، وأطياف المجتمع الهندي، أما على المستوى الثقافي والاجتماعي، فقد لاحظ - رحمه الله - تأثر شباب المسلمين بالحضارة الغربية، وانفصالهم عن تراثهم الديني والثقافي، هذا عدا التخلف العام عن ركب الحضارة والتقدم في مختلف المجالات الذي كان يعاني منه المسلمون.^١

وبعد أن أمعن النظر - رحمه الله - في أوضاع المسلمين في الهند على وجه الخصوص، وفي العالم الإسلامي على وجه العموم، زاد يقينه من أن السبيل إلى إصلاح أحوال المسلمين إنما هو في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وإعلاء حكم الله، ومن ثم سخر قلمه في سبيل التوعية، والدعوة، والعمل الإيجابي للخروج من الأزمة السياسية، والاجتماعية التي يعاني منها المسلمون في الهند، فبدأ - رحمه الله - منذ أن وطأت قدماه أرض الهند بتعلم اللغة الأوردية^٢، إيماناً منه بأن لغة القوم هي جزء من ثقافتهم، وهي النافذة التي يستطيع من خلالها النظر إلى حضارتهم، والتخاطب معهم، والعيش بينهم كواحد منهم.

^١ محمد إقبال مفكر إسلامي، مرجع سابق، ص ١٣-١٦.

2. This Law of Ours and Other Essays, OP. Cit, P. 31-33.

^٣ ينظر: محمد أسد هبة الإسلام لأوروبا، مرجع سابق، ص ١٩.

- الطريق إلى عمر المختار، مرجع سابق، ص ١٣.

- محمد أسد الطريق إلى مكة (٢-٢)، مرجع سابق، ص ١٠٨.

- Un FORGETTABLE PAKISTANI, K.M.A.Z.A.M, In Muhammad Asad Europe's gift to Islam, M. Ikram Chaghatai, Lahore, 2006, Vol. 1,P. 311

فكانت المجلة الإسلامية التي أصدرها بالاشتراك مع (محمد ماردويك بكتل) هي أول إنتاجه الفكريّ الثقافيّ بعد أن تراجعت مراسلاته مع وسائل الإعلام الغربية المطبوعة^١.

وفي عام ١٩٣٤م، نشر - رحمه الله - أول كتاب له عن الإسلام بعنوان " **Islam at the Crossroads**" الإسلام على مفترق الطرق^٢، عالج فيه العديد من القضايا الفكرية المعاصرة في الإسلام، كان أبرزها الأصول الفكرية للحضارة الغربية وخصائصها، وموقف الثقافة الإسلامية منها، وأهمية السنة النبوية كعلاج لجميع الأمراض الفكرية، والثقافية في حياتنا.

وفي عام ١٩٣٩م غادر محمد أسد - رحمه الله - الهند متجهاً إلى لندن بجواز سفره النمساويّ، وذلك بهدف مساعدة عائلته المعرضة للخطر حيث أن ألمانيا النازية ضمت النمسا إليها عام ١٩٣٨م، ووفقاً للقوانين فقد تعرض يهود النمسا إلى الاضطهاد والتعذيب والمصادرات، فحاول - رحمه الله - جاهداً ولمدة دامت أحد عشر شهراً تخليص أبيه، وأخته، وزوجة أبيه، من معتقلات النازية، ولكن محاولاته باءت بالفشل^٣.

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية، وعندما أعلنت بريطانيا الحرب ضد ألمانيا، اعتقل محمد أسد - رحمه الله - فور عودته إلى الهند في ٤/٩/١٩٣٩م، واعتقلت زوجته معه بعد سنة من اعتقاله^٤، باعتباره حليفاً للأعداء، رغم أنه رفض أن يحمل جواز سفر ألماني، بعد ضمّ النمسا إلى ألمانيا، وأصرّ على الاحتفاظ بالجنسية النمساوية، ولكن السلطات البريطانية في الهند اعتبرته عدواً^٥.

^١ ينظر: المنصفون (ليوبولد فايس)، أحمد حسن، جريدة الأهرام، العدد ٤٤٤٧٢، ٩/٩/٢٠٠٨م، ص ١٨.

-محمد أسد هبة الإسلام لأوروبا، مرجع سابق، ص ١٩.

-من بولينا إلى بيت الله الحرام، مرجع سابق، ص ٢٧.

2. The Unromantic Orient, Op.cit, P. 136.

3. The Road from Mecca Mohammad Asad, Op.cit, P.P. 47-225.

^٤ هذا ما ذكره د. طلال أسد في مقابلة أجراها معه الأستاذ علي العميم، في كتاب العلمانية والممانعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٨٨.

5. A FORGOTTEN PAKISTANI, Op.cit P. 307

-محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١٤.

-الطريق إلى مكة (١-٢)، مرجع سابق، ص ١٠٢.

وتشير بعض المصادر أنَّ السبب وراء اعتقال محمد أسد - رحمه الله - كان مجموعةً من المقالات التي حررها، ونشرها في الصحف الأوروبية والمصرية، وفضح من خلالها المخطط البريطاني السريّ لمدّ خطّ حديديّ بين حيفا والبصرة^١.

وفي المعتقل كتب إلى عمّه في القدس "أرية فيجيوم" "Aryeh Feigen baum" الذي أرسل له الغذاء والملابس، والمال^٢، وظلّ - رحمه الله - في المعتقل ستّ سنواتٍ مع مجموعة مواطني الدول المعادية لبريطانيا من ألمانٍ، ونمساويين، وإيطاليين، وكان هو المسلم الوحيد بين ثلاثة آلاف معتقل^٣، وكان من عواقب هذا الاعتقال توقف محمد أسد - رحمه الله - عن سلسلةٍ من بحوثه في السنة النبوية^٤، وهو مشروع ترجمة صحيح البخاريّ إلى اللغة الإنجليزية، كما لم يتيسر له - رحمه الله - أن يتابع مشروعه بعد ذلك^٥.

وأثناء وجوده في المعتقل كان يفضل - رحمه الله - أن ينأى بنفسه عن البيئة المحيطة به، وظروف الحرب، بالتفكير في حالة الاضطراب، والفوضى الفكرية، والثقافية التي وصل إليها المسلمون، متعجباً من إخفاقهم في الوصول إلى اتفاقاتٍ حول مفهومٍ واضحٍ للقانون أو الدستور^٦.

وفي أغسطس/ آب عام ١٩٤٥م، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية تمّ الإفراج عنه وأسرته معاً^٧، ليكتشف - رحمه الله - أن أباه، وأخته، وزوجة أبيه قد قضوا نحبهم في معسكرات الاعتقال النازية عام ١٩٤٢م^٨.

^١ محمد أسد هدية الإسلام لأوروبا، مرجع سابق، ص ١٣٠.

2. The Road from Mecca Mohammad Asad, Op.cit, P.P. 47-225.

3. This Law of Ours and Other Essays, OP. Cit, P.1

4. Sahih AL-Bukhari The early years of Islam,op. cit, preface to the second edition

5. Ibid, preface to the second edition.

6. This Law of Ours and Other Essay, Op.cit P.1

^٧ ينظر: محمد أسد ليبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١٤.

-الطريق إلى مكة (٢-٢) مرجع سابق، ص ١٠٨-

-الطريق إلى عمر المختار، مرجع سابق، ص ١٣-

8. The Road from Mecca Mohammad Asad, Op.cit P.P. 47-225.

- الطريق إلى عمر المختار، مرجع سابق، ص ١٣-

ويصف لنا الأستاذ **K.M.AZAM** "عزام" ظروف وحيثيات اعتقال محمد أسد - رحمه الله - وأسرته، حيث أنه - رحمه الله - كان صديقاً مقرباً لوالده، كما كانت أسرته على علاقة وثيقة بأسرة المرحوم محمد أسد، وكان طلالاً صديق الطفولة المحب بالنسبة لعزام، يقول: "لقد قبض على محمد أسد - رحمه الله - بسبب تعاطفه مع الألمان إلى حد ما، وتم نقله إلى المعتقل بدون كتب أو أية أعمال، وانهارت حياته الهادئة في لاهور، وصودرت كل ممتلكاته، ونقلت إلى منزلنا، وجاءت الخالة منيرة وابنها طلال لكي يعيشوا معنا، حتى تم اعتقالهم عام ١٩٤٢م، وكان يوم رحيلهم يوماً حزيناً ومؤملاً، والكل كان يبكي من الأسى والفراق، حتى مفتش الشرطة الذي جاء ليأخذهم إلى المعتقل.

وبكل الحزن والأسى افتقدت صديقي طلال، وفي عام ١٩٤٥م بنهاية الحرب جاء يوم الإفراج عنهم، فاحتشد جمع كبير من الرجال، والناس المتلهفين للقائهم، واستقبلهم عند السكة الحديد، ثم بدأ محمد أسد - رحمه الله - يؤسس حياته من جديد، واضطر إلى بيع المحلة الخاصة به، لتأمين منزل جميل في مدينة **Dalhousie** (دهوسى) ^١ يطل على وادي نهر **Beas**، ولتغطية ما في تكاليف الأمور الأخرى ^٢.

وفي ١٤ ديسمبر عام ١٩٤٥م تم الإفراج عن محمد أسد - رحمه الله - فبدأ مجدداً في إكمال نشاطه الفكري، وبحوثه المتعلقة بالثقافة الإسلامية، فنشر سلسلة بحوث عن السنة النبوية ^٣، وفي عام ١٩٤٦م أصدر مجلة عرفات "**Arafat**" التي نشرت في لاهور بين سبتمبر ١٩٤٦م، وفبراير ١٩٤٧م بجهود فردية منه، ولم يصدر منها سوى عشرة أجزاء، تناول من خلالها أوضاع المسلمين، وما وصل إليه المجتمع الإسلامي من الاضطرابات والبلبله فيما يتعلق بالتطبيقات العملية للشريعة الإسلامية، وانتقد فيها بعضاً من مواقف المسلمين تجاه ما يواجهونه من مؤامرات ودسائس ^٤.

^١ دهوسى: مدينة هندية تقع شمال ولاية هيماشال براديش، وأنشئت عام ١٨٥٤م من قبل الإمبراطورية البريطانية في الهند.

ينظر: موسوعة وكبيديا الحرة، متوفرة على شبكة المعلومات العالمية en.wikipedia.org/، تاريخ الدخول ١٤٣٤/١٠/٢٩ هـ.

2. Un FORGETTABLE PAKISTANI, Op. Cit., P. 311

^٣ الطريق إلى عمر المختار، مرجع سابق، ص ١٤.

^٤ This Law of Ours and Other Essay, Op. Cit., P.1.

- The Road from Mecca Mohammad Asad, Op. Cit., P.P. 47-225.

^٥ ينظر: محمد أسد الطريق إلى مكة (٢-٢)، مرجع سابق، ص ١٠٨.

- الطريق إلى عمر المختار، مرجع سابق، ص ١٤.

- محمد أسد هبة الإسلام لأوروبا، مرجع سابق، ص ٢٠.

^٦ This Law of Ours and Other Essay, Op. Cit. P. 1.

وبحسب د. عبد الرحمن الشبيلي، أن مجلة عرفات تتضمن أبحاثاً قيّمةً في الدستور الإسلاميّ لمحمد أسد - رحمه الله - كان قد ركز على إعدادها أثناء إقامته في الهند، كما يتوقع د. الشبيلي، بأن مجلة عرفات تعدّ منجماً من المعلومات عن محمد أسد مدة إقامته في القارة الهندية^١، في حين يؤكد الدكتور أكرم شحاتي بأن مجلة عرفات في العدد مايو ١٩٤٧م، والعدد يوليو ١٩٤٧م، نشرت مقالاتٍ مطوّلةً لمحمد أسد - رحمه الله - ناقش فيها قضية إنشاء دولة باكستان، والدستور الإسلاميّ الذي سينظم تلك الدولة، واعتبر د. أكرم أن هذه المقالات هي الخطوة الأولى في تطور الفكر السياسيّ في العالم الإسلاميّ المعاصر^٢.

وفي الوقت ذاته أشار د. جونتر وبتدهاجر، بأن مقالات محمد أسد - رحمه الله - التي نشرها في مجلة عرفات ضمنها في كتابه (This Law of Ours and Other Essays) شريعتنا ومقالاتٌ أخرى^٣، وتتفق هذه الرواية مع ما ذكره محمد أسد - رحمه الله - في ملحوظةٍ أوردها في مقدمة كتابه آنف الذكر، حيث قال: "تعتمد الرسالة المطروحة في هذه الصفحات على العديد من المقالات التي نشرت في لاهور بين سبتمبر ١٩٤٦م وفبراير ١٩٤٧م، وقد وردت في دوريةٍ يطلق عليها "عرفات"، والتي كتبها وحررتها في جريدة الرجل الواحد وهي جريدةٌ دوريةٌ شهريةٌ"^٤.

وبتوفيقٍ من الله عزّ وجلّ، قمتُ بجهدٍ علميٍّ، واستطعت الاطلاع على الكتاب المشار إليه كاملاً، وهو منشورٌ باللغة الإنجليزية، فوجدته يتضمن المقالات التي أشار إليها د. شحاتي، ولكنني لم ألحظ بأن الكتاب يعدُّ مصدرًا عن حياة محمد أسد - رحمه الله - في الهند أو الباكستان، وإنّما احتوى الكتاب على مجموعةٍ من المقالات التي نشرت في مجلة عرفات، وبعض المحاضرات التي أذيعت عبر (راديو بيرو مينستر، في سويسرا)، وبعض من خطابه التي ألقاها في المؤتمرات الإسلامية، كخطاب (القدس مدينة مفتوحة)، الذي قُدِّم في مؤتمر جمعية الطلاب المسلمين في أواخر السبعينيات^٥، وخطاب (رسالة القرآن) الذي قُدِّم في مؤتمر المجلس الإسلاميّ بلندن عام ١٩٨٠م^٦، وناقش الكتاب مجموعةً مختلفةً من القضايا

^١ محمد أسد: هبة الإسلام لأوروبا، مرجع سابق، ص ٢٨، ٤٩، ٥٠.

^٢ علاقة محمد أسد بالباكستان، مرجع سابق.

^٣ محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١٤.

^٤ This Law of Ours and Other Essay, Op. Cit. P.1 .

^٥ Ibid, P. 169-173.

^٦ Ibid, P. 187-195 .

الفكرية والثقافية في الإسلام، كقضية منشأ الحضارات، وتميز الحضارة الإسلامية، وقضية أهمية تطبيق الشريعة الإسلامية في حياتنا العملية؛ إذ هي الخلاص من كل ما يعانیه المسلمون من مشكلات ثقافية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، كما تعرض الكتاب إلى أهمية الاجتهاد، وإعمال العقل إذ تتسم شريعتنا بالمرونة والسعة، وضرورة الابتعاد عن الجمود فهو طريق التخلف، وناقش أيضا علاقة الإسلام بالغرب، وبعض القضايا الثقافية المتعلقة بالأديان.

وفي أكتوبر عام ١٩٤٧م، وبعد مُضيَّ شهرين من إقامة دولة باكستان، قام رئيس وزراء ولاية بنجاب الغربية^١ بدعوة محمد أسد - رحمه الله - وطلب منه أن يقوم بعمل مقالٍ تجاه المشكلات الأيدولوجية التي تواجهها الدولة الجديدة، فكان - رحمه الله - عند حسن الظنِّ به، حيث قام مع مجموعة من علماء المسلمين بتأسيس دائرة إسلامية جديدة تُنَاطُ بها مهمة توضيح المفاهيم الإسلامية، وشرحها، والإسهام في وضع الأطر اللازمة للدولة الجديدة لتقوم على أسسٍ إسلامية، وقد حظي - رحمه الله - بإدارة هذه الدائرة التي أطلق عليها اسم: "إدارة إعادة هيكلة النظام الإسلامي"^٢، وكانت مهمته على وجه التحديد، تقوم على تحسين المفاهيم الفكرية الإسلامية للدولة والجماعة، التي يمكن أن تقوم عليها الدولة المدنية الحديثة^٣.

كما ساهم - رحمه الله - بكتابة بحثٍ لوضع مبادئ الدولة الجديدة، وصياغة دستورها، في رسالة بعنوان: (بناء الدستور الإسلامي)^٤ **Making Islamic Constitution**، ونُشِرَتْ في لاهور بإشرافٍ من الحكومة الباكستانية، باللغتين الإنجليزية والأردية في آذار مارس من عام ١٩٤٨م^٥.

وبعد سنتين أي عام ١٩٤٩م، انتقل محمد أسد - رحمه الله - إلى العمل في السلك الدبلوماسي ليصبح مديراً لقسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية في كراتشي^٦، بناءً على طلبٍ من ليقست علي

^١ البنجاب الغربية: هي الجزء الباكستاني لمنطقة البنجاب الآسيوية، جعلتها باكستان عام ١٩٤٧م مقاطعة إسلامية تضم: روالبندي، ولاهور، وملتان، وإسلام أباد، عدد سكانها ٣٢ مليون نسمة.

ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ج ٥، ص ٦١.

^٢ ينظر: علاقة محمد أسد بالباكستان، مرجع سابق.

-محمد أسد، ورحلته مع الإسلام، مرجع سابق، ص ٥٧.

^٣ ينظر: منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٧.

-الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٦.

^٤ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٧.

^٥ المرجع السابق، نفسه.

^٦ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٦-١٧.

خان^١ (Liagwat Ali Khan) رئيس وزراء باكستان^٢، كما وقع عليه الاختيار من قبل دولة باكستان؛ للاستفادة من خبرته العملية، ولسعة اطلاعه، ومعرفته الوثيقة بمعظم شخصيات تلك المنطقة التي قضى فيها السنوات المبكرة من شبابه^٣.

وكانت مهمته - رحمه الله - تقوم على تقوية الروابط بين باكستان، وسائر بلدان العالم الإسلامي^٤، واستطاع - رحمه الله - أن يحقق نجاحاً كبيراً في هذه المهمة، فبعد أن تولى منصبه مباشرة، قام بإعداد مذكرة مفصلة يشرح فيها بعض انتقاداته للحكومة في باكستان، ويقترح تشكيل اتحاد، أو جامعة للدول الإسلامية، ثم قام بجولة رسمية إلى بلاد الشرق الأوسط ليرصد آراء الحكومات في إقامة اتحاد للدول الإسلامية، واختار - رحمه الله - المملكة العربية السعودية كأول محطة له في الشرق الأوسط، وتم الترحيب به وبالوفد الرسمي الذي كان يرأسه، ونجح - رحمه الله - في الحصول على مقر للبعثة الباكستانية في جدة، وبعد الانتهاء من هذه الجولة قدّم - رحمه الله - العديد من المذكرات، والتقارير الخاصة بما لوزارة الخارجية الباكستانية تحمل تأكيداً على أهمية تعزيز، ودعم أواصر الوحدة بين مختلف عناصر العالم الإسلامي، والتصدي لكل من يحاول الإضرار بمصالح المسلمين^٥.

وكرئيس لقسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية بالباكستان، وعضو في الوفد الرسمي الذي يمثل دولة باكستان في بقية الدول، طالب محمد أسد - رحمه الله - بأن يكون له جواز سفر باكستاني، إذ أنه وحتى ذلك الوقت كان يحمل جواز سفره النمساوي، ولذا بدا له من الغريب أن يذهب في جولة رسمية كممثل لدولة باكستان وهو يحمل جواز سفر أجنبياً، وعندما تقدم - رحمه الله - بطلبه السابق إلى إدارة الجوازات كانت لم تستعدّ بعد لعمل الجوازات، فاضطر إلى مراجعة العديد من الرؤساء والمسؤولين الذين لم يستطيعوا أن يجدوا له مخرجاً، فقام بالاتصال برئيس الدولة ذاته، وكانت وجهة نظره معقولة وقوية، فكان

^١ لقيت علي خان (١٩٥١ / ...): رئيس وزراء دزلة باكستان، تولى السلطة بعد وفاة محمد علي جناح عام ١٩٤٨م، تم اغتياله عام ١٩٥١م، ومن ثم اندلعت الحرب الأهلية، مما أدى إلى تدخل الجيش، وتسليم السلطة إلى المشير محمد أيوب خان عام ١٩٥٨م.

ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣٢.

^٢ علاقة محمد أسد بالباكستان، مرجع سابق.

^٣ محمد أسد، ورحلته مع الإسلام، مرجع سابق، ص ١٨٥.

^٤ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٧.

^٥ علاقة محمد أسد بالباكستان، مرجع سابق.

له ما أراد وحمل أول جواز سفرٍ باكستاني، جرى تدبيره على نحوٍ ما، وظلَّ - رحمه الله - يحمل الجنسية الباكستانية إلى آخر رمقٍ في حياته^١.

من هذا المنطلق، كان محمد أسد - رحمه الله - جديراً بأن يتقلد مناصب رفيعةً في الدولة الجديدة، ففي نهاية عام ١٩٥١م، تم تعيينه مندوباً مفوضاً لدولة باكستان في الأمم المتحدة^٢، وبحسب د. أحمد عبد الرحمن، فإنَّ هذه الوظائف التي تقلدها محمد أسد - رحمه الله - بتكليفٍ من الحكومة الباكستانية تدلُّ على الثقة القوية التي وضعتها فيه، فتحسين المفاهيم الفكرية يحتاج إلى مفكرٍ مسلمٍ كبيرٍ، وباحثٍ علميٍّ قديرٍ، وباكستان والهند، كان فيهما في ذلك الوقت، مفكرون كبارٌ، بوسعهم النهوض بتلك المهمة الخطيرة، فإذا اختارت باكستان محمد أسد للقيام بهذه المهمة، كان معنى ذلك أنَّه الأقدر بين الموجودين في اعتقادها^٣.

ولقد كان مقدرًا له أن يدفع ضريبة نجاحه، فكلَّما ارتفع الإنسان تكاثرت من حوله الخن، فالناجح لا يعدُّ حاسداً، يقول الله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ﴾^٤، إذ كان نجاحه - رحمه الله - سبباً في عداوة بعضٍ ممن حوله.

ففي عام ١٩٥٢م، وعندما كان مندوباً لدولة باكستان في الأمم المتحدة، واجه - رحمه الله - الكثير من التغيرات في حياته الشخصية والعملية، حيث تعرّف على فتاةٍ شابةٍ، جميلةٍ وأعجب بها تدعى "Pola"، وتحمل الجنسية الأمريكية، ولكنها تنحدر من أصولٍ بولنديةٍ، كانت قد أعلنت إسلامها، ثم أصبحت زوجةً له فيما بعد، ووفقاً للأنظمة والقوانين الرسمية، كان عليه أن يأخذ تصريحاً من الحاكم العام لدولة باكستان، يبيِّن له أن يتزوج من أجنبيةٍ، أو أن يقدم استقالته في حال عدم الحصول على التصريح^٥، وبناءً عليه فقد رفضت وزارة الخارجية في باكستان زواجه من السيدة بولا حميدة^٦.

^١ ينظر: علاقة محمد أسد بالباكستان، مرجع سابق.

- أيام حزينة النمساوي المسلم محمد أسد (١)، مرجع سابق، ص ٦١.

^٢ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ١٧.

^٣ جاذبية الإسلام الروحية، لماذا أسلم هؤلاء، مرجع سابق، ص ٣٩.

^٤ سورة النساء، آية ٥٤.

^٥ علاقة محمد أسد بالباكستان، مرجع سابق.

^٦ The Road from Mecca Mohammad Asad, Op. Cit. P.P. 47-225.

- محمد أسد ليوبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١٤.

ووفقاً لبعض المصادر فقد يكون محمد أسد - رحمه الله - ضحية مؤامرةٍ معقدةٍ دبرها له مظفر خان^١ وزير الخارجية الأول في باكستان؛ لأنه كان قاديانياً، فما كان من محمد أسد - رحمه الله - سوى مغادرة السلك الدبلوماسي بقرارٍ سريعٍ مواجهاً ذلك الاعتراض باستقالته، وبقيت السيدة بولا حميدة زوجةً له بقية عمره على مدى أربعين عاماً^٢.

وفي كتاب (الطريق إلى مكة) ذكر لنا محمد أسد - رحمه الله - بأن السبب الذي أدى إلى استقالته من منصبه في الأمم المتحدة هو رغبته في التفرغ لكتابة تجربته عن الإسلام، ورصد كلّ الحثيات والظروف التي قادته بتؤدةٍ إلى التعرف على الإسلام ومن ثمّ اعتناقه، لعلّها تكون تجربةً ناجحةً في رفع النقاب الذي يفصل ما بين الإسلام والعقل الغربي، وفي إقامة جسرٍ مشتركٍ للتفاهم بين العالمين الغربيّ و العربيّ^٣.

وأمام هذه الخلافات حول السبب الرئيس في استقالة محمد أسد - رحمه الله - من منصبه بوزارة الخارجية في باكستان، ليس بوسعنا سوى الاعتراف بقوة شخصيته وإصراره على مبادئه، وأهدافه، وعدم سعيه خلف المناصب السياسية، واستعداده الكليّ لمواجهة خصومه، وتحمل الصعوبات، والمشاقّ في سبيل الحفاظ على مبادئه، وما يصبو إليه.

ولأنه - رحمه الله - كان رجل المبادئ، وكانت الأخلاق لها حضورٌ مؤثراً وفعالاً، في قراراته، وسلوكه، وتحركاته تجاه أهدافه التي يناضل من أجلها، فقد اكتسب صداقة واحترام الكثير ممن حوله، وظلّ محلّ ثقة الحكومة في باكستان حتى بعد استقالته، فقبل مغادرته - رحمه الله - من باكستان عُرضَ عليه إدارة اثنتين من المؤسسات الحديثة للبحوث الإسلامية، الأولى معهد الحضارة الإسلاميّ في لاهور، والثانية مركز البحوث الإسلامية في كراتشي، ولكنّه اعتذر عن كلتا الإدارتين، كما أنّه تلقى رسالةً من

^١ ظفر الله خان (١٨٩٣/...): سياسي وقانوني، ورجل دولة باكستاني، أشترك في مؤتمر الطاولة المستديرة لزعماء الهند عام (١٩٣٠-١٩٣١م) بوصفه رئيساً لرابطة مسلمي الهند، وشغل منصب وزير خارجية باكستان خلال الفترة (١٩٤٧م/١٩٥٤م)، وهو عضو في محكمة العدل الدولية.

ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ج ٥، ص ٧٢.

^٢ ينظر: محمد أسد لبيولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١٤.

- مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام، مرجع سابق، ص ١٤٨.

^٣ ينظر: محمد أسد لبيولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، مرجع سابق، ص ١٤.

- الطريق إلى عمر المختار، مرجع سابق، ص ١٤.

^٤ الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٢٤.

رئيس باكستان (المشير أيوب خان)^١ يطلب منه أن يكون عضواً ضمن مجموعة أعضاء العلماء المسلمين، لوضع دستورٍ إسلاميٍّ جديدٍ للبلاد، ولكنّه - رحمه الله - اعتذر أيضاً بسبب انشغاله في إعداد مشروع ترجمة معاني القرآن الكريم^٢.

وفي عام ١٩٧٩م، عندما تولى الجنرال ضياء الحق^٣ رئاسة دولة باكستان، اتصل بمحمد أسد - رحمه الله - في محاولةٍ منه لإقناعه بالعودة إلى باكستان، حيث كان - رحمه الله - يحلم أن يموت هناك، ليُدفن في مَدافن المسلمين، ولكنَّ إرادة الله عزَّ وجلَّ اقتضت أن يُقتلَ ضياءُ الحقَّ قبل موعد تحقيق رحلته بشهرين^٤.

وفي عام ١٩٨٣م، تلقى محمد أسد - رحمه الله - دعوة رئيس دولة باكستان (ضياء الحق) للقدوم إلى إسلام آباد، فوافق - رحمه الله - وقرر الذهاب، وتمَّ الترحيب به في القصر الرئاسيِّ، وشارك في العديد من الاجتماعات التي عُقدت بهدف وضع برنامج عملٍ للرئيس الجديد، كما التقى ببعض أصدقائه القدامى في إسلام آباد ولاهور، وقام بإعداد برامجٍ إذاعيةٍ ومرئيةٍ بناءً على طلبٍ من الرئيس، وكانت هذه آخر زيارةٍ له لباكستان^٥.

^١ أيوب خان (١٩٠٧/١٩٧٤م): عسكري، ورئيس جمهورية باكستان، تخرج من كلية سان هرست العسكرية الملكية البريطانية عام ١٩٢٨م، وكان رئيس أركان حرب الجيش الباكستاني عام ١٩٥١م، وصل إلى السلطة عام ١٩٥٨م عبر انقلاب أهد الجنرال إسكندر ميرزا الذي حل البرلمان، وأعطى السلطات كلها إلى أيوب خان، فأصبح عندها الحاكم المطلق لبلد يعاني الفساد والفسوضى، وفي عام ١٩٦٩م أحر على الاستقالة، وتسليم السلطة إلى الجنرال يحيى خان بعد انفصال باكستان الشرقية، وإعلان دولة بنجلادش.

ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ج ٥، ص ٦٦.

^٢ علاقة محمد أسد بالباكستان، مرجع سابق.

^٣ محمد ضياء الحق (١٩٢٤/١٩٨٨م): عسكري، ورجل دولة باكستاني، ضابط في سلاح الخيالة، وتخرج من كلية الأركان عام ١٩٥٥م، وشارك في الحرب الهندية الباكستانية عام ١٩٦٥م، وعمل مستشاراً للجيش الأردني، وفي عام ١٩٧٨م أصبح رئيساً لجمهورية باكستان، حاول اعتماد سياسة إسلامية في القضايا الداخلية، ووصفه مستشار الأمن القومي بأنه مهندس.

ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مرجع سابق، ج ٥، ص ٧١-٧٢.

^٤ ينظر: محمد أسد هبة الإسلام لأوروبا، مرجع سابق، ص ٢١.

-الطريق إلى عمر المختار، مرجع سابق، ص ١٥.

- The Road from Mecca Mohammad Asad, Op. cit., P.P. 47-225.

-أبام حزينه النمساوي المسلم محمد أسد (١)، مرجع سابق، ص ٦١.

^٥ إسلام آباد: عاصمة باكستان الحديثة، وتقع شرق مدينة راولبندي، وتتصل بقية المدن عبر طرق برية حديثة، ويعمل سكان المدينة في إنتاج المنسوجات، والصناعات الغذائية، والحديد، والصوف، ويبلغ عدد سكانها نحو نصف مليون نسمة.

ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مرجع سابق، ص ٥٠.

^٦ علاقة محمد أسد بالباكستان، مرجع سابق.

وبعد عودته إلى وطنه، كان كثيراً ما يتلقى - رحمه الله - مئات الخطابات من المعجبين، والأصدقاء في باكستان، الذين يرغبون في تقديم الأرض له، والسكن، وكل شيء في سبيل عودته، وكان أصدقائه كثيراً ما يسألونه عن سبب هجرته لباكستان، ورداً على تساؤلات العديد منهم فقد أجاب - رحمه الله - بأنه لم يهجر باكستان ولم ينسأها، ولكن حكام، ورجال الصفوة في باكستان ظلّوا يتجاهلونه إلى ما يقرب من ثلاثين عاماً، لدرجة أنه لم يتم دعوته إلى مؤتمرٍ علميٍّ، أو ندوةٍ تتناول القضايا الإسلامية، وهذا التعصب هو ما جعله يغادر باكستان^١.

وبعد هذا الاستعراض لحياة محمد أسد - رحمه الله - في الهند، ونشاطه السياسي والفكري فيها نخلص لما يلي:

أن هذه المرحلة من حياة محمد أسد - رحمه الله - تتسم بالغموض، والكثير من الضبابية على بعض تفاصيلها، فعلى سبيل المثال: ما السبب وراء اعتقال السلطات البريطانية لمحمد أسد، وأسرته في الهند؟ هل صدر منه أيُّ نشاطٍ سياسيٍّ أزعج السلطات البريطانية؟ أم أنها المصادقية والشفافية التي التزمها في مهنته؟ أم أنها جنسيته النمساوية؟ ولماذا لم يكتب - رحمه الله - للملك عبد العزيز غفر الله له، أثناء وجوده في المعتقل، والمعروف أن بينهما علاقة صداقةٍ ومحبةٍ وثيقة، كما أن محمد أسد - رحمه الله - لا تنقصه الشجاعة والجرأة لمثل هذا!!؟ علماً بأنه كتب إلى عمّه في القدس لمساعدته في بعض الحاجيات!!! ثم ما سبب استقالته من وزارة الخارجية في باكستان؟ هل هي رغبته الشخصية للكتابة، أم أنها المؤامرة والدسائس؟؟ بعد أن عاش عشرين عاماً في هذه الدولة، وعمل فيها بجدٍّ وإخلاصٍ، لتحقيق نجاحها!!! وهل يعقل أن يُطلق محمد أسد - رحمه الله - زوجته العربية منيرة والدّة ابنه طلال من أجل أن يتزوج غيرها!!!؟ وهي الزوجة التي قررت مغادرة وطنها تاركةً خلفها أهلها وعشيرتها من أجل اللحاق بزوجها!!!؟ وكيف يُفسَّر سرُّ استمرار العلاقات السياسية بين محمد أسد - رحمه الله -، وحكومة باكستان حتى بعد استقالته؟! فهل الصداقة وحدها تكفي لمثل هذا!!!؟ وكيف يكون له نشاط سياسيٍّ في دولةٍ لا يشغل فيها أيَّ منصبٍ رسميٍّ!!!؟.

وتتفق الباحثة مع الدكتور الشبيلي بأنّ المدة التي عاشها محمد أسد - رحمه الله - في شبه القارة الهندية من أكثر المراحل الغامضة في سيرته، وسجلّ حياته الأسرية، وفي أدواره السياسية^٢.

^١ علاقة محمد أسد بالباكستان، مرجع سابق.

^٢ محمد أسد هبة الإسلام لأوروبا، مرجع سابق، ص ٣٢.

وفي تقديري المتواضع، أننا يمكن أن نجد الإجابات عن هذه الأسئلة وغيرها، من خلال مخطوطة **Home Coming of the Haert** (عودة القلب إلى موطنه)؛ إذ أنه من المحتمل أن يحتوي هذا المخطوط على الشق الثاني من حياته - رحمه الله - والتي لم يستعرضها في كتاب (الطريق إلى مكة).

المطلب الثالث

رؤية محمد أسد - رحمه الله - لمنهاج الحكم في الإسلام

عاصر محمد أسد - رحمه الله - الواقع السياسي والاجتماعي لشبه القارة الهندية، وشهد أحداث الثورة الهندية، التي قامت بناءً على إصرار المسلمين بحقهم في إقامة وطن مستقل لهم، فسكان الهند كانوا خليطاً من الهندوس والمسلمين، ولم يُرد المسلمون أن تكون الثورة الهندية، والدولة التي ستعقبها هندوسيةً بحتةً، فتضيق هويتهم الإسلامية، وهم فئةٌ كبيرةٌ من السكان الهنود وشركاء الهندوس في النضال، وطلب التحرر، والاستقلال.

وبعد كفاحٍ مريرٍ، وفي عام ١٩٤٧م ظهرت دولة باكستان إلى حيز الواقع كدولةٍ مستقلةٍ ذات سيادةٍ منفصلةٍ، فبدأت باكستان تشق طريقها نحو التقدم الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، وبدأ العمل على وضع دستورٍ جديدٍ للدولة الجديدة التي حملت صبغة الإسلام؛ ليفي بمطالب، واحتياجات الشعب، ويتفق مع الشريعة الإسلامية.

وكان محمد أسد - رحمه الله - من أوائل المهتمين والمتحمسين لفكرة قيام دولة باكستان، ووضع دستورٍ لها، إذ كان يرى أن نجاح الثورة لهندية، وقيام دولة باكستان على أسس ومبادئ الشريعة الإسلامية يمكن أن يكون مثلاً يحتذى به في العالم الإسلامي، لاسيما وأن معظم الدول الإسلامية كانت تناضل من أجل الحصول على الاستقلال.

ولقد كانت قضية الاتفاق على دستورٍ موحدٍ يحكم دولة باكستان في المستقبل من أصعب المشكلات التي واجهت القيادة السياسية، والنخب المثقفة آن ذاك، فرغم حماس معظم الشعب لقيام دولة إسلامية في باكستان، إلا أنهم انقسموا إلى فئتين تجاه هذه الفكرة^١:

الفئة الأولى: فئة ترى بحسن نيةٍ لكي تكون باكستان دولةً إسلاميةً، فلا بد أن تقوم على نسق الخلافة في السابق دون مراعاة متغيرات العصر، والظروف الاجتماعية الحديثة.

أما الفئة الثانية: فهي فئة العلمانيين والليبراليين، الذين لا يخضعون لحكم الإسلام، ولا يقفون عند أمره ونواهيه، فغاية مطالبهم هو فصل الدين عن السياسة، وتطبيق الديمقراطيات الغربية الحديثة،

^١ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٧-٩.

للخروج من مأزق التخلف، والاكتفاء بالإشارة في الدستور بأن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام؛ لإرضاء مشاعر معظم الجمهور.

وأمام غلوّ طرفي النقيض هذا يرى محمد أسد - رحمه الله - أنّ الفكر السياسيّ في الإسلام يفتقر إلى وجود قاعدة فكرية متينة ينطلق منها، ويؤسس من خلالها حياة الشعوب المستقبلية، فنجدّه يقول: "إن أغلب المؤلفات الإسلامية لم تقدم لنا أية إرشادات تُعيننا على قهر الصعوبات التي كنا نواجهها آنذاك".^١

فبالنسبة لمصنفات المتقدمين يرى أنّها متأثرةٌ بطبيعة الحال بالبيئة الثقافية التي كانت تسود عصرهم، ولا يمكن لثمرات جهودهم أن تلي حاجات الدولة الإسلامية في القرن العشرين، ويعلل ذلك بقوله: "لا شك في أنّ بعض العلماء القدماء، ولاسيما في العصر العباسي، قد تركوا لنا مجموعة من المصنفات عن الفقه السياسي في الإسلام، ولكن موقفهم من المشاكل التي واجهتهم كان متأثراً بطبيعة الحال، بالبيئة الثقافية التي كانت تسود عصرهم، وبالمطالب السياسية والاجتماعية التي وجدت في زمانهم، بحيث لا يمكن لثمرات جهودهم أن تلي حاجات الدولة الإسلامية في القرن العشرين".^٢

في حين يرى أن مصنفات المعاصرين من المسلمين أنّها "تعاني من آفة الاستعداد السريع لتقبل المفاهيم السياسية، والأنظمة، وأساليب الحكم التي تسود أوروبا الحديثة على أنّها النموذج الذي يجب أن تؤسس الدولة الإسلامية الحديثة على مثاله".^٣

من هذا المنطلق حاول محمد أسد - رحمه الله - أن يبني جسراً بين طرفي النقيض آنف الذكر، فقدم مقترحاً للدستور الإسلاميّ للدولة الباكستان، ونشره في رسالة صغيرة بعنوان: (**Making Islamic Constiution**) مقترحات في الدستور الإسلاميّ، اعتمد فيها على دراسته للقرآن الكريم، والسنة النبوية، وأصول الفقه الإسلاميّ، وتعمقه في الوقت نفسه في دراسة تراث الفكر الغربيّ، فأعطى بذلك دفعةً جديدةً، وقويةً لانطلاق الفكر السياسيّ الإسلاميّ المواكب للوقائع المستجدة، والنصوص الدينية الخالدة.^٤

^١ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٩.

^٢ المرجع السابق، نفسه.

^٣ المرجع السابق، ص ٩-١٠.

^٤ نظرات لاجتهاد محمد أسد في الفكر السياسي الإسلامي، د. محمد وقيع الله، مجلة الرابطة، للمملكة العربية السعودية، رابطة العالم الإسلامي، العدد ٤٧٦، محرم ١٤٢٧هـ / يناير ٢٠٠٦م، ص ٢٤.

ولقد تمّ الانتفاع ببعض مقترحاته - رحمه الله - التي يمكن أن نرى صداها في مقدمة دستور
الباكستان لعام ١٩٤٩م^١.

ثم جاء كتابه (منهاج الإسلام في الحكم) تطوراً للأفكار التي عرضها في رسالته السابقة، ويعدُّ هذا
الكتاب بحثاً دقيقاً تناول فيه محمد أسد - رحمه الله - النظام السياسي في الإسلام، وفيما يلي سنعرض
رؤيته - رحمه الله - ، وأهم أفكاره المتمحورة حول مفاهيم الحكم في الإسلام.

أ. مفهوم الدولة في الإسلام:

يقول محمد أسد - رحمه الله - : " ليس ضرورياً أن تكون الدولة التي يشكل فيها المسلمون أغلبية
مطلقة من السكان، أو حتى التي يكون كل سكانها من المسلمين، دولة إسلامية، إذ أنها لا يمكن أن
تحتضن هذه الصفة إلا إذا كُتبت حياتها تكييفاً واعياً مدركاً على أساس من مبادئ الإسلام السياسية
والاجتماعية وإلا إذا أدمجت هذه المبادئ في صلب دستورها الأساسي"^٢.

وهذا ما ذهب إليه فقهاء الإسلام من أن الدولة الإسلامية هي البلد التي تطبق فيه أحكام الإسلام،
وليست مجرد الدولة التي يقيم فيها المسلمون، ولو كانوا الأكثرية إذا لم يكن الشرع الإسلامي سائداً
فيها بوجه عام^٣.

ولا شك أن الدولة الإسلامية هي التي يكون دستورها، وقانونها الشرعية الإسلامية، وهدفها حفظ
الدين، وحراسته بالدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، وإخراج الناس من ظلمات الشرك، والجهل
إلى نور الإيمان، ومجاهدة الكفرة، والمعاندين الذين يصدون عن سبيل الله، ويسعون في الأرض فساداً،
وتحقيق سعادة الفرد في الدنيا والآخرة بنشر العدل، والأمن، والاستقرار، والقضاء على الظلم، فهذه هي
أعظم غايات الدولة الإسلامية.

فما فائدة الدولة التي يكون فيها المسلمون أكثريةً عظمى، ولا يحتكمون إلى شرع الله تعالى؟!،
وهل من الصواب أن تُسمّى الدولة الإسلامية نسبةً إلى كثرة عدد المسلمين فيها وهي لا تطبق الشريعة
الإسلامية؟!.

^١ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ١١.

^٢ المرجع سابق، ص ١٦.

^٣ الدولة ونظام الحكم في الإسلام، د. حسن السيد بسيوني، ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ١٥.

فمن المؤكد أن ما ذهب إليه فقهاء الإسلام من أن الدولة الإسلامية هي التي تطبق أحكام الإسلام هو الرأي الصائب، والله تعالى أعلم.

ب. موقفه - رحمه الله - من الدولة العلمانية:

الدولة العلمانية، هي دولة لا دينية تعزل الدين عن جميع جوانب الحياة، ولا تقبل الدين إلا في حدود العلاقة الخاصة بين الإنسان وربه، ولقد حاول أعداء الإسلام من وثنيين، ويهود، ونصارى أن يكيدوا للأمة الإسلامية عن طريق إدخال الفكر العلماني إليها، وإبعادها عن عقيدتها، وشريعتها.

لذا فإن محمد أسد - رحمه الله - يرفض الدولة العلمانية جملة وتفصيلاً؛ لأنها دعوة ضد الإسلام، فهو يرى - رحمه الله - أن الإسلام دين ودولة، وأن الدولة في الإسلام ضرورة لا بد منها لتنفيذ الأحكام الشرعية، وصيانة الحقوق، والقيام بالواجبات، يقول - رحمه الله - : "إن استعداد المجتمع للتعاون وفق مبادئ الإسلام لتحقيق غاياته سوف يظل استعداداً نظرياً ما لم تكن هناك سلطة زمنية مسؤولة عن تطبيق الشريعة الإسلامية، ومنع الخروج عليها على الأقل في الأمور ذات الطابع الاجتماعي من جانب أي فرد من أفراد المجتمع، ومثل هذه المهمة لا بد من أن توسد إلى مرجع له من السلطة ما يتيح له الأمر، والنهي في المسائل الاجتماعية، وذلك المرجع هو الدولة، من ذلك يتضح أن إقامة دولة، أو دول إسلامية شرط لا غنى عنه للحياة الإسلامية في صورتها التامة".^١

واتفق مع د. عماد الدين خليل^٢ بأن محمد أسد - رحمه الله - خلص إلى أن الإسلام يحمل منذ اللحظة الأولى ضرورة تعايشه مع الدولة التي هي بمثابة الأداة التي لا بد منها لتحويل مبادئه، وقيمه إلى واقع معيشي، وحماية هذه المبادئ والقيم ضد أي لون من ألوان الضغط، أو العرقلة، أو الانتقاص.^٣

كما يؤكد محمد أسد - رحمه الله - على أن الإسلام منهج شامل متكامل للحياة الإنسانية، ينبثق من جنباته نظام سياسي، واقتصادي، واجتماعي، محكم قائم على العلم المطلق بحقيقة الإنسان وحاجاته، وحقيقة الكون ونواميسه التي تحكمه، فالإسلام عقيدة لتنظيم علاقة الناس برهيم، وشريعة لتدبير جميع

^١ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٢٠.

^٢ عماد الدين خليل: من مواليد الموصل بالعراق عام ١٩٣٩م، حصل على ماجستير في التاريخ الإسلامي من معهد الدراسات العليا بكلية الآداب جامعة بغداد عام ١٩٦٥م، وحصل على الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة عين شمس عام ١٩٦٨م، عمل أستاذاً أكاديمياً في العديد من جامعات العراق، وبعض الدول العربية، وله العديد من المؤلفات، منها: عماد الدين زنكي، نور الدين محمد الرجل والتحررة، المنظور التاريخي في فكر سيد قطب.

ينظر: الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة، متوفر على شبكة المعلومات العالمية <http://shamela.ws/>، تاريخ الدخول ١٠/٢٩/١٤٣٤هـ.

^٣ قراءة في بعض كتابات المفكر النمساوي ليوبولد فايس (محمد أسد)، مرجع سابق، ص ١٧٦.

شؤون الحياة، فهو منهجٌ متوازنٌ معتدلٌ متوافقٌ، محالٌ أن يقع فيه تصادمٌ، أو تفريطٌ في أيِّ جانبٍ من جوانب النشاط الإنساني، يقول - رحمه الله - : " إنَّ أيَّ إنسانٍ لديه قسطٌ من العلم - حتى ولو كان سطحياً يسيراً عن تعاليم الإسلام يعرف أنَّ هذه التعاليم لا تقف عند حدِّ تنظيم العلاقة بين الإنسان وخالفه، ولكنها تتعدى ذلك إلى وضع نظامٍ محددٍ للسلوك الاجتماعيِّ يجب على المسلم اتباعه كأثرٍ من آثار العلاقة، كنتيجة لها".^١

بل إنَّ محمد أسد - رحمه الله - ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث خلص إلى "أنَّ الدولة التي تقوم على أساس الدين تقدم فرصاً للسعادة، والرفاهية أكثر بكثيرٍ من الفرص التي تمنحها دولةٌ يقوم كيانها السياسيُّ على العلمانية، شريطة أن تراعي العقيدة الدينية التي يقوم عليها الدولة حاجات الإنسان المادية والروحية، وأن تأخذ بعين الاعتبار التطور التاريخيِّ والفكريِّ الذي يكتنف الحياة، وتخضع لقانونه كلُّ المجتمعات البشرية"^٢.

ولا شكَّ أنَّ المتأمل لما ذهب إليه - رحمه الله - فيما سبق، يدرك من الوهلة الأولى أن المراد بذلك الدين هو الدين الإسلاميُّ، الذي بتطبيقه تسعد البشرية جمعاء، فهو الدين الوحيد الذي ينسجم مع الفطرة السليمة، والعقل، ويقدم أحكاماً واقعيةً شاملةً للحياة البشرية فوق الأرض، ويتعامل مع الإنسانية على حقيقتها، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِن دُسِينَا أَوْ أَحْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾^٣.

كما أنه يتميز بالثبات، والرسوخ المطلق على القواعد، والأصول، والمرونة في نفس الوقت بحيث يراعي متطلبات الإنسانية مهما اختلف الزمان والمكان، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۗ وَمَن

^١ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ١٧.

^٢ المرجع السابق، ص ٣١.

^٣ سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ
وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَانَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٠٠﴾^١

ويعلم محمد أسد - رحمه الله - رفضه القاطع للدولة العلمانية، بأنها دولة قائمة على المصلحة، فيقول: "إن المقياس الوحيد في مثل هذه الدولة هو مصلحة الأمة"^٢، أي أن معيار القيم فيها، ومقياس الخير والشر، والعدل والظلم يعود إلى المنفعة، أو المصلحة^٣.

بمعنى أنه يمكن تغيير السلوك إلى الخير والشر متى ما تحققت الفائدة للإنسان، أو الجماعة، أو الدولة، وعلى هذا فإن مصدر الإلزام الخلقي في هذه الدولة هو المنفعة، وفي حال عدم وجود مقياس ثابت للقيم والمعايير الأخلاقية في الدولة سوى المصلحة فلا بد من ظهور التباين الكلي في وجهات نظر الأفراد حول ما يخدم مصلحة الدولة على أحسن حال، وهكذا سيكون الحال تجاه مصالح الدول مع بعضها البعض، ولا ينتج عن ذلك سوى ما نراه اليوم من اضطرابٍ وبلبلة يهددان العلاقات بين الدول والشعوب بالخطر^٤.

فيقول - رحمه الله -: "يستحيل على أية أمة أن تعرف طعم السعادة ما لم تكن متحدةً من الداخل، ويستحيل على أية أمة أن تتحد من داخلها ما لم تصل إلى نوعٍ من الاتفاق على تحديد واضح لما هو عدلٌ وظلمٌ في شؤون الناس والحياة، ويستحيل الوصول إلى مثل هذا الاتفاق ما لم تتعارف هذه الأمة على التزاماتٍ خلقيةٍ منبثقةٍ من قانونٍ أخلاقيٍّ مطلقٍ، ومن الواضح أن الدين وحده هو القادر على أن يقدم لنا هذا القانون المطلوب، وبهذا القانون يمكن أن يوجد أساس الاتفاق داخل الأمة، أو المجتمع على الالتزامات الخلقية التي يخضع لها كافة الأفراد مختارين"^٥.

استهتارٌ بالقوانين... اضطرابٌ في القيم... سوقية الأخلاق... حروبٌ بين الدول... نفعية المعايير... مادية السلوك... اختلال التوازن في الاستقرار والأمن الدولي... الخديعة، والمكر، والنفاق، وسوء النية في السياسة... تلك هي النتيجة الحتمية لفصل الدين عن السياسة وعن الحياة، والرضا بالجاهلية الحديثة (العلمانية) بدلاً من حكم الله تعالى، ولا سعادة، ولا استقرار، ولا تقدم وهضبةً إلّا بتطبيق شرع الله

^١ سورة البقرة، آية: ١٨٥.

^٢ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٢٢.

^٣ المرجع السابق، ص ٢١-٢٣.

^٤ المرجع السابق، ص ٢٢-٢٣.

^٥ المرجع السابق، ص ٢٤-٢٥.

تعالى، يقول الله عز وجل في محكم كتابه العزيز: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٨﴾ وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ دُذُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۗ وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ۝۱.

ج. شكل الدولة الإسلامية:

لفت محمد أسد - رحمه الله - نظر دارسي العلوم السياسية من غربيين ومسلمين إلى أن شكل الدولة الإسلامية يتطور تبعاً لتطورات الخبرات التاريخية التي يكتسبها المسلمون، وأنه ليس ثابتاً مطلقاً كما يظن البعض، سواءً على جبهة التراثين الجامدين، أو على جبهة العلمانيين المنخلعين^١، بقوله: " أنه لا يوجد شكل واحد للدولة الإسلامية بل إن هناك أشكالاً كثيرة، وأن على المسلمين في كل زمن أن يكتشفوا الشكل الذي يلائم ويحقق حاجاتهم، شريطة أن يكون الشكل والنظام اللذان يقع عليهما الاختيار متفقين تماماً مع الأحكام الشرعية الظاهرة المتعلقة بتنظيم حياة المجتمع"^٢.

فالارتباط بين النظريات السياسية الإسلامية، وبين تطورات الأحداث التاريخية ارتباطاً مؤكداً، لاسيما في الأدوار الأولى من نشأة الدولة الإسلامية، إلى حدّ ينبغي أن ينظر إليهما كأنهما جانبان لوجه واحد، أو جزآن متكاملان أحدهما متمم للآخر^٣.

^١ سورة المائدة، آية: ٤٨-٥٠.

^٢ نظرات لاجتهادات محمد أسد في الفكر السياسي الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٤.

^٣ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٥٥.

^٤ النظريات السياسية الإسلامية، د. محمد ضياء الدين الريس، ط٧، القاهرة: دار التراث، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص ٢٣.

فمن الحقائق التي لا يستطيع أحد أن ينكرها، أنه على أثر ظهور الدعوة الإسلامية تكوّن مجتمعٌ جديدٌ له ذاتيةٌ مستقلةٌ تميزه عن غيره، يعترف بقانونٍ واحدٍ، وتسير حياته وفقاً لنظامٍ واحدٍ، ويهدف إلى غاياتٍ مشتركةٍ، وبين أفرادِه وشائجٍ قويةٍ من الجنس، واللغة، والدين، والشعور العام بالتضامن، ومثل هذا المجتمع الذي تتوفر فيه تلك العناصر هو الذي يوصف بأنه سياسيٌّ، أو أنه دولةٌ، ومن هذه الدولة بدأت تتكون النظريات السياسية الإسلامية التي تحولت إلى حقائق، وأعمالٍ.

وفي ضوء ما سبق، فإنَّ محمد أسد - رحمه الله - يرفض المفهوم الشائع بين المسلمين من أن هناك شكلاً واحداً للدولة الإسلامية، وهو الشكل الذي كان موجوداً في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ، فهو يرى - رحمه الله - أن الدولة الإسلامية يمكن أن يكون لها أشكالٌ عديدةٌ، طالما تطبق تلك الدولة تعاليم الشريعة الإسلامية، وتجعل منها منهجاً وطريقةً لتنظيم حياتها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية^١.

وبحسب رؤية محمد أسد - رحمه الله - لشكل الدولة في الإسلام، فإنه من الخطأ أن يرسم المسلمون في مخيلتهم نموذجاً واحداً للدولة الإسلامية، بل إنَّ تعدد النماذج، والأشكال أمرٌ واردٌ لا محالة، - وإنه من المنطقيّ، والمعقول جداً أن يكون ذلك التعدد أمراً مقبولاً، ولا بأس به طالما التزمت تلك الدولة بالإسلام منهجاً، وشريعةً - لتطور وتحدد الخبرات التاريخية، واختلاف الظروف البيئية، والتغير في التركيبة العقلية، والنفسية لأجيال الأمة الإسلامية.

ويدلل محمد أسد - رحمه الله - على رؤيته آنفة الذكر بالآتي:

١. سعة الشريعة الإسلامية، ومرونتها، مما يخول للمسلمين تشكيل دولتهم وفق أحكام الشرع، وحاجات العصر المتجددة، فجزءٌ كبيرٌ من الأحكام الشرعية جاءت نتيجة ثمره اجتهاد الفقهاء الذين ومن دون أدنى شك تأثروا بالبيئة العقلية، والاجتماعية المحيطة بهم، وبالتالي فلا ينبغي أن يكتسب هذا النوع من الأحكام صفة الديمومة، ويكون جزءاً لا يتجزأ من الشرع نفسه^٢.

^١ النظريات السياسية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٠.

^٢ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٥٣-٥٥.

^٣ المرجع السابق، ص ٢٢-٢٣.

٢. كون الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وشاملة للناس كافة، بما في ذلك صيانة مصالحهم، وتنظيم شؤون حياتهم، والوفاء بحاجاتهم في كل نواحي الحياة صغيرها وكبيرها، فهذه الميزة تفترض أولاً: أن لا تعالج أحكام الشرع إلا مبادئ عامة لمسائل هي بطبيعتها متأثرة بالتطور الاجتماعي للإنسان، تاركةً بذلك المجال للتغير الذي يقتضيه الزمن في الفروع^١، بمعنى أن الشارع لم يرد أن تعالج الشريعة بالتفصيل كل ضرورات الحياة ومشاكلها التي تخطر على البال، ولكنه أراد أن يحدد بأحكامه المنصوصة المجال الاجتماعي الذي يجب على الأمة أن تتطور في حدوده، وترك هذا العدد الهائل من المسائل القانونية المحتملة الوقوع لتعالج كل منها في ضوء مقتضيات العصر وتبعاً لتغير الظروف السائدة^٢. وثانياً: إن الشريعة الإسلامية تقدم تفصيلاً مسهباً لأحكام ومسائل لا يحسبها التغير كنتيجة للتطور الإنساني، وهي المسائل المستقلة عن التأثير بعنصر الزمان أو المكان، كالقضايا المتعلقة بالطبيعة البشرية، والعلاقات بين الناس، وقضايا الإيمان بالله، وأمور الأسرة، أما المسائل التي لا بد وأن يشملها التغيير الزمني كالشؤون المتعلقة بشكل الحكومة، والفنون، والصناعة، والقوانين الاقتصادية، فإن الشريعة حتى لا تقف حجر عثرة في سبيل التقدم الإنساني، لم تنص على أحكام مسهبة مفصلة فيها، واكتفت بإرساء قواعد عامة فحسب، أو صممت إزاءها كل الصمت، وهذا الوضع الذي يجوز فيه الاجتهاد^٣.

من هذا المنطلق، حث محمد أسد - رحمه الله - المسلمين على ضرورة البحث الحر، والاجتهاد المبدع البناء، وترك الاتكال على ما وصلت إليه الأجيال السابقة من أحكام اجتهادية صبغت في زمانها بصبغة الحسم النهائي في الشؤون الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، ولا سيما وأن الأمة الإسلامية في أمس الحاجة للرجوع وبسرعة إلى منهاجها، فالعالم الإسلامي اليوم يجد نفسه أمام تيارات ثقافية، وأزمات فكرية سيكون لها أثر حاسم في تقرير صلاحية الإسلام للتطبيق العملي لقرون عدة آتية، لذا يجب على المسلمين العودة إلى المصادر الأصلية للشريعة الإسلامية، والبدء في البحث الحر والاجتهاد،

^١ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٣٨.

^٢ المرجع السابق، ص ٣٤.

^٣ المرجع السابق، ص ٣٨-٣٩.

حتى يثبتوا لأنفسهم وللعالم بأن الإسلام منهاجٌ ونظامٌ يستطيع الصمود في وجه الزحف العاتي من الثقافة المضادة للثقافة الإسلامية^١.

لقد عبر - رحمه الله - عن حاضر العالم الإسلامي، وكأنه يقرأ واقع أمتنا اليوم، وهي تعيش حالة من الفوضى والاضطراب معيرةً عن طموح أبنائها، ومناديةً بالإصلاح السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، فالأمة اليوم تمرُّ بظروفٍ مخاضٍ تاريخيٍّ، ومن بعده قد تكون أو لا تكون، وهي فرصةٌ عظيمةٌ أمامها لتثبت للعالم كله أن الإسلام يحمل في طياته عناصر القوة والثبات، وله من الإمكانيات الواسعة، ما يمكنه من تحقيق العدل والرخاء الاجتماعي، والأمن النفسي، والاستقرار الاقتصادي، والسياسي، ولاسيما أنه ليس بتجربةٍ جديدةٍ في الميدان العملي، فمازلنا إلى اليوم نلمس ونشاهد نتائج وآثار تطبيقه في العصور القوية، ولا نتمنى سوى ما تمناه محمد أسد - رحمه الله - بأن يخرج لنا الله عزَّ وجلَّ من هذا المخاض جيلاً جديداً من أبناء أمتنا الإسلامية يستطيعون أن يعودوا بالإسلام كما كان في عهده الذهبية، وينتصروا على أعدائه، ويثبتوا للعالم أجمع أن الإسلام هو السبيل الأوحى والأفضل إلى الأمن والاستقرار السياسي، والاجتماعي.

د. أهداف الدولة الإسلامية وواجباتها:

يرى محمد أسد - رحمه الله - أن الهدف الجوهرية الذي تسعى الدولة الإسلامية لتحقيقه هو إنشاء الجهاز السياسي الذي يضمن تحقيق وحدة المسلمين وتعاونهم على الخير والمعروف، وفي هذا يقول: "أما الغاية فهي إيجاد أمةٍ توقف نفسها على الخير والعدل، تحقُّ الحقَّ وتبطل الباطل، أمةٍ تعمل على خلق بيئةٍ اجتماعيةٍ تتيح لأكثر عددٍ من أفرادها أن يعيشوا روحياً، ومادياً في توافقٍ مع القانون الفطري الذي جاء من الله وهو الإسلام"^٢، ويقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٦٦﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ

^١ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٤٠-٤١.

^٢ المرجع السابق، ص ٦٩-٧٠.

أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤﴾

﴿١٤﴾

ويرى - رحمه الله - أن الدولة هي التي تعطي للمفاهيم الأيديولوجية الإسلامية فاعليتها في ربط البشر بعضهم ببعض، ولا تدع للمفاهيم القومية مهمة صنع ذلك الرباط، فيقول: "القومية في كل صورها وأزيائها المختلفة تتنافى مع المبادئ الأساسية للإسلام، هذه المبادئ التي تقوم على أساس المساواة بين الناس، ولهذا يجب أن تُنْفَى القومية كأساسٍ تقوم عليه وحدة المسلمين، إن تعاليم القرآن الكريم والسنة تنادي بأن تكون هذه الوحدة ذات طبيعةٍ أيديولوجيةٍ تسمو فوق اعتبارات الجنس، والنشأة، واللغة، أخوةً عامةً تنبثق عن أمرٍ واحدٍ هو اشتراك الناس في عقيدةٍ واحدةٍ، ونظرةٍ أخلاقيةٍ واحدةٍ"^١.

ويقرر محمد أسد - رحمه الله - أن الغاية النهائية من رسالة الإسلام الاجتماعية، هي دفع الظلم عن الناس، وإقامة العدل في الأرض، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿١٤﴾^٢.

وبعد أن أسهب - رحمه الله - في تفصيل تلك الأهداف، ولاسيما إقامة العدل، وحماية المواطنين، وإنفاذ أحكام الشريعة الإسلامية، عاد وجمع لنا أهداف الدولة الإسلامية في وثيقةٍ أخرى قائلاً: "إن الغايات التي تعطي لفكرة الدولة الإسلامية معناها ومبررات قيامها تنحصر في أن تجعل من شريعة الإسلام القانون المهيمن على شؤون الحياة، كما يسود الحق والخير والعدالة، وأن تنظم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بصورةٍ تتيح لجميع الأفراد أن يحظوا بالحرية والأمن والكرامة، وأن يجدوا في نشداتهم التطور بشخصياتهم أقلّ قدرٍ ممكنٍ من العراقيل، وأكبر قدرٍ ممكنٍ من الحفاء والتشجيع، وأن تتيح للمسلمين - رجالاً ونساءً - أن يحققوا الأهداف الأخلاقية التي دعا إليها الإسلام لا في مجال العقيدة فحسب ولكن في مجال الحياة العملية، وأن تكفل لرعاياها من غير المسلمين كلّ أمانٍ فعليٍّ، وأن

^١ سورة آل عمران، الآية: ١٠٣-١٠٤.

^٢ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٧١.

^٣ سورة آل عمران، آية: ١١٠.

تمنحهم الحرية التامة في عقائدهم وطقوسهم الدينية إلى جانب كفالة حقهم في التطور الثقافي والاجتماعي، وأن تحمي الوطن من العدوان الخارجي، وتؤمنه من التصدع الداخلي، وأن تحتضن تعاليم الإسلام، وتنشر رسالته في ربوع العالم على أوسع نطاقٍ ممكن، فإذا حققت الدولة هذه الأهداف كان لها الحق حينئذٍ بأن تتصف بأها (خليفة الله في الأرض) على الأقل في ذلك الجزء من الأرض الذي يخضع لنفوذها^١.

وهكذا يتضح لنا أن أهداف الدولة الإسلامية لا مثيل لها، فغايتها حفظ الدين، وحراسته، وسياسة أمور الأمة وفقاً لشريعة الله ورسوله، وهي قائمة على العدل، وضمان الحريات والحقوق، وحراسة المجتمع من الظلم والبغي والعدوان، وكفالة الحياة العزيزة الكريمة لكل من يعيش تحت لوائها، فالدولة الإسلامية دولة تشمل رسالة الإسلام بأكملها سواء على صعيد الأخلاق، أو العقيدة، أو العبادة، أو على صعيد الحياة السياسية، والثقافية، والاقتصادية، وبالتالي فهي أداة لتحقيق رسالة الإسلام.

أما واجبات الدولة الإسلامية، فهي كما يراها محمد أسد - رحمه الله - عبارة عن عدة مبادئ عامة تتصل بطبيعة الدولة الإسلامية كما ذكرها القرآن الكريم، وهي كما يلي:^٢

١. إنفاذ الأحكام الشرعية وتطبيقها في جميع المناطق، والأقطار الخاضعة لسلطان الدولة الإسلامية، يقول الله تعالى: ﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْأَنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^٣.

٢. سن القوانين المناسبة لظروف عصرنا وحاجتنا، والتي من شأنها تنظيم شؤون الدولة، شريطة ألا تتعارض مع نصوص الشريعة الإسلامية وروحها، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾^٤، وعلى هذا فإن دستور الدولة الإسلامية يجب أن ينص على أن أي قانون يناقض الشريعة الإسلامية غير ساري المفعول.

^١ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٧٣.

^٢ المرجع السابق، ص ٧٤-٧٧.

^٣ سورة المائدة، آية: ٤٧.

^٤ سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

٣. الالتزام بطاعة الحكومة الإسلامية التي جاءت بالطريق الشرعي، يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ^١ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى

اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ^٢ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا^٣﴾،

وهذا يعني أن فرض أية سلطة على المسلمين من خارج جماعتهم لا يجعل لها عليهم حق الطاعة، بيد أنه من الأهمية بمكان أن نعلم أن طاعتنا للحكومة الإسلامية مشروطة بشرط جوهرية هو طاعة أولي الأمر لله ورسوله، وبالتالي فمن واجب المجتمع الإشراف على نشاط الحكومة، ومنحها الثقة إذا أحسنت، وأن يسحب منها هذه الثقة إذا حادت عن الطريق الصالح.

٤. أن تكون الحكومة الإسلامية، حكومةً منتخبةً برضا الشعب، وأن تمثله تمثيلاً صحيحاً، وهو ما تشير إليه الآية القرآنية السابقة بلفظ (منكم)، فاللفظ يدل على الأمة ككل، وليس على جماعة، أو طبقة معينة.

ومن هذا يتبين أن الحق سبحانه وتعالى وضع الضوابط المحكمة، والنظم الدقيقة لحكم المجتمع؛ حتى لا يتفلت الناس، وتكون بينهم الصراعات الدامية، والحروب المهلكة، فنظام الحكم في الإسلام ينبع من عقيدتنا، وعقيدتنا تحتم علينا التمسك بأمرٍ قيمية وأخلاقية وسلوكية، لهذا فإن المسلمين إذا ما تمسكوا بدينهم نفذوا أحكامه، وهذا هو المقصد الأساسي من مقاصد الحكم في الإسلام.

هـ. مصدر السيادة في الدولة الإسلامية:

يقول الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ

وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ^١ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^٢﴾.

بناءً على هذه الآية الكريمة، يقول محمد أسد - رحمه الله - "أن المصدر الحقيقي للسيادة في الدولة الإسلامية هو المشيئة الإلهية، وأما سلطة المجتمع الإسلامي فليست سوى سلطة بالوكالة جبلها يد الله"^٣،

^١ سورة النساء، آية: ٥٩.

^٢ سورة آل عمران، آية: ٢٦.

^٣ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٨٠-٨١.

لذلك فالدولة الإسلامية وإن قامت كنتيجة لإرادة الشعب، لكنّها تستمدُّ سيادتها من قبل الله، فإن سارت وفقاً للشروط الشرعية المشار إليها سابقاً فلها على رعاياها حقُّ الطاعة والولاء.

وعليه فإنَّ صاحب السيادة في الحاكمية على الدولة الإسلامية هو الله ربُّ العالمين، الذي نعبده، ونختكم لشريعته، يقول الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَنَهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾^١، ولا تعارض، ولا اضطراب بين مصدر سيادة الأمة (الله تعالى)، وبين مبدأ سيادة الأمة، لأنَّ الخطاب في القرآن الكريم موجهٌ إلى الأمة، يقول الله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^٢، ويقول الله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾^٣، ويقول تعالى: ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾^٤.

وهكذا نرى أنَّ النداء في مبدأ السيادة يتوجه من صاحب الأمر إلى الناس جميعاً باعتبارهم شركاء في مسؤولية حكم البلاد.

^١ سورة المائدة، آية: ٥٠.

^٢ سورة آل عمران، آية: ١١٠.

^٣ سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

^٤ سورة الأنفال، آية: ٦٠.

^٥ نظام الحكم في الإسلام، منصور الرفاعي عبيد، ط١، القاهرة: الدار الثقافية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٩٠.

و. رئيس الدولة الإسلامية:

وعن رئاسة الدولة الإسلامية يقول محمد أسد - رحمه الله -: " أن رئاسة الدولة الإسلامية لا يمكن أن توسد إلّا إلى شخص يؤمن بهذه الشريعة، وبالمصدر الإلهي الذي جاءت من عنده، أي أن يكون مسلماً، فكما أنه من المستحيل أن توجد حياة إسلامية تامة دون قيام دولة إسلامية تعمل على إقامتها، فإنّه من المستحيل أيضاً أن تكون الدولة إسلامية بالمعنى الصحيح ما لم يتولّ زمامها أشخاص يتوقع منهم أن يخضعوا باختيار وإخلاص إلى تعاليم الإسلام".^١

ولهذا فلا يمكن لشخص غير مسلم مهما كان نزيهاً، ومخلصاً، وفياً محباً لبلاده، ومتفانياً في خدمة مواطنيه أن يعمل من صميم فؤاده لتحقيق الأهداف الأيدولوجية للإسلام، وذلك لعوامل نفسية محضة لا يمكن تجاهلها، بل إنّه ليس من العدل أن نطلب منه ذلك.^٢

ووفق حكم الشريعة الإسلامية فإنّ وليّ أمر المسلمين، والذي يلقي إليه مقاليد رئاسة الدولة الإسلامية، وتوجيه أمورها، لا بدّ أن يكون مسلماً، لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۗ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝﴾^٣.

كما يجب أن يتمّ اختياره بعيداً عن اعتبارات الجنس، أو القبيلة، أو المكانة الاجتماعية، وأن يكون تقياً، ورحيماً، وصالحاً، في خلقه، وسلوكه.

هذا ولم تضع الشريعة الإسلامية نظاماً خاصاً لانتخابه، ولم تحدد هيئة الناخبين، كما لم تنص على مدة معينة للحكم، فقد يعفى الرئيس من منصبه ويتنحى إذا اتضح أنّه لا يؤدي واجبه بإخلاص وكفاءة، أو أنّه عاجز عن إدارة شؤون الدولة لمرضٍ أصابه، أو خللٍ في قواه العقلية.^٤

^١ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٨٢.

^٢ المرجع السابق، ص ٨٣.

^٣ سورة النساء، آية: ٥٩.

^٤ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٨٣-٨٦.

كان ذلك رأيه - رحمه الله - في رئيس الدولة، والذي أظهر لنا من خلال هذا المجال الرحب مدى مرونة النظام السياسي في الإسلام، لخدمة المجتمع المسلم، وتلبية حاجات الناس، ومطالبهم وفقاً لظروف زمانهم.

ز. السلطة التشريعية، والسلطة التنفيذية، والعلاقة بينهما:

وفيما يتعلق بالسلطة التشريعية، يقول محمد أسد - رحمه الله -: "إن مهمة سن القوانين في الدولة لا بد أن تستند إلى مجلس شوري تنتخبه الأمة، أي أن السلطة التشريعية في الدولة الإسلامية يجب أن تكون ممثلة في مجلس للشورى منتخب من قبل الشعب، يمثل كافة أطراف وفئات المجتمع، ويكون له حق سن القوانين المناسبة لمقتضيات العصر عن طريق الاجتهاد الملائم لروح الشريعة الإسلامية، يقول الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾^١، فمبدأ الشورى هو قاعدة أساسية في الحياة السياسية، وهو جزء لا يتجزأ من أسلوب الحكم، بالأدلة والبراهين القاطعة من الكتاب والسنة، والشواهد التاريخية"^٢.

وتنفيذ مبدأ الشورى بهذا الشكل يتجاوز بلا شك شخصية رئيس الدولة، بل يتجاوز جهاز الدولة التنفيذي بأكمله، حيث تعرض القضايا، والمسائل على جماعة تتنوع فيها الآراء والخبرات، مما يزيل خطر الميول الشخصية التي قد تعكس ظلها على سن القوانين، ويعد احتمال الخطأ الذي سيصل إلى أدنى حد ممكن^٣.

ويرى - رحمه الله - أنه في حال تعذر وصول مجلس الشورى إلى حالة اتفاق إجماعي حول أمر من الأمور، فما من حل إلا التراضي بصدور قرارات المجلس عن طريق أغلبية الأصوات، على أن تشترط أغلبية ثلثي الأصوات في المسائل ذات الأهمية العظمى، كإسقاط الحكومة، أو تعديل الدستور، فالرسول ﷺ أوصى باتباع الجماعة، والعقل الإنساني لم يتمكن حتى الآن من تحديد آلية لحسم القضايا السياسية، والاجتماعية أفضل من الأخذ بمبدأ اتباع رأي الأغلبية، لذلك نجده يقول: "فمن المتوقع لا تحظى قرارات

^١ سورة الشورى، آية: ٣٨.

^٢ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٨٩.

^٣ المرجع السابق، ص ٨٨-٨٩.

مجلس الشورى في الدولة الإسلامية باتفاق إجماعي عليها، ولهذا فإن علينا أن نرضى بصدورها بأغلبية الأصوات...، على أنه من الأفضل أن تشترط أغلبية الثلثين في الأمور ذات الأهمية الخاصة"^١.

أما عن السلطة التنفيذية فيقول - رحمه الله - : "تمنح الشريعة مجلس الشورى حق صياغة القوانين الوضعية التي تحكم بها الدولة، ووضع الخطوط الرئيسية للسياسة التي تدير عليها، وحق الإشراف العام على نشاط الحكومة، فإن المجلس لا يملك الحق في أن يتدخل في أمور الإدارة اليومية التي تباشرها السلطة التنفيذية، أي أن الشريعة الإسلامية تلزم الدولة الإسلامية، ورئيسها بتنفيذ القوانين، والقرارات التي يصدرها مجلس الشورى، وللدولة اختيار الطريقة الإدارية التي تُنفذُ بها هذه القرارات، ولا يملك مجلس الشورى التدخل في الأمور الإدارية، والتنفيذية اليومية للحكومة"^٢.

ويرجح محمد أسد - رحمه الله - الرأي القائل بأن رئيس الدولة الإسلامية هو وحده الذي تسند إليه كافة مقاليد السلطة الإدارية، ووظائفها، ويكون مسؤولاً عن سياسة الحكومة أمام مجلس الشورى، بقوله: "الأمير وحده هو الذي يجب أن تسند إليه كافة مقاليد السلطة الإدارية ووظائفها، ويجب أن يكون مسؤولاً عن سياسة الحكومة أمام مجلس الشورى"^٣، وبالتالي فالوزراء يجب ألا يكونوا سوى مساعدين إداريين، وأمناء يتولى هو تنصيبهم، ولا يسألون أمام سواه.

وفي تقدير محمد أسد - رحمه الله - أن التوافق، والتكامل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية في الحكومة من أهم المبادئ التي قدمها الإسلام للعلوم السياسية؛ فالإسلام يجمع الأعمال التشريعية، والتنفيذية في شخص رئيس الدولة الذي يمارس وظيفته في رئاسة مجلس الشورى، وتوجيه نشاطه، ومداولاته، وتنفيذ قراراته^٤.

كما أن على السلطتين التعاون العملي في وضع الأنظمة، والقوانين التي تحكم بها الدولة، فالأجهزة التنفيذية، والإدارية تقوم بدراسة مشروعات الأنظمة، والقوانين، ومن ثم تقديمها إلى مجلس الشورى، ومجلس الشورى له حق مناقشة هذه المشروعات، وإجازتها كما هي، أو رفضها، أو إجراء التعديلات عليها^٥.

^١ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٩٣-٩٨.

^٢ المرجع السابق، ص ١١٢.

^٣ المرجع السابق، ص ١١٧.

^٤ المرجع السابق، ص ١٠١-١٠٣.

^٥ المرجع السابق، ص ١١٩-١٢٢.

وفي حالة حدوث خلاف، أو تضارب بين السلطتين، كأن يعترض مجلس الشورى على تصرف، أو إجراء تنفيذي معين يعتبره مخالفاً للقوانين، أو مضرراً بالمصالح العليا للدولة، أو أن ترى السلطة التنفيذية أنَّ عليها أن ترفض قراراً، أو قانوناً أصدره مجلس الشورى، يجب عرض الموضوع على محكمة عليا يتم اختيار أعضائها وفق مبدأ الشورى من الفقهاء، والعلماء يستطيعون دراسة المشكلة، وإصدار حكم بشأنها يكون الأقرب إلى روح القرآن والسنة، وبجانب مهمة الفصل في النزاع بين السلطتين، فإنَّ من المهامِّ العليا للمحكمة إصدار قراراتٍ يطل بمقتضاها سريان أيِّ قانونٍ أصدره مجلس الشورى، أو إجراء اتخذته السلطة التنفيذية إذا ما اتضح أنَّ في ذلك خروجاً على نصٍّ صريحٍ من نصوص القرآن والسنة^١.

وهكذا نجد أن محمد أسد - رحمه الله - ينحُّ إلى تقسيم للسلطة شبيه بما هو عليه الحال في النظام الرئاسي، وبخاصة في نمطه الأمريكي، ولكن مع الفارق في رفضه الشديد للفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، كما ينتقد - رحمه الله - صورة النظام البرلماني حيث يتضامن رئيس الدولة مع وزرائه في المسؤوليات الإدارية، ويرى أنه نظامٌ يترع حقُّ السلطة التنفيذية من رئيس الدولة.

وعليه فقد اقترح - رحمه الله - نموذجاً للنظام السياسي في الإسلام مستنداً إلى الأصول والثوابت التي بُنيَ عليها نظام الحكم في الإسلام، ومستفيداً من الأنظمة السياسية الغربية، ولعلَّ اقتراحه هذا يكون إضافةً جديدةً إلى الفكر السياسي الإسلامي المقارن تستنير به العقول والأفئدة.

ح. العلاقة بين الشعب والحكومة:

يرى محمد أسد - رحمه الله - أنَّ العلاقة بين الشعب والحكومة تقوم على ما يأتي^٢:

١. انتخاب رئيس الدولة معناه أن تلقى البيعة من الشعب كافة سواءً من الأغلبية التي منحتة أصواتها، أو من قبل الأقلية التي صوتت ضده، فقرار الأغلبية ملزمٌ لكلِّ فردٍ في المجتمع، ولهذا قال الرسول ﷺ: {يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ}^٣.

^١ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ١٢٥-١٢٧.

^٢ المرجع السابق، ص ١٣١-١٦٢.

^٣ رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم ٢١٦٦، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه.

صححه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، حديث رقم ٣٦٢١، ج ١، حرف السين، ص ٦٧٧.

٢. إذا التزمت الحكومة بتطبيق شرع الله، وتحقيق الغايات التي ألفتها الشريعة على كاهلها فإن لها الحقَّ المطلق في الحصول على ولاء المواطنين جميعاً، ولها عليهم حقُّ الطاعة لقول الرسول ﷺ: {مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لِقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حِجَّةَ لَهُ، وَمِنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً}¹.

٣. أن آية محاولة لتحطيم الأمة، أو تفريق كلمتها، ووحدها هو جريمة كبرى، وخيانة عظمى تستوجب أقصى العقوبات، يقول النبي ﷺ: {أَنْهُ سَيَكُونُ هُنَاتُ وَهِنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَفْرُقَ أُمَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَانَتْ مَوْتُهُ كَانَتْ مَوْتُهُ}²، وقال أيضاً ﷺ: {مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعًا عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يَرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يَفْرُقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ}³.

٤. للرعية حقُّ في الإشراف على الحكومة، ونقد سياستها الإدارية، والتشريعية كلما وجدت أن الدولة لا تُسَّسُ أمورها كما ينبغي، ويجب عليها تقديم النصيحة إلى الحاكم بالرفق، واللين؛ ليسوس الرعية بالعدل، ويصون المجتمع من أيِّ اعتداء. قال النبي ﷺ: {أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ عَدْلٌ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ}⁴.

٥. إذا ما أقدمت الحكومة على إصدار قوانين تتضمن معصية صريحة بالمعنى الشرعي، فإنه لا يسمع، ولا طاعة على المواطنين لهذه القوانين، والأوامر.

٦. إذا ما وقفت الحكومة موقفاً تتحدى به تحدياً صريحاً متعمداً نصوص القرآن الكريم فإن هذا الموقف يعتبر كفراً بواحاً، الأمر الذي يستوجب نزع السلطة من يدها، وإسقاطها.

٧. أن نزع السلطة من يد الحكومة لا يجب أن يتم عن طريق ثورة مسلحة من جانب أقلية في المجتمع؛ لأن رسول ﷺ حذرنا من اللجوء لهذه الوسيلة، فقال ﷺ: {مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا

¹ رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة، حديث رقم ١٨٥١.

² رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، حديث رقم ١٨٥٢.

³ رواه مسلم، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، حديث رقم ١٨٥٢، ج ٣، ص ١٤٨٠.

⁴ رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، حديث رقم ٤٣٤٤.

ورواه الترمذي، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، حديث رقم ٢١٧٤.

ورواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث رقم ٤٠١١، ج ٢، ص ١٣٢٩.

ورواه الإمام أحمد من مسند أبي سعيد الخدري ؓ، حديث رقم ١١١٤٣، ج ١٧، ص ٢٢٨، وقال المحقق: إسناده ضعيف.

صححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم ٤٩١، ج ١، ص ٨٨٦.

السلاحَ فليس منا^١، وقال: {مَنْ سَلَّ عَلَيْنَا السِّيفَ فَلَيْسَ مِنَّا}؛^٢ وذلك تماشياً مع مبدأ وحدة الأمة، والحفاظ على ترابطها، فلا يمكن أن يُترك لكل فردٍ من الأفراد تعيين الوضع الذي تصبح فيه طاعة الأمير باطلة المفعول من حيث هي واجبٌ دينيٌّ وقوميٌّ، إن مثل هذا الحكم لا يمكن أن يصدر إلا من المجتمع كُله، أو من ممثليه الشرعيين.

٨. على الحكومة أن تمنح المواطنين حرية التعبير عن الرأي، بل إن من واجب المواطن المسلم أن يمارس حقه في النقد، وأن يقف بشجاعةٍ إلى جانب العدل والحقّ ليس مقصوراً على قضية إسقاط الحكومة، ولكنّ الإسلام يطلب من كلِّ مسلمٍ أن يجارِب المنكرَ حيثما وجده، وأن يعتبر نفسه حامياً للعدالة مهما تخاذل عنها الناس، يقول الرسول ﷺ: {وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِتَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لِيُوشَكَّنَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُمْ وَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ}،^٣ وعلى هذا فإنّ مصالح المجتمع تتطلب من جميع أفرادها أن يتعاونوا على النهوض بالمستوى الخلقيّ، والاجتماعيّ للأمة بكلِّ الوسائل الممكنة، وقد حذرهم الله تعالى من مغبة القعود عن أداء هذا الواجب، فقال عزّ وجلّ: ﴿لَهُمْ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِمْ يُحَافِظُونَهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^٤، فعلى قادة الفكر في المجتمع الإسلاميّ أن يتقدموا بما قد يصلون إليه من نظريات، وأفكارٍ جديدةٍ يمكن أن تؤدي إلى نهضة المجتمع وتقدمه، ولهذا فإنّ حقّ التعبير الحرّ عن الآراء سواءً بالكتابة، أو الخطابة من الحقوق الأساسية المسلّم بها للمواطنين في الدولة الإسلامية، على ألاّ يستخدم هذا الحقّ للتحريض، أو الاستخفاف بالشرعية، ونبذها، أو لإثارة الشغب ضدّ الحكومة القائمة، أو الدعوة إلى الرذيلة، أو الاستهتار بالآداب العامة.

^١ رواه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى (ومن أحيائها)، حديث رقم ٦٨٧٤.

^٢ رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: من حمل علينا السلاح فليس منا، حديث رقم ٩٩.

^٣ رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث رقم ٢١٦٩، وقال الترمذي: حديث حسن.

ورواه الإمام أحمد، مسند حذيفة بن اليمان ؓ عن النبي ﷺ، حديث رقم ٢٣٣٠١، ج ٣٨، ص ٣٣٢، قال المحقق: حديث حسن لغیره، وهذا إسناد ضعيف.

وقال الألباني، حديث حسن، صحيح الجامع الصغير وزياداته، حديث رقم ٢٣٩٩، ج ٢، حرف الواو، ص ١١٨٩.

^٤ سورة الرعد، آية: ١١.

٩. على الحكومة أن تشمل المواطنين بالحماية من العدوان الداخلي أو الخارجي، وأن تبسط حمايتها على أرواحهم، وممتلكاتهم، وأعراضهم؛ وذلك تمشياً مع المبادئ التي أعلنها الرسول ﷺ كما في قوله: {كل المسلم على المسلم حرامٌ دمه وماله وعرضه}، وعليها أيضاً حماية كرامة الفرد، وشرفه، وحرمة بيته، يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾^١، وعلى هذا فلا بد أن ينصّ دستور الدولة بأن أنفس المواطنين، وممتلكاتهم مصونة يجب ألا تغتصب، أو يعتدى عليها، وأنه لا يجوز حرمان أيّ مواطنٍ من حقّ الحياة، أو من حرّيته الشخصية، أو مصادرة ممتلكاته إلّا في حدود القانون.

١٠. من واجب الحكومة توفير التعليم الإلزاميّ بالخان، وتيسيره لكلّ أفراد المجتمع بغضّ النظر عن معتقداتهم الدينية.

ط. أزمة المصطلحات السياسية الغربية في الحقل السياسي الإسلامي:

لقد حاول محمد أسد - رحمه الله - أن يوجه الوعي الفكريّ السياسيّ الإسلاميّ إلى مشكلة كبرى يعاني منها الميدان السياسيّ في بلادنا الإسلامية، ألا وهي استيراد المصطلحات السياسية الغربية مغلفة بما تحمله من مفاهيم، ومضامين تعبر عن أيديولوجية، وثقافة المجتمع الغربيّ، فهو يرى - رحمه الله - أن محاولات تطبيق تلك المصطلحات السياسية على النظام الإسلاميّ ما هي إلّا محاولات متناقضة وعديمة الجدوى، بل إنّها من أخطر القضايا المعرفية، حيث تنظر إلى مشاكل المجتمع الإسلاميّ من خلال زاوية التجارب التاريخية الغربية^٢.

ويؤكد - رحمه الله - أن منشأ اضطراب صورة الدولة الإسلامية التي تسود أذهان المسلمين اليوم، إنّما يعود إلى استعمال المصطلحات السياسية الغربية بقوله: "إن من أهم الأسباب في اضطراب الصورة

^١ رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وعذله، واحتقاره، ودمه، وعرضه وماله، حديث رقم ٢٥٦٤.

^٢ سورة المحجرات، آية: ١٢.

^٣ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٤٦-٤٧.

التي تسود اليوم الأذهان عن الدولة الإسلامية هو أن المنادين بضرورة قيام هذه الدولة والذين يخاصمونها على حد سواء يخطئون في استعمال المصطلحات السياسية الغربية للدلالة على فكرة تختلف في حقيقتها عن فكرة الدولة الإسلامية"^١.

وفي هذا يقول د. عمارة^٢ في كتابه (معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام): "إذا نظرنا إلى المصطلحات من زاوية المضامين التي توضع في أوعيتها، ومن حيث (الرسائل الفكرية) التي حملتها (الأدوات) المصطلحات، فسنكون بحاجة، وحاجة ماسة وشديدة إلى ضبط معنى هذه العبارة، وتقييد إطلاقها، وتحديد نطاق الصلاح والصلاحية التي يشيع عمومها من عموم ما تحمل من ألفاظ، هنا سنجد أنفسنا عند الفحص والتدقيق، وفي كثير جداً من الحالات، وبإزاء العديد من المصطلحات، أمام (أوعية) عامة (وأدوات) مشتركة بين الحضارات والأنساق الفكرية والعقدية والمذهبية، وفي ذات الوقت أمام (مضامين) خاصة، و(رسائل) مميزة تختلف فيها، وتتميز بها هذه (الأوعية) العامة و(الأدوات) المشتركة، لدى أهل كل حضارة من الحضارات"^٣.

وعليه فإن اللغة التي تعبر عن الحياة السياسية في أي مجتمع لا بد أن تكون مرتبطة بالظروف التاريخية، والثقافية لذلك المجتمع، بل إن تلك اللغة تتطور، وتراجع في المجتمع ذاته مع نمو الحياة الثقافية، واستقرارها، أو بؤسها، واضطرابها.

وهذا ما يؤكد محمد أسد - رحمه الله - بقوله: "إنه حتى في الغرب فإن المصطلحات (الديمقراطية) و(الحريات) تستعمل وقد استعملت فعلاً للدلالة على معانٍ متفاوتة كل التفاوت، وعلى هذا فإن تطبيقها على نظرية الإسلام السياسية يمكن أن يخلق نوعاً من الغموض بالإضافة إلى أنه من خداع الألفاظ"^٤.

^١ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٤٥.

^٢ محمد عمارة: ولد عام ١٩٣١م، مفكر إسلامي، ومؤلف ومحقق، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في القاهرة، ولد في كفر الشيخ، وحفظ القرآن الكريم، ودرس ليسانس اللغة العربية، والعلوم الإسلامية في دار العلوم بجامعة القاهرة، وحصل على ماجستير العلوم الإسلامية، ثم تخصص في الفلسفة الإسلامية عام ١٩٧٥م، وله العديد من المقالات والمؤلفات، منها: أزمة الفكر الإسلامي الحديث، الإبداع الفكري، الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، ويتمي الفكر فهمي إلى المدرسة الوسطية في الفكر الإسلامي.

ينظر: الموقع الرسمي للدكتور محمد عمارة، متوفر على شبكة المعلومات العالمية: <http://www.dr-emara.com>

تاريخ الدخول: ١٤٣٣/١٢/٠١ هـ.

^٣ معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، د. محمد عمارة، ط ٢، مصر: مضة مصر للطباعة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ص ٣-٤.

^٤ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٥٠.

وعلى نفس الصعيد يقول د. عمارة: " إذا كانت المضامين العربية والغربية لكثيرٍ من المصطلحات العربية الإسلامية التي أصبحت جزءاً من واقعنا الفكري والثقافي الداخلي، نظراً لنجاحات التغريب في حياتنا الفكرية والثقافية والإعلامية .. فإن تحرير مضامين المصطلحات واكتشاف مناطق الاتفاق ومناطق التمايز في معاني ومفاهيم هذه المصطلحات، .. هو مهمة أساسية وأولية بالنسبة لأي حوارٍ فكري حقيقي وجادٍ ينقذ حياتنا الفكرية من خطر الاستقطاب"^١.

يتضح لنا مما سبق أن استيراد المفاهيم والمصطلحات الغربية السياسية من بيئتها، ومحاولة تطبيقها في بلادنا الإسلامية دون تحرير مضامين تلك المصطلحات، يعد مشكلةً فكريةً، ومعرفةً في الوسط السياسي لا تعبر إلّا عن الحيرة، والقلق، والاضطراب، والتقهقر في الحياة السياسية.

يقول محمد أسد - رحمه الله - : "إنه من باب التضليل المؤذي إلى أبعد الحدود أن يحاول الناس تطبيق المصطلحات التي لا صلة لها بالإسلام على الأفكار والأنظمة الإسلامية، إن للفكرة الإسلامية نظاماً اجتماعياً متميزاً خاصاً بها وحدها يختلف من عدة وجوهٍ عن الأنظمة السائدة في الغرب، ولا يمكن لهذا النظام أن يُدرس ويفهم إلّا في حدود مفاهيمه ومصطلحاته الخاصة، وإن أيّ شذوذٍ عن هذا المبدأ سوف يؤدي حتماً إلى الغموض والالتباس بدلاً من الوضوح والجلاء حول موقف الشرع الإسلامي تجاه كثيرٍ من القضايا السياسية والاجتماعية التي تشغل الأذهان في الوقت الحاضر"^٢.

ويدل على ذلك المشهد السياسي والثقافي اليوم الذي يعجُّ بالخلافات، والأزمات السياسية، والتطرف الفكري، والصراعات الإعلامية والصحفية، بسبب حجم الهوة الحاصلة في تلك الأوساط العلمية والثقافية، والتباين واختلاف الآراء حول أية قضية مطروحة للنقاش لعدم الاتفاق حول المفاهيم والمصطلحات، والإهمال في محاولة ترتيب تلك المفاهيم والمصطلحات على واقعنا المعاصر، وكما يبدو فإن محمد أسد - رحمه الله - قدم النصيحة، والأسباب لعلماء الأمة الإسلامية، ومفكرها من عدم جدوى تطبيق تلك المصطلحات الغربية على الفكرة الإسلامية، ترى هل من مستمع...!!؟ هل من مجيب!!؟.

^١ معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، مرجع سابق، ص ١٢.

^٢ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ٥٢.

ي. الحاجة إلى عمل موسوعة تضم الأحكام الشرعية الاجتماعية:

يدعو محمد أسد - رحمه الله - إلى أن تحقيق الشريعة في البلاد الإسلامية لا بد أن يكون من خلال العمل على "موسوعة مختصرة سهلة الفهم، تضم كافة الأحكام الشرعية الاجتماعية المنصوص عليها من القرآن والسنة، لذا فهي لا بد وأن تحظى بموافقة جميع المواطنين ورضاهم، وتعود بالشريعة الإسلامية إلى منابعها الأصلية الخالية من كل إضافة؛ لتتيح فرصة البحث، والاجتهاد، وظهور الفهم المستنير للفكرة الإسلامية، والتخلص من الجمود الثقافي، والانحطاط الفكري، الذي ألحق الأذى بالمسلمين، وجعل الشريعة الإسلامية نظاماً حياً فعالاً للدولة الإسلامية"¹.

يتوقع - رحمه الله - أننا إذا جمعنا الأحكام الشرعية المتعلقة بالشؤون الاجتماعية، والسياسية في موسوعة منظمة، سوف يتيح للنظام السياسي في الإسلام أن يقف - لأول مرة - على قدميه بوضوح وجلال، وسيكون كل حكم من الأحكام واضحاً، ومحدداً لا يسمح بالتأويلات المتناقضة، وسيدرك كل مسلم حينئذ أن واجبه كمسلم يحتم عليه الرضوخ إلى هذه الأحكام الشرعية، التي لا يمكن الشك في صحتها، وأصالتها.

وبعد الذي قدمناه من أفكار محمد أسد - رحمه الله - واجتهاداته حول الفكر السياسي في الإسلام، فإننا نعتقد أنه واحد من أهم أساطين ما يُسمى عصر النهضة، وحين نرشحه لتبوء هذه المكانة؛ فلائه قدّم رؤى، وأفكاراً، واقتراحات تؤهله لتلك المكانة.

ففي خضم موجة الاتجاه المحمود لبعث نهضة الإسلام، وإحياء روحه، وإعادة بناء النظم والتشريعات على الأسس الإسلامية، وضع محمد أسد - رحمه الله - مجتهداً نموذجاً للدولة الإسلامية، ومقترحاً لطريقة إعداد موسوعة تضم الأحكام الشرعية المتعلقة بالشؤون السياسية، والاجتماعية لحياة المسلمين.

كما وضع بجلاء أن الإسلام يفرض على المسلمين إقامة دولة إسلامية، تفرض الحق وتحميه، وتنادي بالعدل وتطبيقه، وأن يكون لهذه الدولة حاكم يختار من بينهم، ويلتزمون بطاعته، ومن خرج عليه، وأراد أن ينازعه، ويكون غرضه تمزيق وحدة الأمة، فإن الإسلام يوجب قتله، وحماية الدولة أمر واجب ومطلوب، وأن الأمر بين المسلمين شوري، فلا استبداد بالرأي، ولا حكم فرد متجبر.

¹ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ١٧٣-١٧٨.

² المرجع السابق، ص ١٨٥.

على أنه في مقابل هذه النهضة وهذا الجهد، شكوا محمد أسد - رحمه الله - من جهات وعناصر تريد أن تحول المجتمعات الإسلامية عن إقامة دولة إسلامية - بقصد أو بغير قصد - وتعرقل سير تلك النهضة.

ومن تلك الجهات ما هو داخل المجتمع المسلم، كتيارات الفكر الإسلامي وموقفها من طبيعة، وشكل الدولة الإسلامية، وسلطتها، فعلى سبيل المثال هناك التيار الأصولي، أو فئة الجامدين الذين يصرون على المحافظة على القديم، ويعضون بالنواجذ على كل التقاليد القديمة، وبالتالي يرفضون أي تطور في مجتمعاتهم نحو الأسلوب الغربي، فهم يرون أن أي تغيير ولو يسير عن هذه التقاليد يعتبر حركة معادية للإسلام، لذا يظنون أنه يجب على الدولة الإسلامية إذا قامت أن تقر كل الأوضاع الاجتماعية التي كنا نعيش في ظلها، وأن تمنحها صفة الخلود، والدوام^١.

وفي مقابل هذا التيار نجد ظهور التيار العلماني، أو التغريبي، وهم فئة من المسلمين أصابهم الإحباط، واليأس، وقُضي على أرواحهم المعنوية بسبب عقود من الانحطاط السياسي، والعبودية، أفقدتهم الثقة في أنفسهم، وفي ميراثهم الثقافي، فما كان منهم سوى اقتفاء أثر الغرب في أسلوب تفكيره، ومناهجته، وتطبيق المفاهيم الغربية من دون تحرز؛ ظناً منهم أنها هي الطريقة الوحيدة، والسليمة، لتلبية احتياجات العصر^٢.

أما العقبة الخارجية التي تعرقل قيام دولة إسلامية، فهم أعداء الإسلام الذين ينظرون إليه على أنه خطر سياسي يهدد بقاءهم، ولاسيما الأوروبيين الذين مازالوا يعيشون تحت تأثير الذكريات التاريخية المتعلقة بالحروب التي التحموا بها مع العالم الإسلامي، لهذا فهم يخشون أن يؤدي بعث الروح الإسلامية من جديد إلى إيقاظ القوة الغافية في العالم الإسلامي، فيبدلون كل ما في وسعهم للحيلولة دون بعث القوة السياسية للمسلمين، ومنع المسلمين من احتلال المكانة التي كانوا يحتلوها في الحياة السابقة اجتماعية كانت أو ثقافية^٣.

وأمام تلك العقبات، والعراقيل وقف محمد أسد - رحمه الله -، وأطلق صرخة مدوية يخاطب بها المسلمين قائلاً: "يجب علينا أن نضع النصر داخلنا، وأن نعيد ثقتنا بميراثنا الثقافي، والحضاري، وأن نثبت

^١ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ١٦٨.

^٢ المرجع السابق، ص ١٧٠.

^٣ المرجع السابق، نفسه.

للعالم كله (المسلمين وغير المسلمين)، بأن النظام الاجتماعي، والسياسي في الإسلام يستهدف المساواة، والعدل، وأن الدولة الإسلامية تعمل في ظل الاعتبارات الأخلاقية المستمدة من العقيدة الإسلامية، وأن الشريعة الإسلامية ليست مقصورة على ما تحويه بطون كتب الفقه، وخطب الجمعة فحسب، ولكنها منهاج حي يدفع بموكب الحياة البشرية إلى الأمام، منهاج قابل للتطبيق في كل العصور، والظروف، منهاج لا يعوق تطورنا الاجتماعي، بل بالعكس يساعدنا على التطور، هذا إذا كنا نرغب حقاً في العمل من أجل رفعة الإسلام، ولا شيء غير الإسلام¹.

وفي ضوء ما سبق، نستنتج أن محمد أسد - رحمه الله - صاحب فكرٍ تقدمي يعبر عن نفسه بقوة، فهو يرفض التوقع ضمن قوالب فكر المتقدمين الجاهز، ولا يتنكر للثوابت التي تحدد خصوصية الأمة، (بمعنى) أن ما أبدعه الأجداد من قوانين، ونظم، ومقولات لا تلزمننا إلّا بالقدر الذي تستطيع فيه أن تساعدنا على مواجهة معطيات زماننا، وبيئتنا، وفي رأيه أن للأسلاف ظروفهم، وزمانهم، ومشكلاتهم، وقد أحسنوا، وأجادوا - رحمهم الله - في استنباط الأحكام الشرعية التي واجهوا بها ظروفهم، ومشكلاتهم، ولنا نحن ظروفنا، وزماننا، ومشكلاتنا، وعلينا أن نقتدي بهم فنستنبط من أصولنا قوانيننا التي نواجه بها مستجدات عصرنا.

لقد كان - رحمه الله - أحد الذين فتح الله عليهم، ففهم الدرس بأسلوبٍ جديد، ومنهجٍ غير مألوف، فاجتهد في عرض الحقائق الثابتة لنظام الإسلام في الحكم، ثم حصرها في قالبٍ يتناسب مع متطلبات العصر، هذا مع احترامه، وتقديره لمجهود سلفنا الصالح - رحمهم الله -، فلا شك أن آراءهم، واجتهاداتهم هي القاعدة الأساسية، والمنطلق لكل عالم، ومفكرٍ معاصرٍ، فالحقائق ثابتة، ومحفوظة بثبوت القرآن الكريم، والسنة النبوية، إلّا أن طريقة الفهم، والعرض قد تختلف من زمنٍ إلى آخر، ومن شخصٍ إلى آخر، بغية أن تلائم من تُوجّه إليهم.

ولا نجد إلّا أن محمد أسد - رحمه الله - بادر في توضيح مفهوم الحكم في الإسلام، والتنظيم الدستوري للدولة الإسلامية، ليكون دليلاً للمسلمين في معالجة قضاياهم السياسية، بعد أن دفعه الحزن، والألم وهو يرى الصراع الدامي من أجل الوصول إلى الحكم يمزق وحدة الشعب المسلم، ويصل إلى درجة الحروب الأهلية في بعض الأقطار، وهو يعلم أن نظام الحكم في الإسلام لو كان واضحاً لما عانى

¹ منهاج الإسلام في الحكم، مرجع سابق، ص ١٧٢-١٧٣.

المسلمون من الخلاف الذي أعاق تقدمهم، ومهضتهم، فولج - رحمه الله - بعقليته الثاقبة، وخلفيته الثقافية المتنوعة، وجرأته النادرة إلى ساحة الفكر السياسي الإسلامي مجتهداً، ومحللاً، وكاتباً، ومحاضراً، حتى خرج لنا بذلك النموذج الفريد للدولة الإسلامية، فيا ليت المسلمين اليوم يعيدون قراءة أفكاره، ورؤيته؛ لعلهم يتحررون من ولائهم، وقناعتهم، ويدركون فداحة أخطائهم بخروجهم على حكامهم، وتكفيرهم لهم، وسلهم السلاح في وجوه بعضهم البعض، زعماء منهم بأنه البحث عن الديمقراطية، والحقوق، والحرية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الفصل الثالث

آراؤه الفكرية بين المؤيدين والمعارضين

وفيه مبحثين:

المبحث الأول: آراء المؤيدين لفكر محمد أسد

المبحث الثاني: آراء المعارضين لفكر محمد أسد

المبحث الأول

آراء المؤيدين لفكر محمد أسد وثقافته

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: المؤيدون لفكره من العلماء المسلمين

المطلب الثاني: المؤيدون لفكره من المستشرقين المسلمين

المطلب الأول

المؤيدون لفكره من العلماء المسلمين

من المعلوم أن الاحتكاك الذي حدث بين العالم الإسلامي، والعالم الغربي في العصر الحديث عن طريق احتلال جزء كبير من أراضي المسلمين، وفرض سياسة قمعية تسلطية على الشعوب الإسلامية، ووقوعها في براثن الاستعمار الغربي حقبة من الزمن، أدّى إلى هزيمة المسلمين النفسية، والفكرية، والثقافية على أيدي أعدائهم، وأضعف ثقتهم بأنفسهم، واعتزازهم بدينهم، فانبرى المفكرون والعلماء - رحمهم الله - للدفاع عن الإسلام، ومحاولة إعادة الثقة في نفوس المسلمين، وشحذ همهم ضد المستعمرين، فذهب البعض إلى الالتزام بصيغة دفاعية واعتذارية، والبعض الآخر التزم صيغة نقدية هجومية، ركزت في أدبياتها على تفوق الإسلام، وخواء الحضارة الغربية من الناحية الروحية.

وفي السياق المعادي، والمهاجم للأفكار الغربية، ظهر دور محمد أسد - رحمه الله - حيث كان أحد الأعلام البارزين في كوكبة المفكرين المهتمين الذين اعتنقوا الإسلام، وأخلصوا الجهاد في سبيله ونصرة قضاياه في بلاد الغرب.

ف نجد الإمام أبا الحسن الندوي - رحمه الله - يثني عليه في دفاعه عن الإسلام، وانتقاده للحضارة الغربية، قائلاً: "ومما يبعث العجب ويدل على قوة الإسلام وإعجازه، وقدرته على الغزو العلمي، أن رجلاً حديث العهد بالإسلام وضع كتابين باللغة الإنجليزية هما أحسن الكتب التي تبعث الإيمان، وتشحذ الروح، وتغذي القلب، وتفيض بروح الثقة والاعتذار، أعني محمد أسد الذي كان يتسمّى قبل أن يتشرف بالإسلام (ليوبولد فايس) وهو ألماني ينحدر من سلالة يهودية، وقد أنار كتابه الأول (الإسلام على مفترق الطرق) اليقظة الفكرية وروح الثقة واليقين عبر العالم الإسلامي، لا عبر آسيا فحسب، فلا نعلم كاتباً ولا كتاباً منذ عهد بعيد يدافع عن السنة النبوية، والحضارة الإسلامية هذا الدفاع القوي، الذي يقوم به هذا الكتاب"¹.

ويقول أيضاً - رحمه الله - : "كان الأستاذ محمد أسد - رحمه الله - من أعيان هذا القرن، وأعلامه، وكانت كتبه من مصادر الفكر الإسلامي، وفي حياته دروسٌ وعبرٌ وضياءٌ... ولقد تأثرت جدا بقراءة كتاب (الطريق إلى مكة) ... ولا يسعني إلا أن أعترف بقدره المؤلف على التصور النفسي، ودقة رأيه وحكمته، وأسلوبه الدعوي، فقد عرض دعوة الإسلام بأسلوب حكيم بطريق أصبح هذا الكتاب وسيلة لشرح الإسلام، ومنهجه للحياة والثقافة الإسلامية لغير المسلمين في الهند وللغربيين... ويؤسفني أن الصحافة العربية والإنجليزية، والإسلامية، لم تُقدر جهوده حق قدره، ولم تطلع العالم على نتائج بحوثه

¹ مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين، مرجع سابق، ص ٤٨-٤٩.

العلمية الأخيرة، ولم تسلط من الأضواء على حياته كما كان يليق به، إلى أن لَبَّى نداء ربه... رحمهُ اللهُ رحمةً واسعةً وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء"^١.

ويؤكد مالك بن نبي ما ذهب إليه الإمام أبي الحسن الندوي - رحمهما اللهُ - فيصف مؤلفات محمد أسد - رحمهُ اللهُ - بأنها عظيمة النفع والفائدة رغم ماورد حولها من جدل^٢.

ومن المؤيدين أيضاً لفكره - رحمهُ اللهُ - د. أحمد عبد الرحمن، إذ يقول: "يعتبر محمد أسد مثلاً فريداً للمسلم الحقّ والفكر الصادق الذي كرّس فكره وعمله لله تعالى، وهو بهذه الخصال الرائعة قوةً تربويةً هائلةً قادرةً على جذب ملايين الشاردين من الشباب إلى مظلة الإسلام الوارفة"^٣. ويضيف في موضع آخر: "إنه لمن المؤسف أن تخلو مكاتبنا القومية والوطنية من مؤلفات محمد أسد"^٤.

ويتفق د. نجاح الغنيمي^٥ مع د. أحمد عبد الرحمن، فيما ذكره من أن تجربة المفكر محمد أسد - رحمهُ اللهُ - وفكره، يعدان طريقاً ونبراساً لهداية شبابنا الحائر الغارق في مظاهر الحضارة الغربية، فيقول: "إن فكر محمد أسد، يمثل تجربةً فريدةً في عالم الوجدان والروح والعقل، ينبغي أن يعيها أبناء الإسلام جميعاً خاصةً من يطلق عليهم محمد أسد اسم (المتنورين) وهم الذين تشربوا تراث الغرب فكراً وروحاً فزهدوا في تراثهم الإسلاميّ الأصيل على غير أساس"^٦.

لقد وجدت أفكار محمد أسد - رحمهُ اللهُ - وآراؤه الطريق إلى عقول الكثيرين من الكتاب، والمفكرين فتأثروا بها، ولقد ظهر ذلك من خلال أقلامهم، وكتاباتهم، حيث أننا وجدنا أثناء القراءة، والبحث اقتباسات عديدة، ومطولة لآراء محمد أسد - رحمهُ اللهُ - في العديد من الكتب، والمقالات الصحفية، ولاسيما فيما يتعلق بآرائه عن الحضارة الغربية وآفاقها، والسنة النبوية الشريفة، ونظام الحكم في الإسلام، وفي هذا يقول د. نجاح الغنيمي: "لا أحد منا نحن الدارسين المتخصصين في الفكر الإسلاميّ المعاصر يمكن أن ينكر أهمية فكر محمد أسد عموماً، وآرائه في الجانب الدينيّ بصفة خاصة، وما يتصل منها بالحضارات بصفةٍ أخص... وعلى الباحثين المتخصصين الذين يؤرخون للفكر الإسلاميّ المعاصر أن

^١ الفكر الإسلامي المهندي البارز محمد أسد، مرجع سابق، ص ٩٣-٩٦.

^٢ الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مالك بن نبي، دمشق: دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٥٧.

^٣ جاذبية الإسلام الروحية، مرجع سابق، ص ٤٣.

^٤ المرجع السابق، ص ٣٨.

^٥ نجاح محمود الغنيمي: أستاذ العقيدة والفلسفة في جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية. ينظر: الموقع الرسمي لجامعة الأزهر، متوفر على شبكة المعلومات العالمية www.azher.edu.eg/، تاريخ الدخول: ١١/٠٢/١٤٣٤هـ.

^٦ محمد أسد ودوره في الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، تمهيد المؤلف.

يعيدوا ترتيب أوراقهم، بحيث يوضع محمد أسد في دوره اللائق به بين الشخصيات الكبرى في الفكر الإسلامي المعاصر".¹

في حين يرى الأستاذ إبراهيم البليهي أن لمحمد أسد - رحمه الله - مكانة خاصة وحميمة في نفسه، منذ أن تعرف عليه عن طريق مؤلفاته، حيث مثلت مؤلفاته - رحمه الله - مرحلة هامة من مراحل تأهيله الذاتي، فكان كلما تقدم إلى مستوى تعليمي، أو مرحلة عمرية جديدة ينتقل مع محمد أسد - رحمه الله - من خلال مؤلفاته إلى مستوى جديد من القراءة، والبحث، والتأمل، وإلى وقته هذا يصف عودته لمؤلفات محمد أسد - رحمه الله - بأنها ممتعة، ومفيدة، ومبهجة، ومن شدة إعجابه بشخصية محمد أسد - رحمه الله - جعله أحد شواهد نظريته عن عبقرية الاهتمام التلقائي.²

ومع هذا نجد أن الأستاذ البليهي لم يغمض عينيه عما رآه سلبياً في آراء محمد أسد - رحمه الله - فهو يختلف معه في رفضه الشديد للثقافة الغربية، وإعجابه المفرط بالعرب، فله رأي مخالف حول تأثير محمد أسد - رحمه الله - على الفكر الإسلامي المعاصر، حيث يرى أن تأثير محمد أسد على الاتجاهات الإسلامية المعاصرة تأثير شديد ولكنه عكس ما أراد - رحمه الله - مما جعله تأثيراً ضاراً بل مدمراً بدلاً من أن يكون نافعاً؛ لأننا نحن المسلمين نترجمنا على الرؤية الأحادية التي تجمعنا إما أن نقبل الشيء كله، أو نرفضه كله، فلم نتعود على مبدأ الترجيح، ولا على اجتماع المزايا والنقائص في الشيء الواحد، فما دام محمد أسد وهو غربي الثقافة، والنشأة قد انتقد الثقافة الغربية بهذه القوة، فإن هذا شاهد كاف على أنها شرٌّ محض، وبسبب هذه الرؤية العوراء ارتبط بفكره خطأً موقف المسلمين الراض للثقافة الغربية، والمعادي لكل ما هو غربي، كما ارتبط به دعاوى الكمال الثقافي، والاكتفاء الذاتي، وما نتج عن هذه الدعاوى، والأوهام من انغلاقٍ مطلق، ورفضٍ عنيدٍ وصارمٍ لمعطيات الثقافة الإنسانية النامية، مما أربك حياة المسلمين وجعلهم يعيشون في هذا العصر الصاخب خارج حركة التاريخ.³

وعليه فقد دعا الأستاذ البليهي إلى ضرورة إعادة النظر في فكر محمد أسد - رحمه الله - وأهمية التعرف على الأسباب التي دفعته في ذلك الوقت إلى تبني الهجوم على ثقافة الغرب، علماً بأن تركيزه على نقائص الثقافة الغربية لا يعني أنه ينكر مزاياها العظيمة...، وإنما كان - رحمه الله - منحازاً إلى ذلك الموقف لأسبابٍ ظرفيةٍ زالت فيما بعد، ويمكن أن نوجزها فيما يلي⁴:

¹ محمد أسد ودوره في الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص 100-101.

² محمد أسد لم يتجاوز الثانوية، مرجع سابق.

³ المرجع السابق.

⁴ محمد أسد لم يتجاوز الثانوية (3)، إبراهيم البليهي، جريدة الرياض، العدد 13072، الأحد رجب 1426 هـ / 21/08/2005م.

١. أنه كان يفكر، ويكتب، وينشر في النصف الأول من القرن العشرين، حينما كانت البلاد الإسلامية تحت سلطة الاستعمار الغربي، وكان المسلمون يشعرون بالعجز والهوان أمام الثقافة المهيمنة، فكان لابد من إعادة الثقة بالنفس، وشحن العزائم حتى تتحرك وتقاوم الغزاة.

٢. أن الغرب كان يعلن الازدراء لثقافات الآخرين، ومنها ثقافة العرب، فكان رد فعل محمد أسد - رحمه الله - هو مواجهة الاستعلاء باستعلاء أشد.

٣. كان يرى - رحمه الله - أن الثقافة الغربية قد تلوثت بجنون الحريين العالميتين الأولى والثانية، وكانت تيارات الرفض والهدم في أوروبا تتصاعد، فكان يؤمن بأن الغرب مريض بتمجيد القوة المادية، والاستخفاف بالجانب الروحي.

٤. أنه كان يحده أمل عظيم بوحدة المسلمين، واتحادهم بعد تحررهم من الاستعمار، وأن يعيدوا مجد الإسلام، فالإسلام هو الحل لكل معضلات العالم.

٥. أنه كان شديد الاقتناع بوجود تغير نوعي بين الثقافة الغربية، والثقافة الإسلامية، وأنهما لابد أن يتكاملا لا أن يتمائلا، فالأولى ثقافة دنيوية محضة، والثانية ثقافة دينية.

٦. أن كتاباته صبغت بهذه الصبغة النافرة من الثقافة الأوروبية؛ لأنها جاءت رداً على تجارب التحديث في العالم الإسلامي خصوصاً تجربة كمال أتاتورك في تركيا، فقد استنكر - رحمه الله - على أتاتورك إسقاطه للخلافة، وتغريبه للمجتمع التركي، وتقليده للأفكار الغربية بما أسماها الإصلاحات.

وفي رأي مخالف لرأي البليهي، يرى كل من الإمام أبي الحسن الندوي، ود. مصطفى حلمي^١ بأن محمد أسد - رحمه الله - رسم من خلال فكره الخط العادل المترن الذي يجب أن يسير عليه العالم الإسلامي في الإفادة من الغرب، مع تبني الوسائل الحديثة، حيث أنه بذل ما في وسعه في ظروف تصاعدت فيها الأفكار، والنظريات، وتضاربت الميول بين الوقوف من الغرب موقف العداء والحذر، فلا اتصال، ولا تجارة، ولا اقتباس لأي من منتجاته، أو تعامل معه، مع إغلاق البلاد في وجهه، ومقاطعته؛

^١ مصطفى حلمي: ولد عام ١٩٣٢م، أستاذ الفلسفة الذي يمكن أن يُعد صاحب أهم الدراسات الفلسفية عن السلفية في العالم العربي، حصل على درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة الإسكندرية عام ١٩٧١م، وكانت عن موقف المدرسة السلفية من التصوف منذ بدايته حتى العصر الحديث، عمل أستاذاً أكاديمياً بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، كما عمل أستاذاً للفلسفة الإسلامية في العديد من الجامعات العربية، وله العديد من المؤلفات.

ينظر: الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة، متوفر على شبكة المعلومات العالمية <http://shamela.ws>، تاريخ الدخول ١٤٣٤/١١/٠٢ هـ

حتى لا يتسرب أثره السام إلى المسلمين، وبين المحددين الذاهبين إلى اقتباس الحضارة الغربية بحذافيرها بلا تحوير، أو تعديل، أو انتقاء حتى إذا دخلت جحر ضب دخلوا بعدهم^١.

ومما أثار دهشة وعجب د. مصطفى حلمي أنه كيف لهذا الرجل اليهودي الأوروبي أن يتبنى الإسلام، ويجعله هدفاً له طوال حياته، ويكرس جهوده في الدفاع عنه، والدعوة إليه، ونصرة قضاياه بكل ما أوتي من قوة في أروع صور التفاني والإخلاص، رغم العراقيل، والضغط التي واجهها لمن يناصب له ولدينه العداء، بل إنه جعل من حياته وفكره مشروعاً حضارياً للنهوض بالإسلام، والعودة بالمسلمين إلى حقيقة ثقافتهم الإسلامية، مما جعل صدى كلماته، ووقعها مازال مديواً في آذان الكثير من المسلمين، ومؤثراً في نفوسهم، ومازال يلقي قبولاً وترحيباً في ساحة الفكر الإسلامي، وكأنه يقرأ واقعا المعاصر اليوم، فنجدته يقول: "... أردنا لفت النظر إلى وجه العجب في صيحةٍ مخلصيةٍ من بين صيحاتٍ أخرى نادت... بأن نولي وجهنا شطر الغرب بينما جاءنا من هناك في رحلةٍ عكسيةٍ رافعاً صوته يحذرنا من الانبهار بحضارة قومه، ... ومن هنا تكسب آراؤه مغزىً خاصاً، فتجعلنا نصيح نصح المدوية كالنذير، والتي لم تفقد قوتها بعد نصف قرنٍ أو يزيد^٢.

ويقول أيضاً: "لقد ساهم محمد أسد بعد إسلامه بجهودٍ لا تُنكرُ في مجال التأليف وميدان الفكر ... فأصبح حجّةً أمام المتجهين إلى الغرب والمنادين باقتفاء أثره، ومازالت صيحته قائمةً، وصداهها يدوي في آذاننا فهل من مجيب؟"^٣.

وفي هذا يقول د. محمد عدس: "إنَّ محمد أسد يمثل تركيبةً فريدةً بذكائه الخارق وفهمه للإسلام ودفاعه عنه، وبجهوده المتصلة وإخلاصه لفكرة البعث الإسلامي"^٤.

ويضيف الدكتور حسين يوسف قوله: "بأنَّ حياة محمد أسد في منتهى الخصوبة والثراء، كما كانت جهوده الدعوية متعددة الأبعاد والاتجاهات، فقد استطاع أن يؤثر بأفكاره النيرة في جميع أرجاء العالم الإسلامي، فدعا المسلمين إلى التمسك بحقيقة الدين الإسلامي، والرجوع إلى الكتاب والسنة، كما دعا إلى عدم تقليد المدنية الأوربية الحديثة تقليداً أعمى، كما دعا إلى مقاومة التدخل الأجنبي والحكم الاستبدادي، وطالب بإشراك الشعب في الحكم. وكان أثره العملي لا يقلُّ عن أثره السياسي، فكان أشبه بمدروسةٍ متنقلةٍ وكانت مؤلفاته تتميز بسعة الأفق والتحرر من قيود التقليد"^٥.

^١ ينظر: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، لبنان: دار الندوة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ٢٢٨.

-صيحة مسلم قادم من الغرب إسلام محمد أسد، مرجع سابق، ص ٦٨.

^٢ صيحة مسلم قادم من الغرب، مرجع سابق، ص ٢٩.

^٣ المرجع السابق، ص ٦٩.

^٤ محمد أسد سيرة عقل يبحث عن الإيمان، مرجع سابق، ص ١٨.

^٥ المفكر الإسلامي محمد أسد (ليوبولد فايس) وجهوده في الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص و.

ويؤكد صديقه الأستاذ عبد العزيز الرفاعي في أحد مقالاته: "إن هذا الرجل يعدُّ معلماً بارزاً من معالم هذا العصر، لم يأخذ حقّه من الذكر والإنصاف والإشادة، وليس من السهل أن يُكتب عنه في مقالٍ عابرٍ كهذا فما أجدر المحافل الأدبية أن تهتمَّ بدراسة حياته وآثاره وأن تكون هناك بحوثٌ مطوّلةٌ في ذلك"^١.

ونخلص إلى أنه - رحمه الله - استطاع أن يتصدى للحضارة الغربية من خلال مؤلفاته، ومحاضراته، فكان انتقاده للحضارة الغربية، وأسسها، ومناهج تفكيرها من أفضل ما كتب عن طبيعة الحضارة المادية في الغرب، والإنسان العصريّ، ولا أجد أنه كان ذا موقفٍ متشددٍ من الحضارة الغربية، بل استطاع - رحمه الله - أن يقف موقفاً طبيعياً منها، فميز بين الحقِّ والباطل، والنافع والضارّ، وحثَّ المسلمين على الانتفاع من التقدم العلميّ، والتقنيّ، الذي وصلت إليه الحضارة الغربية، مع تحذيره المتكرر من تقليد مظاهر الانحطاط الخلقيّ، والضياع الروحيّ، وانحلال المثل الإنسانية العليا، والانسلاخ من الدين كما في تلك الحضارة الغربية المادية.

ولقد كان موقفه من الحضارة الغربية سبباً في رضا الكتاب، والمفكرين وإعجابهم بفكره، وحتى الذين كان لهم موقفٌ معارضٌ لآرائه - رحمه الله - فقد أظهروا استحساناً مقبولاً للقضايا التي عرضها في كتابه (الإسلام على مفترق الطرق)، ولاسيّما موقفه من الحضارة الغربية، ودفاعه عن السنة النبوية، ومن ذلك ما قاله بسطامي سعيداً وهو أحد المعارضين لفكره: "يبدو فكر المؤلف ناصعاً، ورؤيته واضحة، وبخاصةً لمعايب الحضارة الغربية ولأخطار تقليدها على المسلمين، ولمزايا الإسلام عليها ولأهمية التمسك بأسسه وأصوله الكتاب والسنة، ولما كان المؤلف من أبناء الغرب وأهله أحدث نقضه للحضارة الغربية، وشهادته للإسلام بغضّ النظر عن قيمة محتواه، تأثيراً قوياً ولاقي رواجاً وإعجاباً"^٢.

كما أنه - رحمه الله - كان يرى أن منهج الإسلام في الحكم هو البديل السياسيّ، والحلُّ الأمثل الذي سيحقق التوافق بين عمل الدولة، والشعب، عن طريق دعاميّ الدين والأخلاق، والحقُّ أنّها دعوةٌ فكريةٌ ثقافيةٌ مستقلةٌ، ومبدعةٌ بإمكانها أن تخرج العالم الإسلاميّ من دائرة التبعية، والتقليد إلى دائرة النهوض، والإبداع، والاستقلال.

^١ أيام حزينة (١) النمساوي المسلم محمد أسد، مرجع سابق، ص ٥٩.

^٢ بسطامي محمد سعيد: ولد عام ١٩٤٥م، مفكر وعالم دين، وداعية، وكتاب سوداني، المدير السابق لمركز الدراسات الإسلامية بجامعة برمتجهام، وحصل على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من جامعة أدنبرة.

ينظر: ويكيديا الموسوعة الحرة، متوفر على شبكة المعلومات العالمية: ar.wikipedia.org/، تاريخ الدخول: ١٤٣٤/١١/٠٢ هـ.

^٣ مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد، ط١، الكويت: دار الدعوة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ١٥٤.

المطلب الثاني

المؤيدون لفكره من المستشرقين المسلمين

إن المستشرقين المسلمين لم يذهبوا في آرائهم عن محمد أسد - رحمه الله - وفكره بعيداً عما ذهب إليه العلماء المسلمين، فنجدهم يتفقون حول جهوده في الدفاع عن الإسلام والدعوة إليه، ونظرتهم للحضارة الغربية.

فيقول د. نصرت إيسانوفيتس^١: "لم يكن محمد أسد عالماً ومفكراً فحسب، بل كان ظاهرةً فكريةً فذةً ومميزةً شهدتها العالم الإسلامي في القرن الماضي... وقد أثرى الحياة الفكرية بعد اعتناقه للإسلام حيث أسهمت أفكاره المتنورة في طرح الكثير من الأفكار الإسلامية من خلال آفاق جديدة، وتميز فكر محمد أسد بالعمق الشديد في فهم الحضارة الغربية التي كان جزءاً منها، وكذلك للديانة اليهودية التي كان يعتنقها قبل إسلامه، وأيضاً معرفته بالديانة المسيحية حيث خالط أهلها منذ مولده وخلال نشأته، وبنفس العمق كان فهمه وإدراكه للحضارة الإسلامية التي وثق في إمكاناتها وأخلص لها منذ إسلامه وحتى وفاته"^٢.

هذا ولقد كان لفكر محمد أسد - رحمه الله - ومؤلفاته أثرٌ على غير المسلمين، في إثبات روعة الإسلام، وسلطانه الساحر العذب الجذاب، وأصوله الثابتة، وحيثه البالغة، فاستطاع - رحمه الله - أن يجذب إليه القلوب والمشاعر، وبفضل من الله وتوفيقه كان سبباً في إسلام البعض، وتوضيح مغاليق الطريق أمام البعض الآخر، فهذه الكاتبة مريم جميلة^٣ تقول: "محمد أسد أشهر معتنق للإسلام، وأكثر الأوربيين تأثيراً، ولقد كان كتاب (الطريق إلى مكة) بمثابة إلهامٍ لاعتناقي الإسلام، كما كان كتاب (الإسلام على مفترق الطرق) عنصراً فعالاً في توجيه أفكاره وتحديد مستقبله الأديبي فموضوعه فريداً وكان له تأثيرٌ كبيرٌ على العلماء والمفكرين حول العالم"^٤.

^١ عميد الأكاديمية الإسلامية للتربية في زينتسا بالبوسنة.

ينظر: الإسلام والغرب رؤية محمد أسد، مرجع سابق، ص ١١.

^٢ المرجع السابق، ص ٧.

^٣ مريم جميلة [مارغيت ماركوس] [١٩٣٤م/٢٠١٢م]: ولدت مريم جميلة في بيت يهودي ألماني الأصل مقيم بنيو يورك، واسمها مارغيت ماركوس، وتسمت بعد إسلامها مريم جميلة، التحقت للتعليم في مدرسة يهودية اسمها (Sunday School) ثم التحقت بكل من كلية البحث بواشنطن، وجامعة نيو يورك، درست اليهودية، والمسيحية، والبهائية، ومبادئ الأخلاق، ثم درست القرآن الكريم، وكتبا عن الإسلام، وقرأت كتاب محمد أسد (الطريق إلى مكة)، ثم في عام ١٩٦١م أسلمت، وانتقلت للعيش في باكستان بدعوة من الإمام المودودي، تزوجت السيد يوسف خان أحد أعضاء الجماعة الإسلامية، وأنجبت أربعة أولاد، ألفت ثمانية وثلاثين كتاباً ترجمت بعضها إلى العربية، والأردية، والملاييزية، والإنجليزية، توفيت في لاهور إثر نوبة قلبية عن عمر يناهز ٨١ سنة، رحمه الله.

ينظر: الداعية والكاتبة المفكرة الإسلامية المهتدية (مريم جميلة) رحمه الله، مجلة الداعي الشهرية، دار العلوم ديونيد، العدد ٣، السنة ٣٧، ربيع الأول

١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، متوفرة على شبكة المعلومات العالمية: darululoom-debond.com/magazine تاريخ الدحول:

١٤٣٤هـ/٠٤/٠٤

كما يلاحظ تأثر د. مراد هوفمان بفكر محمد أسد - رحمه الله - حين ألف كتاباً أسماه (الطريق إلى مكة) أسوةً بكتاب صديقه محمد أسد - رحمه الله - ، وكان كثيراً ما يكرر اسمه، ويثني عليه من خلال محاضراته، وكتاباته، ومقالاته، ومن هذا قوله: "باستطاعتنا أن نؤكد أنه لم يستطع شخصٌ ما خلال المائة سنة الماضية أن يساهم في نشر الإسلام والدعوة إليه في الغرب أكثر مما فعله النمساويُّ محمد أسد، ... ولم يكن أثره هذا فقط بسبب الاحترام الذي قدمه الناس لحكمته البليغة ولسعة معرفته واطلاعه الواسع، بل لمؤهلاته الأخلاقية كذلك، ... لقد أصبحت كتب محمد أسد جميعها وبلا استثناء من الكتب التقليدية الهامة، كلٌّ في مجاله، ففي كتاب (الإسلام على مفترق الطرق) ...، ساهم محمد أسد في استرداد العزة والكرامة والاعتزاز بالذات للعالم الإسلامي الذي قدم الاعتذار تلو الاعتذار بسبب فقدته للثقة بنفسه تحت الهجوم الضاري للتفوق التقني الغربي، وقد كتب محمد أسد ما يلي في الهند قبل أكثر من خمسين سنةً بعد نظريٍّ مدهشٍ "من المحتمل أن الاضطراب الاجتماعي والاقتصادي المتناميين، وكذلك سلسلةً جديدةً من الحروب العالمية، لا تُعرفُ أبعادها حتى ذلك الحين، وكذلك الإرهاب العلمي، ستؤدي جميعها إلى خداع الذات المادي للحضارة الغربية بطريقةٍ شنيعةٍ ومخيفةٍ وسخيفةٍ ومنافيةٍ للعقل، تدعو أهل تلك الحضارة أن يبدووا من جديدٍ بتواضعٍ وصدقٍ في الطلب، والبحث عن الحقائق الروحية ويتوافق هذا عندئذٍ مع الدعوة الموفقة الناجحة إلى الإسلام التي يمكن أن تصبح أمراً ممكناً وواقعاً ملموساً"^١.

ويؤيد د. محمد عدس ما ذكره هوفمان فيقول: " وهو من هؤلاء جميعاً - يقصد الغربيين الذين تحرّوا فهم الإسلام وعرضه على العقل الغربي - أكثرهم نجاحاً في تواصله وحواراته سواءً مع المسلمين أو غير المسلمين وفي قدرته على عرض حقائق الإسلام في سياقها التاريخي العابر للأزمان"^٢.

ونخلص إلى أن محمد أسد - رحمه الله - واحدٌ من أولئك المفكرين الذين أدركوا الخطر المحيط بعالم الإسلام، فتوجه - رحمه الله - وجهته التي ظلَّ عليها، وهي الدفاع عن الإسلام ضدَّ أعدائه المتربصين به الدوائر، واهتمَّ بكلِّ ما يعيد لأمة الإسلام مجدها، وعزتها، وحضارتها، عبر رحلةٍ عمرٍ تجاوزت الستين عاماً.

ولقد تميزت آراؤه ، وأفكاره - رحمه الله - بالمتانة، والقوة؛ نظراً لصلته المباشرة بواقع حياة المسلمين في العالم الإسلامي المعاصر، ولتعبيره عن مشاكلهم، وهمومهم، وعن آمالهم، وتطلعاتهم، بل إنَّه كان كثيراً ما يعبر عن ألمه من حال المسلمين، وبعدهم عن دينهم، ورسالتهم، ويبين لهم أن الانتصار لن يتحقق إلَّا بالعودة إلى دينهم العظيم.

^١ الرحلة إلى الإسلام يوميات دبلوماسي مسلم ألماني، مرجع سابق، ص ٦٧-٦٨.

^٢ محمد أسد سيرة عقل يبحث عن الإيمان، مرجع سابق، ص ١٩.

وعليه فإنَّ منهجه، وأسلوبه في الكتابة، والبحث كان على مستوى رفيع من الحقيقة مما جذب إليه العديد من القراء في العالم العربيّ، والإسلاميّ.

فقد كان - رحمه الله - شخصيةً قويّةً، ومميّزةً في أفكاره، وثقافته الواسعة، مما يؤكد الأهمية إلى مزيدٍ من البحث، والاهتمام، والدراسة؛ لبيان الصحيح من السقيم في كتاباته المنتشرة.

المبحث الثاني

آراء المعارضين لفكر محمد أسد وثقافته

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: الانحرافات الفكرية لآراء محمد أسد

المطلب الثاني: المعارضون لفكر محمد أسد

المطلب الأول

الانحرافات الفكرية لآراء محمد أسد

أولاً - تأثيره بالثقافة الغربية:

لقد ظهر تأثير محمد أسد بالثقافة الغربية، وما تحمله من ألفاظ، ومفاهيم دينية قد تكون ذات أصول يهودية، أو نصرانية في العديد من المواضيع أثناء ترجمته لمعاني القرآن الكريم، وصحيح البخاري، فعلى سبيل المثال نجد أنه أثر استخدام كلمة (God) بدلاً من كلمة (Allah) (الله) في كل موضع ذكر فيه اسم الله تبارك وتعالى، ففي ترجمته للآية الأولى من سورة الفاتحة يقول: " All Praise Is due to God alone, the Sustainer of all the worlds".¹

وهكذا فعل في كامل الترجمتين، رغم أن لفظ (الله) اسم علم، وأسماء الأعلام لا تتغير باختلاف اللغات، والترجمات.

كما أطلقت كلمة (Fallen Angel) على ترجمته للفظ (إبليس) في أكثر من موضع²، وهذه الكلمة تعني عند معظم الطوائف المسيحية بالملاك الساقط، أو الملاك الهابط الذي تم معاقبته ونفيه من الجنة³، وهو ذات المفهوم المتعارف عليه في الثقافة الغربية.

ومن ذلك أنه سمي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم الواردة في الإنجيل والتوراة، ولم يطلق عليهم اللفظ العربي لأسمائهم كما جاء في القرآن الكريم، ويدل على ذلك ترجمته لقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ⁴ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ⁵ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ⁶ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ⁷ كُلًّا هَدَيْنَا⁸ وَنُوحًا هَدَيْنَا⁹ مِنْ قَبْلُ¹⁰ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ¹¹ وَسُلَيْمَانَ¹² وَأَيُّوبَ¹³ وَيُوسُفَ¹⁴ وَمُوسَى¹⁵ وَهَارُونَ¹⁶ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ¹⁷ وَزَكَرِيَّا¹⁸ وَيَحْيَى¹⁹ وَعِيسَى²⁰ وَإِلْيَاسَ²¹ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ²² وَإِسْمَاعِيلَ²³ وَإِسْحَاقَ²⁴ وَيُوسُفَ²⁵ وَلُوطًا²⁶ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ²⁷ ﴿²⁸ ، فأطلق على اسم إبراهيم (Abraham)، وإسحاق (Isaac)،

1.The Message of Quran, Op. cit. P.P(5,12,13,.... Etc).

- Sahih AL-Bukhari – The Early Years of Islam, Op. cit. P.P (3,4,5,.... Etc).

2.The Message of Quran, Op. cit. P.P 5.

3.Ibid, P.P. 16, 232.

4.The Fall of the Rebellious Angels , [Internet] Retrieved Nov, 20, 2012 from The World Wide Web

(URLs): www.vatican.va/holy_father/john_paul_ii/audiences/alpha/aud19680813en.html

²⁸ سورة الأنعام، الآيات: ٨٣-٨٦.

ويعقوب (Jacob)، وداوود (David)، وسليمان (Solomon)، ويوسف (Joseph)، وموسى (Moses)، وهارون (Aaron)، وزكريا (Zachariah)، ويحيى (John)، وعيسى (Jesus)، وإلياس (Elijah)، وإسماعيل (Ishmael)، واليسع (Elisha)، ويونس (Jonah)، ولوط (Lot).^١

وعلى هذا المنهج سار محمد أسد في هجره لبعض الألفاظ والأسماء العربية طوال ترجمته لمعاني القرآن الكريم، مستبدلاً إياها بالألفاظ اليهودية، فلماذا يهجر محمد أسد الألفاظ العربية إلى ما شاع عند اليهود، وفي الثقافة الغربية من ألفاظ؟! هل لأنه أراد بترجمته لمعاني القرآن الكريم مخاطبة العقل الغربي؟! أم لأنه كان متأثراً بثقافته الغربية، وجذوره اليهودية؟!!

لقد كان الأولى به أن يورد اللفظ العربي المذكور في القرآن الكريم كما هو، حتى يكون تأثيره أقوى في نفس القارئ، ومعناه أبلغ، كما كان باستطاعته أن يشرح معنى اللفظ العربي، وما يقاربه في الثقافة اليهودية في تعليقاته التي دونها بهامش الكتاب، لو أراد بذلك أن يقرب المعنى إلى أذهان الغرب بدلاً من أن يستخدم الألفاظ اليهودية كأساسٍ في صلب الترجمة.

ثانياً - آراؤه العقديّة:

لقد اعتمد محمد أسد على العقل وحده، وجعله الأصل في تفسيره لكثيرٍ من القضايا المتعلقة بالعقيدة، فأنكر حقائق أثبتتها القرآن الكريم، والسنة النبوية، والصحابة، والسلف الصالح رضوان الله عليهم، استناداً إلى العقل المجرد، وقام بتأويلها تأويلاً واسعاً، سائراً على خطى المتكلمين، والفرق الضالة المبتدعة كالمعتزلة في تقدم العقل على النقل، وجعله الحكم في مسائل الاعتقاد، وما تبع ذلك من عقائد فاسدة وشاذة.

ومن التأويلات الفاسدة التي ذهب إليها محمد أسد:

أ. موقفه من الصفات الإلهية:

١. صفة اليدين: قال محمد أسد في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ

جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾^٢، بأن المراد بصفة اليد هي القدرة، والمملك.^٣

1.The Massage of Quran, Op. cit. P.P211.

^٢ سورة الزمر، آية: ٦٧.

3.The Massage of Quran, Op. cit. P.P 807.

٢. صفة العينين: قال محمد أسد في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا

تُخْطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا^١ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾^١، وفي قوله تعالى: ﴿ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي

التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لَهُ^٢

وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مَنِيَّ وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي ﴿٣٨﴾^٢ المراد به لتقع الصنعة على علمي،

ويقول: لتصنع تحت رعايتنا^٣.

٣. صفة المجيء: قال محمد أسد في قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٣٩﴾^٤

وظهر جلال ربك وعظمته^٥.

وعلى هذا المنهج سار محمد أسد في سائر ترجمته لمعاني القرآن الكريم منكرًا لجميع الصفات الإلهية الذاتية، والفعلية، معتقدًا أن إثبات أية صفة من صفات المخلوقين للباري تعالى يلزم منه التشبيه بين الخالق والمخلوق، فأول آيات الصفات، وخالف منهج أهل السنة والجماعة في وجوب إثبات كل ما أثبتته الله تعالى لنفسه من الصفات، وما أثبتته له رسوله محمد ﷺ من غير تحريف، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، وذلك لقوله تعالى: ﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٣٨﴾^٦

ب. موقفه من الغيبات:

أما موقفه من الغيبات (الجنة، والنار، والملائكة، والجن) فقد اعتمد محمد أسد في تأويلها على مفهوم المحكم والمتشابه في قوله تعالى: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ ﴾^٧، لتقدم تفسير عصري للقرآن لا يتناقض كما يرى مع قوانين الطبيعة^٨، فهذه الآية من وجهة نظره كما ذكر الخطيب تمثل بمعناها الشامل مفتاحاً لفهم رسالة القرآن الكريم، وتجعله سهل المنال لكل من تفكر فيه،

^١ سورة هود، آية: ٣٧.

^٢ سورة طه، آية: ٣٩.

3.The Massage of Quran, Op. cit. P.P 358, 528, 932.

^٤ سورة الفجر، آية: ٢٢.

5.The Massage of Quran, Op. cit. P.P 1086.

^٥ سورة الشورى، آية: ١١.

^٦ سورة آل عمران: آية: ٧.

8.The Massage of Quran, Op. cit. P.P 80-81.

حيث أن رسالة القرآن مبنية على حقيقة مفادها أن المدركات الدينية الحقة التي نؤمن بها إنما فتح منها لإدراكاتنا الجزء القليل فقط، أما القسم الأكبر من الحقيقة فلا يستطيع الإنسان إدراكه كلياً، وبما أن العقل البشري لا يمكنه فهم شيء خارج عن مجال تجاربه، وملاحظاته، وموروثاته السابقة، لهذا فقد قربها الله تعالى إلى أذهاننا بتشبيها بما هو محسوس لدينا، فإن أردنا أن نفهم كل مقطع قرآني فهماً ظاهرياً حرفياً، وأن نبعد إمكانية المجاز فيه تمثيلاً أم تشبيهاً فإننا بذلك نطعن بروح الكتاب المقدس^١.

وهو ذات المنهج الذي سبقه إليه سيد خان^٢ رائد العصرانية في العصر الحديث، حيث يرى أن الآيات المحكمة هي الأساسية التي تشتمل على العقائد، والآيات المتشابهة هي الرمزية التي تقبل أكثر من تفسير واحد فهي تساير التطورات البشرية^٣، ومن هنا يلتقي فكر محمد أسد بسيد خان.

ووفق هذا المنهج فهو يقرر بأن وصف القرآن لنعيم الجنة - دائماً - هو وصف مجازي يصعب على المرء أن يتخيله بل يستحيل والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^٤.

وهو بذلك يعني أن وصف القرآن للجنة، والنار لا ينبغي أن يؤخذ على ظاهره، أو على أنه وصف لحقائق واقعية، بل هو مجرد تمثيل وتصوير^٥.

فعلى سبيل المثال، اتكاء أهل الجنة على فرش بطائنها من استبرق كما جاء في قوله تعالى: ﴿ مُتَكِينِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾^٦، معناه عنده الراحة التامة، والسلام الشامل لا أقل ولا أكثر^٧، والريحق المختوم المذكور في قوله تعالى: ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾^٨ مجرد إشارة رمزية لمشاعر

^١ دراسة نقدية لترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، مرجع سابق، ص ١١١-١١٢.

^٢ سيد أحمد خان بهادر (١٨١٧م/ ١٨٩٨م): السيد أحمد خان ابن السيد محمد متقي خان، من أسرة أرستقراطية نبيلة، ولد في ١٧ أكتوبر عام ١٨١٧م، وتوفي والده وهو في التاسعة عشرة من عمره بعد أن ثقفه ثقافة دينية على عادة أهل زمانه وبلده، التحق بخدمة الحكومة الإنجليزية أميناً للسجلات في القلم الجنائي في دلهي، ثم عين منصفاً (قاضياً مدنياً) في فاتح بور، ثم في بجنور، أنشأ جامعة عليكرة بعد عودته من إنجلترا، وأنشأ مجلة دورية سماها (تهديب الأخلاق) كانت منسراً لإذاعة أفكاره التعليمية والدينية التي غلب عليها الجنوح، والتطرف، ذهب في نظره إلى تفسير القرآن ويرى أن النظر الصحيح فيه يوجب الاعتماد على روحه أكثر من الاعتماد على حرفيته، وادعى أن الرحي كان بالمعنى لا باللفظ.

ينظر: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، ط ٤، بيروت: دار الكتاب العربية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٢١-١٣٨.

^٣ مفهوم تجديد الدين، مرجع سابق، ص ١٢٤.

^٤ سورة السجدة، آية: ١٧.

^٥ دراسة نقدية لترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، مرجع سابق، ص ١١٧.

^٦ مفهوم تجديد الدين، مرجع سابق، ص ١٥٦.

^٧ سورة الرحمن، آية: ٥٤.

^٨ سورة المطففين، آية: ٢٥.

البهجة الأخروية المركزة التي لا تخطر على قلب بشر^١، و(أنكال) سورة الزمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَجِيمًا﴾^٢ التي أعدها الله يوم القيامة لأهل الجحيم ليست سوى رمزٍ على بقاء النفس في العالم الآخر مقيدةً بمتعتها، وشهوتها الجسدية، ومن ثم لا يستطيع بلوغ عالم الروح والصفاء، .. وهكذا^٣.

كما أنه استخدم في ترجمته لمعاني القرآن الكريم، كلمات مختلفة في وصف الملائكة، فهو تارةً يصفهم بأنهم كائناتٌ روحيةٌ أو قوى روحيةٌ، وتارةً بأنهم قوى ملائكيةٌ، وتارةً بأنهم قوى سماويةٌ، وفي قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾^٤ يؤول أجنحة الملائكة ويراهما رمزاً يدل على السرعة، والقوة التي يتزل بها الوحي على الأنبياء^٥، وفي قوله تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿١٢﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿١٣﴾ لَوْ أَحَاطَ لِلْبَشَرِ ﴿١٤﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿١٥﴾﴾^٦، نجد أنه مازال يسير على نفس المنهج من الإسراف في التأويل، فيقول: (إن التسعة عشر) هي قوى الإدراك، وحواسه، والوظائف العضوية للجسم البشري، ومن ثم ترجمها على النحو التالي: "Over it are nineteen [powers]"^٧ أي: (عليها تسعة عشر قوة)، ثم علّق قائلاً إن هذه القوى التسعة عشرة قوى ملائكية؛ لأن الإنسان يميز بها الخير، والشر^٨.

ومن ذلك أنه يرى أن نزول الملائكة في معركة بدرٍ لقتال المشركين مع المؤمنين هو أمرٌ مجازيٌّ وروحيٌّ، فذكر عن تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمَّ تَرَوْهَا﴾^٩، أنه إنزالٌ لقواتٍ روحيةٍ،

1.The Massage of Quran, Op. cit. P. 1071.

—صفحات مطوية من التاريخ، مرجع سابق، ١٧١.

^٢ سورة الزمل، آية: ١٢.

3.The Massage of Quran, Op. cit. P. 1032.

4.Ibid, P. 46, 102, 294, 744, 749.

5.Ibid, P. 46, 818, 1000.

6.Ibid, P. 207.

^٧ سورة فاطر، آية: ١.

8.The Massage of Quran, Op. cit., P. 749.

^٩ سورة اللدر، الآيات: ٢٦-٣٠.

10.The Massage of Quran, Op. cit., P. 1038.

11.Ibid, P. 1038.

^{١٢} سورة التوبة، آية: ٢٦.

وَأَنَّ ذَلِكَ التَّأْيِيدُ رُوحِيٌّ فَقَطْ^١، ولما ترجم قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾^٢، قال: إِنَّ عَلَيْكُمْ قَوَاتٍ سَاهِرَةً دَائِمًا، ثم ذكر أَنَّ القُوَّةَ السَاهِرَةَ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ هُوَ ضَمِيرُهُ الَّذِي يَدُونُ نِيَاتِهِ، وَأَعْمَالَهُ فِي عَقْلِهِ الْبَاطِنِ^٣.

وفيما يتعلَّقُ بِالْجِنِّ فَلَقَدْ تَنَاوَلَ مُحَمَّدٌ أَسَدٌ فِي الْمَلْحَقِ الثَّلَاثِ مِنْ تَرْجَمَتِهِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَفْهُومَ الْجِنِّ لَدَيْهِ، وَأَنَّهُ لَا يَنْكُرُ وَجُودَهُمْ، إِلَّا أَنَّهُ يَرَى ضَرُورَةَ التَّجَرُّدِ مِنَ الْمَفْهُومِ الَّذِي ذَكَرَ فِي قِصَصِ الْعَرَبِ بِكَوْنِ الْجِنِّ مِنَ الْعَفَارِيثِ، أَوْ الشَّيَاطِينِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَفْهَمَ مَعْنَى كَلِمَةِ الْجِنِّ فِي الْقُرْآنِ^٤.

وإِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي تَرْجَمَتِهِ لِكَلِمَةِ (الْجِنِّ) يَرَى تَبَايُنَ آرَائِهِ فِيهَا، فَهُوَ تَارَةً يَرَاهَا قُوَى شَيْطَانِيَّةً^٥، وَأُخْرَى يَرَاهَا قُوَى مُتَمَرِّدَةً^٦، وَثَالِثَةً يَرَاهَا كَائِنَاتٍ غَيْرِ مَرْتَبِيَّةٍ^٧، إِلَى أَنْ ذَهَبَ إِلَى أْبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ حِينَ أَطْلَقَهَا عَلَى النَّاسِ الْغُرَبَاءِ^٨.

وَلَمْ يَكْتَفِ بِمَا سَبَقَ مِنْ تَفْسِيرَاتِ خَاطِئَةٍ لِمَعْنَى الْجِنِّ، بَلْ أَنَّهُ تَجَاوَزَ ذَلِكَ لِيَنْحَرِفَ انْحِرَافًا شَدِيدًا بِاعْتِقَادِهِ أَنَّ ذِكْرَ الْجِنِّ فِي بَعْضِ آيَاتِ الْقُرْآنِ يَرَادُ بِهِ اسْتِحْضَارُ بَعْضِ الْقِصَصِ الْخُرَافِيَّةِ الرَّاسِخَةِ فِي أُذْهَانِ النَّاسِ الَّذِينَ خَاطَبَهُمُ الْقُرْآنُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَأَنَّ الْمُدْفَعَ الرَّئِيسَ مِنْ ذِكْرِ تِلْكَ الْقِصَصِ الْخُرَافِيَّةِ هُوَ لَيْسَ الْقِصَّةُ نَفْسَهَا بَلْ إِظْهَارُ حَقِيقَةِ رُوحِيَّةٍ أَوْ أُخْلَاقِيَّةٍ، وَيُشِيرُ فِي هَذَا إِلَى قِصَّةِ سَيِّدِنَا سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَاسْلَيْمَنَّ الرِّيحَ غُدُوَهَا شَهْرًا وَرَوْاحُهَا شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾^٩.

لَقَدْ سَلَكَ مُحَمَّدٌ أَسَدٌ مَسْلَكًا فَاسِدًا بَاطِلًا فِي تَأْوِيلِهِ لِلْغَيْبِيَّاتِ، فَكُلُّ مَا ذَكَرَهُ مِنْ تَأْوِيلَاتٍ وَأَرَائٍ حَوْلَ الْغَيْبِيَّاتِ جَاءَ مُخَالَفًا لِنُصُوصِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَنْطُوقِهَا وَمَفْهُومِهَا، وَفِيهِ تَحْرِيفٌ لِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ مَعَانِيهِ الْمُرَادَةِ مِنْهُ، وَصَرَفٌ لَهُ عَنِ الْوَجْهِ الْمَخِيرِ عَنْهُ إِلَى وَجْهِ آخَرَ مِنْ غَيْرِ وَجُودِ دَاعٍ إِلَى ذَلِكَ، وَكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَعزِلٍ عَنْ هَذَا.

1.The Massage of Quran, Op. cit., P. 294.

^٢ سورة الانقطار، آية: ١٠.

3.The Massage of Quran, Op. cit., P. 1068.

4.Ibid, PP. 1135-1136.

5.Ibid, P. 519, 769, 792, 1066.

6.Ibid, P. 555.

7.Ibid, P. 214, 220, 430, 572, 645, 780, 938.

8.Ibid, P. 880.

—وراجع كلامه عن الجن في كتابه: Sahih AL-Bukhari – The Early Years of Islam, Op. cit. P.P. 163-164.

^٩ سورة سبأ، آية: ١٢.

10.The Massage of Quran, Op. cit. PP. 1137-1138.

وهو بهذا خالف مقتضى الإيمان بالله، فالإيمان بالله تعالى يعني الإيمان بالكتب، وتصديقها، والإقرار بما جاء فيها من الغيبات كالملائكة، والجن، والجنة، والنار، ومن ثم فقد توعد الله تعالى أولئك المنكرين لآياته، والمكذبين بها بالعذاب المهين، والخلود في نار جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾^١، أين هو - غفر الله له - من الوقوف عند حدود النصوص، وعدم تجاوزها، والإقرار بكل ما أخبر الله تعالى به سواء في شأن الملائكة، أو الجن، أو الجنة، أو النار، أو سائر الغيبات، وكيف له أن يتكلف في البحث عما لم يطلعنا الله عليه، ويخوض فيما هو فوق طاقته العقلية، ثم يرى أنه يترجم لمعاني كتاب الله تبارك وتعالى، ألم يقرأ قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧٧﴾﴾^٢، وهو بذلك المنهج في تأويله لحقيقة الملائكة على نحو يؤدي إلى إنكارها فقد ضلّ ضلالاً بعيداً، كمال قال عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا ءَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَالْيَوْمِ الْأَخِيرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾^٣.

لقد أثبتت التأويلات الفاسدة التي ذهب إليها محمد أسد بأنه مخالف لأهل السنة في كثير من مسائل العقيدة، فهو يتصيد الآراء الفاسدة من بعض الفرق الضالة المنحرفة، فتجده تارة معتزلاً حين ينكر الصفات، ويقوم بتأويل النزول، والاستواء، والمحيء، وتارة تجده قاديانياً حين ينكر معجزات الأنبياء، وتارة أخرى يتجه في آرائه وانحرافات إلى الفكر المادي الأوروبي الذي انسلخ عن الدين، ونبذ البحث فيما وراء الطبيعة، فينكر الإيمان بالغيبيات، ولا يؤمن إلا بالمحسوس.

^١ سورة الأعراف، آية: ٤٠.

^٢ سورة آل عمران، آية: ٧.

^٣ سورة النساء، آية: ١٣٦.

وعلى هذا يعدُّ محمد أسد مخالفاً لمنهج أهل السنة والجماعة في تلقي العقيدة الإسلامية وفهمها، واتباع نصوص الكتاب والسنة، وعدم ردِّ شيءٍ منها أو تحريفه، والالتزام بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وخلفهم الصالح من عدم الخوض في أمور العقيدة مما لا مجال فيه للعقل البشري.

ج. موقفه من القصص القرآني:

لقد توسع محمد أسد كثيراً في باب المجاز والاستعارة، مما أدى إلى تجاوز مرحلة الوقوع في أخطاء فادحة إلى مرحلة الانحراف العقدي، فنجد هنا ينفي كثيراً من القصص القرآني، ويعدها مجرد قصص خيالية أو خرافية (egend) أو (myth) حيء بها لأهداف دينية، وأخلاقية معينة^١.

فعلى سبيل المثال: نذكر موقفه من قصة أصحاب الكهف، فقد بدأ ترجمة، وتفسير سورة الكهف بمقدمة مختصرة ذكر فيها أن أكثر ما ورد في هذه السورة هو جملة من الأمثال، والمجازات حول الإيمان بالله مقابل التعلق المفرط بهذه الدنيا، وأن القصة عبارة عن تمثيلٍ للزهد في الدنيا من أجل الإيمان، والقصة تتعمق إلى مجازية الموت، والبعث، والانبعاث الروحي^٢.

ثم ذكر في الخلاصة: بأن القرآن الكريم استخدم قصة الكهف بطريقة رمزية بحتة وبمجرد مثل، لبيان قدرة الله تعالى على الإمامة (النوم)، والبعث (الاستيقاظ)، وهي رمزٌ للصالح، والتضحية التي يمكن أن يدفع إليها الإيمان، فيعتزل قومٌ أتقياء العالم الفاسد نجاتاً من شروره^٣.

وكذلك كان موقفه من قصتي الخضر ولقمان، فقد قرر أن الخضر ولقمان شخصيتان أسطورتان أو خياليتان، استخدمهما القرآن الكريم كوسيلةٍ للبلاغ عن المواعظ، والآداب التي يجب أن يتحلَّى بها الإنسان^٤.

وعلى نفس المنهج سار في تأويله لقصة أصحاب الأعدود، حيث أنه يرى في قول الله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَعْدُودِ ﴿١﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٢﴾ ﴾^٥، أنه لا حاجة إلى اعتبار هذه الأساطير بالجدية، وفي واقع الأمر فعدم الكشف عن هوية هؤلاء الأشرار يبين لنا أن الذي بين أيدينا هو مثلٌ وليس إشارةً إلى حادثة تاريخية، والنار ذات الوقود مجازٌ لمعنى اضطهاد أحد الطرفين للآخر، وهي ظاهرة لا تقتصر على قومٍ بعينهم، بل تتكرر بأشكالٍ مختلفةٍ على درجاتٍ متفاوتةٍ في سجل التاريخ^٦.

^١ دراسة نقدية لترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، مرجع سابق، ص ١١٢-١١٣.

2. The Massage of Quran, Op. cit. P. 489.

3. Ibid, PP. 488-489.

4. Ibid, P. 500, 706.

^٥ سورة البروج، آية: ٤-٥.

6. The Massage of Quran, Op. cit., PP. 1075-1076.

إن محمد أسد في تأويله للقصص القرآني الكريم بوصفها قصصاً خيالية، وأساطير خرافية، فقد تهجم على القرآن الكريم، وتجراً على كلام الله تعالى، وكذب نصوصه صراحةً وضمناً، كما أنه خرج إلى تلك بتلك المعاني المجازية، وذلك التأويل دون أي دليل قطعي ثبوتي يؤكد صدق وصحة ما ذهب إليه، ومن المؤكد أنه لا دليل، ولا بينة على ما فسره وادّعاه.

فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^١، ويقول عز وجل: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^٢.

كما أنه بهذا المنهج تجاوز الإيمان بما أخبر الله تعالى في كتابه الكريم، وتجاهل القرآن الكريم بأنه أصدق مصدر تاريخي لقصص الأنبياء، وخصص الأقوام السابقة، قال عز وجل: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ^٣ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَنُذُرًا لِّلْمُسْلِمِينَ ﴾^٤، ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^٥، بل القرآن الكريم كلام خالق الكون الذي يعلم ما تقدم وما تأخر، يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^٥.

د. موقفه من الإيمان بالأنبياء:

١. موقفه من عصمة الأنبياء:

إن من القضايا ذات الأهمية الشديدة التي تناولها محمد أسد - رحمه الله - في ترجمته التفسيرية للقرآن الكريم بشرية الرسل، ومدى انعكاسها على أخلاقهم وسلوكهم، فهو دائم الإشارة إلى هذه البشرية، وهي مما لا يشاح فيه أحد، إذ أن رسل الله، وأنبياءه كانوا كلهم بشراً، وأنهم يأكلون، ويشربون، ويتزوجون، ويمشون في الأسواق، ثم يموتون، ولا خلاف في هذا مع محمد أسد - رحمه الله - إلا أنه لم

^١ سورة يوسف، آية: ١١١.

^٢ سورة آل عمران، آية: ٦٢.

^٣ سورة النحل، آية: ٨٩.

^٤ سورة الحجر، آية: ٩.

^٥ سورة الحديد، آية: ٣.

يتوقف عند هذا الحدّ، بل دائماً ما يجعل إشارته إلى بشرية الرسل منطلقاً للحديث عن أهمّ معروضون للخطأ كأبيّ إنسان آخر، وهو بهذا يفتح أبواب الأخطاء كلّها أمام الأنبياء، والرسل مثلهم في ذلك مثل سائر البشر^١.

فنجده يصور في كلمته الافتتاحية لسورة القصص واقع الحياة البشرية في قصة موسى عليه السلام، وأشكال التردد، وأنواع الأخطاء الإنسانية التي هي من طبيعة البشر^٢.

وحين نقرأ تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾^٣ نجد أنه أساء الأدب مع نبيّ الله يونس عليه السلام، بكلامٍ في غاية القبح، مما تنفر منه القلوب المؤمنة، فقال: أي حين ترك الرسالة التي عهد الله بها إليه، واقترب الذنب، وهرب من وجه الربّ، وترك مهمته تحت وطأة الغضب العنيف^٤. ثم ختم كلامه بقوله: إنّ الهدف من هذه القصة هو إفهامنا أنه ما دام قد (خُلِقَ الإنسان ضعيفاً) فإنّ الأنبياء أنفسهم غير محصنين ضدّ أيّ لونٍ من ألوان الضعف البشري، وهو ما يوضح أنّهم عليهم الصلاة والسلام يمكن أن يرتكبوا أيّ شيءٍ مما يقع فيه البشر هان أو عظيم^٥.

ويكرر محمد أسد الخطأ نفسه مع نبيّ الله عيسى عليه السلام حيث يقول: إنّ عيسى تُوفيّ ولم يرفعه الله إلى السماء، وما يوجد عند المسلمين من أنّ الله أبدل عيسى بشخصٍ شبيه به ما هو إلا أساطير مزخرفة، فالمراد من رفع عيسى عليه السلام هو تكريمه، وتمجيدته، وهذا أمرٌ يشترك فيه جميع الأنبياء، كما في قوله تعالى في إدريس عليه السلام: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾^٦.

ومن ذلك أيضاً أنه يتهم هارون عليه السلام بالذنب، والمعصية حيث لم يفعل شيئاً حين عبد الناس العجل، خوفاً من أن يفرق بينهم^٧.

لقد صور محمد أسد بتفسيراته وتعبيراته، الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بتلك الصورة التي تجعلهم في المستوى العام للبشر، فيجوز عليهم ارتكاب المعاصي، والوقوع في الأخطاء، واقتراح الذنوب، ومخالفة أوامر الله مما يوجب عليهم عقاب الله بسبب ذنوبهم، فنجده أخطأ وأولّ بغير هدى، ولا علم، ولا كتابٍ منير، فضلّ وأضلّ، سائراً على نهج اليهود منسجماً مع تراثه اليهودي في الاستهزاء

^١ فكر محمد أسد (ليوبولد فايس) كما لا يعرفه الكثيرون، مرجع سابق، ص ١٩-٢٥.

2.The Massage of Quran, Op. cit., P. 657.

^٢ سورة الصافات، آية: ١٤٠.

4.The Massage of Quran, Op. cit. P.P. (556, 778, 1013).

^٥ فكر محمد أسد (ليوبولد فايس) كما لا يعرفه الكثيرون، مرجع سابق، ص ٢٠.

^٦ سورة مريم، آية: ٥٧.

7.The Massage of Quran, Op. cit. P.P. (89, 154).

8.Ibid, PP. 256.

بالأنبياء، وإساءة الأدب معهم، وإلصاق التهم بهم، فابتعد كلُّ البعد عمّا جاء به القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وآمن به سلف الأمة وخلفها.

ولا شكَّ أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام صفوة الخلق وخيارهم، وهم النخبة المصطفاة من البشر، اختارهم البارئ عزَّ وجلَّ لأداء مهمةٍ عظيمةٍ، ورسالةٍ ساميةٍ، تسعد الناس وتخرجهم من الظلمات إلى النور، وجعلهم قدوةً للبشر، وعصمهم من الذنوب والمعاصي، وجعل إيتاعهم واجباً، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَحْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿١١﴾ وَإِنَّمَا عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿١٤﴾ ﴾^١، وقال تعالى في وصفهم: ﴿ وَأذْكَرٌ إِسْمَعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿١٤﴾ ﴾^٢، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنَاهُمْ أَقْتَدِهٖ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾^٣.

٢. موقفه من معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

ينكر محمد أسد معجزات الأنبياء، والرسول عليهم الصلاة والسلام، ويؤوِّها بما يجعلها تابعة لما هو محسوس، أو لقوانين الطبيعة المطردة، ويعتبرها أساطير، وفي أحيانٍ أخرى يعطيها تأويلاتٍ تخرجها من كونها خارقةً للعادة^٤، وقد سبقه في هذا المنهج المفسرون القاديانيون، مثل مولاي محمد علي^٥، وملك غلام فريد، في ترجمتهما التفسيريتين للقرآن الكريم إلى الإنجليزية^٦.

ومن المعجزات التي أنكرها - رحمه الله - معجزة كلام سيدنا عيسى عليه السلام في المهدي، وتنبئه للناس بما يأكلون، وما يدخرون في بيوتهم، ومعجزة إحيائه للموتى، والطير بإذن الله، وأنكر حدوث الصلب أصلاً لأحدٍ من الناس، كما أنكر إنقاذ إبراهيم عليه السلام من النار، بل نفى إلقاءه فيها أصلاً، وأما بالنسبة لسيدنا سليمان عليه السلام فقد أوَّل قضية جلبيه لعرش بلقيس من اليمن إلى البيت المقدس، ثم دخول بلقيس

^١ سورة ص، آية: ٤٦-٤٧.

^٢ سورة ص، آية: ٤٨.

^٣ سورة الأنعام، آية: ٩٠.

^٤ ينظر: مفهوم تجديد الدين، مرجع سابق، ص ١٥٨.

-صفحات مطوية من التاريخ، مرجع سابق، ص ١٧٧.

^٥ مولاي محمد القادياني (١٨٧٤م/ ١٩٥١م): هو محمد علي اللاهوري القادياني أحد أتباع غلام أحمد القادياني الذي ادعى النبوة، وبعد موت ميرزا غلام انقسمت القاديانية إلى شعبتين: شعبة قدايان، وشعبة لاهور (ترجمها محمد علي اللاهوري)، من أهم أعماله: ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، حيث ملاحها بالأفكار القاديانية، وقد حذر العلماء من ترجمته لما فيها من دس اعتقاد الفرقة القاديانية.

ينظر: الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة، متوفر على شبكة المعلومات العالمية: <http://shamela.ws>، تاريخ الدخول ١٤٣٤/١١/٠٢ هـ

^٦ فكر محمد أسد (ليبولد فايس) كما لا يعرفه الكثيرون، مرجع سابق، ص ٢٨.

على عرشها بحضور سيدنا سليمان، وعدّ القصة رحلةً روحيةً، وسأكتفي بذكر مثالين مفصلين على إنكاره لبعض معجزات الأنبياء، أما المعجزة الأولى فهي معجزة إنجاء الله تعالى لسيدنا إبراهيم عليه السلام من النار بعدما ألقى فيها، والثانية معجزة الإسراء والمعراج لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

• معجزة إنجاء الله تعالى لسيدنا إبراهيم عليه السلام من النار بعدما ألقى فيها:

ذكر القرآن الكريم هذه المعجزة ثلاث مراتٍ في ثلاث سورٍ: قال تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ إِنَّ كُنْتُمْ فَعِلِينَ ﴾ (١١) قلنا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٢) ^١، وقال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٣) ^٢، وقال تعالى: ﴿ قَالُوا أَبْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (١٤) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾ (١٥) ^٣، إلّا أن محمد أسد وقف من هذه المعجزة الموقف التالي: فلما ترجم محمد أسد قوله تعالى: (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) قال: قلنا يا نار كوني مصدرًا للطمانينة النفسية والسلام الداخلي، كما ذكر بأن القرآن الكريم لم يصرح في أيّ موضعٍ بأن إبراهيم عليه السلام ألقى في النار بجسده، واستطاع أن يبقى فيها، بل العبارة (فأنجاه الله من النار) تشير إلى الحقيقة إلى أنه لم يلق فيها، ومن جهةٍ أخرى فإن القصص العديدة الموجودة في تفاسير القدماء نسجت تفسيرها للآيات السابقة بناءً على ما ذكر في قصص التلمود الخيالية، ولهذا لا تقبل، وأما الآيات من سورة الأنبياء، وسورة العنكبوت فهي تشير إشارةً مجازيةً ضمنيةً إلى نار الاضطهاد التي عاش فيها إبراهيم عليه السلام، ولكن هذا الاضطهاد في آخر عمره كان مصدرًا لقوته الروحية وطمانينته النفسية ^٤.

والحق أننا لا نريد أن ندخل في جدالٍ نظريٍّ لنثبت معجزة إنقاذ إبراهيم عليه السلام من النار، فمن دون شك أن محمد أسد خالف صريح النصوص، وإجماع المفسرين في تفسيره لها، فالقرآن الكريم صرح بأن إبراهيم عليه السلام ألقى في النار فعلاً، ثم أنجاه الله تعالى منها بخطابه تعالى للنار بأن تكون برداً وسلاماً عليه، وأما نار الاضطهاد التي ذكرها محمد أسد، فنقول: إن جميع الأنبياء، والرسل قاسوا، وعانوا في سبيل تبليغ دعوة الله، فلماذا يذكر القرآن الكريم نار الاضطهاد في حق إبراهيم عليه السلام من دون الأنبياء

^١ دراسة نقدية لترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، مرجع سابق، ص ١١٣-١١٤.

^٢ سورة الأنبياء، آية: ٦٨-٦٩.

^٣ سورة العنكبوت، آية: ٢٤.

^٤ سورة الصافات، آية: ٩٧-٩٨.

5.The Massage of Quran, Op. cit. P. 553.

وللاستزادة ينظر: فكر محمد أسد (ليولد فايس) كما لا يعرفه الكثيرون، مرجع سابق، ص ٢٨-٢٩.

—دراسة نقدية لترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، مرجع سابق، ص ١١٥-١١٦.

والرسل؟؟ وأما ما ذكره من أن القصة المذكورة في التلمود وهي من القصص الخيالية، فنقول: هذا ليس دليلاً على بطلان القصة، أو كذبها، وإلا لما ذكرها القرآن الكريم، فذكر القرآن لها دليلاً على ثبوتها وصحتها، فهو كلام الله تعالى المهيمن والمسيطر على جميع الكتب السماوية السابقة، قال تعالى: ﴿ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ ﴾^١.

• معجزة الإسراء والمعراج:

أطال محمد أسد الكلام في تعليقه على حادثة الإسراء والمعراج، بل أفرد لها الملحق الرابع من رسالته، وذكر اختلاف الصحابة والعلماء وأدلتهم على كون الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد أم بالروح فقط، ثم رجح القول بأن الإسراء والمعراج كانا بالروح فقط، وردّ على أدلة القائلين بالمعراج الجسديّ: "وحيث أنه ليس هناك دليل مقنع على أنه قد عرج بجسده في الإسراء والمعراج، فمن ناحية أخرى ليس هناك سبب للتشكيك في الحقيقة الموضوعية للحادثة"^٢.

ثم حاول تفسير الحادثة مستنداً إلى علم النفس الحديث، من حيث أن علم النفس أثبت إمكانية خروج الروح من الجسد على أكثر من وجه، وتعلقها بغير مكانها، وزمانها، وانسجامها مع ظواهر واقعية أخرى^٣.

وجملة القول: إنه يرى بأن الإسراء والمعراج كليهما كانا بالروح فقط دون الجسد، وأن الحكمة منهما حكمة دينية عقديّة تثبت أن الرسول ﷺ سائرٌ على منهج الأنبياء من قبله في الدعوة إلى الله، وأنه إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وخاتم الأنبياء والمرسلين^٤.

وبالنظر إلى ما قاله محمد أسد حول مسألة الإسراء والمعراج، نجد أنه خالف ما جاء في نصوص القرآن الكريم، وما ورد في صحيح السنة النبوية من روايات لا مجال للاجتهاد فيها، بأن حادثة الإسراء

^١ سورة المائدة، آية: ١٥-١٦.

2.The Massage of Quran, Op. cit., P. 1138-1139.

3.Ibid, PP. 1138-1140.

4.Ibid, P. 1137.

وراجع كلامه عن الإسراء والمعراج في كتابه:

Sahih AL-Bukhari – The Early Years of Islam, Op. cit. P.P. 184-187.

والمعراج كانتا بالروح والجسد معاً، كما أن استدلاله بما جاء في علم النفس الحديث لا يصح أن يكون دليلاً ثابتاً على ما ادعاه؛ فعلم النفس كغيره من العلوم الإنسانية التي تخضع نظرياتها للتغيير والتبديل مع التطورات الحضارية، وأن هذا الاستدلال باطل وتزييف للحق، وإنكار للإلهوية، وتكذيب للأدلة الواضحة التي جاء بها النبي ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^١.

وتتفق الباحثة مع د. بسطامي بأن آية معجزة في القرآن الكريم ضاق عقل محمد أسد عن إدراكها، راح يؤولها بهذه الجراءة وبهذا الحرص والخطب^٢.

هـ. موقفه من أسراط الساعة:

لقد وقع محمد أسد في تحريف معاني بعض أسراط الساعة، وفهمها فهماً خاطئاً، وتأويلها على غير وجهها الصحيح، متبنياً بذلك آراء بعض أهل البدع، والماديين، والملحددين، الذين أنكروا أسراط الساعة، وحرفوا الكلم عن مواضعه.

وفيما يلي أمثلة توضح موقف محمد أسد من أسراط الساعة:

١. تأويله لمعنى يأجوج ومأجوج:

ذكر محمد أسد عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾^٣ بأن القول الأقرب إلى الصواب، والمنطق في تفسير خروج يأجوج ومأجوج هو أنها إشارات مجازية وردت في القرآن الكريم وهي لا تشير إلى قبائل معينة، أو مخلوقات، ولكنها تشير إلى مجموعة من الكوارث الكونية، والاجتماعية التي ستؤدي إلى تدمير الحضارة الإنسانية قبل قيام الساعة، وذكر نحوه في تفسير قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾^٤.

^١ سورة الإسراء، آية: ١.

^٢ مفهوم تجديد الدين، مرجع سابق، ص ١٥٩.

^٣ سورة الكهف، آية: ٩٨.

4.The Massage of Quran, Op. cit. P. 504-505.

^٤ سورة الأنبياء، آية: ٩٦.

6.The Massage of Quran, Op. cit. P.P. 558.

٢. تأويله لمعنى الدابة:

لقد أوّل محمد أسد في ترجمته لقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾^١ معنى الدابة، فقال: أنها ذكرت على سبيل المجاز، أي أنها عبارة عن النظرة المادية الدنيوية التي يتمسك بها الإنسان، والتي تكون سبباً في دمار الحياة الروحية، وأن ذلك من علامات الساعة، وهذه الدابة تكلم الناس رمزياً، وذلك بأن انغماسهم في الشهوات، وإغراقهم في حياتهم المادية هو دليل على اقتراب تدميرهم، وهمايتهم^٢.

٣. تأويله لمعنى الدجال:

عنون محمد أسد - رحمه الله - في كتابه المشهور (الطريق إلى مكة) فصلاً بعنوان (الدجال) قال فيه: إن المقصود بالدجال هو التحذير من الحضارة الغربية المادية؛ لأنها حضارة عوراء تنظر إلى الحياة من ناحية واحدة، وهي ناحية التقدم المادي فقط غافلة الجانب الروحي، وإن تقدم هذه الحضارة العلمي يسقط المطر الصناعي من السماء.. وينبت الزرع ..، ويخرج كنوزاً من باطن الأرض...، وعقاقيرها وطبها يعيد الحياة لمن بدا كأنما قضي عليه بالموت ..، هذا التقدم المادي للحضارة الغربية أصبح من القوة، والخذاع بحيث يخيل إلى ضعاف الإيمان أنها في حدّ ذاتها إله^٣.

ومما لاشكّ فيه أن تأويل محمد أسد لأشراط الساعة الكبرى كما سبق ذكره ما هو إلّا تأويل فاسد وباطل، ومخالف لما ثبت عن الرسول ﷺ من أحاديث صحيحة تبطل ما ذهب إليه.

فالعلماء عموماً، وعلماء أهل الحديث خصوصاً، والسلف الصالح رضوان الله عليهم يؤمنون بما ثبت عن الرسول ﷺ من أخبار عن يأجوج ومأجوج، وأوصافهم، والدابة، والدجال، وأخباره، فمن الباطل أن يؤوّل محمد أسد يأجوج ومأجوج بالكوارث الكونية، والدابة بالنظرة المادية، والدجال بأنه الحضارة العلمية الحديثة التي وصل إليها الغرب، فالرسول ﷺ صوّر لنا الدجال بصورة إنسان، ووصف لنا الدابة، وذكر أخبارها، وكذلك أخبرنا عن يأجوج ومأجوج، فعن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ دخل يوماً فرعاً يقول: { لا إله إلا الله، وبل للعرب من شرّ قد اقترب، فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها - قالت

^١ سورة النمل، آية: ٨٢.

2.The Massage of Quran, Op. cit. P.P. 655.

^٢ ينظر: الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٠٩-٣١٠.

-الحضارة والدجال، محمد أسد، مجلة المختار الإسلامي، العدد ١٦، السنة الثانية، ١٥/١١/١٤٠٠هـ/ أكتوبر ١٩٨٠م، ص ٩٣.

-الطريق إلى مكة، محمد أسد، ترجمة السيد سالم علي سالم، مجلة المسلمون، العدد ٥٥، ربيع الأول سنة ١٣٧٣هـ- نوفمبر سنة ١٩٥٣م، السنة الثالثة،

ص ١٦٣.

زينب: قلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثرت الخبث^١، وعن حذيفة بن أسيد الغفاري^٢، قال: {اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون، قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ وبأجوج ومأجوج وثلاثة خسوفٍ خسوفٍ بالمشرق وخسوفٍ بالمغرب وخسوفٍ بجزيرة العرب وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم^٣}، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: {قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: إني لأنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذر قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، إنه أعور وإن الله ليس بأعور^٤}، وفي رواية أخرى لابن عمر رضي الله عنهما قال: عن رسول الله ﷺ قال: {أعور العين اليمنى كأنها عنة طافية^٥}، وعن حذيفة بن اليمان^٦ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إن مع الدجال إذا خرج ماء و نار، فأما الذي يرى الناس أنها النار فماء، وأما الذي يرى الناس أنها ماء بارد فنارٌ تحرق، فمن أدرك منكم فليقع في الذي يرى أنها نار، فإنه عذبٌ بارد^٦}.

فبأن شاسع بين الفهم، والحقائق التي نتلقاها من الأحاديث النبوية، وبين التأويل الفاسد لمحمد أسد، فتأويله العقلي تردده تلك الأحاديث الصحيحة عن الرسول ﷺ، ولا يسعنا إلا التصديق، والتسليم بما جاء في هذه الأحاديث التي تفيد العلم اليقيني القطعي.

كما أن المسائل غيب، ولا مجال للاجتهاد في الأمور الغيبية، وإعمال العقل فيما هو فوق طاقته، فذلك يعد ضرباً من ردّ النصوص، ومخالفتها، والاحتيال عليها.

وعليه نستنتج ما يلي:

١. كانت عقيدة محمد أسد خليطاً بين العقلانية، والاعتزال، والقاديانية، والفلسفة الغربية المادية؛ فقد فسر النصوص الشرعية وفقاً للعقل الإنساني، ولجأ إلى التأويل فوق في أخطاء خطيرة جداً في معظم أبواب العقيدة، وانحرف عن عقيدة أهل السنة والجماعة.

^١ رواه البخاري، كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج، حديث رقم ٧١٣٥.

^٢ حذيفة بن أسيد الغفاري: ويقال: أمية بن أسيد بن خالد بن الأغور بن واقعة بن حرام بن غفار الغفاري، أبو سريجة، مشهور بكنيته، شهد الحديبية، وذكر فيمن بايع تحت الشجرة، ثم نزل الكوفة، أخرج له مسلم وأصحاب السنن، وله عن أبي بكر، وأبي ذر، وعلي، روى عنه أبو الطفيل، ومن التابعين الشعبي وغيره. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، الإمام الحافظ أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط ٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج ٢، ص ٣٨.

^٣ رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، حديث رقم ٢٩٠١.

^٤ رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، حديث رقم ٧١٢٧.

^٥ رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، حديث رقم ٧١٢٣.

^٦ رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم ٣٤٥٠.

٢. سار محمد أسد على مذهب المعطلة في بيان الصفات؛ فقد أول الصفات الواردة في كتاب الله وأنكرها كصفة اليدين، وصفة العينين، وصفة المجيء وغيرها.
٣. أنكر محمد أسد الغيبات، كالجنة والنار، والملائكة، والجن، وهو إنكار معلوم من الدين بالضرورة، فوقع في نواقض الإيمان القولية، التي تنقل الإنسان من الإيمان إلى الكفر عند كافة أهل العلم رحمهم الله.
٤. نفى كثيراً من القصص القرآنية الثابتة في كتاب الله عز وجل، وعدّها مجرد قصصٍ خياليةٍ وأساطيرٍ لتحقيق أهداف اجتماعية وأخلاقية معينة.
٥. أنكر معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأولها تأويلات باطلة فاسدة، وأساء الأدب معهم، فحوز عليهم الذنوب والمعاصي والوقوع في الأخطاء.
٦. أول أشرط الساعة كخروج يأجوج ومأجوج، والدابة، وظهور الدجال، فكان يرى أنها ذكرت على سبيل المجاز ولا حقيقة لها في الواقع، مما يدل على جهله بالسنة النبوية، وقلة العناية والاستدلال بها.
٧. إن نصوص الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على كفر من أنكر معلوم من الدين بالضرورة، ومن استهزأ بالرسول عليهم الصلاة والسلام، وهذا ما أجمع عليه أهل العلم قاطبة. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾^١، وقال جل جلاله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾^٢ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفُ عَنَّا طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ نَعِدْ بَطَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾^٣، وقال سبحانه: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^٣.

^١ سورة المائدة، آية ٥.

^٢ سورة التوبة، آية ٦٥-٦٦.

^٣ سورة البقرة، آية ١٧٧.

ثالثاً - آراؤه الفقهية:

لقد كانت تلك نظرة محمد أسد إلى القضايا العقدية في القرآن الكريم، وذلك منهجه في ترجمتها وتفسيرها، فكيف ينظر إلى قضايا الفقه الإسلامي من خلال ثقافته اليهودية ومنشئه الأوروبي؟ وعلى أيّ منهج يسير؟^١

لقد وقع محمد أسد في التحريف والتأويل الذي وقع فيه المتكلمون من قبله، فحرّفوا الكلم عن مواضعه بغياً وعدواناً.

فالتأمل في آرائه الفقهية يجد أنه انحرف وأخطأ، وجانب الصواب في العديد من القضايا الفقهية التي صرّحت النصوص الشرعية بحكمها، واتفق عليها جمهور العلماء، وإجماع المسلمين، ولنأخذ على سبيل المثال موقفه من مسألة حجاب المرأة المسلمة، والحدود، والربا، وهي من أكثر المسائل التي اعترض الغرب عليها في الإسلام، وألصق بها الشبهات.

أما موقفه من الحجاب فيتضح من خلال دراسته لآيتين في القرآن الكريم، فالأولى قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾^٢، والثانية هي قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًا لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^٣.

فلقد ذهب محمد أسد في تفسير معنى قوله تعالى (إلا ما ظهر منها) بأن المراد منها عبارة عامة، وغير محددة فيما يظهر من المرأة، وأن حجاب المرأة وصفاته يرجع إلى العادات والأعراف السائدة في المجتمعات، والتي قد تتغير بتغير الزمان والمكان، وبالتالي فإنه يرى أن غطاء الرأس، وتغطية الوجه، من الأمور التي لم تدلّ عليها الآية الكريمة، وإنما دلت عليه عادات نساء العرب عند نزول القرآن الكريم، وهذه العادات قد تتغير بحسب التطورات الاجتماعية^٤.

أما الآية من سورة الأحزاب، فقد ذهب محمد أسد في تفسير معناها إلى ما ذهب إليه من تساهل، وتهاون في أمر الحجاب الشرعيّ للآية السابقة في سورة النور، حيث اعتبر أن الخطاب الموجه في الآية إلى نساء النبي ﷺ وبناته، دليل على التحديد الزمني للحكم، وبالتالي فإن حكم الحجاب، وتغطية الرأس

^١ سورة النور، آية: ٣١.

^٢ سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

لم يكن حكماً عاماً لجميع نساء المسلمين، وهو قابلٌ للتغير بحسب ظروف الزمان، والملابس الاجتماعية¹.

ومن الواضح أن محمد أسد قد جانب الصواب في كل الآراء التي ذهب إليها في قضية الحجاب، وانسجم رأيه مع رأي العصرانيين الغربيين "حيث شكوا في شرعية الحجاب، وزعموا أنه ليس عبادةً يلزم بها الإسلام النساء، وإنما هو عادةٌ عرضت للمسلمين من مخالطة بعض الأمم، فاستحسنوها وأخذوا بها وألبسوها لباس الدين، كسائر العادات الضارة التي تمكنت في الناس باسم الدين والدين منها براء"².

كما أن محمد أسد أهمل الأحاديث النبوية الصحيحة التي تدلُّ على شرعية الحجاب، ووجوب إسدال الخمار على الرأس، والصدر، وتغطية الوجه، واقتصر في دراسته على الآيتين السابقتين، مخالفاً بذلك رأي جمهور علماء المسلمين من أن الحجاب فرضٌ فرضه الله على النساء البالغات من أمة محمد ﷺ، ولا يمكن أن يكون الأمر متروكاً للعادات والتقاليد، وأعراف الناس يحدونه بحسب أمزجتهم، وأهوائهم، وبحسب ظروفهم الاجتماعية.

وفي مجال الحدود نأخذ رأيه في مسألة الحراة الواردة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾³.

فقد زعم محمد أسد بأن العقوبات القاسية والوحشية الواردة في الآية الكريمة ليست عقوبات شرعيةً مطلقاً، ومن اعتقد ذلك فقد أخطأ خطأً شنيعاً، وكل ما ذهب إليه الفقهاء، والمفسرون من أنها عقوبات شرعيةٌ جنائيةٌ فهو رأيٌ باطلٌ مرفوضٌ مهما كانت مكانة العالم الذي قال بذلك، وينتهي في تعليقه على الآية بأن أولئك المجرمين الذين يحاربون الله ورسوله ويفسدون في الأرض لا مهرب لهم ولا خلاص لهم من عذاب الله تعالى الذي سيلحق بهم بتسليط بعضهم على بعض بالقتل، والتعذيب حتى ينفوا من الأرض⁴.

ولا أجد في رأيه هذا سوى المخالفة الصريحة لنصوص القرآن الكريم، ورأي جمهور العلماء في المسألة، كما أنه تجاوز حدوده، وأساء الأدب مع سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، فما هو إلا تعطيلاً واضحاً للحكم الشرعي الثابت، وإتماماً باطلاً لعلمائنا رحمهم الله.

1. The Message of Quran, Op. cit. P.P.730-731.

² التحديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أمامة، ط ١، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٤ هـ، ص ٥٤٢.

³ سورة المائدة، الآية: ٣٣

4. The Message of Quran, Op. cit. P.P173-174.

وعن الربا يقول: أنه كسب مالٍ دون جهدٍ، وهو ما يفعله الأغنياء ضدَّ الفقراء؛ لاستغلالهم، والعيش على أموالهم، وهذا النوع من الربا هو ما كان سائداً ومعروفاً عند العرب في الجزيرة العربية، أما المعاملات المالية العصرية، واستثمار الأموال يعود في الأساس على الناحية الأخلاقية للفرد ذاته، كما يخضع لمبادئ النظام الاقتصاديِّ، والاجتماعيِّ في المجتمعات، فهناك اختلافٌ بين العلماء على مفهوم الربا؛ حيث ما زال مفهومه غير واضحٍ ومشكلاً إلى الآن، والأمر يرجع في نهايته إلى المبادئ والقواعد التي يضعها المسلمون بحسب ظروف عصرهم¹.

ترى هل هذا التطور والتجديد الذي دعا إليه محمد أسد؟ أم أنه الاجتهاد الذي فتح بابه لمعالجة الأمور، وإيجاد معادلةٍ بين الفكر الإسلاميِّ، والفكر الغربيِّ؟

إذ ليس في تعليقه السابق إلَّا التهوين، والاحتيال على حكمٍ شرعيٍّ ثابتٍ في كتاب الله، وسنة رسوله الكريم ﷺ، ولسنا بصدد مناقشة تحريم الربا تلكم الآفة العظيمة التي دمرت دولاً، وأفقرت شعوباً، وأهلكت أمماً قبلنا، فتحريم الربا من ثوابت الكتاب والسنة، ومما اتفق عليه سلف الأمة وخلفها، ولا يخالف ذلك إلا جاهلٌ، أو فاسقٌ مبتدعٌ في دين الله ما ليس فيه.

رابعاً- أمثلةٌ على بعض المآخذ الواردة في ترجمته لصحيح البخاري:

لقد ذهب محمد أسد في ترجمته لصحيح البخاري إلى ما ذهب إليه في رسالته السابقة من تأويل للنصوص، وتطويع في ألفاظها بطريقة تتلاءم مع قناعاته، وما استقرَّ عليه رأيه من مفاهيم، وأفكارٍ.

فعلى سبيل المثال نجد أنه يترجم كلمة "سيدة" في قوله ﷺ: { فاطمة سيدة نساء أهل الجنة }² بـ: (exalted among the woman of paradise) بدلا من (chief) حيث يرى أن كلمة (سيدة) في كلِّ الأحوال يجب أن تترجم "chief" باستثناء هذا الموضع فلا يصحُّ ترجمتها بـ: (chief) إذ أن هناك سيداتٍ أخرياتٍ مثل السيدة مريم عليها السلام، والسيدة خديجة رضي الله عنها، قد تكون مكانتهنَّ أعظم من مكانة السيدة فاطمة رضي الله عنها³.

كما ترجم قوله ﷺ: { كملَ من الرجال كثيرٌ، ولم يكملَ من النساءِ إلا مريمَ بنتَ عمرانَ، وآسيا امرأةَ فرعونَ، وفضلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائرِ الطعامِ }⁴ بأننا لا يمكن أن نفضل عائشة رضي الله عنها على سائر النساء في الماضي والحاضر، وأنَّ

1. The Message of Quran, Op. cit. P.P.74-75, 698-699.

² رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب فاطمة عليها السلام، حديث رقم ٣٧٦٧، ج ٣، ص ٣٥.

3. Sahih AL-Bukhari – The Early Years of Islam, Op. cit. P.P. 97.

⁴ رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم ٣٧٦٩، ج ٣، ص ٣٥.

فضلها جاء على نساء عصرها فقط، ولا يشمل كل العصور، على أنه يجب علينا أن نتذكر فضلها ومكانتها العلمية^١.

وقد نقلت الكاتبة مريم جميلة تأويله للأحاديث التي تشير إلى أن الملائكة لا تدخل البيوت التي يعلق فيها صوراً بأن هذا ينطبق على دور العبادة فقط^٢.

ومن الأخطاء التي وقع فيها محمد أسد أثناء ترجمته لصحيح البخاري اختصاره للصلاة والسلام على النبي الأمي ﷺ، حيث يكتب في مواضع الترجمة (ص)^٣، وكذلك فعل حين اختصر الترضي على صحابته رضوان الله عليهم فجاء في مواضع عديدة من ترجمته الرمز (رض)^٤.

ومما لاشك فيه أنه من غير اللائق، والمكروه اختصار كتابة الصلاة والسلام على النبي ﷺ، فقد جرت عادة السلف والخلف بكتابة الصلاة والسلام على النبي الأمي، موافقة للأمر في كتاب الله العزيز في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾^٥.

كما يُستحب للمسلم الترضي على الصحابة رضي الله عنهم عند ذكرهم، وفي ذلك يقول الإمام النووي^٦ - رحمه الله - في مقدمته لشرح صحيح مسلم: "يُستحب لكاتب الحديث إذا مرَّ بذكر الله أن يكتب "عزَّ وجلَّ" أو "سبحانه وتعالى" ... وكذلك يكتب عند ذكر النبي ﷺ "ﷺ" بكاملهما لا رمزاً إليهما، ولا مقتصراً على أحدهما وكذلك يقول في الصحابي "ﷺ" فإن كان صحابياً ابن صحابي قال "رضي الله عنهما" وكذلك يترضى ويترحم على سائر العلماء والأخيار ويكتب كل هذا وإن لم يكن مكتوباً في الأصل الذي نقل منه فإن هذا ليس رواية وإنما هو دعاء وينبغي للقارئ أن يقرأ كل ما ذكرناه وإن لم يكن مذكوراً في الأصل الذي يقرأ منه ولا يسأم من تكرار ذلك ومن أغفل هذا حُرِّمَ خيراً عظيماً وفوت فضلاً جسيماً"^٧. انتهى كلامه رحمه الله.

هذه بعض المآخذ الواردة في كتابه ترجمة صحيح البخاري، من إهمال كتابة الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ، واختصار الترضي عن الصحابة ﷺ، على وجه غير مشروع أنكره العلماء قديماً وحديثاً.

1 .Sahih AL-Bukhari – The Early Years of Islam, Op. cit. P.P. 98.

2 .Muhammad Asad Europe's Gift to Islam, by: M. Ikram Chaghatai, The Truth Society, Lahore, Pakistan, 2006, (sahih –albukhari: the early years of islam, by: Maryam Jameelah), P.P 597-600.

3 .Sahih AL-Bukhari – The Early Years of Islam, Op. cit. P.P(3, 4, 5, ..., etc).

4 .Ibid, PP. (18, 19 ,20, ..., etc).

^٥ سورة الأحزاب، آية ٥٦.

^٦ الإمام النووي (١٢٣٣م/ ١٢٧٧م): يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحوراني النووي الشافعي أبو زكيا، محي الدين، علامة بالفقه والحديث، مولده، ووفاته في نوا (مس) قرى حوران بسوريا)، تعلم في دمشق، وأقام بها زمناً طويلاً، من أشهر كتبه رياض الصالحين، ومنهاج الطالبين، والتغريب والتيسير، والمنهاج في شرح صحيح مسلم. بنظر: الأعلام، مرجع سابق، ج ٨، ص ١٤٩.

^٧ صحيح مسلم بشرح النووي، ط ١، القاهرة: المطبعة المصرية بالأزهر، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، ص ٣٩.

المطلب الثاني المعارضون لفكر محمد أسد

إن محمد أسد بسبب تلك الآراء، والانحرافات الخطيرة التي ذهب إليها، وبعيداً عن الهوى، والتعصب للعلاقات، والصدقات فقد تعرض محمد أسد للنقد الشديد من قبل بعض المفكرين، والعلماء، وبعض الأصدقاء الذين أظهروا إعجاباً، واحتراماً لمواقفه الدفاعية عن الإسلام.

فهذه الكاتبة مريم جميلة تشير إلى انحرافات محمد أسد الفكرية، واتجاهاته العقلانية قائلة: " ... فإن تعليقه في بعض الأحيان يغلب عليه التفسير العقلاني، فعلى سبيل المثال، فإنه فسر معراج الرسول إلى السماء على أنها تجربةٌ روحيةٌ خياليةٌ، في حين نجد أن التفسير الأغلب للصحابة هو أنها رحلةٌ قام بها الرسول بنفسه إلى القدس جسداً وروحاً ... وأغرب شيء أنه قام بتفسير قواعد الحجاب بأنها تنطبق فقط على زوجات الرسول، لقد أصرَّ أسد على أن الاجتهاد يجب أن لا يتوقف وأنه ليس فقط حقاً على مسلم بل أنه مطلبٌ أساسيٌّ للحضارة الإسلامية، ولكن إذا كان هذا أحد نتائج الاجتهاد فمن الأفضل أن يظلَّ باب الاجتهاد مغلقاً".¹

وكذلك يعترض د. هوفمان على بعض آراء محمد أسد فيقول: " ... إن المرء لا يقبل، ولا يوافق على بعض المظاهر التي وردت في ترجمة أسد لمعاني القرآن الكريم، والتعليقات التي أوردتها فيها، وكذلك قد لا يقبل المرء الجهود التي بذلها لاختصار المفاهيم الشرعية على ما ورد في القرآن الكريم فحسب، وقد لا يقرُّه على موقفه من الحجاب.."².

كما أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى مفادها أن ترجمة محمد أسد - رحمه الله - لمعاني القرآن الكريم، تحتوي على أخطاءٍ فاحشةٍ وكفرياتٍ فاضحةٍ، من أجلها قرر المجلس التأسيسيُّ لرابطة العالم الإسلامي، تحريم طباعتها ونشرها.³

وبحسب الأستاذ الرفاعي: كان بين محمد أسد - رحمه الله - وبين رابطة العالم الإسلامي حواراً لخروجه في بعض أفكاره، وآرائه عمّا تعارف عليه معظم المفسرين، وقد اتفق - رحمه الله - معهم في بعض الآراء، واختلف في بعضها الآخر، عندما لم يتوفر له الاقتناع التام بوجهة النظر الأخرى.⁴

1. Muhammad Asad Europe's Gift to Islam, Op.cit., P.P 597-600

² الرحلة إلى الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٨٢.

³ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد عبد الرزاق الدويس، ط١، الرياض: دار أولي النهي، ١٤١١هـ، المجلد ٣، ص ٢١٥.

⁴ أيام حزينة النمساوي المسلم محمد أسد، مرجع سابق، ص ٥٨.

وعلى النقيض من تلك الفتوى نجد أن الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف، تفيد بأن ترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم، ليس فيها ما يتعارض مع ثوابت العقيدة الإسلامية، ولا مانع من الاستفادة العلمية بما لعموم فائدتها على كافة المسلمين، وصادق عليها مكتب المفتي بوزارة العدل والإفتاء المصرية^١.

وعلم الرغم من تعارض الفتاوى المتعلقة بثوابت العقيدة الإسلامية والشرعية، الصادرة من أعظم مرجعين إسلاميين في العالم الإسلامي، إلا أن محمد أسد غير معذور فيما ذهب إليه من تأويلات مخالفة للحق؛ لإقامة الحجة عليه والبيان.

فمن خالف الحق متعمداً بعد البيان، وإقامة الحجة فهو غير معذور، وربما يكون في الأمر شبهة تكفير^٢.

أما د. إبراهيم عوض^٣ فيرى أن محمد أسد كان متأثراً بالمبادئ القاديانية، حيث ورد في ترجمته لمعاني القرآن الكريم ما وافق أفكارهم، فعلى سبيل المثال: نجد أنه ترجم مصطلح الجن بأنهم أناس من اليهود غير العرب سُموا (جنًا)؛ لأنهم غرباء، وهذا ما جاء عن ملك غلام فريد (القادياني) في تفسيره لذات المصطلح، كما أنه لحق بالقاديانية في تأويلاتهم لمعجزات الأنبياء بما يخرجها عن إعجازيتها، ويلحقها بالحوادث المعتادة التي تخضع لقوانين الطبيعة، ومما يذكر في هذا الباب أيضاً أن مولاي محمد القادياني هو الوحيد الذي ورد اسمه في ترجمة محمد أسد من بين المترجمين غير العرب، ويرى د. عوض أن لهذا الأمر دلالة^٤.

ومن المحتمل أن يكون محمد أسد قد تأثر بالقاديانية في بعض أفكارها، لاسيما أنه عاش في شبه القارة الهندية حوالي عقدين من الزمان، وشهد قيام دولة باكستان، وكان عضواً فاعلاً، ومؤثراً على الساحة الفكرية والسياسية فيها، واختلط بعامة الشعب وبالمتقنين، والسياسيين على اختلاف مشاربهم وألوانهم.

فالقاديانية "ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي في بلاد الهند إبان الاستعمار الإنجليزي للديار الهندية، وكانت وليدة السياسة الإنجليزية، وما نشأت إلا لخدمة أغراض الاستعمار البريطاني، وهذا ما صرح به مؤسسها في كتاباته، ثم إن الإنجليز فرضوا أحد أتباع القادياني هذا وجعلوه في منصب وزير

١ ينظر: ملحق رقم (٦).

٢ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، مرجع سابق، ص ١٢٨.

٣ إبراهيم عوض: أديب عربي، وفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية كتامة الغابة غربية عام ١٩٤٨م، تخرج من كلية الآداب بالقاهرة عام ١٩٧٠م، وحصل على الدكتوراه من جامعة أكسفورد عام ١٩٨٢م، ويعمل أستاذاً للنقد الأدبي بجامعة عين شمس، وله العديد من المؤلفات، منها: المتني دراسة جديدة لهيئته وشخصيته، الترجمة من الإنجليزية.

ينظر: موقع الألوكة، متوفر على شبكة المعلومات العالمية: www.alukah.net، تاريخ الدخول: ١٤٣٤/١١/٠٢ هـ.

٤ فكر محمد أسد (ليوبولد فايس) كما لا يعرفه الكثيرون، مرجع سابق، ص ٥٨.

الخارجية لباكستان، فوظف أتباع نحلته في السفارات الباكستانية في عواصم العالم، ودسَّهم في مصالح الحكومة الأخرى، ومن أخطرها الجيش فشكّلوا خلايا تبثُّ سمومها في باكستان والعالم الإسلامي^١.

كما أشارت بعض المصادر^٢ إلى سوء العلاقة بين محمد أسد، ومظفر خان القادياني، حتى قيل بأنَّ ظفر الله خان هو من دبر لمحمد أسد المكائد والدسائس لتسهيل أمر استقالته من الخارجية، وإبعاده نهائيًّا عن السلك الدبلوماسي؛ حيث كان - رحمه الله - يسعى جاهداً إلى ضرورة وحدة المسلمين وتماسكهم، كما كان معارضاً أشد المعارضة للسياسة البريطانية، وكثيراً ما يصفها في مقالاته بسياسة المكر والخبث والدهاء، الأمر الذي تسبب في سجنه أثناء الاحتلال البريطاني للهند، وقضى عدة سنواتٍ في معتقلات الإنجليز.

وعلى الرغم من أنَّ الحقائق السابقة التي تناقلتها المصادر تشير إلى تبرئة محمد أسد من القاديانية؛ إذ لو كان قاديانياً لما عجل وزير الخارجية ظفر خان القادياني بإخراجه من العمل في الوفد المبعوث للأمم المتحدة من قبل باكستان، ولما اعتقلته السلطات البريطانية في الهند، إلا أنَّ تراثه الفكريَّ احتوى على رؤى ومبادئ تنسجم مع منهج القاديانية، وعقائدها الفاسدة الباطلة، وتتفق في ترجمته لمعاني القرآن الكريم ببعض ما ورد عن مفسريهم وعلمائهم، مما يدل على تأثره بالعقيدة القاديانية.

أمَّا عن كونه معتزلاً، فقد وافقت آراؤه المعتزلة في جوانب كتأويله للصفات الإلهية، وخالفها وفاقها في جوانب أخرى كإنكاره للغيبات، والمعجزات الحسية، والطعن في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

لقد طال الجدل حول حقيقة فكر محمد أسد - رحمه الله - وعقيدته، واضطربت الأفهام في تحديد مذهبه.

فالبعض يرى أنه صاحب رؤية تنويرية متجددة تستحقُّ اهتماماً وتطبيقاً، بينما يرى البعض أنَّ رؤيته تلك ما هي إلا بدعة في الدين، وخروجٌ عن نصوص الكتاب والسنة، ومذهب السلف والخلف رضوان الله عليهم.

إنَّ محمد أسد مرَّ بمراحل فكرية مختلفة متأثراً بالتيارات الفكرية الإسلامية، لاسيما وأنه عاش حياته متنقلاً بين مختلف دول العالم الإسلامي، ولامس ظروفه السياسية، والثقافية، والاجتماعية، فأخذ نصيبه من المنظومة المعرفية الفكرية المتداخلة في العالم الإسلامي.

^١ الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر القفاري و د. ناصر العقل، الرياض: كوز إشبيليا، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١٥٢-١٥٤.

^٢ يراجع الفصل الأول من البحث.

ففي مستهل حياته بعد إسلامه تأثر بعلماء الحجاز؛ حيث درس الدين الإسلامي في المسجد النبوي الشريف على مدار ست سنوات تقريباً، فكان فكره مطابقاً للمبادئ، والحقائق التي جاء بها الإسلام معتمداً على الكتاب والسنة، ويشهد لهذا كتابه (الإسلام على مفترق الطرق).

ثم أمضى معظم عقود حياته في التطوف الواسع حول العالم والذي شمل معظم بلدان الغرب المسيحي بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية، وإسبانيا، بالإضافة إلى سنوات حياته التي قضاها في مصر، والمغرب، والباكستان، الأمر الذي سهل له الالتقاء بالعديد من علماء المسلمين ومفكريهم على اختلاف تياراتهم، ومذاهبهم الفكرية من جهة، ومن جهة أخرى سهل له التأثر بالمدارس الفكرية الإسلامية في تلك البلاد مما ساعد على تغير فكره، وقناعاته الشخصية متكيفاً مع الظروف البيئية المحيطة به، متجاهلاً المرجعية الأصلية التي يجب أن ينبع منها التغيير وهي كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ.

يقول الإمام أبو الأعلى المودودي - رحمه الله - في أحد خطباته لمريم جميلة مشيراً إلى المرحلة الفكرية الجديدة التي انتقل إليها محمد أسد: "... كان ملتزماً بالإسلام في أول حياته وأحترم كثيراً عرضه لأفكار الإسلام ونقده الثقافة الأوروبية، ولكنه انخرط بالتدرج إلى من يسمون بالمسلمين التقدميين، ومنذ فترة طلق زوجته العربية وتزوج بامرأة أمريكية مودرن، عجلت بالتأكد في انخراطه، وبالرغم من أن هذه الحقائق سوداوية لا يجوز معارضتها ولا تبريرها كثيراً، ... لقد كان محمد أسد قبل إسلامه معتاداً على العيش في مستوى عالٍ ومواصفات حديثة للحياة، وبعد اعتناقه للإسلام واجه شظف العيش وصعوبات مالية، ولهذا فقد أُجبر على تقديم التنازلات واحدة بعد الأخرى، ومازلت أمل أن لا تكون أفكاره وقناعاته قد تغيرت، فحياته العملية شأها الكثير من التعديلات".¹

لا شك في أن محمد أسد - رحمه الله - كانت له اتجاهات فكرية عصرانية في العديد من القضايا، ولكنه لم يقدم التنازلات عن الإسلام بسبب صعوبة الظروف المادية؛ فلقد ذكرت المصادر² أنه عاش حياة كريمة في عهد الملك عبد العزيز أثناء وجوده في الجزيرة العربية، ونعم بصداقته ومحبته، وكان الملك عبد العزيز لا يرضنُّ عليه بالرافد المالي، كما ظلَّ الأمير سلمان أطال الله في عمره يصله ببره، ومعروفه، ورعايته حتى وفاته، ومما يذكر في هذا السياق، أنه نعم ببرِّ أصدقاء له من الجزيرة العربية كالشيخ (سالم العمشي)، والشيخ (أبي بكر با خشب) - رحمهما الله -، والشيخ (أحمد زكي يماني) الذي كان على صلة دائمة به، وكان لا يدخر عنه وسعاً، كما أنه كسب علاقات وصداقات في باكستان، حتى أنه لما غادر تلقى الخطابات، والرسائل من أصدقائه يطلبون منه العودة فقط دون أن يحمل همَّ تكاليف الحياة المادية، والمتأمل في فيلم (The Road To Mecca) يجد أن محمد أسد لم يعانِ أبداً من شظف العيش

1. Correspondence Between Abi-I-a'la AL-Maudoodi and Maryam Jameelah, Abul-Qasim Publishing House, P.P 14-15.

² يراجع الفصل الأول من البحث.

حتى آخر أيام حياته التي قضاها في إسبانيا، فقد ظهر في الفيلم أنه كان يعيش في منزل جيد من حيث التصميم والمساحة، وله خادمٌ يُدعى (خوسيه)^١ ورث عنه منزله، ومكتبته، وتراثه الفكري الذي خلفه، لهذا لا أعتقد أن صعوبة الحياة المادية كانت سبباً في ابتعاده عن الإسلام، فالأمر أبعد من الأمور المادية.

ولقد ذكر د. طلال أسد بأن أفكار والده - رحمه الله - قد تغيرت واختلفت، ولكنه لم يقل أبداً بأنه تنازل عن الإسلام أو تركه، ففي مقابلة مع د. طلال أسد، وأثناء إجابته على السؤال: كيف تحدد موقع والدك على خارطة الفكر الإسلامي الحديث؟ هل كان ينتمي في أفكاره إلى المدرسة الإصلاحية الحديثة؟ أم أنه يعبر عن النزعة الكفاحية في الفكر الإسلامي المعاصر؟، أشار إلى أن والده عند تأليفه لكتاب (الإسلام على مفترق الطرق) كان في شبابه، وكان قد كتبه مسرعاً ونشره فور وصوله إلى الهند، وقد عكس الكتاب التزامه الشديد نحو الإسلام، وقلقه على مستقبل المسلمين، كما شدد على أولوية الكفاح ضد الغرب، ثم يضيف د. طلال أسد، بأن والده - رحمه الله - أصبح فيما بعد أكثر اهتماماً بالإصلاحات الاجتماعية والفكرية في مؤلفاته الإسلامية اللاحقة، كما أصبح أقل صدامية مع الحضارة الغربية، ثم يصف فكر والده بأنه فكرٌ متطورٌ وأنه قدم في "تفسيره" دليلاً وبرهاناً على ما استقرَّ عليه من رؤية إصلاحية وتجديدية، تختلف مع موقفه السابق الذي تبناه في كتابه (الإسلام على مفترق الطرق)^٢.

وربما يكون الفاصل في تحديد هوية كتابات محمد أسد الإسلامية، ما ذكره علي العميم^٣: أنه كان أصولياً في كتابيه (الإسلام على مفترق الطرق)، و(منهاج الإسلام في الحكم)، أما كتبه الأخرى، فلقد كان فيها معبراً عن المدرسة الإصلاحية والعقلانية في الفكر الإسلامي الحديث^٤.

إن المتأمل، والدارس لكتابات محمد أسد، وآرائه الفكرية يستطيع أن يتلمس آثار (المدرسة العقلية الحديثة)، أو (المدرسة الإصلاحية الحديثة) في فكره، من خلال تقارب الآراء والمفاهيم، وتشابه الموضوعات، وتلاقي المقاصد بينهما، فلقد كانت الدعاوى والآراء التي نادى بها محمد أسد ما هي إلا امتداداً لما عرف بالمدرسة العقلية الحديثة، أو أفراخ المعتزلة كما يصفهم البعض، حيث أنهم ورثوا فلسفة المعتزلة ومنهجها قديماً، وسعوا للتوفيق بين الإسلام والعلمانية الحديثة، فلا نكاد نطالع كتاباً من

^١ خوسيه: هو معاون، أو خادم، وصديق مقرب لمحمد أسد، عاش معه قرابة ١٥ سنة، وبقي مع أرملة (بولا حميدة) بعد وفاته، ويظهر أنه يحتفظ بمودة، ومحبة كبيرة لمحمد أسد.

ينظر: A Road to Mecca – The journey of Muhammad Asad, Op. cit.

^٢ العلمانية والممانعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٨٩.

^٣ علي العميم: كاتب، وصحفي سعودي، من مواليد مدينة بريدة عام ١٩٦٤م، عمل صحفياً في مجلة البمامة، وزاول الكتابة في كل من صحيفة الرياض، واليوم، والاقتصادية، والشرق الأوسط، وله العديد من المؤلفات.

ينظر: شبكة المعلومات العالمية www.goodreads.com، تاريخ الدخول: ١٤٣٤/١١/٠٢ هـ.

^٤ العلمانية والممانعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٩١.

كتب هذه المدرسة أو تتأمل اجتهاداً من اجتهاداتها إلّا ونجده متأثراً بفكر المعتزلة في أصوله ومنطلقه، وواقعاً تحت ضغط العلمانية والفلسفة الغربية في مآله ونتيجته، وكما أن المعتزلة قديماً وقعوا تحت تأثير الغزو الفكري الوافد على العالم الإسلامي من اليونان والهند عبر حركة الترجمة، فإن المدرسة العقلية الحديثة أصيبت بهزيمة نفسية أمام الحضارة الغربية المنتصرة، وجرت على المدرستين سنة تقليد المغلوب للغالب^١، ومن أشهر زعماء هذه المدرســــــــــــة: السير أحمد خان الهندي، وجمال الدين الأفغاني^٢، والشيخ محمد عبده^٣.

ويمكن تحديد الأصول الفكرية، والمبادئ التي قامت عليها تلك المدرسة في كلمة واحدة هي (التطوير)، أو (العصرانية) وما تعنيه من تناول أصول الشريعة وفروعها بالتعديل والتفسير، تبعاً للمناهج العقلية التي اصطفاها الغرب حديثاً، أو ما تمليه عقليات أرباب ذلك المذهب، تتلمذت لتلك المناهج، ولا يسلم من هذا التطوير أمرٌ من أمور الشريعة كأصول الفقه، والحديث، أو التفسير، أو مسائل الفقه كالحجاب والطلاق وتعدد الزوجات، والحدود أو الطامة التي عرفت بالتقارب بين الأديان^٤.

وتتلخص أبرز معالم المدرسة العقلية فيما يلي^٥:

١. الموازنة والتوفيق بين نصوص الشرع ومعطيات الحضارة الغربية وفكرها المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين.
٢. التوسع في تفسير القرآن الكريم على ضوء العلم الحديث بكل جوانبه لو أدى ذلك إلى استحداث أقوالٍ مجانبيةٍ لدلالات الآيات اللغوية، ومعارضة المنقول عن السلف.
٣. الاجتهاد في أصول الفقه والدعوة إلى تجديده وقد نتج عن ذلك:

^٢ التحديد في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص ٣٦٧-٣٨٦.

^٢ جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨م/ ١٨٩٥م): ولد عام ١٨٣٨م، وتلقى العلم في إيران ثم سافر إلى أفغانستان وتركيا ومصر، وأمضى ردها من حياته في أوروبا، توفي بالسرطان عام ١٨٩٥م، ودفن في تركيا، كثر تقلبه في الدعوة إلى الإسلام والوحدة الإسلامية، وقيل أنه كان يعمل ضمن جماعات سرية، وكان البعض يشك في عقيدته، وكانت الجهات التي تمويل نشاطاته غير معروفة، فتح باب الريا والسفور في الأقطار الإسلامية.

ينظر: دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، مصطفى غزال، ط١، دار طيبة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٣٨١-٣٨٨.

^٣ محمد عبده (١٨٤٩م/ ١٩٠٥م): ولد سنة ١٨٤٩م، سياسي مصري من علماء المسلمين الداعين إلى التحديد والإصلاح، درس في الأزهر الشريف، وحرر جريدة الوقائع المصرية، ناواً الإنكليز فنفي، أصدر في باريس مع جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى، ثم عاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف، له عدة مؤلفات: رسالة التوحيد، شرح لهج البلاغة، وجموع مقالاته، توفي سنة ١٩٠٥م.

ينظر: موسوعة مشاهير وعظماء وشخصيات من العالم، مرجع سابق، ص ٢٢٦-٢٢٧.

^٤ دراسات في الفرق (المعتزلة بين القدم والحديث)، محمد العبد، طارق عبد الحليم، ط١، برمنجهام: دار الأرقم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٣٦-١٣٧.

^٥ التحديد في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص ٣٦٤-٣٦٨.

● اعتماد معايير جديدة لقبول السنة النبوية بحيث لا تقبل إلا الأحاديث المتواترة فقط عند بعضهم، والسنة العملية فقط دون السنة القولية عند البعض الآخر، والتشريعية دون غير التشريعية عند الجميع، وردُّ أحاديث الآحاد في أبواب الاعتقاد والغيبيات، واشتراط موافقتها لعقل وروح القرآن في الأحكام العملية.

● التهوين من شأن الإجماع، إمّا برفضه كلياً، أو بإضافة قيود جديدة عليه لم تكن معروفة من قبل، أو بتحويله عن معناه المعروف أصولياً إلى رأي عام شعبي على طريقة الانتخابات الديمقراطية.

● وضع معايير جديدة لترجيح الآراء الفقهية المختلفة وكيفية اختيارها.

● الاجتهاد في موارد النصوص وتقدم المصلحة عليها.

٤. تناول الأحكام الشرعية العملية تناولاً لضغوط الواقع ومتطلباته، وذلك كقضايا الربا، والمرأة، والحريات العامة، والوحدة الوطنية، وتداول السلطة، والمساواة.

٥. اعتماد التأويل ركنية لما يهدفون إليه من تجديد والتوسع فيه واستخدامه في كل موقف يكون النص فيه عائقاً أمام أهوائهم ورغباتهم، لا فرق في ذلك بين قضايا الاعتقاد وقضايا العمل، مع توجه واضح لتضييق نطاق الغيبيات تأثراً بالتيار المادي الذي يسود الحضارة المعاصرة.

٦. اعتماد الفهم المقاصدي للإسلام بدل الفهم النصي، فالنصوص عندهم يجب أن تفهم وتؤول على ضوء المقاصد (العدل، التوحيد، الحرية، الإنسانية)، ونصوص الحديث يحكم على صحتها أو ضعفها لا حسب منهج المحدثين في تحقيق الروايات وإنما حسب موافقتها أو مخالفتها للمقاصد.

٧. إقامة الرابطة الاجتماعية بين الناس لا على أساس الإيمان والكفر، وإنما على أساس الوطن والإنسانية، وعليه يجب إعادة النظر في تقسيم العالم إلى دار حرب ودار إسلام، وفي استعلاء المسلم على غيره وتميزه عنه، وفرض الجزية على غير المسلمين ومنعهم من تقلد المناصب في الدولة الإسلامية.

وعلى ضوء ما سبق فإنَّ كلَّ ما وقفت عليه من آراء فقهية، وعقدية لمحمد أسد - غفر الله له - ما هي إلَّا معول هدمٍ للمسلمين، واجتثاث للأصول والثوابت - سواءً عن قصدٍ أو غير قصد - من خلال تشكيك الأمة في دينها، وعقيدتها، ومصادر شريعتها، والتهوين من قدسية النصوص الشرعية، والهمز واللمز لحملة الدين من مفسرين، وفقهاء، ومحدثين، ولا شكَّ أنَّ هذا التشكيك يؤثّر على حياة المسلمين، ونظرهم إلى دينهم، وخاصةً أنصاف المتعلمين، والعوامِّ منهم.

كما أنه يعطي فرصةً لأعداء الإسلام، ويعينهم على الطعن في الإسلام ومصادره، وهذا ما يؤكد مراد هوفمان حينما قال: إن آراء محمد أسد - رحمه الله - صارت مصدراً لمنكري الحجاب في كلِّ من تركيا، وفرنسا، وألمانيا، وتسببت بالشقاق بين المسلمين^١، إضافةً إلى أنه ظهر في بعض آرائه ردٌّ للسنّة النبوية التي تعتبر المصدر الثاني من مصادر الشريعة، والعقيدة.

كما أنَّ المتأمل فيما ذكر سابقاً من مواقفه يجد أنه حكّم العقل أكثر من تحكيّمه للشرع، وجعل الأدلة العقلية مقدّمةً على الأدلة الشرعية، وفي هذا إلغاءً للحكمة من إنزال الوحي، وإشاعةً للشبهة التي تؤمن بقدرة العقل على الوصول إلى الحقِّ، والعلم، واليقين دون الحاجة إلى الوحي، وإقحام العقل فيما لا طاقة له به بما يوقعه في المهالك، والتمزق، والانحراف.

فكان من الواجب على العلماء، والباحثين أن يقوموا بمهمة البحث، والتمحيص؛ لإصدار الدراسات العلمية النقدية على آرائه العقدية، والفقهية، والحديثية، في كلتا الترجمتين^٢، لاسيّما وأنَّ فئةً من المسلمين - كما ظهر في فيلم (الطريق إلى مكة) - تتخذ من كتاب (The Massage of Quran) مرجعاً أساسياً في فهم معاني القرآن الكريم.

وإنه لمن الإنصاف لو أنَّ أحداً من الدارسين، أو المهتمين بترائمه - رحمه الله - أن جرد لنا ترجمته من الأخطاء، والانحرافات الواضحة التي لا مجال فيها للشكِّ، ثم جمع لنا مواطن الجمال، والعبارات التي تستحقُّ الوقوف والتأمل.

^١ دراسة نقدية لترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، مرجع سابق، ص ١٣٧.

^٢ تم تسجيل بحث في قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، للعام ١٤٣٠-١٤٣١، للباحث عبد الله السويدي بعنوان: (الأخطاء العقدية في كتاب محمد أسد رسالة القرآن)، ومازال الباحث بصدد البحث والكتابة، وقد قمت بالتواصل معه، والاستفادة من معلوماته فجزاه الله خيراً.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله ذي الفضل، والإنعام، والمنة، والإحسان حمداً يليق بجلال وجهه وعظمته، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، سيد الأنام، وخير من صلّى وصام، وبعد:

فإني في نهاية هذا البحث أشكر الله سبحانه وتعالى على ما أنعم به عليّ بإكمال هذا البحث من غير حولٍ مني ولا قوةٍ، وأسأله سبحانه أن ينفعني به، وأن ينتفع به المسلمون، وأذكر هنا النتائج التي توصلتُ إليها من خلال بحثي هذا، وجملةً من التوصيات، والمقترحات.

أولاً - النتائج:

1. تميز عصر محمد أسد بأحداثٍ حسامٍ، كسقوط الدولة العثمانية، وانهيار الإمبراطوريات الكبرى، وظهور الولايات المتحدة الأمريكية.
2. للحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية عميقُ الأثر على مواقف وآراء المفكر محمد أسد، وثقافته.
3. الدور البارز، والمهمُّ الذي يقوم به الوالدان في تنشئة الطفل، وتعليمه، ومدى أثرهما في تحقيق الاستقرار النفسي، والنجاح العلمي، والعمليّ في حياته.
4. وجود غموضٍ يكتنف بعض الجوانب من حياة محمد أسد، لاسيّما المدة التي قضاهما في باكستان؛ فتفاصيلها مازالت مجهولةً.
5. وفرة الإنتاج العلميّ لدى محمد أسد، وتنوعه، وشمولُه، لمختلف قضايا الثقافة الإسلامية.
6. إن الدعوة إلى إحياء الإسلام في قلوب أهله، والتمسك بالشرعية الإسلامية أخذت جلّ وقته.
7. كان لمحمد أسد أعمالٌ كثيرةٌ، وجهودٌ تصبُّ في خدمة الإسلام وقضاياها، فقد شارك في المؤتمرات الإسلامية، وعقد المحاضرات والدروس الإذاعية، كما كان رائداً في العمل الصحفيّ، إذ أنشأ داراً للنشر في باكستان.

٨. بذل محمد أسد جهوداً في دحض شبهات المستشرقين، والمستغربين، وأهل البدع والأهواء.

٩. اختلاف الباحثين، والمفكرين حول محمد أسد هل يعدُّ مفكراً، أم مستشرقاً؟ وتوصلت الباحثة إلى أنه مستشرقٌ مسلمٌ.

١٠. بذل محمد أسد جهداً في التأسيس لعلاقةٍ جيدةٍ مع الآخر من خلال دعوته المتكررة بضرورة السموِّ بمشاعرنا، وأحاسيسنا تجاه الآخر، ومحاولة تنمية مهارات التواصل مع الغير، وتفهمه؛ لتحقيق التعايش السلميِّ، وتسهيل التعامل مع القضايا، والحقائق غير المفهومة لدينا، والغريبة على ثقافتنا.

١١. تعددت المراحل الفكرية التي مرَّ بها محمد أسد خلال حياته؛ لتأثره بالمدارس الدينية المختلفة سواءً في الجزيرة العربية، أو في باكستان.

١٢. الإجماع الواضح والبيِّن بين العلماء، والباحثين على الأخطاء العقديَّة، والفقهيَّة التي وقع بها محمد أسد في ترجمته لمعاني القرآن الكريم.

١٣. خطورة كتاب رسالة القرآن على المسلمين؛ لما يحتويه من انحرافات عقديَّة وفقهيَّة، وكفريات فاضحة أجمع عليها علماء المسلمين.

ثانياً - التوصيات:

في ضوء ما أسفرت عنه نتائج الدراسة الحالية، فإنَّ الدراسة توصي بما يلي:

١. ضرورة اهتمام طلاب العلم بدراسة سيرة المستشرقين المسلمين، وإنتاجهم الفكريِّ، أمثال محمد أسد، ومراد هوفمان، بهدف التعرف على الموضوعات الإسلامية التي أخفقوا في توضيحها، ومن أجل معرفة البيئة الغربية، وبنية الشخصية الغربية، وطرق التعامل معها.

٢. ضرورة إلمام الطالب في تخصص الثقافة الإسلامية باللغة الإنجليزية، وبعض اللغات الأجنبية الأخرى (الإسبانية، الألمانية، الأردنية، الفرنسية).

٣. الاهتمام بمكتبة محمد أسد الخاصة، والعمل على إحياء تراثه، وآثاره.
٤. عقد الندوات، والمحاضرات، والمؤتمرات التي تُعنى بفكر وتراث محمد أسد، ومحاور اهتمامه، وآثاره العلمية.
٥. تأسيس موقعٍ على شبكة المعلومات العالمية يحمل اسم محمد أسد يجمع مؤلفاته، ومقالاته المتفرقة، ومحاضراته، وبرامجه الإذاعية، ومشاركاته في المؤتمرات؛ ليتمكن المسلمون من الاطلاع على فكره، وثقافته، وليسهل على طلاب العلم دراستها دراسةً منهجيةً علميةً.

ثالثاً - المقترحات:

وفي ضوء أهداف الدراسة الحالية، والنتائج التي توصلت إليها، تقترح الباحثة إجراء الدراسات والبحوث التالية:

١. موقف محمد أسد من الاجتهاد والفتوى (عرض ونقد).
٢. حياة محمد أسد في الجزيرة العربية، وعلاقته بالملك عبد العزيز.
٣. دراسة نقدية لآرائه الفقهية الواردة في ترجمته لمعاني القرآن الكريم.
٤. الفكر السياسي عند محمد أسد
٥. جهود محمد أسد في الدفاع عن الإسلام من خلال خطاباته في الأمم المتحدة.
٦. تأثير فكر محمد أسد على الجاليات الإسلامية في أوروبا (دراسة ميدانية).
٧. تأثير فكر محمد أسد على الفكر الغربي في القرن العشرين (دراسة ميدانية).
٨. موقف محمد أسد من الأديان السماوية (دراسة تحليلية)
٩. مدى تأثير محمد أسد بالثقافة اليهودية في ترجمته لمعاني القرآن الكريم.
١٠. رؤية محمد أسد للعبادة في الإسلام (دراسة تحليلية)

١١ . رؤية محمد أسد للحضارة الإسلامية (دراسة تحليلية)

١٢ . الوسطية والاعتدال في فكر محمد أسد.

١٣ . دراسة نقدية لترجمة محمد أسد لصحيح البخاري.

وأسأل الله سبحانه أن يتقبل منا أحسن ما عملنا، ويتجاوز عن سيئاتنا، وإسرافنا في أمرنا، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وخشيتته في السر والعلن، وقول الحق في الغضب والرضا، إنه سميع قريب مجيب.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
وإمام المتقين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً - القرآن الكريم

ثانياً - كتب الحديث الشريف:

١. الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، أبي عبد الله محمد إسماعيل البخاري، شرح وتصحيح محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، نشره وراجعه قصي محب الدين الخطيب، ط ١، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٤٠٠هـ.
٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
٣. سنن الترمذي، محمد بن عيسى سورة الترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ط ٢، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
٤. سنن أبو داوود، سليمان بن الأشعث بن الأزدي السجستاني، تحقيق محمد عبد الله عبد الحميد، الطبعة، بيروت: المكتبة العصرية.
٥. سنن ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله محمد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة، البلد: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى الحلبي.
٦. صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني.
٧. ضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض: مكتبة المعارف.
٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف د. عبد الله عبد المحسن التركي، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة بيروت: دار إحياء التراث، المكتبة الشاملة.

ثالثاً - المصادر (مؤلفات محمد أسد):

أ. العربية:

١٠. الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة صالح بن عبد الرحمن الحصين، ط ١، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
١١. الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة عمر فروخ، ط ١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.
١٢. الطريق إلى مكة، محمد أسد، ترجمة رفعت السيد، ط ١، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٥هـ.
١٣. الطريق إلى مكة، محمد أسد، ترجمة عفيف البعلبكي، ط ١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٦م.
١٤. منهاج الإسلام في الحكم، محمد أسد، ترجمة منصور محمد ماضي، ط ٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٤٦م.

ب. الأجنبية:

15. Is Religion a Thing of Past?, Muhammad Asad, Educational Press, Karachi, 1960.
16. This Law of Ours and Other Essay, by Muhammad Asad, IslamicBookTrust, Kuala Lumpur, 2001.
17. The Massage of Quran, Muhammad Asad, Printed by Oriental Press, Dubai, 2008.
18. Sahih AL-Bukhari – The Early Years of Islam, Muhammad Asad, 2002, IslamicBookTrust, Malaysian, 2002

19. The Spirit of Islam, Muhammad Asad, The Islamic Foundation, London, 1979.

20. The Unromantic Orient, Muhammad Asad, Translated from The German by Elma Ruth Harder, Canda, AlQalam Publishing, 2004.

رابعاً - المراجع:

أ. العربية:

٢١. الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. علي جريشة، ط ٥، المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.

٢٢. اتفاق الأرواح رواية تاريخية واقعية عن المستشرق النمساوي محمد أسد ورفيقه زيد بن غانم الشمري، سعد العفنان، ط ١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٢٣. الاستبصار في عجائب الأمصار، لكاتب مراكشي من القرن ٦هـ، نشر وتعليق د. سعد زغلول، ط (بدون)، بغداد: دار الشؤون الثقافية، تاريخ (بدون).

٢٤. اقتضاء الصراط المستقيم، الإمام ابن تيمية، تحقيق، عصام الحرساني ومحمد الزغلي، ط ١، بيروت: دار الجليل، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٢٥. الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، د. إسماعيل علي محمد، ط ٣، مصر: دار الكلمة،

١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٢٦. الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، القاهرة: دار المعارف، ١٤١٧هـ.

٢٧. الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، د. محمد عبد الله الشرقاوي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٢٨. الاستشراق (المعرفة- السلطنة- الإنشاء) إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، ط٢، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤م.
٢٩. الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، د. مازن صلاح مطبقاني، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٥م.
٣٠. الاستشراق والدراسات الإسلامية (مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم)، أ.د علي إبراهيم النملة، ط١، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
٣١. الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، بيروت/ دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
٣٢. الإسلام حضارة الغد، د. يوسف القرضاوي، ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
٣٣. الإسلام في تصورات الغرب، د. محمود حمدي زقروق، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
٣٤. الإسلام والتحدي الحضاري بأقلام عشرة من علماء الإسلام، محمد أسد وآخرون، ترجمة محمد محمود غالي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
٣٥. الإسلام وثقافة الإنسان، سميح عاطف الزين، ط٧، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
٣٦. الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، ط١، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
٣٧. الإسلام والغرب رؤية محمد أسد، د. صفوت مصطفى خليلوفيتش، ط١، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

٣٨. الإصابة في تميز الصحابة، الإمام الحافظ أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود
والشيخ علي محمد معوض، ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م،
ج٢، ص ٣٨.

٣٩. الإمام أبو الأعلى المودودي منهجه في الدعوة، منظور حقاني، رسالة ماجستير غير منشورة،
الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، المعهد العالي الدعوة الاسلامية ١٤٠٦هـ.

٤٠. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، ط١، بيروت: دار الإرشاد،
١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.

٤١. أثر الحروب الصليبية على الفكر الغربي الحديث، محمد أسد، ط١، القاهرة: المختار الإسلامي،
١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

٤٢. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير - الاستشراق - الاستعمار)، عبد الرحمن حبنكه الميداني،
ط٨، دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٤٣. أصول السرخسي، محمد بن أحمد السرخسي، تحقيق أبي الوفاء الأفغاني، ط١، بيروت: دار
الكتب العلمية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٤٤. أضواء على الحضارة الإسلامية، د. أحمد عبد الرحيم السايح، ط١، القاهرة: مركز الكتاب
للنشر، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٤٥. أطماع اليهود وأسفارهم، فؤاد حسين مزنر، لبنان: دار الكتب الثقافية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

٤٦. أعلام بلا إعلام، د. عبد الرحمن صالح الشبيلي، ط١، الرياض: مطبعة سفير، ج١، ١٤٢٨هـ /
٢٠٠٧م.

٤٧. الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدين
الزركلي، ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين.

٤٨. آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، د. محمد خليفة حسن، ط١، القاهرة: عين للدراسات والبحوث، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
٤٩. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، د. عمر رضوان، ط١، الرياض: دار طيبة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
٥٠. البحث العلمي أسسه ومناهجه وأساليبه وإجراءاته، د. رنجي مصطفى عليان، ط١، عمان: بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠١م.
٥١. تاريخ أوروبا، شوقي الجمل؛ عبد الله عبد الرزاق، ط١، القاهرة: المكتب العربي لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٠م.
٥٢. تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (١٨١٥م/١٩١٩م)، عمر عبد العزيز عمر، ط١، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.
٥٣. تنمة الأعلام للزركلي وفيات (١٩٧٦م - ١٩٩٥م)، محمد خير رمضان، ط٢، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
٥٤. التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أمامة، ط١، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ.
٥٥. تفسير ابن كثير، للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، بيروت: دار افكر، المجلد الأول، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٥٦. التفسير الإسلامي للفكر البشري والفلسفات القديمة، أنور الجندي، القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٨م.
٥٧. التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، ناصر العقل، رسالة ماجستير مقدمة لنيل العالمية بكلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٣هـ / ١٣٩٤هـ.

٥٨. جاذبية الإسلام الروحية لماذا أسلم هؤلاء، أحمد عبد الرحمن، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م،
٥٩. الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، محمد كامل عبد الصمد، ط١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
٦٠. جغرافية أوروبا الجديدة دراسة إقليمية، حسام جاد الرب، ط بدون، القاهرة: دار العلوم، ٢٠٠٥م.
٦١. جغرافية أوروبا دراسة موضوعية، حسن عبد العزيز أحمد، ط١، الرياض: دار المريخ للنشر، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
٦٢. جغرافية أوروبا من منظور جغرافي وتنموي، فتحي محمد مصيلحي، ط١، القاهرة: دار الماجد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.
٦٣. جغرافية العالم الإسلامي، محمد خميس الزوكة، ط٢، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للنشر والطباعة، ٢٠٠٠م.
٦٤. جغرافية مصر، محمد أمين فكري، ط١، مصر: مطبعة وادي النيل المصرية، ١٣٩٦هـ.
٦٥. جغرافية مصر، د. محمد فريد فتحي، ط٢، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.
٦٦. حاضر العالم الإسلامي، تاج السر أحمد حران، ط٤، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٨هـ.
٦٧. حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، جميل عبد الله المصري، ط١٠، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٦م.
٦٨. الحركة السنوسية، علي محمد الصلابي، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، الجزء ٣.
٦٩. الحضارة الغربية على شفا جرف هاو، مصطفى فوزي غزال، ط٢، القاهرة: دار السلام، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٧٠. الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ، مايكل هارت، ترجمة أنيس منصور، المكتب المصري الحديث.

٧١. دراسات في الثقافة الإسلامية، د. جمال نصار، ط٢، الدمام: مكتبة المتنبي، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

٧٢. دراسات في الفرق (المعتزلة بين القلم والحديث)، محمد العبد، طارق عبد الحلیم، ط١، برمنجهام: دار الأرقم، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

٧٣. دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، مصطفى غزال، ط١، دار طيبة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٧٤. دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ويليه الرد على من ينكر حجية السنة، الشيخ محمد أو شهبة، د. عبد الغني عبد الخالق، ط١، القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٨٩م.

٧٥. دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني، نهاد محمد خليل، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٧٦. الدولة ونظام الحكم في الإسلام، د. حسن السيد بسيوني، ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٧٧. ذاكرة القرن العشرين، خليل جواد، ط١، دمشق: دار العائدي للنشر والتوزيع والدراسات والترجمة، ٢٠٠٠م.

٧٨. رحالة الغرب في ديار العرب، أسعد الفارس، ط١، الكويت: أحمد عبد الله الفليح صقر الجزيرة للنشر والإعلان، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م،

٧٩. الرائد معجم لغوي معاصر، جبران مسعود، ط٧، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م.

٨٠. ربحت محمداً ولم أخسر المسيح، د. عبد المعطي الدلاقي، دمشق: مؤسسة الرسالة والشركة المتحدة للتوزيع، نسخة إلكترونية.

٨١. الرحلة إلى الإسلام - يوميات دبلوماسي ألماني، د. مراد هوفمان، ترجمة د. محمد سعيد دبّاس، ط٢، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧ هـ/٢٠٠٦ م.
٨٢. رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب، ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١١ هـ/١٩٩١ م.
٨٣. زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، ط٤، بيروت: دار الكتاب العربية، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م.
٨٤. سقوط العلمانية، أنور الجندي، ط٢، بيروت: دار الكتاب اللبناني/ مكتبة المدرسة، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م.
٨٥. سلسلة رجال ونساء أسلموا، إعداد وترجمة د. عرفات كامل العشي، تعليق د. عبد الستار فتح الله، القاهرة: المكتب المصري الحديث، ج٢، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ م.
٨٦. السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها، عماد السيد الشريبي، ط٢، المنصورة: دار اليقين، ١٤٢٩ هـ/٢٠٠٨ م.
٨٧. السنوسية، مفتاح السيد الشريف، ط١، القاهرة: دار الاستقلال، مكتبة وهبة، ١٤٢٩ هـ/٢٠٠٨ م.
٨٨. السنوسية دين ودولة، محمد فؤاد شكري، مراجعة يوسف الجريسي، ط١، بريطانيا: مركز الدراسات الليبية، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.
٨٩. الشيخ الجليل عمر المختار، علي محمد الصلابي، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، ج١.
٩٠. صحيح مسلم بشرح النووي، ط١، القاهرة: المطبعة المصرية بالأزهر، ١٣٤٧ هـ/١٩٢٩ م.
٩١. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، لبنان: دار الندوة، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م.
٩٢. الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مالك بن نبي، دمشق: دار الفكر، ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م.

٩٣. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتزويه، محمد أمان الجامي، ط١، المدينة المنورة: المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية، ١٤٠٨هـ.
٩٤. صفحات وثائقية من تاريخ الإعلام في الجزيرة العربية، د. عبد الرحمن الشبيلي، ط١، الرياض: مطبعة سفير، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٩٥. صححة مسلم قادم من الغرب، مصطفى حلمي، ط٢، الإسكندرية: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٣٧.
٩٦. الطريق إلى عمر المختار حكاية شاهد عيان، محمد أسد، ترجمة سعيد العريني، تقديم المفكر مراد هوفمان، ط١، الإسكندرية: دار الهدى، ٢٠١٠م.
٩٧. العصرانيون بين مزاعم التجديد وميدان التغريب، محمد حامد الناصر، ط٢، الرياض: مكتبة الكوثر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٩٨. العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، د سعد الدين السيد، ط٢، القاهرة: دار الصفا، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٩٩. علاقة محمد أسد بالباكستان، د. محمد إكرام شحاتي، ورقة عمل مقدمة لندوة محمد أسد حياة للحوار، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، ١١-١٢ إبريل ٢٠١١م.
١٠٠. علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله بن عبد الرحمن البسام، ط٢، الرياض: دار العاصمة، ج٤، ١٤١٩هـ.
١٠١. علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، ط٤، الرياض: دار الشواف، ج١، ١٩٩٢م.
١٠٢. العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر الحوالي، ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحوث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٠٣. العلمانية والممانعة الإسلامية محاورات في النهضة والحداثة، علي العميم، ط٢، بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٢م.

١٠٤. عمر المختار شهيد الإسلام وأسد الصحراء، محمد محمود إسماعيل، القاهرة: مكتبة القرآن، ١٩٩٢م.

١٠٥. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد عبد الرزاق الدويس، ط١، الرياض، دار أولي النهى، المجلد ٣، ١٤١١هـ.

١٠٦. الفتح الإسلامي عبر العصور، د. عبد العزيز إبراهيم العمري، ط١، الرياض: دار إشبيليا، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٠٧. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ط٧: القاهرة، دار الفكر، ١٩٩١م.

١٠٨. فلسطين التاريخ المصور، طارق السويدان، ط٨، الكويت: الإبداع الفكري، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٠٩. قاموس الجغرافيا القديمة، أحمد زكي بيك، ط١، القاهرة: المطبعة الكبرية الأميرية، ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م.

١١٠. القدس رؤية دينية مقارنة، محمد أسد الوعد الحق، إسبانيا: شركة الزاد، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١١١. قصة إسلام المفكر الإسلامي محمد أسد، محمد الرمادي، ٢٠١٠م، بحث متوفر على شبكة

المعلومات العالمية <http://quran-m.com/container.php?fun=artview&id=607>

١١٢. قصة الحضارة، ول دويورانت، ترجمة زكي نجيب محمود، بيروت: دار الجيل، المجلد الأول، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١١٣. القلم الجريء مفكرون غربيون ويهود انتقدوا الصهيونية، إسرائيل شاحق وآخرون، ترجمة وتقدم البراق عبد الهادي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م.

١١٤. كتاب البيروني في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، أبو الريحان محمد البيروني، حيدر أباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م.

١١٥. لماذا أسلم محمد أسد، الشيخ صالح الحصين، ورقة عمل مقدمة في ندوة (محمد أسد حياة للحوار)، مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية الرياض، ٨-٩/جمادى الأولى/١٤٣٢ هـ / ١٢-١٣/إبريل/٢٠١١م.

١١٦. لماذا أسلمنا، هذبه وعلق عليه عبد الحميد عبد الرحمن السحبياني، ط ١، الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤١٥هـ.

١١٧. لماذا أسلمنا، علي عبد الموجود القاضي، ط ١، القاهرة: دار الهداية، ٢٠٠٤م.

١١٨. لماذا يكرهونه الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام ﷺ، د. باسم خفاجي، ط ١، الرياض: منشورات مجلة البيان، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦م.

١١٩. لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عورة الخطيب، ط ١٤، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م.

١٢٠. لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور، القاهرة: دار المعارف، ج ١.

١٢١. ماذا خسر العالم بأخطا المسلمين، أبو الحسن الندوي، ط ٨، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م.

١٢٢. المتحولون دنيا دراسة في ظاهرة تغير الديانة والمذهب، هاني نسيرة، مركز الأندلس لدراسات التسامح ومناهضة العنف، القاهرة: (بدون تاريخ).

١٢٣. مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق عبد الرحمن محمد قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد للطباعة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م.

١٢٤. محمد إقبال مفكرا إسلاميا، محمد الكتاني، ط ١، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٧٨م.

١٢٥. محمد أسد سيرة عقل يبحث عن الإيمان، محمد يوسف عدس، القاهرة: كتاب المختار.

١٢٦. محمد أسد في الطريق إلى مكة، صالح عبد الرحمن الحصين، المملكة العربية السعودية: مؤسسة الوقف الإسلامي، ١٤٣١هـ.

١٢٧. محمد أسد ليبولد فايس (رحلاته إلى العالم العربي)، د. جونثر فيند هاجر، ترجمة وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، ٢٠١١م.

١٢٨. محمد أسد هبة الإسلام لأوروبا، د. عبد الرحمن الشبيلي، ط١، الرياض: مطبعة السفير، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

١٢٩. محمد أسد ودوره في الفكر الإسلامي المعاصر، د. نجاح محمود الغنيمي، ط١، القاهرة: دار المنار، ١٩٨٧م.

١٣٠. مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، د. محمود محمد مزروعة، ط١، مصر: دار الرضا، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٢م.

١٣١. مرصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع، صفي الدين البغدادي، تحقيق علي محمد البجادي، ط١، بيروت: دار الجيل، المجلد ١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

١٣٢. المستشرقون، نجيب العفيفي، مصر: دارف المعارف، ج٢، ١٩٦٥م.

١٣٣. مستقبل الإسلام، مالك بن نبي، ترجمة شعبان بركات، ط٣، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م.

١٣٤. المسيحية، د. أحمد شلبي، ط١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٣م.

١٣٥. مشكلة المسلمين اليوم، محمد أسد، محاضرات الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامي، قسنطينة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، جمادى الثاني ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

١٣٦. مصابيح العصر والتراث، أنور الجندي، طبعة (بدون)، القاهرة: دار الاعتصام، ٢٠٠٢م.

١٣٧. معجم البلدان، للإمام شهاب الدين البغدادي، بيروت: دار صادر، ج١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٣٨. معجم بلدان العالم، محمد عتريس، ط١، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
١٣٩. معجم الحضارات السامية، هنري. س. عبودي، ط٢، لبنان: جروس برس، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
١٤٠. معجم المصطلحات الفلسفية عربي- فرنسي- إنكليزي، خليل أحمد خليل، ط١، بيروت: دار الفكر اللبناني، ج٢، ١٩٩٥م.
١٤١. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة: مطابع الأمرية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
١٤٢. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، ط١، القاهرة: عالم الكتب، المجلد الأول، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
١٤٣. معجم معارك الجهاد في ليبيا، خليفة محمد التليسي، ط (بدون)، طرابلس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م.
١٤٤. معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
١٤٥. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مصر: وزارة التربية والتعليم، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
١٤٦. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٤، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
١٤٧. معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، د. محمد عمارة، ط٢، مصر: نهضة مصر للطباعة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
١٤٨. مفردات ألفاظ القرآن الكريم للعلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان، ط٣، دمشق: دار القلم، ١٤٢٣هـ.

١٤٩. المفكر الإسلامي محمد أسد (ليبولد فايس) وجهوده في الدعوة الإسلامية دراسة وصفية تحليلية، للدكتور حسين إسحاق يوسف، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم درمان، السودان، ١٤٣٠هـ.

١٥٠. مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد، ط١، الكويت: دار الدعوة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

١٥١. مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين، على الحسيني الندوي، ط١، بيروت/دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٥٢. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن محمد بن خلدون، ط٤، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.

١٥٣. من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، عبد الله العقيل، ط٧، عمان: دار البشير، ج١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٥٤. مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، محمد البشير مغلي، ط١، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ.

١٥٥. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر القفاري، د. ناصر العقل، الرياض: كنوز إشبيلية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٥٦. موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، إشراف د. محمود حمدي زقزوق، القاهرة: وزارة الأوقاف، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

١٥٧. موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، عبد الحكيم العفيفي، ط١، بيروت: أوراق شرقية للطباعة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٥٨. الموسوعة التاريخية الجغرافية، مسعود الخوند، ط١، بيروت: دار رواد النهضة، ١٩٩٤م.

١٥٩. الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، كمال مورييس شربل، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٦٠. موسوعة الحضارة الإسلامية، د. أحمد شلبي، ط٦، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٩م.
١٦١. موسوعة السياسة، د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، ط٢، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
١٦٢. الموسوعة العربية العالمية، ط٢، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
١٦٣. الموسوعة العسكرية، المقدم الهيثم الأيوبي وآخرون، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج١، ١٩٨١م.
١٦٤. موسوعة مشاهير العالم، إعداد مجموعة من المؤلفين، ط١، بيروت: دار الصداقة العربية، ٢٠٠٢م.
١٦٥. موسوعة مشاهير وعظماء وشخصيات من العالم، عبد الرحمن مار ديبني، ط١، دمشق: دار المحبة، ٢٠٠٢م / ٢٠٠٣م.
١٦٦. موسوعة الملك عبد العزيز الدبلوماسية، فهد عبد الله السماري وآخرون، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
١٦٧. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الرياض: الندوة العالمية للشباب المسلم، ١٤٠٩هـ.
١٦٨. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، المجلد ٥، نسخة إلكترونية.
١٦٩. نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. خضر شايب، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
١٧٠. نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر وبذيله عقد الجواهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر، د. يوسف المرعشلي، ط١، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٦م.

١٧١. نحو ثقافة إسلامية أصلية، د. عمر سليمان الأشقر، ط٧، الأردن: دائر النفائس، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
١٧٢. نظام الحكم في الإسلام، منصور الرفاعي عبيد، ط١، القاهرة: الدار الثقافية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
١٧٣. النظريات السياسية الإسلامية، د. محمد ضياء الدين الرئيس، ط٧، القاهرة: دار التراث، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
١٧٤. نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، د. سامي سالم الحاج، ط١، بيروت: دار المدار الإسلامي، ج١، ٢٠٠٢م.
١٧٥. نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، د. فاطمة هدى النجا، ط١، طرابلس/ لبنان: دار الإيمان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
١٧٦. هجرة صحفي أوروبي إلى جزيرة العرب، تهذيب سيرة (ليوبولد فايس)، سعد بن عبد الرحمن الحصين، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
١٧٧. الواضح في أصول الفقه، أبي الوفاء علي بن عقيل البغدادي الحنبلي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٠م.
١٧٨. واقعنا المعاصر، محمد قطب، ط١، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
١٧٩. الوجيز في الثقافة الإسلامية، د. همام سعيد وآخرون، ط١، عمان: دار الفكر، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
١٨٠. اليهود الموسوعة المصورة، د. طارق السويدان، ط١، الكويت: الإبداع الفكري، ١٤٣٠ / ٢٠٠٩م.

181. A Comparative Study of English Translations by Abdullah Yusuf Ali and Muhammad Asad, By: Muzaffar Iqbal, Journal of Quranic Studies, The University of Edinburgh, U.K, No. 2, Jun. 2000.
182. A FORGOTTEN PAKISTANI, Muzaffar Iqbal, In: Muhammad Asad Europe's gift to Islam, by: M. Ikram chghatai, Lahore, Pakistan, Vol.1, P.307
183. Correspondence Between Abi-l-a'la AL-Maudoodi and Maryam Jameelah, Abul-Qasim Publishing House.
184. Europe and the An Essay on Western Civilization in Its Economic Aspects, Hillarie Belloc, Chapter I, Cambridge University Historical Series
185. Leopold Weiss Alias Muhammad Asad Von Galizien Nach Arobien, By: Gunther Windhgar, Study submitted in German Ph.D., Institute of Culture and Social Sciences, University of Vienna, Austria, 2005.
186. Participants S.V.s " Muhammad Asad A life for Dialogue", King Faisal Center for Research and Islamic Studies, 11-12/04/2011.
187. The Impact of Affirmative Action in India: More Political than Socioeconomic, Christophe Jaffrelot, journal of India Review, Vol.5, No.2, Sep, 2006.
188. The Jewish Discovery of Islam, The Moshe Dayan Middle Eastren and African Studies, Tel Aviv, 1999,

189. The Political Thought of Muhammad Asad, By: Pipi Ahmaed Hasan, Presentes In Partial Fulfillment of Requirements for The Degree of Master of Arts at Concordia, University, Canada, 1998.
190. The Road from Mecca: Muhammad Asad (born Leopold Weiss), By: Martin Kramer.
191. The Tafsir of Muhammad Asad an Analytical Study of His Methodology, By: Maziah Mahmud, A Master's Project, International Islamic University, Malaysia, 2007.
192. Un FORGETTABLE PAKISTANI, K.M.A.Z.A.M, In Muhammad Asad Europe's gift to Islam, M. Ikram Chaghatai, Lahore, Vol. 1, 2006.

خامساً - الدوريات:

١٩٣. أثر فتح القسطنطينية على العالم الأوروبي والإسلامي، د. علي الصلابي، صحيفة ليبيا اليوم،

متوفر على الموقع الإلكتروني: www.islamstory.com

١٩٤. أوروبي يكتشف الإسلام، عبد الله أحمد، بيروت، متوفر على شبكة المعلومات العالمية على

الرابط: www.hekmah.org

١٩٥. الإسلام على مفترق الطرق، تعليق طه مصطفى أبو كريشة، مجلة الأزهر، ج ١، السنة ٥٦،

محرم ١٤٠٤هـ / أكتوبر ١٩٨٣م.

١٩٦. الإسلام وروح العصر (١)، محمد أسد، ترجمة الأستاذ جعفر شيخ إدريس، مجلة المسلمون،

سويسرا، شعبان ١٣٨١هـ / كانون ١٩٦٢م.

١٩٧. الإسلام وروح العصر (٢)، محمد أسد، ترجمة جعفر شيخ إدريس، المسلمون، سويسرا، ذو

الحجة ١٣٨٠هـ / آيار (مايو) ١٩٦١م.

١٩٨. الإسلام والغرب محمد أسد، هانس زيندن، مجلة المسلمون، العدد ٧/٨، شوال/ ذو القعدة،
١٣٨١هـ/ نيسان- آريار ١٩٦٢م.

١٩٩. أصول حضارة الإسلام، محمد أسد، ترجمة محمد غالي، مجلة المسلمون، القاهرة: ربيع الثاني
١٣٧١هـ/ يناير ١٩٥٢م.

٢٠٠. أيام حزينه (١) النمساوي المسلم محمد أسد، عبد العزيز الرفاعي، المجلة العربية، العدد ١٨٦،
السنة ١٧، رجب ١٤١٣هـ/ ديسمبر ١٩٩٢م - يناير ١٩٩٣م.

٢٠١. آبار تيماء، والرحالة الألماني (محمد أسد)، عبد الباقي أحمد خلف، مجلة الحج والعمرة، العدد
١١، السنة ٦٠، ذو القعدة ١٤٢٦هـ - ديسمبر ٢٠٠٥م/ يناير ٢٠٠٦م.

٢٠٢. الحج في أدب الرحلات، عبد الله حمد الحقييل، مجلة المنهل، العدد ٥٩٤، المجلد ٦٦، العام ٧٠
ذو القعدة وذو الحجة ١٤٢٥هـ/ ديسمبر ٢٠٠٤م/ يناير ٢٠٠٥م، دار المنهل، جدة.

٢٠٣. حجة الغرب الدائمة، محمد أسد، مجلة المعرفة، المملكة العربية السعودية، العدد ٩٤، محرم
١٤٢٤هـ/ مارس ٢٠٠٣م.

٢٠٤. الحضارة والدجال، محمد أسد، مجلة المختار الإسلامي، العدد ١٦، السنة الثانية،
١٥/١١/١٤٠٠هـ/ أكتوبر ١٩٨٠م.

٢٠٥. الداعية والكاتبة المفكرة الإسلامية المهتدية (مرم جميلة) رحمها الله، مجلة الداعي الشهرية، دار
العلوم ديونيد، العدد ٣، السنة ٣٧، ربيع الأول ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، متوفرة على شبكة
المعلومات العالمية: darululoom-debond.com/magazine تاريخ الدخول:
٠٤/٠٤/١٤٣٤هـ.

٢٠٦. دراسة نقدية لترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية (رسالة القرآن) مع تعريف
بجوانب من حياته، للدكتور عبد الله عبد الرحمن الخطيب مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم
الإسلامية، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان/ السودان، العدد ١١،
١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٠٧. رجل فقدناه المفكر النمساوي محمد أسد، مجلة النور، العدد ٩٤-٩٥، السنة ٧، ذو الحجة ١٤١٢هـ/ يونيو (حزيران) ١٩٩١م.

٢٠٨. رحلات واستكشافات، امجد البخلاحي، مجلة المنهل، العدد ٤٧٥، السنة ٥٦، المجلد ٥١، الربيعان ١٤١٠هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٩٨٩م، سنة ٥٦، المجلد ٥١، الربيعان، ١٤١٠هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٩٨٩م.

٢٠٩. زيد بن غانم الشمري من حائل إلى عمر المختار، ديوان حائل، موقع الطنايا <http://www.altanaya.net/vb/showthread.php?t=68424>

٢١٠. سيرة عمر المختار أسطورة الزمان، بقلم فرج أبو العشة، موقع ليبيا المستقبل، ٣١/يناير/٢٠١٠م. متوفر على الموقع: http://archive.libyaalmostakbal.net/Articles2010/farag_buelesha_31012010.html

٢١١. شذرات من كتاب الطريق إلى مكة، منير شفيق، مجلة رابطة العالم الإسلامي، العدد ٤٦٤، رجب ١٤٢٥هـ/ أغسطس ٢٠٠٢، السنة ٤٢.

٢١٢. الطريق إلى مكة، أحمد بهجت، مجلة القافلة، السعودية، المجلد ٤١، العدد ٥، جمادى الأولى ١٤١٣هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٢م.

٢١٣. الطريق إلى مكة، د. محمود نلسم نحاس، جريدة البلاد، العدد ١٩٠٢٣، نيسان -

٢١٤. الطريق إلى مكة، بيني وبين وايزمان، للأستاذ محمد أسد، مجلة المسلمون، القاهرة، ٥ رجب ١٣٧٣هـ/ مارس ١٩٥٤م.

٢١٥. الطريق إلى مكة جهاد السنوسية، محمد أسد، ترجمة منصور أبو ماضي، مجلة المسلمون، العدد الأول، شعبان ١٣٧٤هـ، آذار ١٩٥٥م.

٢١٦. الطريق إلى مكة قصة اكتشاف رجل أوروبي الإسلام، جريدة اليوم، العدد ١٢٩٢٨، ٠٦/نوفمبر/٢٠٠٨م.

٢١٧. الطريق إلى الإسلام، عبد الله أبو ذكري، فبراير، ٢٠١١م، متوفر على شبكة المعلومات

العالمية: <http://www.goodreads.com>

٢١٨. الطريق إلى مكة، محمد أسد، ترجمة السيد سالم علي سالم، مجلة المسلمون، العدد ٥٥، ربيع

الأول سنة ١٣٧٣هـ - نوفمبر سنة ١٩٥٣م، السنة الثالثة.

٢١٩. العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود بن فرج الرحيلي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة

المنورة، السنة ٣٤، العدد ١١٥، ١٤٢٢هـ.

٢٢٠. فيينا تطلق اسم محمد أسد على ميدان عام، بثينة عبد الرحمن، الشرق الأوسط، جريدة العرب

الدولية، العدد ١٠٧٤٥، الثلاثاء ٢١ ربيع ثاني ١٤٢٩هـ / ٢٩ إبريل ٢٠٠٨م.

٢٢١. قراءة في بعض كتابات المفكر النمساوي ليوبولد فايس (محمد أسد)، لعماد الدين خليل مجلة

إسلامية المعرفة، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة ١٥، العدد ٦٠، ربيع الأول

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

٢٢٢. قصة المجاهد محمد الزوي يرويها محمد أسد (الطريق إلى مكة)، مدونة الكوز، ٢٠ مايو

٢٠٠٩م. متوفر على شبكة المعلومات العالمية:

http://alkowz.blogspot.com/2009/05/blog-post_9337.html

٢٢٣. ماضي الإسلام في الأندلس، د. علي المنتصر الكتاني، نوفمبر ٢٠١٠م، متوفر على شبكة

المعلومات العالمية <http://bouyesfy.maktoobblog.com>

٢٢٤. المجاهد السيد أحمد الشريف، للكاتب د. سالم فرج السويدي. جريدة الوطن الليبية. ١٥

سبتمبر ٢٠١١م، متوفر على الموقع [http://www.alwatan-](http://www.alwatan-libya.com/more.asp?ThisID=8895)

[libya.com/more.asp?ThisID=8895](http://www.alwatan-libya.com/more.asp?ThisID=8895)

[ThisCat=38&](http://www.alwatan-libya.com/more.asp?ThisID=8895)

٢٢٥. محمد أسد الطريق إلى مكة (١-٢)، محمد الصاوي، مجلة المعرفة، العدد ١٠٢، رمضان

١٤٢٤هـ / نوفمبر ٢٠٠٣م.

٢٢٦. محمد أسد الطريق إلى مكة (٢-٢)، محمد الصاوي، مجلة المعرفة، المملكة العربية السعودية، وزارة التربية والتعليم، العدد ١٠٣، شوال ١٤٢٤هـ/ديسمبر ٢٠٠٣م.

٢٢٧. محمد أسد ورحلته إلى الإسلام، مجلة الفيصل، المملكة العربية السعودية، العدد ١٨٥، ذو القعدة ١٤١٢هـ، مايو ١٩٩٢م.

٢٢٨. محمد أسد لم يتجاوز الثانوية (محمد أسد نموذج للتفرد في الفكر والفعل)، إبراهيم البليهي، جريدة الرياض، العدد ١٣٥٤٤، الأحد ١٤٢٦/٠٦/١٨هـ - ٢٤/٠٧/٢٠٠٥م.

٢٢٩. محمد أسد لم يتجاوز الثانوية (٢)، إبراهيم البليهي، جريدة الرياض، العدد ١٣٥٥٨، الأحد ٢/رجب/١٤٢٦هـ / ٠٧/أغسطس/٢٠٠٥م.

٢٣٠. محمد أسد لم يتجاوز الثانوية (٣)، إبراهيم البليهي، جريدة الرياض، العدد ١٣٥٧٢، الأحد رجب ١٤٢٦هـ / ٢١/٠٨/٢٠٠٥م.

٢٣١. محمد أسد مفكر لم ينل حقه من الدراسة، إبراهيم البليهي، جريدة الرياض، العدد ١٣٥٨٦، الأحد ٣٠/رجب/١٤٢٦هـ / ٠٤/سبتمبر/٢٠٠٥م.

٢٣٢. محمد أسد من عالم الغرب إلى أخوة المسلمين ومن النظرة العلمانية إلى الإسلام (قراءة في كتاب الطريق إلى مكة)، منير شفيق مجلة رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية للدراسات والبحوث، مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية، إصدار مؤسسة الفكر الإسلامي، المجلد ٥، العدد ٢٠، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

٢٣٣. محمد أسد والهدف السامي للحياة، محمد حسن بدر الدين، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٤٣، سنة ١٤١٥هـ / يوليو ١٩٩٤م، الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

٢٣٤. المفكر الإسلامي المهتدي البارز محمد أسد، للشيخ أبو الحسن علي الندوي، مجلة البعث الإسلامي، العدد ٤، المجلد ٣٧، ذو الحجة ١٤١٢هـ / يونيو ١٩٩٢م.

٢٣٥. مقام إقبال في الفكر الإسلامي، محمد أسد، مجلة المسلمون، العدد الأول، شعبان سنة ١٣٧٤هـ، آذار سنة ١٩٥٥م.

٢٣٦. من بولينا إلى بيت الله الحرام، محمد أسد يلي نداء الإسلام، عرفه عبده علي، مجلة الحج والعمرة، العدد ١١، السنة ٦١، ذو القعدة ١٤٢٧هـ.

٢٣٧. من خصائص الإسلام، محمد أسد، ترجمة محمد محمود غالي، القاهرة: مجلة المسلمون، العدد ٥، رجب ١٣٧١هـ / مارس ١٩٥٢م.

٢٣٨. المنصفون (ليوبولد فايس)، أحمد حسن، جريدة الأهرام، العدد ٤٤٤٧٢، ٩/٠٩/٢٠٠٨م.

٢٣٩. نظرات لاجتهاد محمد أسد في الفكر السياسي الإسلامي، د. محمد وقيع الله، مجلة الرابطة، المملكة العربية السعودية، رابطة العالم الإسلامي، العدد ٤٧٦، محرم ١٤٢٧هـ /

٢٤٠. نقطة ضوء، محمود حبيب، جريدة الأخبار المصرية، العدد ١٧٨٦٢، ١٧/يوليو/٢٠٠٩م.

سادساً - الأفلام الوثائقية:

241. A Road to Mecca – The journey of Muhammad Asad, Corog Mish, (92 minm HD/35mm) ORF/ARTE, 2008.

سابعاً - المواقع الإلكترونية:

٢٤٢. الصفحة الرسمية للشيخ د. محمد السعيد علي موقع الفيس بوك، متوفر على شبكة

<https://www.facebook.com> المعلومات العالمية

٢٤٣. الصفحة الرسمية لمنير شفيق علي موقع الفيس بوك، متوفر على شبكة المعلومات العالمية:

<https://www.facebook.com>

٢٤٤. الفهرس العربي الموحد، متوفر على شبكة المعلومات العالمية:

[/http://www.aruc.org](http://www.aruc.org)

٢٤٥. موسوعة المعرفة الإلكترونية، متوفر على شبكة المعلومات العالمية:

www.marefa.org/index

٢٤٦. الموقع الرسمي لجامعة الأزهر، متوفر على شبكة المعلومات العالمية
[/www.azher.edu.eg](http://www.azher.edu.eg)

٢٤٧. الموقع الرسمي لجامعة الشارقة على شبكة المعلومات العالمية: www.sharjah.ac.ae

٢٤٨. الموقع الرسمي للدكتور فهمي هويدي، متوفر على شبكة المعلومات العالمية،:
fahmyhoeedy.blogspot.com

٢٤٩. الموقع الرسمي لمارتن كرايمر، متوفر على شبكة المعلومات العالمية
www.martenkramer.org

٢٥٠. الموقع الرسمي لمجلس الشورى، متوفر على شبكة المعلومات العالمية
www.shura.gov.sa

٢٥١. الموقع الرسمي للدكتور محمد عمارة، متوفر على شبكة المعلومات العالمية: [www.dr-](http://www.dr-emara.com)
<http://emara.com>

٢٥٢. الموقع الرسمي لويكبديا الموسوعة العربية الحرة، متوفر على شبكة المعلومات العالمية
<http://ar.wikipedia.org>

٢٥٣. الموقع الرسمي لمدينة ميخاس <http://www.mijas.es/portal/en/>

٢٥٤. الموقع الرسمي للمستشار محمد يوسف عدس، متوفر على شبكة المعلومات العالمية:
www.yusuf-adas.com

٢٥٥. الموقع الرسمي للشيخ الدكتور علي محمد الصلابي، متوفر على شبكة المعلومات العالمية:
www.alsallaby.com

٢٥٦. الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة، متوفر على شبكة المعلومات العالمية:
[/http://shamela.ws](http://shamela.ws)

٢٥٧. الموقع الرسمي لقناة الجزيرة، متوفر على شبكة المعلومات العالمية:
www.aljazeera.net

٢٥٨. موقع مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، على شبكة المعلومات

العالمية: www.albabtianpize.org

٢٥٩. موقع الألوكة، متوفر على شبكة المعلومات العالمية: www.alukah.net

٢٦٠. موقع الشيخ محمد الغزالي، متوفر على شبكة المعلومات العالمية:

www.alghazaly.org

٢٦١. الموقع الإلكتروني القراءة الجيدة، متوفر على شبكة المعلومات العالمية:

www.goodreads.com

٢٦٢. الموقع الإلكتروني روني

<http://www.boelien.com/content/1978/240.html>

٢٦٣. الموقع الإلكتروني www.alithnainay.com

٢٦٤. الموقع الإلكتروني ، <http://www.muslimpopulation.com/World>

ثامناً - المكتبات الإلكترونية:

٢٦٥. المكتبة الشاملة، الإصدار الرسمي الثاني.

الملاحق

الملحق (٠١)

تنويه الإدارة العامة للمكتبات والمعلومات

بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

خدمات الباحثين بمركز الملك فيصل لتوقف مؤقتاً

((جريدة الجزيرة))

نوهت الإدارة العامة للمكتبات والمعلومات بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض بأن خدمات الباحثين بالمركز الداخلية والخارجية "بالخصوص خدمات التصوير" ستتوقف بشكل مؤقت بدءاً من يوم السبت ١٥-٨-١٤٢٩ هـ الموافق ١٦/٨/٢٠٠٨ م حتى إشعار آخر وذلك لتوقف النقل المركز إلى مقر جديد كما سيتم إغلاق مكتبة الأطفال للمصعب نفسه. ووضعت الإدارة العامة للمكتبات والمعلومات إن قاعة المطالعة بمكتبة المركز ستستمر في استقبال الرواد راغبي القراءة والاطلاع على المراجع في القاعة نفسها.
ويمكن التواصل والاستفسار على هاتف ٦٥٢٢٥٥؛ تحويلة ٦٦٨٨ / ٦٥٧٠ / ٦٥٨٧

إلى الآن خدمات
التصوير متوقفة

الملحق (٠٢)

المكاتبات مع مركز الملك فيصل

للبحوث والدراسات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

أفيد سعادتكم بأني طالبة ماجستير في جامعة أم القرى، بكلية الدعوة وأصول الدين، تخصص (ثقافة إسلامية)، وأعمل على أطروحتي للماجستير، وعنوانها [محمد أسد - رحمه الله - جهوده وأرائه الثقافية].

وعند حضوري لندوة "محمد أسد حياة للحوار" التي عقدها المركز، تم عرض تراثه الفكري - رحمه الله -، والإنتاج العلمي المتعلق بحياته لمختلف المفكرين، والكتاب، وكان كتاب "يهودي مناصر للإسلام" للكاتبة فلورنس هايمن عن دار ستوك الفرنسية أحد المنشورات الثقافية التي تم عرضها في الندوة.

ولا يخفى على سعادتكم افتقار المكتبة العربية لمؤلفات ودراسات أكاديمية عن المفكر محمد أسد - رحمه الله -، ونظرا لحاجتي الماسة لهذا الكتاب في إعداد الأطروحة.

أمل من سعادتكم التكرم بتعميد من يلزم لتزويدي بنسخة منه ورقية كانت أم إلكترونية.

والله يحفظكم ويرعاكم وعلى طريق الخير يسدد خطاكم،،،،

الباحثة

منال بنت محمد بن عمر طه

منال
٥١٤٣٠/١/١

المدينة المنورة

اللواء ركن/ محمد عمر طه

ص.ب: ٣٨٩٥

الجوال: ٥٠٢٦٤٥٣٠٤

البريد الإلكتروني: MANALMTAHA@HOTMAIL.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظه الله

صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل

رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد:

بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره، أتقدم لمقام سموكم بأحر التعازي في فقيد الأمة غفر الله له صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ، سائلة الله عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، ويلهم أهله وذويه والأمة العربية، والإسلامية، والشعب السعودي الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبمناسبة عيد الأضحى المبارك، يسعدني ويشرفني، وبكل الفخر ووافر الاعتزاز، أن أرفع إلى مقام سموكم وشخصكم النبيل اسمي آيات التهاني، وأزكي وأطيب الأماني، وصادق التبريكات، سائلة الله عز وجل أن يجعله عيداً سعيداً على سموكم، وعلى بلدنا الحبيب، وأمتنا الإسلامية، وأن يعيده عليكم سنوات عديدة ومديدة وأنتم بوافر من الصحة والعافية.

صاحب السمو الملكي، أفيد سموكم بأنني معيدة في جامعة طيبة بقسم الدراسات الإسلامية، وأعمل حالياً على دراسة تحليلية بعنوان: "محمد أسد - رحمه الله - جهوده وأراؤه الثقافية"، لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى.

ولا يخفى على سموكم أن المفكر الراحل محمد أسد - رحمه الله - ترك لنا تراثاً ضخماً ومتنووعاً في الفكر والثقافة الإسلامية، وبلغاتٍ عديدة.

وقد حاولت جاهدة ولمدة ثلاث سنوات أن أجمع هذا التراث من مكتبتنا الوطنية، والجامعية، إلا أنني لم أحصل إلا على بعضه؛ إذ أنه من المؤسف أن تخلو مكتبتنا الوطنية من تراث هذا المفكر المسلم، وإنجازاته العظيمة في الثقافة الإسلامية.

لذا قمت بالتواصل مع ملحقينا الثقافية في عدة دول، ومع بعض الباحثين المهتمين بتراث محمد أسد - رحمه الله -، علاوة على استعانتني بمواقع بيع الكتب على الإنترنت؛ فحصلت وبتوفيق من الله على البعض منها، وتعذر عليّ الحصول على البعض الآخر.

ومن المصادر التي تعذر عليّ الحصول عليها، رغم وجودها في مكاتب جامعاتنا، ومراكز أبحاثنا؛ لأسباب يضيق المقام لذكرها:

1. بعض الوثائق العلمية المستخرجة من مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المرفقة طي خطابي.
2. كتاب "السياسة والإسلام"، لمحمد أسد، ترجمة السيد عبد الله أبو عزة، سويسرا المركز الإسلامي.
3. كتاب "مقترحات في الدستور الإسلامي" لمحمد أسد، أبو الأعلى المودودي، كراتشي، باكستان الجماعة الإسلامية، ١٩٥٠م.
4. كتاب "يهودي مناصر للإسلام"، للكاتبة فلورنس هايمان، عن دار ستوك الفرنسية، علما بأن الكتاب غير موجود في مكتبتنا الوطنية.

وبأنب جم أمل من سموكم التكرم بمساعدتي للحصول على المصادر السابقة. وكما أنه من دواعي سروري وتشريفي أن استأنس برأي سموكم حول المفكر المسلم محمد أسد - رحمه الله -، لما عظمته من المحظوة والمكثفة والتقدير التي لقبها - رحمه الله - من جانب كلا من صاحبي الجلالة المغفور لهما الملك عبد العزيز، والملك فيصل رحمهما الله.

وفي مسك الختام، لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لسموكم الكريم، أطال الله في عمركم، ومتعكم بالصحة والعافية، ونفع الله بكم وبجهودكم المسلمين. والشكر موصول لسعادة الأمين العلم لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الذي لم يتوانى عن تزويدي بكافة أصال ندوة "محمد أسد حياة للحوار" فجزاكم الله خيرا.

نعم بحفظ رب السماء، والله يحفظكم ويرعكم وعلى طريق الخير يسدد خطاكم...

مقدمته الأستاذة

منال بنت محمد بن عمر طه

العنوان البريدي

المدينة المنورة، اللواء ركن / محمد بن عمر طه

ص.ب: ٣٨٩٥، الرمز البريدي (٤١٤٨١)، الجوال: ٥٠٢٦٤٥٣٠٤، ٥٠٢٦٤٥٣٠٤ / ١٥ / ٢٢
البريد الإلكتروني: MANALMTAHA@HOTMAIL.COM



الخدمات الخارجية

الرقم : ٣٣٠١٣
التاريخ : ١٤٣٣/٠١/٠٥ هـ

الموقرة

المكرمة الأخت / منال بنت محمد بن عمر طه
بواسطة / اللواء ركن / محمد عمر طه
ص.ب : (٣٨٩٥) - الجوال ٠٥٠٢٦٤٥٣٠٤ -
المدينة المنورة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد
فأشير إلى طلبكم الكريم بخصوص تصوير عدد من الوثائق ، ويسرني أن أرفق لكم المطلوب ، آملاً أن
يتم تزويد مكتبة المركز بنسخة من بحوثكم بعد إنجازها لإتاحته للباحثين والقراء .

مع أمنياتي لكم بدوام التوفيق والسداد ،،،

مدير الإدارة العامة للمكتبات والمعلومات

محمد عبد الله الشرف
١٤٣٣

الملحق (٠٣)

خطابات تعاون الملحقيات الثقافية

للملكة العربية السعودية

مع الباحثة



سئمتها الله

المكرمة الميمنة/ مثال بنت محمد عمر طه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بالإشارة إلى رسالتكم المرسلة عن طريق الفاكس بتاريخ 1430/2/30 هـ الموافق
2009/2/25 م، بشأن قيامكم بإعداد رسالة تعليلية بعنوان (محمد أسد، جهوده وأثره
الثقافية)، وطلب تزويدكم ببيانات الدكتور/ مراد هوفمان، وهو من المهتمين بجمع تراث
المفكر الراحل محمد أسد.

فيمكنكم الاتصال به عن طريق البريد الإلكتروني التالي:

Wilfried.a.hofmann@t-online.de

ورقم الفاكس الخاص به هو 0049 228 6849637

وهذا أيضا السيد محمد أمان هوبوم، وهو من أوائل المهتمين به أيضا، وهو المدير
الإداري السابق لأكاديمية الملك فهد في بون، ورقم الهاتف والفاكس الخاص به، هو:

0049/2224/79443

أما بالنسبة لمقالات الصحيفة المشار إليها، فإننا نسعى للحصول على ما يتوفر منها،
وإبلاغكم بذلك لاحقا.

مع خالص دعائي لك بالتوفيق

الملحق الثقافي في ألمانيا

أ. د. فهد بن إبراهيم الحبيب

التاريخ: ١٤٣٠ / ٢ / ٥ هـ الموافق: ٢٠٠٩ / ٢ / ٣ المراء

٢٠٠٩ / ٢ / ٥ هـ الموافق: ٢٠٠٩ / ٢ / ٣ المراء

Ambassade du Royaume
d'Arabie Saoudite
Mission Culturelle en France
Belgique - Espagne - Suisse



سفارة المملكة العربية السعودية
للشؤون الثقافية في فرنسا
اسبانيا - بلجيكا - سويسرا

بسم الله الرحمن الرحيم

الباحثة / منال بنت محمد بن عمر طه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،



إشارة إلى خطابك بتاريخ 1930/2/29 هـ بشأن توفير كتاب "يهودي مناصر للإسلام" لفلورانس هايمان الذي قامت بنشره دار ستوك الفرنسية فإبنا نخبرك وبأسف بان جميع نور الكتب الفرنسية وأشهر مواقع بيع الكتاب على الانترنت أجابت بأن عملية إعادة طباعة الكتاب قد توقف منذ فترة وأنه لم يعد متوفرا في المكتبات. وقد قمنا بتقديم طلب للحصول على هذا الكتاب الى كل من يمتلكه ويرغب في بيعه ونحن بانتظار أي رد حول هذا الموضوع.

نتمنى لك دوام التقدم والنجاح ونسأل الله تذييل الصعوبات أمامك ولك منا وافر التحية والتقدير .

الشؤون الثقافية

ROYAL EMBASSY OF SAUDI ARABIA
CULTURAL ATTACHE
KHARTOUM



سفارة المملكة العربية السعودية
الملحقبة الثقافية
الخرطوم



الأستاذة / منال بنت محمد عمر طه
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة - اللواء ركن محمد بن عمر طه
الرمز البريدي ٤١٤١ - ص.ب / ٣٨٩٥
جوال / ٠٠٩٦٦٥٠٢٦٤٢٠٤



الملحق (٠٤)

قصة ابن سعود للكاتب الألماني

ليوبولد فايس

٢٧

قصته ابن سعود

للكاتب الألماني ليوبولد فايس

ولد ابن سعود ثمانين سنة مضت في الرياض وهو سليل الاسرة الملوكية التي حكمت الجزيرة العربية في أوائل القرن الماضي ثم انحلت بها الحال - وانتقلت السيادة وهو طفل من اسرة ابن سعود الى اسرة تانغ لها هو ابن رشيد امير خائل الواقعة في شمال الجزيرة - وبقي الصبي عبدالعزيز بن سعود يرقب اعمال ابن رشيد هذا الامير الغريب الذي غصب اياه عرشه ومدينته الرياض وكانت اسرة ابن سعود تعيش في كنف ابن رشيد وهي تكظم غيظها وتخفي كبرياءها. وأخيرا لم يطق عبد الرحمن بن سعود هذا الكظم فغادر بلاده نجده مع أسرته الى الكويت حيث قضى ما بقي من حياته في بيت صديقه سلطان الكويت، لا يفكر في المستقبل ولا في اماني ابنه عبد العزيز. ولم يكن هناك سوى قلب رقيق احس ما في نفس الصبي من مطامع وما تم عليه طباعه من عظمة، ذلك قلب احدى عماته التي كانت تحبه حبا جما وكانت اذا خلا بها المكان معه ضمتها الى صدرها تبسره بتساقي من جلال الاعمال وتكرر على مسعده: « يجب ان تكون عظيما »

وأحسن عبد العزيز العزلة وهو في الكويت. وكان فتي طويل القامة نحيل حتى جعل زملاؤه الصبيان طوله موضع هزل وسخرية به. وكان يحجل من طوله الذي كان يلفت اليه الانتظار حينما سار حتى انه كان يعني رأسه ليظهر قصيرا وكان يتأذى لاختلاف تركيه عن حوله غير أن الفارق بينه وبينهم لم يكن في الشكل فقط. اذ لم يستطع أن يكون على شاكلتهم ولما تقدمت به الأيام ادرك بحدة شبابه وقطة عقله حقيقة الموقف وغلت في نفسه مطامعه وأمعن النظر فيما حوله ثم واجه والده قائلا: « كيف تسمح لابن رشيد أن يحكم وطنك؟ حاجه وإطارد، فما من أحد احق منك بعرش الرياض »

وكان ابن رشيد حينذاك اقرب زعماء الجزيرة سلطانا، يمتد ملكه من صحراء سوريا الى الربع الخالي وكانت جميع القبائل تخشى شوكته. فلم يكن من المعقول ان يصغى عبد الرحمن، المنفي المعجوز الفقير، الى مطالب ابنه الثائر. ولكن الفتى ألح، وأبى الوالد سنوات. غير ان عناد الشيخ

— ٧ الجديدة —

كان اضعف من نوبة الشاب . فالتقى الأمر بأن أجب عبد الرحمن ابنه الى ما طلب . وتشكر
بمساعدة صديقه سلطان الكويت من جمع جنود من القبائل الموالية له واجاز الصحراء العربية
بالابل والأعلام والسلاح وعاجموا ابن رشيد وأمكن الحملة مدت بإسرها يكون . فعاد الجميع الى
الكويت . وأكند القوم الفتى خيبة الأمل وأبلى الوالد زوجه عن جميع حقوقه على نجد

لم يبأس عبد العزيز بل دعا بجماعة من أصدقائه واختار منهم أربعين أكثرهم من البدو
وساروا من الكويت بلا أعلام ولا طول ، ساروا حمية كأنهم لصوص ، وأسرعوا الخطى ليلا
مجانين طرقت القوافل . ولما أصبحوا على مقربة من الرياض اختبأوا هناك في واد مظلم ، وفي
ذلك اليوم اختار ابن سعود خمسة من رجاله وخطب الباقيين قائلا : « لقد استودعنا الله حياتنا
وأنا سارتون الى الرياض نفتحها أو نلقى فيها حتفنا ، فإذا سمعتم مصعقة القتال في المدينة
فأسرعوا اليها . اما اذا غربت شمس الغد ولم تسمعوا عنا شيئا فانا نكون في عداد الموفى قد تولى الله
نفوسنا برحمته . فتعودون انتم الى الكويت »

سار السته على الأقدام وبلغوا الرياض عند دخول الليل ، ودخلوا المدينة من غرب في
حائط تركه ابن رشيد عمداً ايها لطمأنته . ومشوا الى قصر الأمير محضين سلاحهم تحت ثيابهم
فوجدوه منقلا لأن الأمير لشدة خوفه من الاهالي كان يبني في حصن بخاور . وفتح هؤلاء
المخاطرون الباب ففتح لهم عبد فأسرعوا بتجريدته وتقييده هو ومن كان هناك معه من الرجال
والنساء وقضوا الليل يتلون القرآن استعداداً للغد

وعند مطلع الصبح فتحت أبواب الحصن ومخرج منه الأمير في حاشية من الخدم والعبيد
مدحجين بالسلاح وعندئذ اقتض ابن سعود ورفاقه الخمسة عليهم ستمين « ابن سعود »
واخذوهم على غرة . واستل عبد الله بن جلوي ، ابن عم ابن سعود وكان أمير الحسا ، سيفه في
وجه الأمير الذي لاذ بالفرار ، فرماه بسيفه فلم يصبه بل ارتد في الحائط وبقي السيف مرشقا في
الحائط حتى اليوم . وهرب الأمير من الباب وعبدالله يتبعه ، بينما كان ابن سعود ورفاقه
يعلمون السيف ، رقاب الحرس والحاشية وبلغ من دعة هؤلاء ، ومفاجأتهم ان يحجزوا عن
المقاومة مع تنويعهم

وبينا كانت المعركة دائرة ، ظهر الأمير على سطح الحصن ، وعبدالله فتفت أثره . واذ كان الأمير
يستعظفهم ستمت به حافة السيف وعندئذ حزت السيوف رأسه . وصاح ابن سعود : « الي يا
رجال الرياض ! أنا هنا أنا عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن سعود حاكمكم الحقيقي » ولما كان

تسمية ابن سعود

اعلى الرياض بعد ان ذلك الامر الاجنبي منهم اندرا سيفيم وكان احسنه والاول
الباقون من صحبه كمنون اليه فلم تفض ساعة حتى كان عبد العزيز بن سعود حاكم المدينة في
مدافع ولا منازع

حدث ذلك في يناير سنة ١٩٠١ واقضى عهد شباب ابن سعود وانتقل الى طبر آخر من
أطوار حياته هو طبر الرجولة والحكم

ومن ثم بدأت سلسلة فتوحاته المنظمة تنظيم قائد أوري وأركان حربه يطبق أعماله على
خارطة بين يديه. على ان ابن سعود لم يكن له من مستشار حربي سوى نفسه ولم تقع عينه قط
على خارطة وشرع بحري غزواته في حركة مستديرة حول « الرياض » لا ينتقل الى نقطة حتى
يكون قد مكن سيادته على ما قبلها - بدأ بشمال وشرقي الرياض ثم في سنة ١٩٠٤ اوضح يده على
أقليم قاسم العامر. ثم مد ملكه الى الصحراء الغربية التي تسكنها قبائل « عتاب » وفي سنة
١٩١٤ أثار على الحساء عند الخليج التاريخي الذي كان تابعاً لتجد قبل خمسين سنة ثم استولى عليها
الأتراك. وافتتح مدينة الحفوف عاصمتها بعد مناوشات بسيطة ثم وحلده لقدمه هناك. وكانت
الحكومة العثمانية تعد لتأديبه حملة ولكن فاجأها الحرب العالمية

وفي سنة ١٩٢١ ضم جبل تناره ومدينة حائل الى مملكته. واد كانت أسرة ابن رشيد قد
نشأت هناك فقد أضعفت بفتنة كل عضد لها في البلاد العربية. ولم يبلغ مجد ابن سعود في
الاسنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥ حينما الحق الحجاز ومكة والمدينة وجدة بمملكته

ولم يجر على خلط السابقين من المغيرين الشرقيين بأذلال ما يفتح من بلاد بل كان عمه أنه
يجعل منها أمة، ففي كل بلد أراد أهلها العمل معه جعلهم سواء في الحقوق والواجبات فكان
بذلك يفتح الممالك من داخلها، يستميل رعاياه ويكسب عطفهم ومحبتهم يريهم أنه يعمل خيرهم
كما يعمل خير بلده. وهذا مذهب لم يذهب اليه حاكم عربي بعد الخليفة عمر بن الخطاب

لم يعد ابن سعود وطنياً من الرياض بل تجاوز حدود القبائل الضيقة واخفى شخصه تحت
ستار سلطانه. لم يبرح بلاد العرب ولم يكن يعرف من عنده سوى البحرين والكويت والسنرة.
ولا يعرف سوى اللغة العربية، ولم تعد مطالعته الكتب اللدنية وشيئا قليلا من آريج العرب.
على أن معارفه لم تكن أقل من أي ملك عربي تقدمه. وما من أحد يفهم فيه حالة الممالك
الاسلامية، وسواهم أكثر من كثيرين من رجال السياسة بالأحزاب المختلفة في مصر وبنافا
والهند. اما الاكتشافات الأوربية الحديثة كالطيران والتلغراف والريديوغراف مما يعده الاعراب
حديث خرافة فإنه يفهمها ويقدرها قيم عربي وتقدره

وهو مع كل هذا سلم مزمن صلاتي الايمان يقول اذا كان كل شيء من الله، فكيف نتجاهل ماذي لاخير فيه اذا لم يقو ايماننا. فمن الطبيعي والحال هذه ان تصرفت مثل مملكة ابن سعود الى الوجبة الدينية. وهو من انصار الرهايين وعم جماعة اصلاح تبعوا مذهب العالم السعودي محمد ابن عبد الوهاب الذي ظهر في اوائل القرن الثامن عشر. وغرض هذه الجماعة تظهار الاسلام من البدع التي لحقت به خلال تاريخه وأعم ما تعني به العدول بالمسلمين عن عبادة الأولياء الى عبادة الله وحده. وعم أشد طوائف الاسلام حرصاً على مبادئه، ومبدؤهم أنه يجب على كل مسلم أن يقتدي في حياته ببساطة النبي

لا نستطيع نحن الغربيين فهم الاسلام لانا نحكم عليه بما نرى في الممالك الاسلامية على ان شكل الاسلام في هذه الممالك قد يكون أي شيء الا الاسلام. تلك عقائد احدتها التعاليم المدخولة التي تقدس القبور والأولياء مع تناقضها مع تعاليم الدين الحقيقية وقد نشأت من أباحة كل شيء على عبده عن الدين. تلك الأباحة التي تخيلها الأوربيون أنها الدين. ولا يحق للمالك الاسلامية ان تعزو انحطاطها الى الاسلام بل يجب ان تمزقه ليظهرها وانظر إليها وبعدها عن تعاليم الدين التي تفردوا دون ان يستعصوا عنها بما هو خير منها. وعليه لا يكون مرض الشرق الاسلام اذ لو نظمت هيئة انظاما اسلامياً حقاً لكانت حياتها سعيدة مما لا يجده تحت أي نظام آخر.

والغاية التي يرمي اليها ابن سعود هي اثناء مملكة اسلامية محضة هي الأولى من نوعها بين النبي والصحابة. اذ هو لا يريد عظه لنفسه بل يريد ان يخدم الفكره الدينية

وهو يحسب نفسه آخر من ينتهي اليه همه فهو بذلك خير حاكم متحضر لا يذمب مذهب الملوك الشرقيين من اعتبار رنبايا سيده له رنداما لشخصه. وار شهاد اجنبي ابن سعود الضحك من هذا الملك الذي يلبس رداءاً بسيطاً ويقم في منزل بسيط الأثاث يقوم لكل قادم ويد يده اكل مسلم وان كان من اقرب البدو يأكل مع الوزراء. الكتاب وساقه اوميله. ولكن ذلك الزائر الاجنبي لا يستطيع الضحك اذا هو رآه عن كتب

بدأ ابن سعود عمله الانشائي باقرار السلام الداخلي وتنفيذ القوانين بشدة ضد العصابات. والحقيقة ان بلاد العرب كانت قباة مأمية لقطاع الطرق وغارات الرحل من البدو بحيث كان السفر خطراً ولكن الملك الجديد نهى البدو عن قتال بعضهم البعض وأمر ان ترفع كل شكاة

اليه أو الى مجلس من مجالس الأمراء وان تقام حدود التسمية على المحرمين : القتال يقتل .
والسارق تقطع يمينه ، والسارق الناصب بالقوة تقطع يده اليمنى ويؤجله اليسرى
وسرعان ما أدرك ابن سعود أن القوة وحدها لا تكفي لتحويل الميوان الى أنسان . فأخذ
يفشر تعاليم الايمان وأرسل العلماء يظنون القبائل ويطهروهم القراءة والكتابة والفتوية الدينية .
فحقق ما أراد بعد مالتى من الجهد والعباء سنوات وأصبحت مملكة ابن سعود التي تبلغ مساحتها
مقدار مساحات فرنسا والمانيا وايطاليا . مما تمتع بظاينة لا تستطيع اية دولة متحضرة ان تتصل
الى مثلبا . فالصحراء التي لم يكن لاحد انه يجتازها الا في وجبل وان كان مدججاً بالسلاح ،
أصبح الأعزل يقطعها مطمئنا وان كان يحمل الذهب . وتلك المعارك التي لم تكن تقطع بين
القبائل أصبحت خبراً من أخبار العصور الماضية على غير ما يحدث في سوريا والعراق وحيث
تحكم المدينة الأوربية

لم يتف ابن سعود منذ هذا الحد بل أخذ يوسع دائرة الثروة الزراعية فتمكن من اقتناء
الرحل من البدو ان يتخذوا لهم مقراً ثابتاً لأنه رأى أن حياة الترحال لا تؤدي الى حضارة ولا الى
ما هو عنده أهم من كل شيء . أي اقرار الدين . ووجد لشر هذه الفكرة الثرية ضمهم ، فلم تفس
خمس عشرة سنة حتى استقرت تلك القبائل في مواقع معينة ، ابثنوا المنازل ونرسوا النخيل . وهو يقدم
بالثروة والأموال حتى اطلب أو كسك الرحل الى مزارعين . وما زال يقدم بما يحتاجون وهم له
ما لان أوفياء . ولا يخضع . زمن طويل حتى تكون تلك القبائل كلها قد سكنت في مدائن طامة
ومزارع سيحه خصبة . ولا يجد الانسان ما يبني باننا . على هذا العمل الجليل . ولا بد للدين
أن يعرف لهذا الملك فضله ويرفعه الى اسمي مقام بين مؤسسي الحضارة ورافعي شأنها

وأحسن أولئك البدو الذين كانوا بالأمس قطاع طرق أنهم باتخاذهم المدن مقراً يقيمون
حياتهم على أساس متينة . وتلك المبادئ الدينية التي غرمتها ابن سعود أصبحت ايماناً
راسخاً وأدركوا أن هذه هي الأمة الاسلامية حقاً ، وأنهم يضعون أسامها . وأصبح هؤلاء
الذين كانوا يرون في الاسلام كلمة لا معنى لها أشد ما يكونون غيرة على الايمان . وجعلوا نجداً عامسه
ايمانهم . وان كان يسكنها ائلس لا ايمان لهم أو ضفاء الايمان . وعدادوا عن فكرة القبائل وأخذوا
يدعون بعضهم بعضاً «الاخوان» اخوان كل من يؤمن ايماناً صادقاً بكلمة الله . وللدلالة على حالتهم
الجديدة استغنوا عن الجدائل التي كانوا يتزينون بها أيام كانوا قبائل ولبسوا العمامة اقتداء بالنبي

البيان الجارية

وأهمية هؤلاء الأئمة المنكحة بن سعود هي أن كل من بلغ أسنده واستطاع حمل السلاح
 قدم نفسه للخدمة الملك هنا وهناك وذلك أوجد نفسه حياً عظيماً نشاطاً . كل يوم نفسه محمياً عن
 الدين . وكل حرب هي حرب ضد الكفار ففي مقدرة أهل ما ينظر به المسلم وهو أن يموت في
 حرب مقدسة . فالأخوان لا يخشون الموت بل يتساقطون إليه غير منكرين ملاذ الحياة فهم السجع
 وأصبر وأقوى حريش العالم . وعم بما توافقهم من عدة قادرين على أن يوالوا الفتوحات . يمشرون
 أيام السلم في مناسبتهم وأنكبتهم يستطيحون الاجتماع في شهر واحد حيث يريد ابن سعود كل على
 جله متقارراً أسلحته الحديثة مما غنمه الملك في مواقفه . من سيوف وسناجير . ولا يأخذ الجندي
 منهم سوى قليل من الارز وجراب من التمر . لا يدفع الملك لهم أجراً وإنما يفتحهم إذا ما من
 أن لا آخر . فمستهم على ما يغنون وهذا الجيش من الطواعية بحيث لا يكلف شيئاً ويجعل ابن
 سعود أقوى ملك عربي سيطر على الأعراب

كل هذا عمل رجل واحد . هو عبد العزيز بن سعود وكل ما يقوم به امرأته وبنيهم
 أصحاب المسم الدالة هو تنفيذ قراراته . فبرته شاقة جداً

وهو تقضي كل يوم من الصباح الى المساء يعمل بلا انقطاع لا يرتاح الا ليؤدي واجب
 الصلاة أو قليلاً من الوقت بين أسرته . يتلقى كل يوم المئات من الرسائل والتلغرافات ويحلي بنفسه
 المئات من الخطابات . وتقدم اليه كل يوم المئات من البدو والندويين من جميع أنحاء مملكته
 يضعون شكواهم ومطالبهم عند قدميه ويتقنون أوامره . ومتى كانوا في الرياض كانوا كلهم
 مرفقاً عليه . فمن يتأجل كل يوم ألف شخص مرفقاً . لا ينصرون عنه الا بالمدامه ناعماً للتخالف
 العربية الكريمة . أما نفقات الملك الشخصية فهي ضئيلة جداً سوى التوسيل الضخم الذي ينفق
 به مهام الدولة . ولا أثر للترف في حياته الشخصية

يقولون ان ابن سعود مكرم بالنساء وأنه يحتر من الزواجر وأنه لا يفك من التبديل بين
 زوجاته . وهذا حقيق ولكنه أقدر الأعراب على العطف والمودة . كل يشهد له بذلك وكل
 يتحدث به سنة

ودوسم كرم النفس ، حدث من نحو سنوات ان زوجة له وضعت سماً في البخور
 عملاً بمشورة امرأة ابن رشيد ، وسرطان ما أدرك ابن سعود ذلك ولم يصب من جرأته الا فقد
 احدي عينيه ، وعظا عن المرأة لا اعتقاده بوقوعها تحت تأثير اسرتها ، وأعطاها كتاب طلاقها وثباتاً
 وأموالاً وردّها الى « حائل »

١٠٣

ولم يكن قط حبا للثمن وأكسبه لنفسه. التزم على الملأ بالسرور. جعلت مرة في قرض في
 خيرة من ربحه في موافقة حكم شايهم بفتح رؤسهم وشهد ابن سعود تنفيذ الحكم عادلا
 مطاشا كأنه يشهد سباق خيل وهو يشرب قهقهة والرؤوس تساقط. وابن سعود طويلا حيا
 في جمال رجولي جليل. عالي الجبهة علوا يدل على التفكير، أنفي الأنف قليلا غليظ الشفتين
 مما يدل على الشهرة والاحساس. لا يخلو من يقابله من التأثير لا اتسامته، اتسامته زكية حلوة
 لا يسع الناظر اليها معها إلا أن يحب صاحبها

ويشبهون ابن سعود بابوليون وعندي أنه اتبه بكورش على ما وصفه كسانوفون، حكيم،
 وسامك. بسيد النظر يعدل لمصلحة شعبه لا لمصلحة الشخصية. يقدر الرجال أقدارهم الحق، يقرأ
 خفايا نفوسهم قبل أن يفوه بكلمة موقفا أنه لا بد من ارضاء الشعب الذي يعمل معه بنجح هذا
 الشعب فوق ما ينتظر: الأمان على حياته والهبات القلبية والحب الذي لا يهمل معه التقدير
 الحقيقي. فهو ابن قومه فريد. فريد لأنه عظيم

ويشبه ابن سعود في عزلة نسبية مع كثرة من يحيطون به. لا يستطيع أحد أن يتبين
 ما وراء اتسامته ولا ما تعني حركات يديه إذا ناقش أمرا يتعلق بالدولة أو بالدين. لا يعرف أحد
 ما سيجعل نداء لأن رغبته غامضة خفية. أما أسسه ويومه فلا خلاف. مما. فمراته النسبية حرة
 العظيمة. وماله من مرشد في مهمته سوى الله وله فيما بين يديه أعمال جليلة وسكينة تنظيمية

الملحق (٠٥)

شهادة حضور الباحثة لندوة

محمد أسد حياة للحوار

In honour of the participants in the Symposium "Muhammad Asad - A Life for Dialogue"

The Ambassador of Austria Mr. Johannes Wimmer
and Mrs. Sharmila Singh-Wimmer

request the pleasure of the company of

Mrs. Manal Mohammed Taha

at a Reception

on Tuesday, 12th April 2011, at 7.30 p.m.

Austrian Residence
Diplomatic Quarter
Riyadh

R.S.V.P.
Tel.: 480 12 17 Ext. 21

الملحق (٠٦)

إفادة الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة

بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

حول ترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

وزير
الأوقاف والشؤون
مكتب
وإدارة
٢٠١٧ / ٧ / ٢٢

السيد الأستاذ/ ياسر رأفت محمد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،

فإشارة إلى الطلب المقدم من سيادتكم بشأن إبداء
الرأى فى شأن تداول ترجمة محمد أسد الإنجليزية لمعاني
القرآن الكريم وبها النطق الصوتى لكلمات القرآن الكريم.
تفيد الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع
البحوث الإسلامية بأن الترجمة المذكورة ليس فيها ما
يتعارض مع ثوابت العقيدة الإسلامية ولا مانع من الاستفادة
العلمية بها لعموم فائدتها على كافة المسلمين وذلك دون أدنى
مسئولية على الأزهر تجاه حقوق القارئ أو المترجم.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إدارة الترجمة

خبر
٢٠١٧ / ٧ / ٢٢

مدير عام الإدارة العامة

للبحوث والتأليف والترجمة



الفهارس

فهرس الأآات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية^١

رقم السورة ٢	البقرة	آياتها ٢٨٦
--------------	--------	------------

م	الآية	رقمها	الصفحات
٠١	﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا.... ﴾	١٧	٢٢١
٠٢	﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾	١٨	٢٢١
٠٣	﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً... ﴾	٨٠	١٢٣
٠٤	﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ... ﴾	١٢٠	٢٣٥
٠٥	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ... ﴾	١٧٠	٢٣٤
٠٦	﴿ * لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ... ﴾	١٧٧	٣٢٧
٠٧	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ... ﴾	١٨٥	٢٧٧
٠٨	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ... ﴾	٢٦٥	ج
٠٩	﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا... ﴾	٢٨٦	٢٧٦

رقم السورة ٣	آل عمران	آياتها ٢٠٠
--------------	----------	------------

م	الآية	رقمها	الصفحات
١٠	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ... ﴾	٠٧	٣١٧-٣١٣
١١	﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ... ﴾	٢٠	٢
١٢	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ... ﴾	١٩	ج

^١ مرتبة وفق ترتيب السور في القرآن الكريم.

م	الآية	رقمها	الصفحات
١٣	﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ ... ﴾	٢٦	٢٨٤
١٤	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ... ﴾	٣١	١٧٦
١٥	﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ ... ﴾	٣٢	١٧٦
١٦	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ ... ﴾	٥٨	٢
١٧	﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ... ﴾	٦٢	٣١٩
١٨	﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ... ﴾	١٠٣	٢٨٥-٢٨٢
١٩	﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ... ﴾	١٠٤	٢٨٢
٢٠	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴾	١١٠	٢٨٥-٢٨٢-٤
٢١	﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ ... ﴾	١٧٣	١٤٨

م	الآية	رقمها	الصفحات
٢٢	﴿ أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ ... ﴾	٥٤	٢٦٧
٢٣	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ... ﴾	٥٩	٢٨٦-٢٨٤
٢٤	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ... ﴾	٦٤	١٧٦
٢٥	﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ ... ﴾	٩١	١٨
٢٦	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ... ﴾	١٠٥	١٧٨

رقم السورة ٤ النساء آياتها ١٧٦

م	الآية	رقمها	الصفحات
٢٧	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ﴾	١٣٦	٣١٧
٢٨	﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِعَايَتِ اللَّهِ ... ﴾	١٥٥	١٢٣

رقم السورة ٥ المائدة آياتها ١٢٠

م	الآية	رقمها	الصفحات
٢٩	﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ... ﴾	٥٥	٣٢٧
٣٠	﴿ يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ... ﴾	١٥	٢٢٣
٣١	﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ ... ﴾	١٦	٢٢٣
٣٢	﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾	٣٣	٣٢٩
٣٣	﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْأَنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ... ﴾	٤٧	٢٨٣
٣٤	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا ... ﴾	٤٨	٢٧٨
٣٥	﴿ وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ... ﴾	٤٩	٢٧٨
٣٦	﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ ... ﴾	٥٠	٢٨٥-٢٧٨
٣٧	﴿ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ مَثُوبَةً ... ﴾	٦٠	١٢٢
٣٨	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ... ﴾	١٠٤	٢٣٤

رقم السورة ٦ الأنعام آياتها ١٦٥

م	الآية	رقمها	الصفحات
٣٩	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ... ﴾	٣٨	١٨٥
٤٠	﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ... ﴾	٨٣	٣١١
٤١	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا... ﴾	٨٤	٣١١
٤٢	﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلًّا مِّنَ... ﴾	٨٥	٣١١
٤٣	﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا... ﴾	٨٦	٣١١
٤٤	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهُدُنُهُمْ آقَدْتَهُ... ﴾	٩٠	٣٢١
٤٥	﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ عَلَيْكُمْ... ﴾	١١٩	١٨٤
٤٦	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ... ﴾	١٥٣	١٧٦

رقم السورة ٧ الأعراف آياتها ٢٠٦

م	الآية	رقمها	الصفحات
٤٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا... ﴾	٤٠	٣١٧
٤٨	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ... ﴾	١٧٩	٢٠٧

رقم السورة ٨ الأنفال آياتها ٧٥

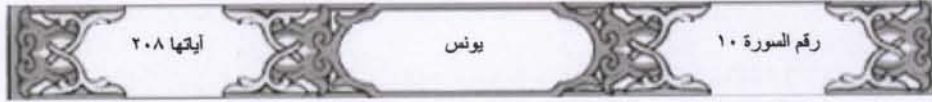
م	الآية	رقمها	الصفحات
٤٩	﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ... ﴾	٤٨	١٨

رقم السورة ٨ الأنفال آياتها ٧٥

م	الآية	رقمها	الصفحات
٥٠	﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ ... ﴾	٦٠	٢٨٥
٥١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا ... ﴾	٧٢	١٩٤
٥٢	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... ﴾	٧٣	١٩٤
٥٣	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا ... ﴾	٧٤	١٩٤
٥٤	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا ... ﴾	٧٥	١٩٤

رقم السورة ٩ التوبة آياتها ١٢٩

م	الآية	رقمها	الصفحات
٥٥	﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ ... ﴾	٢٦	٣١٥
٥٦	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى ... ﴾	٣٠	١٢٣
٥٧	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ... ﴾	٣٣	١٣٤
٥٨	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا ... ﴾	٦٥	٣٢٧
٥٩	﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ... ﴾	٦٦	٣٢٧
٦٠	﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهِجْرِينَ ... ﴾	١٠٠	١٩٣



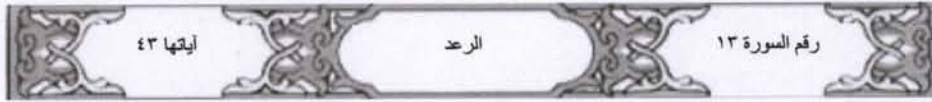
م	الآية	رقمها	الصفحات
٦١	﴿ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ ... ﴾	١٠٠	ج



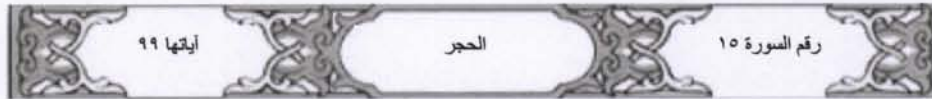
م	الآية	رقمها	الصفحات
٦٢	﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ ... ﴾	٣٧	٣١٣



م	الآية	رقمها	الصفحات
٦٣	﴿ فَأَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ ... ﴾	٣١	١٧
٦٤	﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ... ﴾	١١١	٣١٩



م	الآية	رقمها	الصفحات
٦٥	﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ... ﴾	١١	٢٩١



م	الآية	رقمها	الصفحات
٦٦	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	٠٩	٣١٩

رقم السورة ١٦ النحل أيتها ١٢٨

م	الآية	رقمها	الصفحات
٦٧	﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ... ﴾	٤٤	١٧٨
٦٨	﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ ... ﴾	٨٩	٣١٩-١٨٥-١٢٣

رقم السورة ١٧ الإسراء أيتها ١١١

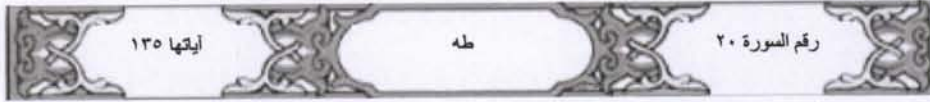
م	الآية	رقمها	الصفحات
٦٩	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ ... ﴾	٠١	٣٢٤
٧٠	﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ ... ﴾	٢٤	ك

رقم السورة ١٨ الكهف أيتها ١١٠

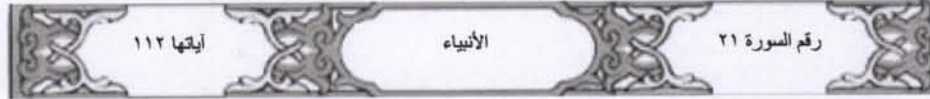
م	الآية	رقمها	الصفحات
٧١	﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي ... ﴾	٩٨	٣٢٤

رقم السورة ١٩ مريم أيتها ٩٨

م	الآية	رقمها	الصفحات
٧٢	﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾	٥٧	٣٢٠
٧٣	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئِيًّا ﴾	٧٤	٢١٩



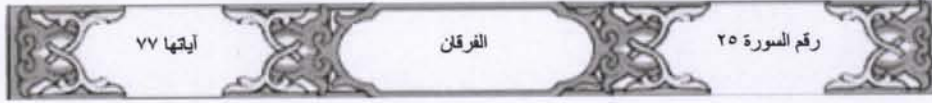
م	الآية	رقمها	الصفحات
٧٤	﴿ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾	٣٩	٣١٣



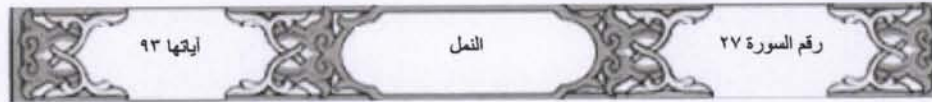
م	الآية	رقمها	الصفحات
٧٥	﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ﴾	١٨	١٩٠
٧٦	﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ ﴾	٦٨	٣٢٢
٧٧	﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾	٦٩	٣٢٢
٧٨	﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾	٩٦	٣٢٤
٧٩	﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾	١٠٥	١٢٥



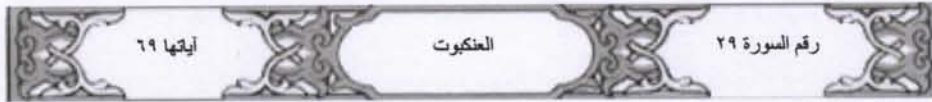
م	الآية	رقمها	الصفحات
٨٠	﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾	٣١	٣٢٨
٨١	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا ﴾	٥٥	١٩٩



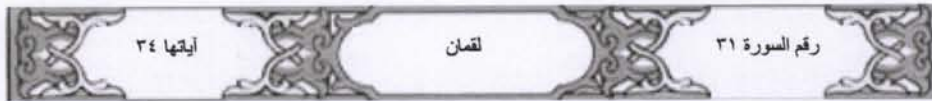
م	الآية	رقمها	الصفحات
٨٢	﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ... ﴾	٤٤	٢٠٧



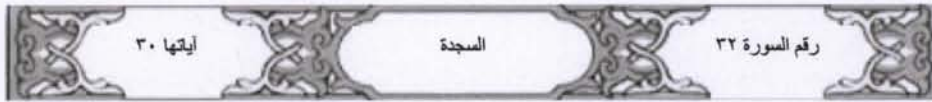
م	الآية	رقمها	الصفحات
٨٣	﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً ... ﴾	٨٢	٣٢٥



م	الآية	رقمها	الصفحات
٨٤	﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ... ﴾	٢٤	٣٢٢



م	الآية	رقمها	الصفحات
٨٥	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ... ﴾	١٢	ط



م	الآية	رقمها	الصفحات
٨٦	﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ... ﴾	١٧	٣١٤

رقم السورة ٣٣ الأجزاء أيتها ٧٣

م	الآية	رقمها	الصفحات
٨٧	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾	٢١	٢٤٧-١٧٨
٨٨	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ ... ﴾	٣٦	٢٨٣

رقم السورة ٣٣ الأجزاء أيتها ٧٣

م	الآية	رقمها	الصفحات
٨٩	﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ... ﴾	٥٦	٣٣١
٩٠	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ ... ﴾	٥٩	٣٢٨

رقم السورة ٣٤ سبأ أيتها ٥٤

م	الآية	رقمها	الصفحات
٩١	﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ... ﴾	٠٦	١٨
٩٢	﴿ وَلَسَلِمَنَّ الْريِّحُ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوْاحُها شَهْرٌ ... ﴾	١٢	٣١٦
٩٣	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا ... ﴾	٢٨	٢

رقم السورة ٣٥ فاطر أيتها ٤٥

م	الآية	رقمها	الصفحات
٩٤	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾	٠١	٣١٥

رقم السورة ٣٧ الصافات آياتها ١٨٢

م	الآية	رقمها	الصفحات
٩٥	﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾	٩٧	٣٢٢
٩٦	﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾	٩٨	٣٢٢
٩٧	﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾	١٤٠	٣٢٠

رقم السورة ٣٨ ص آياتها ٨٨

م	الآية	رقمها	الصفحات
٩٨	﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾	٤٦	٣٢١
٩٩	﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾	٤٧	٣٢١
١٠٠	﴿ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ... ﴾	٤٨	٣٢١

رقم السورة ٣٩ الزمر آياتها ٧٥

م	الآية	رقمها	الصفحات
١٠١	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا ... ﴾	٦٧	٣١٢
١٠٢	﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ ... ﴾	٧٤	١٢٥

رقم السورة ٤٠ غافر آياتها ٨٥

م	الآية	رقمها	الصفحات
١٠٣	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ ... ﴾	٨٢	٢٢٢
١٠٤	﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا ... ﴾	٨٣	٢٢٢
١٠٥	﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ... ﴾	٨٤	٢٢٢
١٠٦	﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ... ﴾	٨٥	٢٢٢

رقم السورة ٤٢ الشورى آياتها ٥٣

م	الآية	رقمها	الصفحات
١٠٧	﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم ... ﴾	١١	٣١٣
١٠٨	﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ ... ﴾	١٢	٢٣٣
١٠٩	﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ... ﴾	٣٨	٢٨٧

رقم السورة ٤٥ الجاثية آياتها ٣٧

م	الآية	رقمها	الصفحات
١١٠	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ ... ﴾	١٨	٢٣٥
١١١	﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ... ﴾	١٩	٢٣٥

رقم السورة ٤٨ الفتح آياتها ٢٩

م	الآية	رقمها	الصفحات
١١٢	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَىٰ ... ﴾	٢٩	١٩٣

رقم السورة ٤٩ الحجرات آياتها ١٨

م	الآية	رقمها	الصفحات
١١٣	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ... ﴾	١٠	١٨١
١١٤	﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ... ﴾	١٢	٢٩٢

رقم السورة ٤٩ الحجرات آياتها ١٨

م	الآية	رقمها	الصفحات
١١٥	﴿ يَتَأَيُّبُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ ... ﴾	١٣	١٨١

رقم السورة ٥٣ النجم آياتها ٦٢

م	الآية	رقمها	الصفحات
١١٦	﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾	٠٣	١٨٨
١١٧	﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١﴾ ﴾	١١	١٨

رقم السورة ٥٥ الرحمن أيتها ٧٨

م	الآية	رقمها	الصفحات
١١٨	﴿ مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ... ﴾	٥٤	٣١٤

رقم السورة ٥٧ الحديد أيتها ٢٩

م	الآية	رقمها	الصفحات
١١٩	﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ... ﴾	٠٣	٣١٩
١٢٠	﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ ... ﴾	١٣	٢٤٨

رقم السورة ٥٩ الحشر أيتها ٢٤

م	الآية	رقمها	الصفحات
١٢١	﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ ... ﴾	٠٧	١٧٦
١٢٢	﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ... ﴾	١٣	١٤٤
١٢٣	﴿ لَا يُقْبَلُ مِنْكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ ... ﴾	١٤	١٤٤

رقم السورة ٧١ نوح أيتها ٢٨

م	الآية	رقمها	الصفحات
١٢٤	﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾	١٣	٢١١
١٢٥	﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾	١٤	٢١١

رقم السورة ٧١ نوح آياتها ٢٨

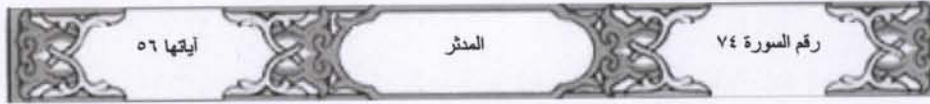
م	الآية	رقمها	الصفحات
١٢٦	﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾	١٥	٢١١
١٢٧	﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾	١٦	٢١١
١٢٨	﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾	١٧	٢١١
١٢٩	﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾	١٨	٢١١
١٣٠	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ سِطًا ﴾	١٩	٢١١
١٣١	﴿ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾	٢٠	٢١١

رقم السورة ٧٣ المزمّل آياتها ٢٠

م	الآية	رقمها	الصفحات
١٣٢	﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا ﴾	١٢	٣١٥

رقم السورة ٧٤ المنثر آياتها ٥٦

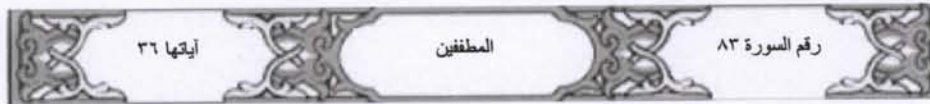
م	الآية	رقمها	الصفحات
١٣٣	﴿ سَأُصَلِّيهِ سَقَرًا ﴾	٢٦	٣١٥
١٣٤	﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴾	٢٧	٣١٥
١٣٥	﴿ لَا تُتَّقِي وَلَا تَدْرُ ﴾	٢٨	٣١٥
١٣٦	﴿ لَوْ آحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾	٢٩	٣١٥



م	الآية	رقمها	الصفحات
١٣٧	(عَلِيهَا تِسْعَةَ عَشَرَ)	٣٠	٣١٥



م	الآية	رقمها	الصفحات
١٣٨	(وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ)	١٠	٣١٦



م	الآية	رقمها	الصفحات
١٣٩	(يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ)	٢٥	٣١٤



م	الآية	رقمها	الصفحات
١٤٠	(قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُحْدُودِ)	٠٤	٣١٨
١٤١	(أَلنَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ)	٠٥	٣١٨



م	الآية	رقمها	الصفحات
١٤٢	(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ)	٠٦	٢٢٢

م	الآية	رقمها	الصفحات
١٤٣	﴿ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾	٠٧	٢٢٢
١٤٤	﴿ الَّتِي لَمْ تَخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ﴾	٠٨	٢٢٢
١٤٥	﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾	٠٩	٢٢٢
١٤٦	﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾	١٠	٢٢٢
١٤٧	﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴾	١١	٢٢٢
١٤٨	﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾	١٢	٢٢٢
١٤٩	﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾	١٣	٢٢٢
١٥٠	﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾	١٤	٢٢٢
١٥١	﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾	٢٢	٣١٣

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث	م
٣٢٦	اطلع النبي ﷺ علينا	٠١
٣٢٦	أعور العين اليمنى	٠٢
٢٩٠	أفضلُ الجهادِ مَنْ	٠٣
٢٩٠	أنه سيكونُ هناك	٠٤
٣٢٦	إنَّ مع الدجال	٠٥
١٨١	ترى المؤمنينَ في	٠٦
١٧٧	تفرقت اليهودُ على	٠٧
د	ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين	٠٨
٧٥	طلبُ العلمِ فريضةٌ	٠٩
٣٣٠	فاطمة سيدة نساء	١٠
٣٢٦	قامَ رسولُ اللهِ ﷺ في الناس	١١
٢٩٢	كلُّ المسلم على المسلم	١٢
٣٣٠	كملَ من الرجال كثيرٌ	١٣
٣٢٦	لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وبلِّ للعربِ	١٤
١٩٤	لا تسبوا أحداً من أصحابي	١٥
٢٣٦	لا تقوم الساعة حتى	١٦
٧٥	لا يؤمنُ أحدكم حتى	١٧
٢٣٥	لتبعن سنن من كان قبلكم	١٨
٢٩٠	مَنْ أتاكم وأمرُكم جميعاً	١٩
٢٤٢	من تشبه بقوم فهو منهم	٢٠
٢٩١	مَنْ حملَ علينا السلاحَ فليس منا	٢١
٢٩٠	مَنْ خلعَ يداً من طاعةٍ	٢٢
٢٩١	مَنْ سلَّ علينا السيفَ	٢٣
٢٢٨	من سلك طريقاً يلتمس	٢٤
١٩١	من كذبَ عليَّ متعمداً	٢٥
١٨١	المؤمنُ للمؤمن كالبنيان	٢٦
٢٩١	والذي نفسي بيده، لتأمرونَ	٢٧
٢٨٩	يدُ اللهِ مع الجماعة	٢٨

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

الصفحة	العلم	م
٣٠٤-٣٠٣-١٧٤-١٤٠-١١٧-٨٢	إبراهيم البليهي	٠١
٣٣٣	إبراهيم عوض	٠٢
٢٧	إسحاق نيوتن	٠٣
٢٥٨-٢٥٧-٦١	إقبال محمد	٠٤
٢٦٤-١٢٦-٩١	إكرام شجاتي	٠٥
٣٣١	الإمام النووي	٠٦
١٧٤	أحمد أمين	٠٧
٣٣٥-١٢٤-١٠١	أحمد زكي يماني	٠٨
-١٣٨-١٣٧-١٣٦-١٣٢-١٣١-١٣٠-١٢٩ ١٤٩-١٤٧-١٤٦-١٤٥-١٤٣-١٤٢	أحمد الشريف	٠٩
٢٥	أدولف هتلر	١٠
٣٣٥-١٧٤-٩٢	أبو الأعلى المودودي	١١
٢٩	ألنني فكونت	١٢
٢٠٣	أنور الجندي	١٣
١٥٩-٥٩	أحمد علال البخلاحي	١٤
٢٦٩	أيوب خان	١٥
٢٩	آرثر بلفور	١٦
١٦٨	البابا أوربان الثاني	١٧
٣٢٤	بسطامي سعيد	١٨
٢٤	بنيتو موسيليني	١٩
٢٠٣-٦٧	بولس	٢٠
٢٧	تشارلز دارون	٢١
٢٣٥-١٧٧	ابن تيمية	٢٢

الصفحة	العلم	م
١١٨-١١٤-٥٦	جاكوب دي هان	٢٣
٢٣٧	جمال الدين الأفغاني	٢٤
٢٦٤-٢٥٦-٢٥٥-١٥٩-١٥٨-١٢٦-٩١	جنتر ويند هاجر	٢٥
٣٤	جواهر لال نهرو	٢٦
٢٣٢	جورج ميش	٢٧
٣٣	جورج نثانيال كرزون	٢٨
١٢١-١٢٠	حامد وايزمان	٢٩
٣٢٦	حذيفة بن أسيد الغفاري <small>رضي الله عنه</small>	٣٠
٣٠٤-٣٠١-٢٠٢-١٧٢-٩٣-٨٥	أبو الحسن الندوي	٣١
٩٩-٩٦	خورشيد أحمد	٣٢
٣٣٦	نخوسيه	٣٣
١٩٧	ابن خلدون	٣٤
١٠٩	دوريان فايفن باروم	٣٥
٧٩	روجيه جارودي	٣٦
١٤١	زيد بن غاتم الشهري	٣٧
٢٧	سان سيمون	٣٨
٦٩-٤٨	سيجموند فرويد	٣٩
١٣٣	سعد العربي	٤٠
٨٩	السلطان عبد الحميد	٤١
٢٣٧-٣١٤	سيد خان	٤٢
١٧٤	سيد قطب	٤٣
١١٥	الشريف حسين علي	٤٤
١٢٧-١٢٦-٩٥-٨٥-٨٣	صالح الحصين	٤٥
٢٦٩	ضياء الحق	٤٦

م	العلم	الصفحة
٤٧	طلال أسد	٢٧٠-٢٦٣-٢٥٦-٢٥٥-٢٣١-١١١-٤٢ ٣٣٦
٤٨	عبد الرحمن حبنكة الميداني	١٥٥
٤٩	عبد الرحمن الشبيلي	٢٧٠-١٢٧-٩٠
٥٠	عبد العزيز الرفاعي	٣٣٢-١٠٥-٥٩
٥١	عبد العزيز آل سعود	١٥٩-١٤٠-٩٤-٨٣-٦٢-٦٠-٥٩-٤٢ ٣٣٥-٢٧٠-٢٥٦
٥٢	عبد الله بن بليهد	٥٠
٥٣	عبد الله الحقييل	١٥٩
٥٤	عبد الله الخطيب	١٠٢
٥٥	عبد الله فلي	٢٥٥
٥٦	عبد الوهاب عزام	١٢٦
٥٧	علي إبراهيم النملة	١٥٦-١٥٤
٥٨	علي الصلابي	١٣٣
٥٩	علي العميم	٣٣٦
٦٠	عماد الدين خليل	٢٧٥
٦١	عمر فروخ	٨٣
٦٢	عمر المختار	١٤٤-١٤١-١٣٩-١٣٨-١٣٧-١٣٦-١٣٣ ١٥٠-١٤٩-١٤٨-١٤٧-١٤٦-١٤٥
٦٣	فهد عبد الله السماري	٢٣١
٦٤	فيصل الدويش	١٤٠-٦٠
٦٥	كوبر نيكوس	٢٧
٦٦	ليقت علي خان	٢٦٦
٦٧	لينين	٢٤
٦٨	ابن كثير	٢٣٥

الصفحة	العلم	م
٩٤	مارتن كرايمر	٦٩
٢٧	ماركس	٧٠
٣٠٢-١٧٤-١٦٦-١٥٥-٨٥	مالك بن نبي	٧١
١٦٩	محمد البهي	٧٢
١٠٠	محمد سرور الصبان	٧٣
١٢٧	محمد السعيد	٧٤
١٣٧-١٣٦-١٣٥-١٣٢-١٣١	محمد السنوسي	٧٥
٢٣٧	محمد عبده	٧٦
٣٠٨-٣٠٥-١١٧	محمد عدس	٧٧
٢٩٤-٢٩٣	محمد عمارة	٧٨
١٩٧-٨٥	محمد قطب	٧٩
١٧١-١٦٥-١٦١-١٥٦-٨٥	محمود حمدي زقزوق	٨٠
٣٣٩-٣٣٢-٣٠٨-١٢٦-٥١	مراد هوفمان	٨١
٣٣٥-٣٣٢-٣٣١-٣٠٧	مرم جميلة	٨٢
٣٠٥-٣٠٤	مصطفى حلمي	٨٣
٨٤-٨٣	مصطفى الخالدي	٨٤
١٩١-١٧٤-١٧١-١٦٤	مصطفى السباعي	٨٥
٣٠٤-٣٠	مصطفى كمال أتاتورك	٨٦
٣٣٤-٢٦٨	مظفر خان	٨٧
٥٥	مكسيم غوركي	٨٨
١١٩	مناحيم أوسكشيين	٨٩
١٥٩	منير شفيق	٩٠
٣٣٣-٣٢١	مولاي محمد علي	٩١
٣٤	موهنداس كرمشند غاندي	٩٢

الصفحة	العلم	م
١٧٠	نابليون	٩٣
٣٠٢	نجاح الغنيمي	٩٤
٣٠٧	نصرت اسانوفيتش	٩٥
١٢٦	نعمان قدوة	٩٦
١٧٠	نيقولا الخامس	٩٧
٢٣٢	هرتزل	٩٨
٢٥	هند برج	٩٩
١٩٨	ول ديورانت	١٠٠
٩٠	وليم بكتول	١٠١
٨٥	يوسف القرضاوي	١٠٢

فهرس البلدان والأماكن والبقاع

فهرس البلدان والأماكن والبقاع

م	البلد - المكان - البقاع	الصفحة
٠١	إسبانيا	٣٣٦-٣٣٥-١٢١-١٢٠-١٠٥-٤٤-٣٠
٠٢	إسرائيل	١٢١-١١٦-١١٣-١١٢-١١١-٨٢-٣١
٠٣	إسطنبول	١٦٩
٠٤	الإسكندرية	٢٥٥-١٤٩-٧٠-٦٦
٠٥	إسلام آباد	٢٦٩
٠٦	إيران	٢٣٧-٧٤-٥٧
٠٧	أرتيريا	١٣٦
٠٨	الأردن	١٢٨-٨١-٧٤-٧١-٥٦-٣١
٠٩	أسيوط	١٤٢
١٠	أفغانستان	١١٦-٧٦-٧٥-٧٤-٥٧
١١	ألمانيا	-٢٦١-١٧٢-١١٥-٥٥-٤٢-٢٦-٢٥-٢٤ ٣٣٩
١٢	أمستردام	٩٤-٥٨
١٣	أندونيسيا	٢٥٤-١٣٠-٦١-٢٨
١٤	أوكرانيا	٣٨
١٥	إيطاليا	١٧٢-١٤٩-٣٣-٣٠-٢٤
١٦	باكستان	-٢٥٧-٢٥٦-١٢٦-٩٢-٩١-٦٢-٦١-٤٤ -٢٦٩-٢٦٨-٢٦٧-٢٦٦-٢٦٥-٢٦٤-٢٥٨ -٣٣٥-٣٣٤-٣٣٣-٢٧٤-٢٧٣-٢٧٢-٢٧٠ ٣٣٦
١٧	بحرية	١٤٧-١٤٣-١٣٨
١٨	بخارى	٥٨
١٩	براغ	٥٤-٤٩
٢٠	البرتغال	٤٤

م	البلد - المكان - البقاع	الصفحة
٢١	برقة	١٣٠-١٣١-١٣٢-١٣٦-١٣٧-١٣٨-١٤٠-١٤٢-١٤٣-١٤٨
٢٢	بريلين	٣٩-٤١-٤٩-٥٤-٥٥-٥٨-٥٩-٧٠-٧٦-٧٧
٢٣	بريطانيا	٢٥-٢٦-٢٩-٣٠-١١٥-١١٦-٢٢٥-٢٦١
٢٤	بني سويف	١٤٢-١٤٣
٢٥	بولندا	٢٦-٥٨
٢٦	تركستان	٥٨-٢٥٤
٢٧	تركمانيستان	٥٨
٢٨	تركيا	٣٠-٨١-٩٤-١١٥-١٣٤-٢٣٧-٣٠٤-٣٣٩
٢٩	تونس	٢٣٧
٣٠	جالوا	١٣٢-١٤٤-١٤٧
٣١	جبل أبي قبيس	١٣٠
٣٢	جزر القمر	٢٨
٣٣	الجغبوب	١٤٣-١٤٧
٣٤	الجولان	٣١
٣٥	الدولة العثمانية	٢٩-١١٥-١٣٥-٢٣٧
٣٦	دهوسي	٢٦٣
٣٧	دهلي	٨٣-٩٤
٣٨	روسيا	٢٤-٢٨-٥٨-١٧٢-٢٠٤
٣٩	زيوريخ	٥٨
٤٠	ستوكهلم	٩٤
٤١	السلوم	١٤٨
٤٢	سمرقند	٥٧
٤٣	سوريا	٣١-٥٠-٧١-٨١-١١٥-١٢١-١٢٨

م	البلد - المكان - البقاع	الصفحة
٤٤	السويد	٢٢٠
٤٥	سويسرا	٢٦٤-٢٢٠-١٠٣-٧٠-٤٤
٤٦	سيناء	٣١
٤٧	سيوه	١٤٧-١٤٣
٤٨	الصين	٢٥٤-٦١
٤٩	طشقند	٥٨
٥٠	طنجة	٤٤
٥١	العراق	٢٢٥-١٢٨-١١٦-٨١-٧٤-٥٧
٥٢	غاليسيا	٣٨
٥٣	غرناطة	٤٤
٥٤	غزة	١١٦-٧٠
٥٥	فرافرة	١٤٧-١٣٨
٥٦	فرانكفورت	٩٤-٥٨-٥٧
٥٧	فرنسا	٣٣٩-١٧٢-١٦٩-١١٥-٣٠-٢٩-٢٦-٢٥
٥٨	فلسطين	-١٠٨-٨١-٧٠-٦٥-٥٦-٣١-٣٠-٢٩ -١١٥-١١٤-١١٣-١١٢-١١١-١١٠-١٠٩ -١٢٥-١٢١-١٢٠-١١٩-١١٨-١١٧-١١٦ ٢٠٣-١٢٨
٥٩	فيينا	٢٥٥-٢٣١-٦٩-٦٠-٥٤-٤٩-٤٨
٦٠	القدس	-١١٧-١١٠-١٠٩-١٠٣-٨١-٦٦-٥٦-٢٩ ٢٧٠-٢٦٤-٢٦٢-١٢٤-١١٨
٦١	القسطنطينية	١٧٠-١٦٩-٧٠
٦٢	قناة السويس	٢٢٥-٧٠
٦٣	كازخستان	٢٨
٦٤	كراتشي	٢٦٥-٢٥٧-٩٢

الصفحة	البلد - المكان - البقاع	م
١٤٦-١٣٨-١٣٧	الكُفرة	٦٥
٩٨-٨٢	كندا	٦٦
٥٩	كولونيا	٦٧
-٢٦٤-٢٦٣-٢٥٧-٢٥٤-١٠٣-٩٢-٩٠-٨٧ ٢٦٩-٢٦٥	لاهور	٦٨
١١٥	لبنان	٦٩
-١٤٢-١٤١-١٣٨-١٣٤-١٣٢-١٣١-١٢٨ ٢٣٧-١٤٩-١٤٧	ليبيا	٧٠
٥١	لشبونة	٧١
٤٤	مالقة	٧٢
١٠٤-٩٤-٨٧	ماليزيا	٧٣
٣٣	مدراس	٧٤
١٤٩	مرسى مطروح	٧٥
-١٣٢-١٢٨-٩٤-٨١-٧١-٧٠-٥٦-٣١ -١٤٧-١٤٦-١٤٢-١٤١-١٤٠-١٣٨-١٣٧ ٣٣٥-٢٣٧-٢٢٥	مصر	٧٦
٣٣٥-٤٤	المغرب	٧٧
٤٤	ميخاس	٧٨
٢٦١-٢٣٢-٢٣١-١٢٦-٨٢-٣٨-٢٥	النمسا	٧٩
٣٨	نهر الدانوب	٨٠
٩٤-٦١-٤٣	نيويورك	٨١
١٧٢	هولندا	٨٢
٣٣٥-١٢٥-٤٣-٢٦	الولايات المتحدة الأمريكية	٨٣
٢٦٥	ولاية بنجاب الغربية	٨٤
٢٤٥	اليمن	٨٥
١٤٩-١٤٢	ينبع	٨٦

فهرس الأديان والفرق

فهرس الأديان والفرق

الصفحة	المصطلح	م
٤٠	الأرثوذكس اليهودية	٠١
١٨٤	أهل البدع والأهواء	٠٢
١٧٣	البوذية	٠٣
٤٦	ترجوم	٠٤
٤٦	التلمود	٠٥
٤٦	التلمود الأورشلمي	٠٦
٤٦	التلمود البابلي	٠٧
١٢٣-١٢٢-١٢١-١١٠	العبرانيين	٠٨
١٩٥-١٩٠-١٨٩-١٨٧-١٨٤	العصرانيين	٠٩
١٨٤	القرآنيين	١٠
٤٣	الكاثوليك	١١
١٨٩-١٨٧	المتنورين	١٢
١٩٥-١٩٤-١٩٠-١٨٤	المستغربين	١٣
٢٧٢-١٧٣	الهندوسية	١٤

فهرس المصطلحات العلمية والفلسفية والألفاظ الغربية

فهرس المصطلحات العلمية والفلسفية والألفاظ الغربية

الصفحة	المصطلح	م
٣٣٤-٢٦٨-٢٦٧-٢٣١-٦٢-٦١-٤٣	الأمم المتحدة	٠١
٢٣	الأنثروبولوجيا	٠٢
٦٤-٤٦	الآرامية	٠٣
٢٠٤	البلشفية	٠٤
٢٤	الثورة الشيوعية البلشفية	٠٥
٢٩٨-٢٩٣-٢٠٥	الديمقراطية	٠٦
٢٠٥-٢٠٤	الرأسمالية	٠٧
١٠٠	رابطة العالم الإسلامي	٠٨
١١٥-٣٠-٢٩	سايكس بيكو	٠٩
٢٠٤	الشيوعية	١٠
-١١٢-١١١-١١٠-١٠٩-١٠٨-٨٢-٨١ -١٢٠-١١٩-١١٨-١١٦-١١٥-١١٤-١١٣ ٢٣٢-١٢٥-١٢٤-١٢١	الصهيونية	١١
٦٤-٥١-٤٦	العبرية	١٢
٤٧	اللغة اللاتينية	١٣
٢٠٥-٢٤	الفاشية	١٤
٧٩	المتافيزيقية	١٥
٢٦١-٢٥	النازية	١٦
١١٧-١١٥-١١٤	وعد بلفور	١٧

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	المحتوى	التسلسل
هـ	مستخلص الدراسة باللغة العربية	٠١
ز	مستخلص الدراسة باللغة الإنجليزية	٠٢
ي	الإهداء	٠٣
ك	الشكر والتقدير	٠٤
٠٢	المقدمة	٠٥
٠٤	مشكلة البحث	٠٦
٠٤	أهمية البحث وبواعث الدراسة	٠٧
٠٥	أهداف البحث	٠٨
٠٦	الدراسات السابقة	٠٩
٠٩	منهج البحث	١٠
١٠	عمل الباحثة في كتابة البحث	١١
١١	الصعوبات التي واجهت الباحثة	١٢
١٢	هيكل البحث	١٣
١٧	التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث وتحرير مفردات العنوان	١٤
٢١	الفصل الأول: عصر محمد أسد وحياته	١٥
٢٢	المبحث الأول: عصر محمد أسد	١٦
٢٣	المطلب الأول: القارة الأوروبية	١٧
٢٨	المطلب الثاني: العالم الإسلامي	١٨
٣٣	المطلب الثالث: القارة الهندية	١٩
٣٧	المبحث الثاني: حياته الشخصية	٢٠
٣٨	المطلب الأول: مولده، واسمه، ونشأته	٢١
٤١	المطلب الثاني: زواجه	٢٢
٤٤	المطلب الثالث: وفاته	٢٣
٤٥	المبحث الثالث: حياته العلمية	٢٤

الصفحة	المحتوى	التسلسل
٤٦	المطلب الأول: حياته العلمية في أوروبا	٢٥
٥٠	المطلب الثاني: حياته العلمية في العالم الإسلامي	٢٦
٥٣	المبحث الرابع: حياته العملية	٢٧
٥٤	المطلب الأول: حياته العملية في أوروبا	٢٨
٥٦	المطلب الثاني: حياته العملية في العالم الإسلامي	٢٩
٦١	المطلب الثالث: حياته العملية في القارة الهندية	٣٠
٦٣	المبحث الخامس: حياته الدينية	٣١
٦٤	المطلب الأول: موقفه من اليهودية	٣٢
٦٦	المطلب الثاني: موقفه من المسيحية	٣٣
٦٩	المطلب الثالث: اعتناقه للإسلام	٣٤
٨٠	المبحث السادس: تراثه الفكري وإنتاجه العلمي	٣٥
٨١	المطلب الأول: كتاب The Unromantic Orient مشرق غير رومنسي.	٣٦
٨٣	المطلب الثاني: كتاب Islam at the Cross roads الإسلام على مفترق الطرق.	٣٧
٨٧	المطلب الثالث: كتاب Sahih AL-Bukhari The Early Years of Islam صحيح البخاري السنوات المبكرة للإسلام.	٣٨
٩٠	المطلب الرابع: Magazine Arafat مجلة عرفات.	٣٩
٩٢	المطلب الخامس: كتاب Making Islamic Constitution مقترحات في بناء الدستور الإسلامي.	٤٠
٩٣	المطلب السادس: كتاب The Road to Mecca الطريق إلى مكة.	٤١

الصفحة	المحتوى	التسلسل
٩٦	المطلب السابع: كتاب Is Religion a Thing of Past? هل الدين شيء من الماضي؟	٤٢
٩٧	المطلب الثامن: كتاب The Principles of Stat and Government in Islam منهاج الإسلام في الحكم.	٤٣
٩٩	المطلب التاسع: كتاب The Spirit of Islam روح الإسلام.	٤٤
١٠٠	المطلب العاشر: كتاب The Massage of The Quran رسالة القرآن.	٤٥
١٠٣	المطلب الحادي عشر: كتاب This Low of Ours and Other Essays شريعتنا ومقالات أخرى.	٤٦
١٠٥	المطلب الثاني عشر: كتاب Home – Coming of the Hart عودة القلب إلى موطنه.	٤٧
١٠٦	الفصل الثاني: جهود المستشرق محمد أسد وآراؤه الثقافية	٤٨
١٠٧	المبحث الأول: جهوده وآراؤه في الدفاع عن قضايا العالم الإسلامي	٤٩
١٠٨	المطلب الأول: موقف محمد أسد من القضية الفلسطينية	٥٠
١٢٨	المطلب الثاني: دوره الجهادي السياسي في ليبيا ضد الاحتلال الإيطالي	٥١
١٥١	المبحث الثاني: جهوده وآراؤه في الرد على المستشرقين	٥٢
١٥٢	المطلب الأول: مفهوم الاستشراق والمستشرقين	٥٣
١٦١	المطلب الثاني: المرتكزات الفكرية والعقدية للمستشرقين وموازنهم في البحث العلمي للدراسات الإسلامية.	٥٤
١٧٤	المطلب الثالث: موقف محمد أسد من السنة النبوية الشريفة وآراؤه في الدفاع عنها	٥٥
١٨٤	المطلب الرابع: جهوده في الرد على شبهات المستشرقين ومن تابعهم من أهل البدع والأهواء والمتكلمين	٥٦

الصفحة	المحتوى	التسلسل
١٩٦	المبحث الثالث: جهوده وآراؤه حول الحضارة الغربية	٥٧
١٩٧	المطلب الأول: مفهوم الحضارة	٥٨
٢٠٠	المطلب الثاني: الحضارة عند محمد أسد	٥٩
٢٠٢	المطلب الثالث: موقف محمد أسد من الحضارة الغربية	٦٠
٢٥٣	المبحث الرابع: آراؤه حول منهاج الحكم في الإسلام	٦١
٢٥٤	المطلب الأول: السفر إلى شبه القارة الهندية	٦٢
٢٦٠	المطلب الثاني: نشاطه السياسي والفكري في الهند وعند تأسيس دولة باكستان	٦٣
٢٧٢	المطلب الثالث: رؤية محمد أسد - رحمه الله - لمنهاج الإسلام في الحكم	٦٤
٢٩٩	الفصل الثالث: آراؤه الفكرية بين المؤيدين والمعارضين	٦٥
٣٠٠	المبحث الأول: آراء المؤيدين لفكر محمد أسد وثقافته	٦٦
٣٠١	المطلب الأول: المؤيدون لفكره من العلماء المسلمين	٦٧
٣٠٧	المطلب الثاني: المؤيدون لفكره من المستشرقين المسلمين	٦٨
٣١٠	المبحث الثاني: آراء المعارضين لفكر محمد أسد وثقافته	٦٩
٣١١	المطلب الأول: الانحرافات الفكرية لآراء محمد أسد	٧٠
٣٣٢	المطلب الثاني: المعارضون لفكر محمد أسد	٧١
٣٤٠	الخاتمة	٧٢
٣٤٥	المصادر والمراجع	٧٣
٣٧٢	الملاحق	٧٤
٣٧٣	الملحق الأول: تنويه الإدارة العامة للمكتبات والمعلومات بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية	٧٥
٣٧٥	الملحق الثاني: المكاتبات مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية	٧٦
٣٨٠	الملحق الثالث: خطابات تعاون الملحقيات الثقافية للملكة العربية السعودية مع الباحثة	٧٧

الصفحة	المحتوى	التسلسل
٣٨٤	الملحق الرابع: قصة ابن سعود للكاتب الألماني ليوبولد فايس	٧٨
٣٩٢	الملحق الخامس: شهادة حضور الباحثة لندوة محمد أسد حياة للحوار	٧٩
٣٩٤	الملحق السادس: إفاة الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف حول ترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم	٨٠
٣٩٦	الفهارس	٨١
٣٩٧	فهرس الآيات القرآنية	٨٢
٤١٥	فهرس الأحاديث النبوية	٨٣
٤١٧	فهرس الأعلام	٨٤
٤٢٣	فهرس البلدان والأماكن والبقاع	٨٥
٤٢٨	فهرس الأديان والفرق	٨٦
٤٣٠	فهرس المصطلحات العلمية والفلسفية والألفاظ الغريبة	٨٧
٤٣٢	فهرس الموضوعات	٨٨